الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

١٠

بسم الله الرحمن الرحیم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۱۰

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ ت۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص: ۱

اشاره

[تتمه سوره طه]

الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۴۲ الى ۴۸]

اشاره

اِذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآيٰاتِي وَ لاٰ تَنِيٰا فِي ذِكْرِي (۴۲) اِذْهَبٰا إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ (۴۳) فَقُولاٰ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ (۴۴) قٰالاٰ رَبَّنٰا إِنَّنٰا نَخٰافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنٰا أَوْ أَنْ يَطْغىٰ (۴۵) قٰالَ لاٰ تَخٰافٰا إِنَّنِي مَعَكُمٰا أَسْمَعُ وَ أَرىٰ (۴۶) فَأْتِيٰاهُ فَقُولاٰ إِنّٰا رَسُولاٰ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ وَ لاٰ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنٰاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ اَلسَّلاٰمُ عَلىٰ مَنِ اِتَّبَعَ اَلْهُدىٰ (۴۷) إِنّٰا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنٰا أَنَّ اَلْعَذٰابَ عَلىٰ مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى (۴۸)

التّفسير

اشاره

أوّل لقاء مع فرعون الجبّار:

الآن و قد أصبح كلّ شيء مهيّا،و كلّ الوسائل قد جعلت تحت تصرّف موسى، فقد خاطب اللّه سبحانه موسى و هارون.بقوله: اِذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآيٰاتِي الآيات التي تشمل المعجزتين الكبيرتين لموسى عليه السّلام،كما تشمل كلّ آيات اللّه و تعليماته التي هي بذاتها دليل على أحقّيه دعوته،خاصّه و أنّ هذه التعليمات العظيمه المحتوى ظهرت على يد رجل قضى أهمّ سنيّ حياته في«رعي الأغنام»!

ص: ۵

و من أجل رفع معنوياتهما،و التأكيد على بذل أقصى ما يمكن من المساعى و الجهود،فقد أضاف سبحانه قائلا: وَ لاٰ تَنِيٰا فِي ذِكْرِي و تنفيذ أوامرى،لأنّ الضعف و اللين و ترك الحزم سيذهب بكلّ جهود كما أدراج الرياح،فأثبتا و لا تخافا من أى حادثه،و لا تهنا أمام أى قدره.

بعد ذلك،يبيّن الهدف الأصل لهذه الحركه،و النقطه التى يجب أن تكون هدفا لتشخيص المسار،فيقول: اِذْهَبٰا إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ فإنّه سبب كلّ الشقاء و التعاسه فى هذه المنطقه الواسعه،و ما لم يتمّ إصلاحه فسوف لا ينجح أى عمل، لأنّ عامل تقدّم الأمّه أو تخلّفها،سعادتها أو شقائها و بؤسها هو قادتها و حكّامها، و لذلك يجب أن يكونوا هدفكما قبل الجميع.

صحيح أنّ هارون لم يكن فى ذلك الحين حاضرا فى تلك الصحراء،و لكن اللّه أطلعه على هذه الحوادث كما ذكر المفسّرون،و قد خرج من مصر لاستقبال أخيه موسى لأداء هذه المهمّه،إلاّ أنّه لا مانع مطلقا من أن يخاطبا معا،و توجّه إليهما مأموريه تبليغ الرساله،فى الوقت الذى لم يحضر غير أحدهما.

ثمّ بيّنت الآيه طريقه التعامل المؤثّره مع فرعون،فمن أجل أن تنفذا إليه و تؤثرا فيه فَقُولاٰ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ و الفرق بين«يتذكّر»و «يخشى»هنا هو أنّكما إذا واجهتماه بكلام لطيف،رقيق،ملائم،و تبيّنان فى الوقت ذاته المطالب بصراحه و حزم،فيحصل أحد الاحتمالين:أن يقبل من صميم قلبه أدلتكما المنطقيّه و يؤمن،و الاحتمال الآخر هو أن يخاف على الأقل من العقاب الإلهى فى الدنيا أو الآخره،و من زوال ملكه و قدرته،فيذعن و يسلم و لا يخالفكما.

و يوجد احتمال ثالث أيضا،و هو أنّه لا يتذكّر و لا يخشى،بل سيستمر فى طريق المخالفه و المجابهه،و قد أشير إلى ذلك بكلمه«لعلّ»و فى هذه الصوره فإنّ الحجّه قد تمّت عليه،و على كلّ حال فإنّ القيام بهذا العمل لا يخلو من فائده.

ص :۶

لا شکّ أنّ اللّه تعالی یعلم عاقبه عمله،إلّا أنّ التعبیرات المذکوره آنفا درس لموسی و هارون و کلّ المصلحین و المرشدین إلی طریق اللّه (۱) .

و مع هـذه الحال،فقـد کان موسـی و هارون قلقین من أنّ هـذا الرجل القوی المتغطرس المسـتکبر،الـذی عمّ رعبه و خشونته کلّ مکان،قد یقدم علی عمل قبل أن یبلّغ موسـی علیه السّـلام و هارون علیه السّـلام الدعوه،و یهلکهما،لذلک قالاٰ رَبَّنٰا إِنَّنٰا نَخٰافُ أَنْ یَفْرُطَ عَلَیْنٰا أَوْ أَنْ یَطْغیٰ .

«یفرط»من مادّه فرط-علی وزن شرط-أی السبق و العجله،و لذلک یقال للشخص الذی یردّ محلّ الماء أوّلا:فارط،و نقرأ

فی کلام الإمام علی علیه السّلام أمّا قبور الموتی بجبانه الکوفه:«أنتم لنا فرط سابق» (۲) .

علی کلّ حال،فإنّ موسـی و هارون کانا مشـفقین من شـیئین:فإمّا أن یقسو فرعون و یسـتخدم القوّه قبل أن یسمع کلامهما،أو أنّه یقدم علی هذا العمل بعد سماعه هذا الکلام مباشره،و کلتا الحالین تهدّد مهمّتهما بالخطر.

إلّا أنّ اللّه سـبحانه قـد أجابهما بحزم:ف قٰالَ لاٰ تَخٰافٰا إِنَّنِی مَعَکُمٰا أَسْـمَعُ وَ أَریٰ و بناء علی هـذا،فمع وجود اللّه القادر معکما فی کلّ مکان،اللّه الذّی یسمع کلّ شیء،و یری کلّ شیء،و هو حامیکما و سندکما،فلا معنی للخوف و الرعب.

ثمّ یبیّن لهمـا بـدقّه کیفیه إلقـاء دعوتهمـا فی محضـر فرعون فی خمس جمـل قصـار قـاطعه غنیّه المحتوی،ترتبـط أوّلهـا بأصـل المهمّه،و الثّانیه ببیان محتوی المهمّه،و الثّالثه بـذکر الدلیل و السـند،و الرّابعه بترغیب الذین یقبلونها،و أخیرا فإنّ الخامسه تکفّلت بتهدید المعارضین.

فتقول أوّلا: فَأْتِیٰاهُ فَقُولاٰ إِنّٰا رَسُولاٰ رَبِّکَ و الجمیل هنا أنّهما بدل أن یقولا:

(ربّنا)فإنّهما یقولان(ربّک)لیثیروا عواطف فرعون و إحساساته تجاه هذه النقطه

۱- ۱) -لقد بحثنا فی معنی(لعلّ)و بأی معنی وردت فی القرآن بصوره مفصّله فی ذیل الآیه(۸۴)من سوره النساء.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الکلمات القصار رقم ۱۳۰.

بأنّ له ربّا،و أنّهما رسولاه،و يكونان قد أفهماه بصوره ضمنيّه أن ادّعاء الرّبوبيه لا يصحّ من أى أحد،فهى مختصّه باللّه.

ثمّ تقول: فَأَرْسِلْ مَعَنٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ وَ لاٰ تُعَذِّبْهُمْ الصحيح أنّ دعوه موسى لم تكن من أجل نجاه بنى إسرائيل من قبضه الفراعنه فقط،بل كانت-و بشهاده سائر آيات القرآن-تهدف أيضا إلى نجاه فرعون و الفراعنه أنفسهم من قبضه الشرك و عباده الأوثان.إلاّ أنّ أهميّه هذا الموضوع،و ارتباطه المنطقى بموسى كان السبب فى أن يضع إصبعه على هذه المسأله بنفسه،لأنّ استغلال و استعباد بنى إسرائيل مع كلّ ذلك التعذيب و الأذى لم يكن أمرا يمكن توجيهه.

ثمّ أشارت إلى دليلهما و وثيقتهما،فتقول:قولا له: قَدْ جِئْنٰاكَ بِآيَهٍ مِنْ رَبِّكَ فإنّا لا نتكلم اعتباطا أو جزافا،و لا نتحدّث من دون أن نمتلك الدليل،و بناء على هذا،فإنّ العقل يحكم بأن تفكّر فى كلامنا على الأقل،و أنّ تقبله إن كان صحيحا و منطقيّا.

ثمّ تضيف الآيه من باب ترغيب المؤمنين: وَ السَّلاٰمُ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدىٰ .

و هذه الجمله يمكن أن تشير أيضا إلى معنى آخر،و هو أنّ السلامه فى هذه الدنيا، و العالم الآخر من الآلام و العذاب الإلهى الأليم،و من مشاكل الحياه الفرديه و الاجتماعيه،من نصيب أولئك الذين يتّبعون الهدى الإلهى،و هذه فى الحقيقه هى النتيجه النهائيه لدعوه موسى.

و أخيرا،فإنّ اللّه يأمرهما أن يفهماه العاقبه المشؤومه للتمرّد على هذه الدعوه و عصيانها،بقولهما له: إِنّٰا قَدْ أُوحِیَ إِلَیْنٰا أَنَّ الْعَذٰابَ عَلىٰ مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى .

من الممكن أن يتوهّم متوهّم عدم تناسب هذه العباره و الحوار الملائم اللذين كانا قد امرا بهما.إلاّ أنّ هذا خطأ محض،فأى مانع من أن يقول طبيب حريص بأسلوب مناسب لمريضه:كلّ من يستعمل هذا الدواء سيشفى و ينجو،و كلّ من يتركه فسينزل به الموت.

إنّ هـذا بيـان لنتيجه التعامـل غير المنـاسب مع واقع ما،و لا يوجـد فيه تهديـد خاص،و لا شـدّه فى التعامل.و بتعبير آخر:فإنّ هـذه حقيقه يجب أن تقال لفرعون بدون لفّ و دوران،و بدون أى تغطيه و توريه.

بحوث

اشاره

۱-قدره اللّه العجيبه

لقـد رأينـا كثيرا-على مرّ التاريـخ-أناسـا أقويـاء هبّوا للوقوف بوجه الحقّ،إلاّ أنّ اللّه سـبحانه لم يسـتخدم و يعبّئ جنود الأرض و السّماء من أجـل سـحقهم و تـدميرهم فى أى مـورد من المـوارد،بـل إنّه يغلبهم بسـهوله و بسـاطه،و بصـوره لا تخطر على ذهن أحـد،خـاصه و أنّه فى كثير من الموارد يبعث هؤلاء نحو أسـباب موتهم،و يؤكل مهمّه إعـدامهم إليهم أنفسـهم! و نرى فى قصّه فرعون هـذه،أنّ عـدوّه الأصـلى-أى موسـى-قـد تربّى فى أحضـانه،و هو الـذى رعاه،و نشأ فى كنفه!و من الطبيعى أنّ ذلك كان بتخطيط اللّه سبحانه.

و الأروع من ذلك أنّ قابله موسى عليه السّلام-طبقا لنقل التواريخ-كانت من الأقباط،و النجّار الذى صنع صندوق نجاته كان من الأقباط أيضا،و الذين أخرجوا الصـندوق من الماء كانوا من حرّاس فرعون،و الذى فتح الصندوق كانت امرأه فرعون،و استدعيت أمّ موسـى من قبل أتباع فرعون لتكون مرضـعه له، و كانت مطارده موسى عليه السّلام بعد حادثه قتل الرجل القبطى قد تمّت من قبل الفراعنه، و كانت سـبب هجرته إلى مـدين ليقضـى فتره من التعليم و التكامل فى مدرسه النّبى «شـعيب» نعم،عند ما يريد اللّه سبحانه أن يظهر قوّته فهكذا يفعل،ليعلم كلّ العصاه و المتمرّدين أنّهم أصغر من أن يقفوا أمام إراده اللّه و مشيئته.

٢-التعامل المناسب مع الأعداء

إنّ أوّل أوامر القرآن من أجل النفوذ إلى قلوب الناس-مهما كانوا ضالّين و منحطّين-هو التعامل المناسب المقترن بالمحبّه و العواطف الإنسانيه،أمّا التوسّل بالعنف فإنّه يتعلّق بالمراحل التاليه حينما لا يؤثّر التعامل برفق،فالهدف هو جذب الناس ليتذكّروا،و ليبصروا طريقهم،أو أن يخافوا من العواقب المشؤومه للعمل السىء لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ .

إنّ كلّ عقيده يجب أن تمتلك جاذبيه،و لا تبعد الأفراد عنها بدون مبرّر، و قصص و وقائع الأنبياء و أئمّه الدين عليهم السّلام تبيّن بوضوح أنّهم لم ينحرفوا عن هذا المنهج و المسير أبدا طوال حياتهم.

نعم،من الممكن أن لا تؤثّر أساليب المحبّه و اللطف فى القلوب الداكنه عند بعض الناس،و يكون الطريق مقتصرا على استعمال العنف فى المكان المناسب،إلاّ أنّه ليس قانونا عامّا و أساسيّا للبدء فى العمل،فإنّ المحبّه هى البدايه و المسلك الأوّل،و هذا هو الدرس الذى تذكره لنا الآيه آنفه الذكر.

ممّا يلفت النظر أنّنا نقرأ فى بعض الرّوايات:إنّ موسى كان مأمورا بأن ينادى فرعون بأحسن أسمائه،فربّما يؤثّر ذلك فى قلبه المظلم.

٣-هل يوحى إلى غير الأنبياء؟

لا شكّ أنّ للوحى فى القرآن الكريم معانى مختلفه:فقد جاء أحيانا بمعنى الصوت الواطئ،أو القول همسا.و هذا هو المعنى الأصلى لهذا اللفظ فى اللغه العربيه.

و جاء أحيانا بمعنى الإشاره الرمزيه إلى شىء ما،مثل: فَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ

سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا

(۱)

.

و أحيانا بمعنى الإلهام الغريزى،مثل أَوْحىٰ رَبُّک إِلَى النَّحْلِ (۲) .

و أحيانا بمعنى الأمر التكوينى،الأمر الذى يصدر بلسان الخلقه، مثل يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحىٰ لَهٰا (۳) .

و ورد أحيانا بمعنى الإلهام الذى يلقى فى قلوب المؤمنين،و إن لم يكونوا أنبياء أو أئمه،مثل: إِذْ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ أُمِّکَ مٰا يُوحىٰ (۴) .

إلاّ أنّ أهمّ موارد استعماله فى القرآن المجيد هى النداءات الإلهيّه الخاصّه بالأنبياء،مثل: إِنّٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْکَ كَمٰا أَوْحَيْنٰا إِلىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ (۵) .

فبناء على هذا،فإنّ لكلمه الوحى معنى واسعا و جامعا يشمل هذه الموارد، و لهذا فسوف لا نعجب من استعمال كلمه الوحى فى شأن أمّ موسى.

۴-سؤال و جواب

من الممكن أن يتساءل البعض عند قراءه هذه الآيات،و هو:لماذا يقلق موسى و يضطرب و يتردّد مع تلك الوعود الإلهيّه،إلى أن يقول اللّه سبحانه له بصراحه:اذهبا فإنّنى معكما أسمع كلّ الكلام،و أرى كلّ شىء،و لا مجال للقلق مطلقا؟ و يتّضح جواب هذا السؤال من أنّ هذه المهمّه كانت ثقيله جدّا،فإنّ موسى عليه السّلام-الذى كان راعيا للأغنام-يريد أن يذهب مع أخيه فقط إلى حرب رجل قوى مقتدر،و متمرّد عاص،و الذى يحكم بلدا قويّا فى ذلك الزمان.ثمّ إنّ

۱- ۱) -مريم،۱۱

۲- ۲) -النحل،۶۸.

۳- ۳) -الزلزال،۵.

۴- ۴) -سوره طه،۳۸.

۵- ۵) -النساء،۱۶۳.

هـذه الدعوه تبدأ من دعوه فرعون نفسه، لا أن يذهبا أوّلا إلى الآخرين ليعدّا الأنصار و الجيوش،بل يجب أن يقدحوا أوّل شـراره فى قلب فرعون،و هذه فى الحقيقه مهمّه معقّده جدّا،و صعبه للغايه.

إضـافه إلى أنّ للعلم و المعرفه درجات و مراتب،فكثيرا ما يعلم الإنسان بشـىء يقينا،إلاّ أنّه يرغب أن يصل إلى مرحله علم اليقين و الاطمئنـان المطلـق،كمـا أنّ إبراهيم مـع إيمـانه القطعى بالمعـاد،فـإنّه طلب من اللّه أن يريه مشـهدا من إحيـاء المـوتى فى هـذه الدنيا،ليطمئن أكثر.

ص: ١٢

الآیات [سوره طه (٢٠): الآیات ۴٩ الی ۵۵]

اشاره

قٰالَ فَمَنْ رَبُّكُمٰا يٰا مُوسىٰ (۴٩) قٰالَ رَبُّنَا اَلَّذِى أَعْطىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ (۵٠) قٰالَ فَمٰا بٰالُ اَلْقُرُونِ اَلْأُولىٰ (۵١) قٰالَ عِلْمُهٰا
عِنْدَ رَبِّى فِى كِتٰابٍ لاٰ يَضِلُّ رَبِّى وَ لاٰ يَنْسىٰ (۵٢) اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اَلْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيهٰا سُبُلاً وَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً
فَأَخْرَجْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْ نَبٰاتٍ شَتّٰى (۵٣) كُلُوا وَ اِرْعَوْا أَنْعٰامَكُمْ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِأُولِى اَلنُّهىٰ (۵۴) مِنْهٰا خَلَقْنٰاكُمْ وَ فِيهٰا نُعِيدُكُمْ
وَ مِنْهٰا نُخْرِجُكُمْ تٰارَةً أُخْرىٰ (۵۵)

التّفسیر

اشاره

من ربّکما؟

لقد حذف القرآن المجید هنا-و کما هی طریقته-بعض المطالب التی یمکن فهمها بمعونه الأبحاث الآتیه،و توجّه مباشره إلی محاوره موسی و هارون مع فرعون،و المبحث فی الواقع هکذا:

إنّ موسی بعد تلقّی الوحی و الرساله،و خطّه عمل کامله فی کیفیّه التعامل مع

فرعون،تحرّک من تلک الأرض المقدّسه،و التقی أخاه هارون-علی حدّ قول المفسّرین-قرب مصر،ثمّ توجّها معا نحو فرعون،و تمکّنا من الدخول إلی قصر فرعون الأسطوری برغم المشاکل الکثیره.

فلمّا أصبح موسی أمام فرعون وجها لوجه،أعاد تلک الجمل الدقیقه المؤثّره التی علّمه اللّه إیّاها أثناء الأمر بالرساله: إِنّٰا رَسُولاٰ رَبِّکَ فَأَرْسِلْ مَعَنٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ وَ لاٰ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنٰاکَ بِآیَهٍ مِنْ رَبِّکَ وَ السَّلاٰمُ عَلیٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدیٰ .و اعلم أیضا إِنّٰا قَدْ أُوحِیَ إِلَیْنٰا أَنَّ الْعَذٰابَ عَلیٰ مَنْ کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی .

فلمّا سمع فرعون هذا الکلام،کان أوّل ردّ فعله أن قٰالَ فَمَنْ رَبُّکُمٰا یٰا مُوسیٰ .

و العجیب أنّ فرعون المغرور و المعجب بنفسه لم یکن مستعدا حتّی أن یقول:من ربّی الذی تدّعیانه؟بل قال:من ربّکما؟! فأجابه موسی مباشره بجواب جامع جدّا،و قصیر فی الوقت نفسه،عن اللّه:

قٰالَ رَبُّنَا الَّذِی أَعْطیٰ کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ

ففی هذه العباره الموجزه إشاره إلی أصلین أساسیین من الخلقه و الوجود،و کلّ واحد منهما دلیل و برهان مستقل یوصل إلی معرفه اللّه:

الأوّل:إنّ اللّه سبحانه قد وهب لکلّ موجود ما یحتاجه،و هذا أمر فی غایه الأهمّیه ممّا یقتضی تألیف عدّه کتب،بل إنّ کثیرا من الکتب قد الّفت فی هذا المجال.

إنّنا إذا دقّقنا قلیلا فی النباتات و الحیوانات التی تعیش فی کلّ منطقه، سواء الطیور،أو الحیوانات البحریه،أو الحشرات و الزواحف،فسنری أنّ لکلّ منها انسجاما تامّا مع محیطها الذی تعیش فیه،و کلّ ما تحتاجه فهو موجود تحت تصرّفها،فإنّ هیکل الطیور قد هیّئها للطیران من ناحیه شکلها و وزنها و حواسها المختلفه،و کذلک تکوین و بناء الحیوانات التی تعیش فی أعماق البحار.

و الثّانی:مسأله هدایه و إرشاد الموجودات،و قد جعلها القرآن باستعماله(ثمّ)

فی الدرجه الثّانیه بعد تأمین الاحتیاجات.

إنّ من الممکن أن یمتلک الإنسان أی شیء من أسباب الحیاه،إلاّ أنّه یجهل کیفیّه الاستفاده منها،و المهمّ أن یعرف طریقه استعمالها،و هذا هو الشیء الذی نراه فی الموجودات المختلفه بوضوح،و کیف أنّ کلاّ منها یستغلّ طاقته بصوره دقیقه فی إدامه حیاته،کیف یبنی بیتا،و کیف یتکاثر،و کیف یربیّ أولاده و یخفیهم و یبعدهم عن متناول الأعداء،أو یعلمهم کیف یواجهون الأعداء؟ و البشر-أیضا-لدیهم هذه الهدایه التکوینیّه،إلاّ أنّ الإنسان لمّا کان موجودا یمتلک عقلا و شعورا،فقد جعل اللّه سبحانه هدایته التکوینیّه مع هدایته التشریعیّه بواسطه الأنبیاء متلازمه و متزامنه،بحیث إنّه إذا لم ینحرف عن ذلک الطریق،فإنّه سیصل حتما إلی مقصده.و بتعبیر آخر فإنّ الإنسان نتیجه لامتلاکه العقل و الإراده، فإنّ له واجبات و مسئولیات،و بعد ذلک مناهج تکاملیّه لیس للحیوانات مثلها، و لذلک فإنّه إضافه إلی الهدایه التکوینیّه محتاج إلی الهدایه التشریعیّه.

و خلاصه القول:إنّ موسی علیه السّلام یرید أن یفهم فرعون أنّ عالم الوجود هذا غیر منحصر فیک،و لا فی أرض مصر،و لا یختص بالحاضر أو الماضی،فإنّ لهذا العالم ماضیا و مستقبلا لم أکن و لم تکن فیه،و تلاحظ مسألتان أساسیتان فی هذا العالم:

تأمین الحاجات،ثمّ استغلال الطاقات و القوی فی طریق رقی الموجودات،فإنّها تستطیع جیدا أن تدلّک علی ربّنا،و تعرّفک به،و کلّما أمعنت النظر فی هذا المجال فستحصل علی دلالات و براهین کثیره علی عظمته و قدرته.

فلمّا سمع فرعون هذا الجواب الجامع الجمیل،ألقی سؤالا آخر قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَی .و هناک بحث بین المفسّرین فی مراد فرعون من هذه الجمله،فقد أظهروا وجهات نظر مختلفه! ۱-فقال بعضهم:إنّ موسی علیه السّلام لمّا ذکر فی آخر جمله من کلامه شمول العذاب الإلهی للمکذّبین بالتوحید،فإنّ فرعون سأل:إذن فلما ذا لم یبتل أولئک

ص :۱۵

الأقوام المشركين الماضين،بمثل هذا العذاب؟ ٢-و قال بعض:إنّ موسى لمّا قال:إنّ ربّ العالم هو ربّ الجميع،سأل فرعون:فلما ذا كان الأسلاف من قومنا و كلّ الأقوام الماضيه مشركين؟فهذا يبيّن أنّ الشرك و عباده الأصنام ليس عملا خاطئا! ٣-و قال آخرون:لمّا كان معنى كلام موسى هو أنّ الجميع سينال نتيجه أعماله فى النهايه،و سيعاقب أولئك الذين عصوا الأوامر الإلهيّه،فسأل فرعون:

فما هو مصير الأقوال الماضيه الذين هلكوا و اندثروا؟ على كلّ حال،أجابه موسى عليه السّلام بقوله: قٰالَ عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتٰابٍ لاٰ يَضِلُّ رَبِّي وَ لاٰ يَنْسىٰ (١) و بناء على هذا فإنّ حساب هؤلاء و كتبهم محفوظه،و سينالون فى النهايه ثواب و عقاب أعمالهم،فإنّ الحافظ لهذا الحساب هو اللّه الذى لا يخطئ و لا ينسى،و بملاحظه ما بيّنه موسى من أصل التوحيد و التعريف باللّه، فإنّ من الواضح جدّا أنّ حفظ هذا الحساب لدى من أعطى كلّ موجود حاجته بدقّه،ثمّ هداه ليس أمرا صعبا.

و للمفسّرين آراء مختلفه فى الفرق بين(لا يضلّ)و(لا ينسى)إلاّ أنّ الظاهر هو أن(لا يضلّ)إشاره إلى نفى أى نوع من الخطأ من قبل اللّه سبحانه،و(لا ينسى) إشاره إلى نفى النسيان،أى أنّه سبحانه لا يشتبه فى حساب الأفراد عند بدايه العمل،و لا يبتلى بنسيان حفظ حسابهم و أعمالهم،و على هذا فإنّ موسى قد نبّه بصوره ضمنيّه على إحاطه علم اللّه بكلّ شىء،لينتبه فرعون إلى هذه الحقيقه،و هى أنّ أى شىء من عمله لا يخفى على اللّه و إن كان بمقدار رأس الإبره،و سوف ينال عقابه أو ثوابه.

فى الحقيقه،إنّ الإحاطه العلميه للّه هى نتيجه الكلام الذى قاله موسى من

١- ١) -لقد ذكر«كتاب»هنا بصيغه النكره،و هذه إشاره إلى عظمه الكتاب الذى تثبت فيه أعمال العباد،كما نقرأ فى آيه أخرى: لاٰ يُغٰادِرُ صَغِيرَةً وَ لاٰ كَبِيرَةً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا الكهف-۴٩.

قبل،و هو أنّ اللّه الذى أعطى كلّ موجود حاجته ثمّ هداه،مطّلع على حال كلّ أحد،و كلّ شىء.

و لمّا كان جانب من حديث موسى عليه السّلام حول مسأله التوحيد و معرفه اللّه،فإنّه يبيّن هنا فصلا آخر فى هذا المجال،فيقول: اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيهٰا سُبُلاً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْ نَبٰاتٍ شَتّٰى .و فى مجموع هذه الآيه إشاره إلى أربعه أنواع من نعم اللّه الكبرى.

١-الأرض التى هى مهد استقرار الإنسان و مهاده،و يستطيع الإنسان العيش عليها براحه و أمان ببركه قانون الجاذبيه،و كذلك الطبقه الغازيه العظيمه التى تحيط بالأرض.

٢-الطرق و السبل التى أوجدها اللّه فى الأرض،و التى تربط جميع مناطقها بعضها بالبعض الآخر،كما رأينا غالبا وجود طرق و وديان بين سلسله الجبال التى تناطح السّماء يستطيع الإنسان أن يمرّ من خلالها و يصل إلى مقصده.

٣-الماء الذى هو أساس الحياه،و مصدر كلّ البركات،و الذى أنزل من السّماء ۴-الأعشاب و النباتات المختلفه التى تخرج من الأرض بفعل هذا الماء، و يشكل قسم منها المواد الغذائيه للإنسان،و قسم يستفيد منه الإنسان فى صنع الأدويه،و قسم آخر يصنع ملابسه،و قسم آخر لوسائل الحياه كالأبواب،و حتّى البيوت التى تبنى من الخشب،و السفن،و كثير من وسائط النقل الأخرى،بل يمكن القول:إنّ هذه النعم الأربع الكبرى تشكل حسب الترتيب الذى ورد فى الآيه أولويّات حياه الإنسان،فقبل كلّ شىء يحتاج الإنسان إلى محلّ سكن و هدوء،و بعده إلى طرق المواصلات،ثمّ الماء، ثمّ المحاصيل الزراعيه.

ثمّ أشار إلى خامس النعم و آخرها من سلسله النعم الإلهيّه هذه،فقال: كُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعٰامَكُمْ ،و هو إشاره إلى ثرواتكم و منتوجاتكم الحيوانيّه،و التى تشكّل

جانبا مهمّا من المواد الغذائيه و الملابس و وسائل الحياه،هی أيضا من بركات هذه الأرض و ذلك الماء النازل من السّماء.

و فی النهايه،و بعد أن أشار إلی كلّ هذه النعم،قال: إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِی النُّهیٰ .

ممّا يستحقّ الانتباه أنّ«النهی»جمع«نهيه»و هی فی الأصل مأخوذه من مادّه«نهی»مقابل الأمر،و تعنی العقل الذی ينهی الإنسان عن القبائح و السيّئات، و هذه إشاره إلی أنّ كلّ تدبّر و تفكّر من أجل فهم أهميّه هذه الآيات ليس كافيا،بل إنّ العقل و الفكر المسؤول هو الذی يستطيع أن يدرك و يطلع علی هذه الحقيقه.

و بما أنّ هذه الآيات دلّت علی التوحيد بخلق الأرض و نعمها،فقد بيّنت مسأله المعاد بالإشاره إلی الأرض فی آخر آيه من هذه الآيات أيضا فقالت:

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرىٰ

و إنّه لتعبير بليغ حقّا، و مختصر أيضا،عن ماضی البشر و حاضره و مستقبله،فكلّنا قد جئنا من التراب، و كلّنا نرجع إلی التراب،و منه نبعث مرّه أخری! إنّ رجوعنا إلی التراب،أو بعثنا منه أمر واضح تماما،لكن فی كيفيّه بدايتنا من التراب تفسيران:الأوّل:إنّنا جميعا من آدم و آدم من تراب.و الآخر:إنّنا أنفسنا قد خلقنا من التراب،لأنّ كلّ المواد الغذائيه التی كوّنت أجسام آبائنا و أمهاتنا قد أخذت من هذا التراب.

ثمّ إنّ هذا التعبير ينبّه كلّ العتاه المتمردّين،و المتّصفين بصفات فرعون،كی لا ينسوا من أين أتوا،و إلی أين يذهبون؟فلما ذا كلّ هذا الغرور و العصيان و الطغيان من موجود كان بالأمس ترابا،و سيكون غدا ترابا أيضا؟

ملاحظات

۱-کلمتی«المهد»و«المهاد»تعنیان المکان المهیّأ للجلوس و المنام و الاستراحه،و فی الأصل تطلق کلمه المهد علی المکان الذی ینام فیه الطفل، فکأنّ الإنسان طفل وضع فی مهد الأرض،و قد توفّرت فی هذا المهد کلّ وسائل الحیاه.

۲-کلمه«أزواجا»التی أخذت من مادّه«زوج»یمکن أن تکون إشاره إلی أصناف و أنواع النباتات،کما یمکن أن تکون إشاره خفیّه إلی مسأله الزوجیّه فی عالم النباتات،و التی سنتحدّث عنها فی ذیل آیه مناسبه إن شاء اللّه تعالی.

۳-

ورد عن النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم حدیث فی اصول الکافی فی تفسیر(أولو النهی)، جاء فیه: «إنّ خیارکم أولو النهی»قیل:یا رسول اللّه، و من أولو النهی؟قال:«هم أولو الأخلاق الحسنه،و الأحلام الرزینه،و صله الأرحام،و البرره بالأمّهات و الآباء،و المتعاهدین للفقراء و الجیران و الیتامی،و یطعمون الطعام،و یفشون السلام فی العالم،و یصلّون و الناس نیام غافلون» (۱) .

و

فی حدیث آخر نقل عن أمیر المؤمنین علیه السّلام، أنّ رجلا سأله:یا ابن عمّ خیر خلق اللّه،ما معنی السجده الأولی؟فقال:«تأویله:اللّهمّ إنّک منها خلقتنی-یعنی من الأرض-و رفع رأسک و منها أخرجتنا،و السجده الثّانیه و إلیها تعیدنا،و رفع رأسک من الثّانیه و منها تخرجنا تاره أخری» (۲) .

۱- ۱) -اصول الکافی،الجزء الثّانی،باب«المؤمن و علاماته و صفاته»الحدیث ۳۲.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۸۵،ص ۱۳۲

الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۵۶ الی ۶۴]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرَيْنٰاهُ آيٰاتِنٰا كُلَّهٰا فَكَذَّبَ وَ أَبىٰ (۵۶) قٰالَ أَ جِئْتَنٰا لِتُخْرِجَنٰا مِنْ أَرْضِنٰا بِسِحْرِكَ يٰا مُوسىٰ (۵۷) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ
بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لاٰ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لاٰ أَنْتَ مَكٰاناً سُوىً (۵۸) قٰالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ اَلزِّينَهِ وَ أَنْ يُحْشَرَ اَلنّٰاسُ ضُحًى (۵۹) فَتَوَلّٰى
فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتىٰ (۶۰) قٰالَ لَهُمْ مُوسىٰ وَيْلَكُمْ لاٰ تَفْتَرُوا عَلَى اَللّٰهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذٰابٍ وَ قَدْ خٰابَ مَنِ افْتَرىٰ (۶۱)
فَتَنٰازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا اَلنَّجْوىٰ (۶۲) قٰالُوا إِنْ هٰذٰانِ لَسٰاحِرٰانِ يُرِيدٰانِ أَنْ يُخْرِجٰاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمٰا وَ يَذْهَبٰا
بِطَرِيقَتِكُمُ اَلْمُثْلىٰ (۶۳) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَ قَدْ أَفْلَحَ اَلْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلىٰ (۶۴)

التّفسير

اشاره

فرعون يهيء نفسه للجوله الأخيره:

تعكس هذه الآيات مرحله أخرى من المواجهه بين موسى و فرعون،و يبدأ

ص:۲۰

القرآن الكريم هـذا الفصل بهـذه الجمله: وَ لَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أَبَى و من المسلّم أنّ المراد من هذه الآيات هنا ليس كـلّ المعجزات التى ظهرت على يـد موسـى عليه السّـلام طيله حياته فى مصـر.بل مرتبطه بالمعجزات التى أراها فرعون فى بـدايه دعوته،معجزه العصـا،و اليـد البيضـاء،و محتوى دعوته السـماويه الجـامعه، و التى كـانت بنفسـها دليلاـ حيّا على أحقّيته،و لـذلك تطالعنا بعد هذه الحادثه مسأله المواجهه بين السّحره و موسى عليه السّلام و معجزاته الجديده.

و الآـن،لنر مـاذا قـال فرعون الطاغى المسـتكبر العنود فى مقابل موسـى و معجزاته،و كيف اتّهمه كما هى عاده كلّ المتسلّطين و الحكّـام المتعنّتين: قَالَ أَ جِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى و هو إشـاره إلى أنّنا نعلم أنّ مسأله النبوّه و الـدعوه إلى التوحيـد،و إظهـار هـذه المعجزات تشـكّل بمجموعهـا خطّه منسّـقه للانتصار علينا،و بالتالى إخراجنا مع الأقباط من أرض آبائنا و أجـدادنا، فليس هـدفك الـدعوه إلى التوحيـد،و لا نجاه و تخليص بنى إسـرائيل،بل هدفك الوصول إلى الحكم و السـيطره على هذه الأرض،و إخراج المعارضين! إنّ هذه التهمه هى نفس الحربه التى يستخدمها الطواغيت و المستعمرون على امتداد التاريخ،و يلوحـون بهـا و يشـهرونها كلّمـا رأوا أنفسـهم فى خطر،و مـن أجـل إثـاره النـاس لصـالحهم يـثيرون مسـأله تعرّض مصالـح البلد للخطر،فالبلد يعنى حكومه هؤلاء العتاه،و وجوده يعنى وجودهم! و يعتقد بعض المفسّـرين أنّ الهدف من جلب بنى إسـرائيل إلى مصـر، و الاحتفـاظ بهم فى هـذه الأـرض لم يكن من أجـل اسـتغلال قـواهم كعبيـد و حسب، بـل إنّهم فى الوقت نفسه كـانوا لا يريـدون لبنى إسـرائيل،الـذين كانوا قوما أقوياء،أن يتحوّلوا إلى قوّه و مصـدر خطر.و كذلك لم يكن الأمر بقتل الذكور للخوف من ولاده موسـى فقط،بل للوقوف أمام قوّتهم و الحـدّ منها،و هـذا عمل يقوم به كلّ الأقوياء الظالمين،و بناء على هذا فإنّ خروج بنى إسرائيل-حسب طلب موسى-

یعنی اقتدار هذه الأمّه،و فی هذه الحاله سیتعرّض سلطان الفراعنه و عرشهم إلی الخطر.

و النقطه الأخری فی هذه العباره القصیره،هی أنّ فرعون قد اتّهم موسی بالسحر،و هذا هو ما اتّهم به کلّ الأنبیاء عند إظهار معجزاتهم البیّنه،کما نقرأ ذلک فی الآیتین(۵۲-۵۳)من سوره الذاریات: کَذٰلِکَ مٰا أَتَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ قٰالُوا سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَ تَوٰاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طٰاغُونَ .

و تجدر الإشاره إلی هذه المسأله أیضا،و هی أنّ إثاره المشاعر الوطنیه وحبّ الوطن فی مثل هذه المواضع أمر مدروس بدقّه کامله،لأنّ أغلب الناس یحبّون أرضهم و وطنهم کحبّهم أنفسهم و أرواحهم،و لذلک جعلوا هذین الأمرین فی مرتبه واحده،کما فی بعض آیات القرآن: وَ لَوْ أَنّٰا کَتَبْنٰا عَلَیْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِیٰارِکُمْ مٰا فَعَلُوهُ إِلاّٰ قَلِیلٌ مِنْهُمْ (۱) .

ثمّ أضاف فرعون بأن لا تظن بأنّنا نعجز عن أن نأتی بمثل هذا السحر فَلَنَأْتِیَنَّکَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ،و لکی یظهر حزما أکثر فإنّه قال: فَاجْعَلْ بَیْنَنٰا وَ بَیْنَکَ مَوْعِداً لاٰ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لاٰ أَنْتَ مَکٰاناً سُویً .

و ذکر البعض فی تفسیر مَکٰاناً سُویً :إنّ المراد هو أن تکون فاصلته عنّا و عنک متساویه،و قال بعضهم:أن تکون فاصلته متساویه بالنسبه إلی الناس،أی أن یکون المکان فی وسط المدینه تماما،و قال بعض:المراد أن تکون الأرض أرضا مکشوفه و مسطّحه یشرف علیها الجمیع،و أن یتساوی فی ذلک العالی و الدانی.و یمکن أن تعتبر کلّ هذه المعانی مجتمعه فیها.

و ینبغی التذکیر بأنّ الحکّام الطغاه،و من أجل أن یهزموا خصمهم فی المعرکه، و یرفعوا معنویات أتباعهم و أعوانهم الذین ربّما وقعوا تحت تأثیره(کما فی قصّه

ص :۲۲

۱- ۱) -النساء،۶۶.

موسی و معجزاته فلا یبعد أن یکونوا قد وقعوا تحت تأثیره)فإنّهم یعیدون إلیهم المعنویات و القوّه،و یتعاملون فی الظاهر مع أمثال هذه المسائل بصرامه و شدّه، و یثیرون الصخب حولها! إلاّ أنّ موسی لم یفقد هدوء أعصابه،و لم یدع للخوف من عنجهیّه فرعون إلی قلبه طریقا،بل قال بحزم: قٰالَ مَوْعِدُکُمْ یَوْمُ الزِّینَهِ وَ أَنْ یُحْشَرَ النّٰاسُ ضُحًی (1) .

إنّ التعبیر ب یَوْمُ الزِّینَهِ إشاره إلی یوم عید کان عندهم لا نستطیع تعیینه بدقّه،إلاّ أنّ المهمّ هو أنّ الناس کانوا یعطّلون أعمالهم فیه،و کانوا حتما مستعدّین للمشارکه فی مثل هذا«المشهد».

علی کلّ حال،فإنّ فرعون بعد مشاهده معجزات موسی العجیبه،و تأثیرها النفسی فی أنصاره،صمّم علی مواجهه موسی علیه السّلام بالاستعانه بالسّحره،و لذلک وضع الاتّفاق المذکور مع موسی فَتَوَلّٰی فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ کَیْدَهُ ثُمَّ أَتیٰ .

فی هذه الجمله القصیره تلخّصت حوادث جمّه جاءت بشکل مفصّل فی سورتی الأعراف و الشعراء،لأنّ فرعون بعد ترکه ذلک المجلس و مفارقه موسی و هارون،عقد اجتماعات عدیده مع مستشاریه الخاصّین،و أتباعه المستکبرین، ثمّ دعا السّحره من جمیع أنحاء البلاد إلی الحضور فی العاصمه،و رغّبهم بمرغّبات کثیره من أجل مواجهه موسی علیه السّلام،و امور أخری لیس هنا مجال بحثها،إلاّ أنّ القرآن الکریم قد جمّعها کلّها فی هذه الجمل الثلاث: فَتَوَلّٰی فِرْعَوْنُ،فَجَمَعَ کَیْدَهُ، ثُمَّ أَتیٰ (2) .

و أخیرا حلّ الیوم الموعود،و وقف موسی أمام جمیع الحاضرین،الذین کان بعضهم السّحره،و کان عددهم-علی رأی بعض المفسّرین-إثنین و سبعین

1- 1) -«الضحی»فی اللغه بمعنی زیاده أشعّه الشمس،أو ارتفاع الشمس،و الواو فی جمله(و أن یحشر الناس)دالّه علی المعیّه.

2- 2) -بالرغم من أنّ(تولّی)فسّرت هنا بالافتراق عن موسی،أن عن ذلک المجلس،إلاّ أنّ من الممکن أن تعکس-مع ملاحظه معناها من الناحیه اللغویه-حاله الاعتراض و الغضب لدی فرعون.و موقفه المعادی تجاه موسی.

ساحرا،و قال آخرون إنّهم بلغوا أربعمائه،و ذكر البعض أعدادا أكبر أيضا.و كان قسم من ذلك الجمع عباره عن فرعون و أنصاره و حاشيته،و أخيرا القسم الثّالث الذى كان يشكّل الأكثريه،و هم الناس المتفرّجون.

هنا توجّه موسى إلى السّحره،أو إلى الفراعنه،و السّحره،و قالَ لَهُمْ مُوسىٰ وَيْلَكُمْ لاٰ تَفْتَرُوا عَلَى اللّٰهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذٰابٍ وَ قَدْ خٰابَ مَنِ افْتَرىٰ .و واضح أنّ مراد موسى من الافتراء على اللّه سبحانه هو أن يجعلوا شخصا أو شيئا شريكا له، أو ينسبوا معجزات رسول اللّه إلى السحر،و يظنّوا أنّ فرعون إلههم و معبودهم، و من المحتّم أنّ اللّه سبحانه سوف لا يدع من ينسبون هذه الأكاذيب إلى اللّه، و يسعون بكلّ قواهم لإطفاء نور الحقّ،بدون عقاب.

إنّ كلام موسى المتين الذى لا يشبه كلام السّحره بوجه،بل إنّ نبرته كانت نبره دعوه كلّ الأنبياء الحقيقيين،و نابعه من صميم قلب موسى الطاهر،فأثّرت على بعض القلوب،و أوجدت اختلافا بين ذلك الحشد من السّحره،فبعض كان يناصر المواجهه و المبارزه،و بعض تردّد فى الأمر،و احتمل أن يكون موسى عليه السّلام نبيّا إليها،و أثّرت فيهم تهديداته،خاصّه و أنّ لباس موسى و هارون البسيط كان لباس رعاه الأغنام،و عدم مشاهده الضعف و التراجع على محيّاهما بالرغم من كونهما وحيدين،كان يعتبر دليلا آخر على أصاله أقوالهما و صدق نواياهما، و لذلك فإنّ القرآن يقول: فَتَنٰازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوىٰ .

إنّ من الممكن أن تكون هذه المسارّه و النجوى أمام فرعون،و يحتمل أيضا أن لا تكون أمامه،و هناك احتمال آخر،و هو أنّ القائمين على إداره هذا المشهد قد تناجوا فى خفاء عن الناس.

إلاّ أنّ أنصار الاستمرار فى المواجهه انتصروا أخيرا و أخذوا زمام المبادره بيدهم،و شرعوا فى تحريك السّحره بطرق مختلفه،فأوّلا قالُوا إِنْ هٰذٰانِ

لَسَاحِرَانِ

(۱)

و بناء على هذا فلا يجب أن تخافوا مواجهتهما،لأنّكم كبار و أساتذه السحر فى هذه البلاد العريضه،و لأنّ قوتكم و قدرتكم أكبر منهما! ثمّ إنّهما يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما الوطن الذى هو أعزّ من أنفسكم،إضافه إلى أنّهما لا يقنعان بإخراجكم من أرضكم،بل إنّهما يريدان أيضا أن يجعلا مقدّساتكم أضحوكه و محلاّ للسخريه وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى (٢) .

و الآن حيث أصبح الأمر كذلك،فلا تدعوا للتردّد إلى أنفسكم طريقا مطلقا، بل فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا لأنّ الوحده رمز انتصاركم فى هذه المعركه المصيريّه الحاسمه وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى .

---

۱ – ۱) -إنّ هذه الجمله من ناحيه الإعراب هى:(إن)مخفّفه من(أنّ)و لذلك لم تعمل عملها فيما بعدها،إضافه إلى أنّ رفع اسم(إن) ليس قليلا فى لغه العرب.

۲ – ۲) -«الطريقه»تعنى العاده و الأسلوب المتبع،و المراد منها هنا المذهب.و(مثلى)من مادّه(مثل).و هى هنا تعنى العالى و الأفضل،أى الأشبه بالفضيله.

الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۶۵ الی ۶۹]

اشاره

قَالُوا يَا مُوسىٰ إِمّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقىٰ (۶۵) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعىٰ (۶۶) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسىٰ (۶۷) قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ اَلْأَعْلىٰ (۶۸) وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ لا يُفْلِحُ اَلسّاحِرُ حَيْثُ أَتىٰ (۶۹)

التّفسير

اشاره

موسى عليه السّلام ينزل إلى الساحه:

لقد اتّحد السّحره ظاهرا،و عزموا على محاربه موسى عليه السّلام و مواجهته،فلمّا نزلوا إلى الميدان قالُوا يا مُوسىٰ إِمّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقىٰ .

قال بعض المفسّرين:إنّ اقتراح السّحره،هذا إمّا أن يكون من أجل أن يسبقهم موسى عليه السّلام،أو إنّه كان احتراما منهم لموسى،و ربّما كان هذا الأمر هو الذى هيّأ السبيل إلى أن يذعنوا لموسى عليه السّلام و يؤمنوا به بعد هذه الحادثه.

إلّا أنّ هذا الموضوع يبد و بعيدا جدّا،لأنّ هؤلاء كانوا يسعون بكلّ ما أوتوا من قوّه لأن يسحقوا و يحطّموا موسى و معجزته،و بناء على هذا فإنّ التعبير آنف الذكر ربّما كان لإظهار اعتمادهم على أنفسهم أمام الناس.

غير أنّ موسى عليه السّلام بدون أن يبدى عجله،لاطمئنانه بأنّ النصر سوف يكون حليفه،بل و بغضّ النظر عن أنّ الذى يسبق إلى الحلبه فى هذه المجابهات هو الذى يفوز قٰالَ بَلْ أَلْقُوا .و لا شكّ أنّ دعوه موسى عليه السّلام هؤلاء إلى المواجهه و عمل السحر كانت مقدّمه لإظهار الحقّ،و لم يكن من وجهه نظر موسى عليه السّلام أمرا مستهجنا،بل كان يعتبره مقدّمه لواجب.

فقبل السّحره ذلك أيضا،و ألقوا كلّ ما جلبوه معهم من عصى و حبال للسحر فى وسط الساحه دفعه واحده،و إذا قبلنا الرّوايه التى تقول: إنّهم كانوا آلاف الأفراد،فإنّ معناها أنّ فى لحظه واحده ألقيت فى وسط الميدان آلاف العصى و الحبال التى ملئت أجوافها بمواد خاصه فَإِذٰا حِبٰالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهٰا تَسْعىٰ ! أجل،لقد ظهرت بصوره أفاع و حيّات صغيره و كبيره متنوّعه،و فى أشكال مختلفه و مخيفه،و نقرأ فى الآيات الأخرى،من القرآن الكريم فى هذا الباب:

سَحَرُوا أَعْيُنَ النّٰاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جٰاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ

(۱)

و بتعبير الآيه(۴۴)من سوره الشعراء: وَ قٰالُوا بِعِزَّهِ فِرْعَوْنَ إِنّٰا لَنَحْنُ الْغٰالِبُونَ .

لقد ذكر كثير من المفسّرين أنّ هؤلاء كانوا قد جعلوا فى هذه الحبال و العصى موادا كالزئبق الذى إذا مسّته أشعّه الشمس و ارتفعت حرارته و سخن،فإنّه يولّد لهؤلاء-نتيجه لشدّه فورانه-حركات مختلفه و سريعه«إنّ هذه الحركات لم تكن سيرا و سعيا حتما،إلّا أن إيحاءات السّحره التى كانوا يلقنونها الناس،و المشهد

١- ١) -الأعراف،١١۶.

الخاص الـذّى ظهر هناک،کان يظهر لأعين الناس و يجسّد لهم أنّ هذه الجمادات قد و لجتها الروح،و هى تتحرّک الآن.(و تعبير سَحَرُوا أَعْيُنَ النّاسِ إشاره إلى هذا المعنى أيضا،و كذلك تعبير يُخَيَّلُ إِلَيْهِ يمكن أن يكون إشاره إلى هذا المعنى أيضا).

على كلّ حال،فإنّ المشـهد كان عجيبا جـدّا،فإنّ السّـحره الـذين كان عددهم كبيرا، و تمرسـهم و اطلاعهم فى هذا الفن عميقا،و كـانوا يعرفـون جيـدا طريقه الاسـتفاده من خواص هـذه الأجسـام الفيزيـائيه و الكيميـائيه الخفيّه،اسـتطاعوا أن ينفـذوا إلى أفكـار الحاضرين ليصدّقوا أنّ كلّ هذه الأشياء الميته قد ولجتها الروح.

فعلت صرخات السرور من الفراعنه،بينما كان بعض الناس يصرخون من الخوف و الرعب،و يتراجعون إلى الخلف.

فى هــذه الأثنــاء فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى و كلمـه«أوجس»أخــذت مـن مـادّه(إيجـاس)و فى الأصـل مـن(وجس)على وزن(حبس)بمعنى الصوت الخفى، و بنـاء على هـذا فـإنّ الإيجـاس يعنى الإحسـاس الخفى و الـداخلى،و هـذا يوحى بـأنّ خوف موسـى الداخلى كان سـطحيّا و خفيفا،و لم يكن يعنى أنّه أولى اهتماما لهذا المنظر المرعب لسـحر السّـحره،بل كان خائفا من أن يقع الناس تحت تأثير هذا المنظر بصوره يصعب معها إرجاعهم إلى الحقّ.

أو أن يترک جمـاعه من النـاس الميـدان قبـل أن تتهيّأ الفرصه لموسـى لإظهار معجزته،أو أن يخرجوهم من الميـدان و لا يتضـح الحقّ لهم،كما نقرأ

فى خطبه الإمـام على عليه السّـلام الرقم(۶)من نهـج البلاغه: «لم يوجس موسـى عليه السّـلام خيفه على نفسه، بل أشـفق من غلبه الجهّال و دول الضلال» (۱) . و مع ما قيل لا نرى ضروره لذكر الأجوبه الأخرى التى قيلت فى باب خوف موسى عليه السّلام.

۱- ۱) -لقد قال الإمام على عليه السّلام هذا الكلام فى وقت كان قلقا من انحراف الناس،و يشير إلى هذه الحقيقه،و هى أنّ قلقى ليس نابعا من شكّى فى الحقّ.

على كـلّ حـال،فقـد نزل النصـر و المـدد الإلـهى على موسـى فى تلك الحال،و بيّن له الوحى الإلهى أنّ النصـر حليفه كما يقول القرآن: قُلْنٰا لاٰ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ اَلْأَعْلىٰ .

إنّ هذه الجمله و بتعبيرها المؤكّد قد أثلجت قلب موسـى بنصـره المحتّم-فإنّ(إنّ) و تكرار الضـمير،كلّ منهما تأكيد مستقل على هذا المعنى،و كذلك كون الجمله اسميّه-و بهذه الكيفيّه،فقد أرجعت لموسى اطمئنانه الذى تزلزل للحظات قصيره.

و خاطبه اللّه مرّه أخرى بقوله تعالى: وَ أَلْقِ مٰا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مٰا صَنَعُوا إِنَّمٰا صَنَعُوا كَيْدُ سٰاحِرٍ وَ لاٰ يُفْلِحُ اَلسّٰاحِرُ حَيْثُ أَتىٰ .

«تلقـف»من مـاده«لقف»بمعنى البلع،إلاّ أنّ الراغب يقول فى مفرداته:إنّ معناهـا فى الأصـل تنـاول الشـىء بحـذق،سواء فى ذلك تناوله باليد أو الفمّ.و فسّرها بعض اللغويين بأنّها التناول بسرعه.

و ممّـا يلفت النظر أنّه لم يقل(الق عصاك)بل يقول(الق ما فى يمينك)و ربّما كان هـذا التعبير إشاره إلى عـدم الاهتمام بالعصا،و إشاره إلى أنّ العصا ليست مسأله مهمّه،بل المهم إراده اللّه و أمره، فإنّه إذا أراد اللّه شـيئا،فليست العصا فقط،بل أقل و أصـغر منها قـادر على إظهـار مثـل هـذه المقـدّره! و هنا نقطه تسـتحقّ الـذكر أيضا و هى:إنّ كلمه(ساحر)فى الآيه وردت أوّلا نكره،و بعـدها معرفه بألف و لام الجنس،و ربّما كان هذا الاختلاف لأنّ الهدف فى المرتبه الأولى هو عدم الاهتمام بعمل هؤلاء السّحره،و معنى الجمله:إنّ العمـل الـذى قام به هؤلاء ليس إلاّ مكر ساحر.أمّا فى المورد الثّانى فقـد أرادت التأكيـد على أصل عام،و هو أنّه ليس هؤلاء السّحره فقط،بل كلّ ساحر فى كلّ زمان و مكان و أينما وجد سوف لا ينتصر و لا يفلح.

ص :۲۹

بحثان

اشاره

۱–ما هی حقیقه السحر؟

بالرغم من أنّنا تحدّثنا بصوره مفصّله فیما مضی عن هذا الموضوع،إلاّ أنّنا نری أن نذکر علی سبیل الإیضاح باختصار أنّ«السحر»فی الأصل یعنی کلّ عمل و کلّ شیء یکون مأخذه خفیا،إلاّ أنّه یقال فی التعبیر المألوف للأعمال الخارقه للعاده التی تؤدّی باستعمال الوسائل المختلفه.فتسمّی سحرا أیضا فأحیانا یتخذ جانب الحیله و المکر و خداع النظر و الشعوذه.

و أحیانا یستفاد من عوامل التلقین و الإیحاء.

و أحیانا یستفاد من خواص الأجسام و المواد الفیزیائیه و الکیمیائیه المجهوله.

و أحیانا بالاستعانه بالشیاطین.

و کلّ هذه الأمور جمعت و اندرجت فی ذلک المفهوم اللغوی الجامع.

إنّنا نواجه علی طول التاریخ قصصا کثیره حول السحر و السّحره،و فی عصرنا الحاضر فإنّ الذین یقومون بهذه الأعمال لیسوا بالقلیلین،إلاّ أنّ کثیرا من خواص الأجسام و الموجودات التی کانت خافیه علی الناس فیما مضی، قد اتّضحت فی زماننا الحاضر،بل کتبوا کتبا فی مجال آثار الموجودات المختلفه العجیبه،فکشفت کثیرا من سحر السّاحرین و سلبته من أیدیهم.

فمثلا،إنّنا نعرف فی علم الکیمیاء الحدیثه أجساما کثیره وزنها أخفّ من الهواء،و إذا ما وضعت داخل جسم فإنّ من الممکن أن یتحرّک ذلک الجسم،و لا یتعجّب من ذلک أحد،فحتّی الکثیر من وسائل لعب الأطفال الیوم ربّما کانت تبدو سحرا فی الماضی! الیوم یعرضون فی«السیرک»فعالیّات تشبه سحر السّحره الماضین بالاستفاده من کیفیّه الإضاءه و تولید النور،و المرایا،و خواص الأجسام

الفيزياويه و الكيمياويه،و يحدثون مشاهد غريبه و عجيبه بحيث يفتح المتفرجون أفواههم أحيانا من التعجّب.

طبعا،إنّ أعمال المرتاضين الخارقه للعاده لها قصّه أخرى عجيبه جدّا.

و على كلّ حال،فانّه لا مجال لإنكار وجود السحر،أو اعتباره خرافه سواء فى الأزمنه الماضيه أو هذه الأيّام.

و الملاحظه التى تستحقّ الانتباه،هى أنّ السحر ممنوع فى الإسلام،و يعدّ من الذنوب الكبيره،لأنّه فى كثير من الأحيان سبب لضلال الناس،و تحريف الحقائق، و تزلزل عقائد السذج.و من الطبيعى أنّ لهذا الحكم الإسلامى-ككثير من الأحكام الاخرى- موارد استثناء،و من جملتها تعلّم السحر لإبطال ادّعاء المدّعين للنبوّه، أو لإزاله أثره ممّن رأوا منه الضرر و الأذى.و قد تحدّثنا حول هذه المسأله بصوره مفصّله فى ذيل الآيتين ١٠٢-١٠٣ من سوره البقره.

٢-السّاحر لا يفلح أبدا

يسأل الكثيرون:إنّ السّحره إذا كانوا يقدرون على القيام بأعمال خارقه للعاده و شبيهه بالمعجزه،فكيف يمكن التفريق و التمييز بين أعمال هؤلاء و بين المعجزه؟ و الجواب عن هذا السؤال بملاحظه نقطه واحده،و هى:إنّ عمل السّاحر يعتمد على قوّه الإنسان المحدوده،و المعجزه تستمدّ قوتها و تنبع من قدره اللّه الأزليّه غير المتناهيه،و لذلك فإنّ أى ساحر يستطيع أن يقوم بأعمال محدوده، و إذا أراد ما هو أعظم منها فسيعجز،فهو يستطيع أن يؤدّى ما تمرّن عليه كثيرا من قبل،و تمكّن منه و سيطر عليه،و أصبح مطّلعا و عارفا بكلّ دقائق و زوايا و عقد ذلك العمل،إلاّ أنّه سيكون عاجزا فيما عداه،فى حين أنّ الأنبياء لمّا كانوا يستمدّون العون من قدره اللّه الأزليّه،فإنّهم قادرون على القيام بأى عمل خارق

للعاده،فی الأرض،و السّماء،و من کلّ نوع و شکل.

السّاحر لا یستطیع أن یقوم بالعمل الخارق وفق اقتراح الناس،إلاّ أن یکون ذلک الاقتراح مطابقا لما تمرّن علیه(و أحیانا یتفقون مع أصدقائهم بأن ینهضوا من بین الناس و یقترحوا ابتداء القیام بالعمل المتفق علیه سابقا)إلاّ أنّ الأنبیاء کانوا یقومون مرارا و تکرارا بمعاجز مهمّه کان یطلبها أناس یبتغون الحقّ دعما للنبوّه و دلیلا علی صحتها،کما سنلاحظ ذلک أیضا فی قصّه موسی هذه.

و مع ما مرّ،فإنّ السحر لما کان عملا منحرفا،و نوعا من الخدعه و المکر،فإنّه یحتاج إلی وضع روحی ینسجم معه،و السّحره- بدون استثناء-أفراد خدّاعون ماکرون یمکن معرفتهم بسرعه من خلال مطالعه نفسیاتهم، فی حین أنّ إخلاص و طهاره و صدق الأنبیاء علیهم السّلام أمور مقرونه بمعاجزهم،و تضاعف من تأثیرها.

(دقّقوا ذلک).

و ربّما لهذه الأسباب تقول الآیه: وَ لاٰ یُفْلِحُ السّٰاحِرُ حَیْثُ أَتیٰ لأنّ قوّته محدوده،و أفکاره و صفاته منحرفه.

إنّ هذا الموضوع لا یختص بالسّحره الذین هبّوا لمحاربه الأنبیاء،بل هو صادق فی شأن السّحره بصوره عامّه،لأنّهم سوف یفتضحون بسرعه،و لا یفلحون فی عملهم.

الآیات [سوره طه (٢٠): الآیات ٧٠ الی ٧۶]

اشاره

فَأُلْقِیَ اَلسَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسی (٧٠) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَکُمْ إِنَّهُ لَکَبِیرُکُمُ اَلَّذِی عَلَّمَکُمُ اَلسِّحْرَ
فَلَأُقَطِّعَنَّ أَیْدِیَکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ فِی جُذُوعِ اَلنَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَیُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقی (٧١) قالُوا لَنْ نُؤْثِرَکَ عَلی
ما جاءَنا مِنَ اَلْبَیِّناتِ وَ اَلَّذِی فَطَرَنا فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِی هذِهِ اَلْحَیاةَ اَلدُّنْیا (٧٢) إِنّا آمَنّا بِرَبِّنا لِیَغْفِرَ لَنا خَطایانا وَ ما
أَکْرَهْتَنا عَلَیْهِ مِنَ اَلسِّحْرِ وَ اَللّهُ خَیْرٌ وَ أَبْقی (٧٣) إِنَّهُ مَنْ یَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا یَمُوتُ فِیها وَ لا یَحْیی (٧۴) وَ مَنْ یَأْتِهِ
مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ اَلصّالِحاتِ فَأُولئِکَ لَهُمُ اَلدَّرَجاتُ اَلْعُلی (٧۵) جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ جَزاءُ مَنْ
تَزَکّی (٧۶)

التّفسیر

اشاره

الإنتصار العظیم لموسی علیه السّلام:

انتهینا فی الآیات السابقه إلی أنّ موسی أمر أن یلقی عصاه لیبطل سحر السّاحرین،و قد عقبت هذه المسأله فی هذه الآیه،غایه الأمر أنّ العبارات و الجمل

التی کانت واضحه قد حذفت،و هی(أنّ موسی قد ألقی عصاه،فتحوّلت إلی حیّه عظیمه لقفت کلّ آلات و أدوات سحر السّحره،فعلت الصیحه و الغوغاء من الحاضرین،فاستوحش فرعون و ارتبک،و فغر أتباعه أفواههم من العجب.

فأیقن السّحره الذین لم یواجهوا مثل هذا المشهد من قبل،و کانوا یفرّقون جیدا بین السحر و غیره،إنّ هذا الأمر لیس إلاّ معجزه إلهیّه،و إنّ هذا الرجل الذی یدعوهم إلی ربّهم هو رسول اللّه،فاضطربت قلوبهم،و تبیّن التحوّل العظیم فی أرواحهم و وجودهم).

و الآن نسمع بقیّه الحدیث من لسان الآیات:

فَأُلْقِیَ السَّحَرَهُ سُجَّداً قالُوا آمَنّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسی

.إنّ التعبیر ب(القی)-و هو فعل مبنی للمجهول-ربّما کان إشاره إلی أنّهم قد صدّقوا موسی،و تأثّروا بمعجزته إلی الحدّ الذی سجدوا معه دون إراده.

و نقطه أخری یلزم ذکرها و تستحقّ الالتفات،و هی أنّهم لم یقتنعوا بمجرّد الإیمان القلبی،بل رأوا أنّ من واجبهم إظهار هذا الإیمان بصوره جلیّه،بتعابیر لا یشوبها أی إبهام،أی التأکید علی ربوبیه ربّ موسی و هارون،حتّی یرجع أولئک الذین ضلّوا بسبب سحرهم،و لا تبقی علی عاتقهم مسئولیه من هذه الجهه.

من البدیهی أنّ عمل السّحره هذا قد وجّه صفعه قویّه إلی فرعون و حکومته الجبّاره المستبدّه الظالمه،و هزّ کلّ أرکانها، لأنّ الإعلام کان قد رکّز علی هذه المسأله مدّه طویله فی جمیع أنحاء مصر،و کانوا قد جلبوا السّحره من کلّ أرجاء البلاد،و وعد هؤلاء بکلّ نوع من المکافئات و الجوائز و الامتیازات إذا ما غلبوا و انتصروا فی المعرکه! إلاّ أنّه یری الآن أنّ أولئک الذین کانوا فی الصفّ الأوّل من المعرکه،قد استسلموا فجأه للعدو بصوره جماعیه،و لم یسلموا و حسب،بل أصبحوا من المدافعین الصلبین عنه،و لم تکن هذه المسأله فی حسبان فرعون أبدا،و لا شکّ أنّ

جمعا من الناس قد اتّبعوا السّحره و آمنوا بدين موسى.و لذلك لم ير فرعون بدّا إلاّ أن يجمع كيانه و يلملم ما تبقى من هيبته و سلطانه عن طريق الصراخ و التهديد و الوعيد الغليظ،فتوجّه نحو السّحره و قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .

إنّ هذا الجبّار المستكبر لم يكن يدّعى الحكومه على أجسام و أرواح الناس و حسب،بل كان يريد أن يقول:إنّ قلوبكم تحت تصرّفى أيضا،و يجب على أحدكم إذا أراد أن يصمّم على أمر ما أن يستأذننى،و هذا هو العمل الذى يؤكّد عليه كلّ الفراعنه على امتداد العصور.

فالبعض-كفرعون مصر-يجريها على لسانه حمقا عند اضطرابه و قلقه، و البعض احتفظ بهذا الحقّ لنفسه و يبيّنه بصوره غير مباشره عن طريق وسائل الإعلام،و طوابير العملاء،و يعتقد بأنّ الناس يجب أن لا يعطوا الاستقلاليه فى التفكير،بل إنّه فى بعض الأحيان قد يسلب الناس الحريه باسم حريه التفكير.

و على كلّ حال،فإنّ فرعون لم يكتف بذلك،بل إنّه ألصق بالسّاحرين التهمه و قال: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِی عَلَّمَکُمُ السِّحْرَ .

لا شكّ أنّ فرعون كان على يقين و معرفه تامّه بكذب كلامه و بطلانه،و لم يكن بالإمكان أن تحدث مثل هذه المؤامره فى جميع أنحاء مصر و يجهل جنوده و شرطته بالأمر،و كان فرعون قد ربّى موسى عليه السّلام فى أحضانه،و غيبته عن مصر كانت من المسلّمات لديه،فلو كان كبير سحره مصر لكان معروفا بذلك فى كلّ مكان،و لا يمكن أن يخفى أمره.إلاّ أنّا نعلم أنّ الطغاه لا يتورّعون عن إلصاق أى كذب و تهمه بخصومهم عند ما يرون مركزهم الذى حصلوا عليه بغير حقّ يتعرّض للخطر.

ثمّ إنّه لم يكتف بهذا،بل إنّه هدّد السّحره أشدّ تهديد،التهديد بالموت،فقال:

فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاٰفٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِی جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنٰا

أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى

(۱)

.

في الحقيقه إنّ جمله أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً إشاره إلى تهديد موسى عليه السّلام له من قبل،و كذلك تهديده للسحره فى البدايه وَيْلَكُمْ لاـ تَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ .و التعبير ب مِنْ خِلافٍ إشاره إلى قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو بالعكس،و ربّما كان إختيار هذا النوع من التعذيب للسحره،لأنّ موت الإنسان يكون أكثر بطأ و أشدّ عذابا فى هذه الحاله،أى أنّ النزيف سيكون أبطأ، و سيعانون عذابا أشدّ،و ربّما أراد أن يقول:سأجعل بدنكم ناقصا من جانبيه.

أمّا التهديد بالصلب على جذوع النخل،فربّما كان لأنّ النخله تعدّ من الأشجار العاليه،و كلّ شخص-سواء البعيد أو القريب-يرى المعلّق عليها.

و الملاحظه التى تستحقّ الذكر أنّ الصلب فى عرف ذلك الزمان لم يكن كما هو المتعارف عليه اليوم،فلم يكونوا يضعون حبل الإعدام فى رقبه من يريدون صلبه،بل كانوا يشدّون به الأيادى أو الأكتاف حتّى يموت المصلوب بعد تحمّل العذاب الشديد.

لكن نرى ماذا كان ردّ فعل السّحره تجاه تهديدات فرعون الشديده؟إنّهم لم يخافوا و لم يهربوا من ساحه المواجهه،أثبتوا صمودهم فى الميدان بصوره قاطعه، و قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الَّذِى فَطَرَنا فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ لكن،ينبغى أن تعلم بأنّك تقدر على القضاء فى هذه الدنيا،أمّا فى الآخره فنحن المنتصرون،و ستلاقى أنت أشدّ العقاب إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا .

و على هذا،فإنّهم قد بيّنوا هذه الجمل الثلاث الراسخه أمام فرعون:

الأولى:إنّنا قد عرفنا الحقّ و اهتدينا،و لا نستبدله بأى شىء.

۱- ۱) -من المعلوم أنّ(فى)فى جمله وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ تعنى(على)،أى أعلّقكم على جذوع النخل،إلاّـ أنّ الفخر الرازى يعتقد أنّ(فى)هنا تعطى نفس معناها،لأنّ(فى)للظرفيّه،و الظرفيّه تناسب كلّ شىء،و نعلم أنّ خشبه الإعدام كالظرف و الوعاء بالنسبه للفرد الذى يعلّق للإعدام.إلاّ أنّ هذا التوجيه لا يبدو صحيحا.

و الأخرى:إنّنا لا نخاف من تهديداتک مطلقا.

و الثّالثه:حکومتک و سعيک سوف يدومان إلاّ أيّاما قليله من الدنيا! ثمّ أضافوا بأنّا قد ارتکبنا ذنوبا کثيره نتيجه السحر،ف إِنّا آمَنّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَ ما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى و خلاصه القول:إنّ هدفنا هو الطهاره من الذنوب الماضيه،و من جملتها محاربه نبی اللّه الحقيقی،فنحن نريد أن نصل عن هذا الطريق إلی السعاده الأبديه،فإذا کنت تهدّدنا بالموت فی الدنيا، فإنّنا نتقبّل هذا الضرر القليل فی مقابل ذلک الخير العظيم! و هنا ينقدح سؤال،و هو:إنّ السّحره قد أتوا بأنفسهم إلی حلبه الصراع ظاهرا، بالرغم من أنّ فرعون قد وعدهم وعودا کبيره،فکيف عبّرت الآيه بالإکراه؟ و نقول فی الجواب:إنّنا لا نملک أی دليل علی أنّ السّحره لم يکونوا مجبورين منذ البدايه،بل إنّ ظاهر جمله يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ (1) ،أنّ السّحره العلماء بالفنّ کانوا ملزمين بقبول الدعوه،و من الطبيعی أنّ هذا الأمر يبدو طبيعيّا فی ظلّ حکومه فرعون المستبدّه،بأن يجبر أفرادا فی طريق تحقيق نيّاته،و وضع الجوائز و أمثال ذلک لا ينافی هذا المفهوم،لأنّنا رأينا-کثيرا-حکومات ظالمه مستبدّه تتوسّل بالترغيبات الماديه إلی جانب استعمال القوّه.

و يحتمل أيضا أنّ السّحره عند أوّل مواجهه لهم مع موسی عليه السّلام تبيّن لهم من خلال القرائن أنّ موسی عليه السّلام علی الحقّ،أو أنّهم علی أقل تقدير وقعوا فی شکّ، و نشب بينهم نزاع و جدال،کما نقرأ ذلک فی الآيه(62)من هذه السوره:

فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ،فأطلع فرعون و أجهزته علی ما جری،فأجبروهم علی الاستمرار فی المجابهه.

ثمّ و اصل السّحره قولهم بأنّنا إذا کنّا قد آمنا فإنّ سبب ذلک واضح ف

1- 1) -الأعراف،112.

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ

و مصيبته الكبرى فى الجحيم هى أنّه لاـ يَمُوتُ فِيهَا وَ لاَ يَحْيىٰ بل إنّه يتقلّب دائما بين الموت و الحياه،تلك الحياه التى هى أمر من الموت،و أكثر مشقّه منه.

وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ فَأُولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلىٰ. جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيهٰا وَ ذٰلِكَ جَزٰاءُ مَنْ تَزَكّٰى

.

و هناك بحث بين المفسّرين فى أنّ الجمل الثلاث الأخيره تابعه لكلام السّحره أمام فرعون،أم أنّها جمل مستقلّه من جانب اللّه سبحانه جاءت تتمّه لكلامهم؟ فبعضهم اعتبرها تابعه لكلام السّحره،و ربّما كان الابتداء ب(انّه)التى هى فى الواقع لبيان العلّه،يؤيّد وجهه النظر هذه.

إلاّ أنّ التفصيل الّذى جاء فى هذه الآيات الثلاث حول مصير المؤمنين الصالحين،و الكافرين المجرمين،الذى ينتهى بجمله وَ ذٰلِكَ جَزٰاءُ مَنْ تَزَكّٰى و كذلك الأوصاف التى جاءت فيها حول الجنّه و النّار،تؤيّد الرأى الثّانى،و هو أنّها من كلام اللّه،لأنّ السّحره ينبغى أن يكونوا قد تلّقوا حظّا وافرا من المعرفه و العلوم الإلهيّه فى هذه الفتره القصيره بحيث يستطيعون أن يقضوا بهذا الجزم و القطع، و عن علم و اطّلاع و وعى من أمر الجنّه و النّار و مصير المؤمنين و المجرمين.إلاّ أن نقول:إنّ اللّه سبحانه قد أجرى هذا الكلام على ألسنتهم لإيمانهم،و إن كان هذا لا يفرّق عندنا و لا يختلف من ناحيه التربيه الإلهيّه و النتيجه سواء كان اللّه تعالى قد قال ذلك،أو أنّ السّحره قد تعلّموه من اللّه،خاصه و أنّ القرآن ينقل كلّ ذلك بنغمه متناسقه.

بحوث

اشاره

۱-العلم أساس الإيمان و الوعی

إنّ أهمّ مسأله تلاحظ فی الآیات-محلّ البحث-هی تحوّل السّحره السریع العمیق قبال موسی علیه السّلام،فإنّهم عند ما وقفوا بوجه موسی علیه السّلام کانوا أعداء ألدّاء،إلّا أنّهم اهتزّوا بشدّه عند مشاهده أوّل معجزه من موسی،فانتبهوا و غیّروا مسیرهم حتّی أثاروا دهشه الجمیع.

إنّ هذا التغییر السریع من الکفر إلی الإیمان،و من الانحراف إلی الاستقامه، و من الاعوجاج إلی الطریق المستقیم،و من الظلمه إلی النور،قد جعل الجمیع فی دهشه،و ربّما کان هذا الأمر غیر قابل للتصدیق حتّی من قبل فرعون نفسه،و لذا سعی إلی إیهام الناس بأنّ هذا الأمر قد دبّر من قبل،و اتّفق علیه مسبقا، فی حین أنّه کان یعلم فی أعماقه أنّ هذا الاتّهام کذب محض.

أی عامل کان السبب فی هذا التّحول العمیق السریع؟و أی عامل أضاء قلوبهم بنور الإیمان الوهّاج،إلی درجه أبدوا استعدادهم فیها لأن یضعوا کلّ وجودهم فی خدمه هذا العمل،بل وضعوه فعلا علی ما نقل التاریخ،لأنّ فرعون قد نفّذ تهدیده،و قتل هؤلاء بطریقه وحشیّه؟ هل نجد هنا عاملا غیر العلم و الوعی؟إنّ هؤلاء لمّا کانوا عالمین بفنون السحر و أسراره،و أیقنوا بوضوح تامّ أنّ عمل موسی لم یکن سحرا،بل هو معجزه إلهیّه،غیّروا مسیرهم بتلک الشجاعه و الحزم،و من هنا نعلم جیدا أنّه من أجل تغییر الأفراد المنحرفین،أو المجتمع المنحرف،و إیجاد انقلاب فی المسیره ینبغی توعیتهم قبل کلّ شیء (۱) .

۱- ۱) -لقد بحثنا هذا الموضوع فی ذیل الآیات ۱۲۳-۱۲۶ من سوره الأعراف.

۲-لن نؤثرک على البيّنات

ممّا يلفت النظر أنّ هؤلاء اختاروا أكثر التعابير منطقيّه إزاء فرعون و كلامه غير المنطقى،فقالوا أوّلا:إنّنا قد رأينا أدلّه واضحه على أحقيّه موسى و دعوته الإلهيّه،و سوف لا نكترث بأى شىء و لا نقدّمه على هذه الدلالات البيّنه،و أكّدوا هذا الأمر فيما بعد بجمله وَ الَّذِی فَطَرَنٰا و ربّما كان هذا التعبير بحدّ ذاته-مع ملاحظه كلمه(فطرنا)-إشاره إلى ما هم عليه من الفطره التوحيديّه،فكأنّهم قالوا:إنّنا نشاهد نور التوحيد من أعماق وجودنا و أرواحنا،و كذلك بالدليل العقلى،و مع هذه الآيات البيّنات كيف نستطيع أن نترک هذا الصراط المستقيم، و نسير فى طريقک المنحرف؟ و يلزم الالتفات إلى هذه النكته أيضا،و هى أنّ جمعا من المفسّرين لم يعتبروا جمله وَ الَّذِی فَطَرَنٰا قسما،بل عدّوها عطفا على مٰا جٰاءَنٰا مِنَ الْبَيِّنٰاتِ و بناء على هذا سيصبح معنى الجمله:إنّنا سوف لن نؤثرک أبدا على هذه الأدلّه الجليه، و على اللّه الذى خلقنا.

غير أنّ التّفسير الأوّل يبدو أقرب للصحّه،لأنّ عطف هاتين الجملتين بعضهما على بعض غير مناسب.«فلاحظوا بدقّه»!

۳-من هو المجرم؟

بملاحظه الآيات الشريفه التى تقول: إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ و التى يظهر منها خلود العذاب،يتبادر هذا السؤال:ترى هل لكلّ مجرم هذا المصير؟ إلاّ أنّه بالالتفات إلى أنّ الآيه التاليه قد بيّنت النقطه المقابله لذلک،و جاءت فيها كلمه«المؤمن»يتّضح أنّ المراد من المجرم هنا هو الكافر،إضافه إلى أنّه ورد فى القرآن كثيرا استعمال هذه الكلمه بمعنى الكافر.

فمثلاـ نقرأ فی شأن قوم لوط الـذین لم یؤمنوا بنبیّهم أبـدا: وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُجْرِمِینَ (۱) و نقرأ فی سوره الفرقان فی الآیه ۳۱:

وَ کَذلِکَ جَعَلْنا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِینَ .

۴-جبر البیئه خرافه

تـبیّن قصّه السّحره فی الآیـات المـذکوره أنّ القول بـأنّ الـبیئه تملی أو تفرض علی صاحبهـا مسـاره فی الحیـاه لیس سوی و هم فارغ،فإنّ الإنسان فاعل مختار، و صاحب إراده حرّه،فإذا صمّم فی أی وقت فإنّه یستطیع أن یغیّر مسیره من الباطل إلی الحقّ،حتّی لو کـان کـلّ الناس فی تلک البیئه غارقین فی الـذنوب و الضـلال،فالسّحره الـذین کانوا لسـنین طویله فی ذلک المحیط الملوّث بالشـرک، و کـانوا یرتکبـون بأنفسـهم و یعملـون الأعمـال المتـوغّله فی الشـرک عنـد مـا صـمّموا علی قبول الحقّ و الثبـات علیه بعشق،لم یخـافوا أی تهدیـد،و حقّقوا هـدفهم،و علی قول المفسّر الکبیر العلاّمه الطبرسـی:(کانوا أوّل النهار کفّارا سـحره،و آخر النهار شهداء برره) (۲) .

و من هنا یتّضح-أیضا-مدی ضـعف و عدم واقعیّه أساطیر المادیین،و خاصه المارکسـیین حول نشأه الدین و تکوّنه،فإنّهم اعتبروا أسـاس کـلّ حرکه هو العامـل الاقتصادی،فی حین أنّ الأمر هنا کان بالعکس تماما،لأنّ السّحره قـد حضـروا حلبه الصـراع نتیجه ضغـط أجهزه فرعون من جـانب،و الإغراءات الاقتصـادیه من جانب آخر،إلاّ أنّ الإیمان باللّه قـد محا کلّ هـذه الأمور،فقـد انهار المال و الجاه الذی وعدهم فرعون به عند أعتاب إیمانهم،و وضعوا أرواحهم العزیزه هدیّه لهذا العشق!

ص: ۴۱

۱- ۱) -الأعراف،۸۴.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۴،ص ۴۶۴.ذیل الآیه(۱۲۶)من سوره الأعراف.

الآیات [سوره طه (۲۰): الآیات ۷۷ الی ۷۹]

اشاره

وَ لَقَدْ أَوْحَیْنٰا إِلیٰ مُوسیٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبٰادِی فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِیقاً فِی اَلْبَحْرِ یَبَساً لاٰ تَخٰافُ دَرَکاً وَ لاٰ تَخْشیٰ (۷۷) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِیَهُمْ مِنَ اَلْیَمِّ مٰا غَشِیَهُمْ (۷۸) وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ مٰا هَدیٰ (۷۹)

التّفسیر

اشاره

نجاه بنی إسرائیل و غرق الفراعنه:

بعد حادثه المجابهه بین موسی و السّحره،و انتصاره الباهر علیهم،و إیمان جمع عظیم منهم،فقد غزا موسی علیه السّلام و دینه أفکار الناس فی مصر،بالرغم من أنّ أکثر الأقباط لم یؤمنوا به،إلاّ أنّ هذا کان دیدنهم دائما،و کان بنو إسرائیل تحت قیاده موسی مع قلّه من المصریین فی حاله صراع دائم مع الفراعنه،و مرّت أعوام علی هذا المنوال،و حدثت حوادث مرّه موحشه و حوادث جمیله مؤنسه،أورد بعضها القرآن الکریم فی الآیه(۱۲۷)و ما بعدها من سوره الأعراف.

و تشیر الآیات التی نبحثها إلی آخر فصل من هذه القصّه،أی خروج بنی إسرائیل من مصر،فنقول: وَ لَقَدْ أَوْحَیْنٰا إِلیٰ مُوسیٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبٰادِی فتهیّأ بنو

إسرائيل للتوجّه إلى الوطن الموعود(فلسطين)،إلاّ أنّهم لمّا وصلوا إلى سواحل النيل علم الفراعنه بهم،فتعقّبهم فرعون فى جيش عظيم،فرأى بنو إسرائيل أنفسهم محاصرين بين البحر و العدو،فمن جهه نهر النيل العظيم،و من جهه أخرى العدوّ القوى السّفاك الغاضب.

إلاّ أنّ اللّه الذى كان يريد إنقاذ هذه الأمّه المظلومه المحرومه المؤمنه من قبضه الظالمين،و أن يهلك الظالمين فى البحر،أمر موسى أن امض بقومك فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً طريقا متى ما مضيت فيه ف لاٰ تَخٰافُ دَرَكاً وَ لاٰ تَخْشىٰ .

الطريف هنا أنّ الطريق لم يفتح و حسب،بل كان طريقا يابسا صلبا بأمر اللّه، مع أنّ مياه النهر أو البحر إذا ما انحسرت جانبا فإنّ قيعانها تبقى عاده غير قابله للعبر عليها.

يقول الراغب فى مفرداته:«الدّرك»أقصى عمق البحر،و يقال للحبل الذى يوصل به حبل آخر ليدرك به الماء«درك»،و كذلك يقال للخساره التى تصيب الإنسان«درك»و يقال«دركات النّار»-فى مقابل درجات الجنّه أى حدودها و طبقاتها السفلى.

و لكن مع ملاحظه أنّ بنى إسرائيل-و طبقا للآيه(٦١)من سوره الشعراء-لمّا علموا بخبر مجىء جيش فرعون،قالوا لموسى: إِنّٰا لَمُدْرَكُونَ ، و هذا يعنى أنّ المراد من الدرك فى الآيه هنا،أنّ جيش فرعون سوف لن يصل إليكم،و المراد من (لا تخشى)أنّ أى خطر لا يهدّدكم من ناحيه البحر.

و بذلك فإنّ موسى و بنى إسرائيل قد ساروا فى تلك الطرق التى فتحت فى أعماق البحر بعد انحسار المياه عنها.فى هذه الأثناء وصل فرعون و جنوده إلى ساحل البحر فدهشوا لهذا المشهد المذهل المثير غير المتوقّع،و لذلك أعطى فرعون أمرا لجنوده باتّباعهم،و سار هو أيضا فى نفس الطريق: فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ

بِجُنُودِهِ

(۱)

.

ممّا لا ریب أنّ جیش فرعون کان مکرها فی البدایه علی أن یسیر فی هذا المکان الخطیر المجهول،و یتعقّب بنی إسرائیل،و کانت مشاهده مثل هذه المعجزه العجیبه کافیه علی الأقل أن یمتنعوا عن الاستمرار فی السیر فی هذا الطریق،إلّا أنّ فرعون الذی رکب الغرور و العصبیه رأسه،و غرق فی بحر العناد و الحماقه،لم یهتمّ لهذه المعجزه الکبیره،و أمر جیشه فی المسیر فی هذه الطرق البحریه المربیه حتّی دخل من هذه الجهه آخر جندی فرعونی،فی وقت خرج من الجانب الآخر آخر فرد من بنی إسرائیل.

فی هذه الأثناء صدر الأمر لأمواج المیاه أن ترجع إلی حالتها الأولی، فوقعت علیهم الأمواج کما تسقط البنایه الشامخه إذا هدّمت قواعدها فَغَشِیَهُمْ مِنَ الْیَمِّ مٰا غَشِیَهُمْ (۲) .و بذلک فقد غاص ملک جبّار ظالم مع جنوده و جیشه القهّار فی وسط أمواج الماء،و أصبحوا طعمه جاهزه لسمک البحر!.

أجل، وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ مٰا هَدیٰ .

صحیح أنّ جمله(أضلّ)و جمله(ما هدی)تعطی معنی واحدا تقریبا،و ربّما کان هذا هو السبب فی أن یعتبرها بعض المفسّرین تأکیدا،إلاّ أنّ الظاهر أنّ هناک تفاوتا فیما بینهما،و هو أنّ(أضلّ)إشاره إلی الإضلال،و(ما هدی)إشاره إلی عدم الهدایه بعد وضوح الضلاله.

و توضیح ذلک:إنّ القائد قد یخطئ أحیانا،و یجرّ أتباعه إلی طریق منحرف، إلّا أنّه بمجرّد أن ینتبه إلی خطئه یعیدهم إلی طریق الصواب.إلّا أنّ فرعون کان

---

۱ – ۱) -و هناک احتمال آخر فی تفسیر الجمله آنفه الذکر،و هو أنّ الباء فی(بجنوده)قد تکون بمعنی(مع)،و یصبح مجموع الجمله بهذا المعنی:إنّ فرعون قد عقّب بنی إسرائیل مع جنوده،مع أنّه لا یوجد اختلاف بین هذین التّفسیرین.

۲ – ۲) -«الیمّ»یعنی البحر و النهر العظیم.و یعتقد بعض المحقّقین أن هذه لغه مصریه قدیمه و لیست عربیه.و لمزید الإیضاح راجع هامش ذیل الآیه(۱۳۶)من سوره الأعراف.

عنیـدا إلی الحدّ الذی لم یبیّن لقومه الحقیقه حتّی بعد وضوح الضـلال،و مشاهدته، و اسـتمرّ فی توجیه هؤلاء إلی المتاهات حتّی هلک و إیّاهم.

و علی کلّ حال،فإنّ هذه الجمله تنفی کلام فرعون الوارد فی الآیه(۲۹)من سوره غافر حیث یقول: وَ مَا أَهْدِیکُمْ إِلاَّ سَبِیلَ الرَّشَادِ فإنّ هذه الحوادث بیّنت أنّ هذه الجمله کذبه کبیره کأکاذیبه الأخری.

ص: ۴۵

الآیات [سوره طه (۲۰): الآیات ۸۰ الی ۸۲]

اشاره

يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَ وَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ اَلطُّورِ اَلْأَيْمَنَ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ اَلْمَنَّ وَ اَلسَّلْوىٰ (۸۰) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ لاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوىٰ (۸۱) وَ إِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اِهْتَدىٰ (۸۲)

التّفسير

اشاره

طريق النجاه الوحيد:

تعقيبا على البحث السابق فى نجاه بنى إسرائيل بصوره إعجازيه من قبضه الفراعنه،خاطبت هذه الآيات الثلاث بنى إسرائيل بصوره عامّه،و فى كلّ عصر و زمان،و ذكرتهم بالنعم الكبيره التى منحها اللّه إيّاهم،و أوضحت طريق نجاتهم.

فقالت أوّلا: يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، و من البديهى أنّ أساس كلّ نشاط و مجهود إيجابى هو التخلّص من قبضه المتسلّطين،و الحصول على الحريه و الاستقلال،و لذلك أشير إلى هذه المسأله قبل كلّ شيء.

ثمّ تشير إلى واحده من النعم المعنويه المهمّه،فتقول: وَ وٰاعَدْنٰاكُمْ جٰانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ ،و هذه إشاره إلى حادثه ذهاب موسى عليه السّلام مع جماعه من بنى إسرائيل إلى مكان ميعادهم فى الطور،ففى ذلك المكان أنزل اللّه سبحانه ألواح التوراه على موسى و كلّمه،و شاهدوا جميعا تجلّى اللّه سبحانه (۱) .

و أخيرا أشارت إلى نعمه ماديّه مهمّه من نعم اللّه الخاصّه ببنى إسرائيل، فتقول: وَ نَزَّلْنٰا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوىٰ ففى تلك الصحراء كنتم حيارى،و لم يكن عندكم شىء من الطعام المناسب،فأدرككم لطف اللّه،و رزقكم من الطعام الطيّب اللذيذ ما كنتم بأمسّ الحاجه إليه.

و للمفسّرين بحوث كثيره فيما هو المراد من(المنّ و السلوى)،بيّناها فى ذيل الآيه(۵۷)من سوره البقره،بعد ذكر آراء المفسّرين الآخرين و قلنا:إنّه ليس من البعيد أن يكون«المنّ»نوعا من العسل الطبيعى كان موجودا فى الجبال المجاوره لتلك الصحراء،أو نوعا من السكريات المولده للطاقه من نباتات خاصّه كانت تنمو فى أطراف تلك الصحراء.و السلوى نوع من الطيور المحلّله اللحم شبيها بالحمام. و لمزيد التوضيح راجع تفسير الآيه(۵۷)من سوره البقره.

ثمّ تخاطبهم الآيه التاليه بعد ذكر هذه النعم الثلاث العظيمه،فتقول كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ وَ لاٰ تَطْغَوْا فِيهِ .

الطغيان فى النعمه هو أن يتّخذ الإنسان هذه النعم وسيله للذنب و الجحود و الكفران و التمرّد و العصيان،بدل أن يستغلّها فى طاعه اللّه و سعادته،تماما كما فعل بنو إسرائيل حيث تمتّعوا بكلّ هذه النعم ثمّ ساروا فى طريق الكفر و الطغيان و المعصيه.و لذلك حذّرتهم الآيه بعد ذلك فقالت:

۱- ۱) -الشرح المفصل لهذه الحادثه فى سوره الأعراف ذيل الآيتين ۱۵۵-۱۵۶.

فَیَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبِی وَ مَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی

.

«هوی»فی الأصل بمعنی السقوط من المکان المرتفع،و الذّی تکون نتیجته الهلاک عاده،إضافه إلی أنّه هنا إشاره إلی السقوط الرتبی و البعد عن قرب اللّه، و الطرد من رحمته.

و لمّا کان من الضروری أن یقترن التحذیر و التهدید بالترغیب و البشاره دائما،لتتساوی کفّتا الخوف و الرجاء،حیث تشکّلان العامل الأساسی فی تکامل الإنسان،و لتفتح أبواب التوبه و الرجوع بوجه التائبین، فقد قالت الآیه التالیه:

وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی

.

کلمه(غفّار)،صیغه مبالغه،و توحی أنّ اللّه سبحانه لا یقبل هؤلاء التائبین و یشملهم برحمته مرّه واحده فقط،بل سیعمّهم عفوه و مغفرته مرّات و مرّات.

و ممّا یستحقّ الانتباه أنّ أوّل شرط للتوبه هو ترک المعصیه،و بعد أن تتطهّر روح الإنسان من هذه التلوّث،فإنّ الشرط الثّانی هو أن یغمرها نور الإیمان باللّه و التوحید،و فی المرحله الثّالثه یجب أن تظهر بر أعم الإیمان و التوحید-و التی هی الأعمال الصالحه و المناسبه-علی أغصان وجود الإنسان.

و بخلاف سائر آیات القرآن التی تتحدّث عن التوبه و الإیمان و العمل الصالح فقط فقد أضافت هذه الآیه شرط رابع،و هو قوله: ثُمَّ اهْتَدی .و قد ذکر المفسّرون لهذه الجمله تفسیرات عدیده،یبدو أنّ اثنین منها هما الأوفق و الأدقّ:

الأوّل:إنّها إشاره إلی أنّ الاستمرار فی طریق الإیمان و التقوی و العمل الصالح،یعنی أنّ التوبه تمحو ما مضی و تکون سببا للنجاه،و هی مشروطه بأن لا یسقط النائب مرّه أخری فی هاویه الشرک و المعصیه،و أن یراقب نفسه دائما کیلا تعیده الوساوس الشیطانیّه و أهواؤه إلی مسلکه السابق.

و الثّانی:هذه الجمله إشاره إلی لزوم قبول الولایه،و الالتزام بقیاده القاده

ص:۴۸

الرّبّانيين،أى أنّ التوبه و الإيمان و العمل الصالح كلّ ذلك سيكون سببا للنجاه و الفلاح إذا كان فى ظلّ هدايه القاده الرّبّانيين،ففى زمان تحت قياده موسى عليه السّلام، و فى زمن آخر تحت لواء نبى الإسلام صلى اللّه عليه و آله و سلم،و مرّه تحت لواء أمير المؤمنين على عليه السّلام،أمّا اليوم فينبغى أن ننضوى تحت لواء الإمام المهدى عليه السّلام لأنّ أحد أركان الدين قبول دعوه النّبى و الانضواء تحت قيادته ثمّ قبول قياده خليفته و نائبه.

ينقل العلامه الطبرسى فى ذيل هذه الآيه عن الإمام الباقر أنّه قال: «ثمّ اهتدى إلى و لا يتنا أهل البيت»ثمّ أضاف:«فو اللّه لو أنّ رجلا عبد اللّه عمره ما بين الركن و المقام،ثمّ مات و لم يجىء بولايتنا لأكبّه اللّه فى النّار على وجهه». و قد نقلها العلاّمه الحاكم«أبو القاسم الحسكانى»-من كبار محدّثى أهل السنّه (۱) و قد رويت روايات عديده فى هذا الباب عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و عن الإمام زين العابدين عليه السّلام،و الإمام الصادق عليه السّلام.

و لكى نعلم أنّ ترك هذا الأصل-إلى أى حدّ هو-مهلك لتاركيه،يكفى أن نبحث الآيات التاليه،و كيف أنّ بنى إسرائيل قد ابتلوا بعباده العجل و الشرك و الكفر نتيجه تركهم ولايه موسى عليه السّلام و خروجهم عن نهجه و نهج خليفته هارون عليه السّلام.

و من هنا يتّضح أنّ ما قاله العلاّمه الآلوسى فى تفسير روح المعانى بعد ذكر جمله من هذه الرّوايات:

«لا شكّ عندنا فى وجوب محبّه أهل البيت،و لكن هذا لا يرتبط ببنى إسرائيل و عصر موسى»كلام واه،لأنّ البحث أوّلا ليس حول المحبّه،بل حول قبول الولايه و القياده و ثانيا:ليس المراد من انحصار الولايه بأهل البيت عليهم السّلام،بل فى عصر موسى كان هو و أخوه قائدين،فكان يلزم قبول ولايتهما،أمّا فى عصر النّبى فتلزم

۱- ۱) -مجمع البيان ذيل الآيه محلّ البحث.

قبول ولايته،و فى عصر أئمّه أهل البيت يلزم قبول ولايتهم عليهم السّلام.

و يتّضح أيضا أنّ المخاطب فى هذه الآيه و إن كانوا بنى إسرائيل،إلّا أنّه لا ينحصر فيهم و لا يختّص بهم،فإنّ كلّ فرد أو جماعه تطوى هذه المراحل الأربعه فستشملها مغفره اللّه سبحانه و عفوه.

ص: ۵۰

الآیات [سوره طه (۲۰): الآیات ۸۳ الی ۹۱]

اشاره

وَ مٰا أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ یٰا مُوسیٰ (۸۳) قٰالَ هُمْ أُولاٰءِ عَلیٰ أَثَرِی وَ عَجِلْتُ إِلَیْکَ رَبِّ لِتَرْضیٰ (۸۴) قٰالَ فَإِنّٰا قَدْ فَتَنّٰا قَوْمَکَ مِنْ
بَعْدِکَ وَ أَضَلَّهُمُ اَلسّٰامِرِیُّ (۸۵) فَرَجَعَ مُوسیٰ إِلیٰ قَوْمِهِ غَضْبٰانَ أَسِفاً قٰالَ یٰا قَوْمِ أَ لَمْ یَعِدْکُمْ رَبُّکُمْ وَعْداً حَسَناً أَ فَطٰالَ عَلَیْکُمُ اَلْعَهْدُ
أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ یَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّکُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِی (۸۶) قٰالُوا مٰا أَخْلَفْنٰا مَوْعِدَکَ بِمَلْکِنٰا وَ لٰکِنّٰا حُمِّلْنٰا أَوْزٰاراً مِنْ زِینَهِ
اَلْقَوْمِ فَقَذَفْنٰاهٰا فَکَذٰلِکَ أَلْقَی اَلسّٰامِرِیُّ (۸۷) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوٰارٌ فَقٰالُوا هٰذٰا إِلٰهُکُمْ وَ إِلٰهُ مُوسیٰ فَنَسِیَ (۸۸) أَ فَلاٰ
یَرَوْنَ أَلاّٰ یَرْجِعُ إِلَیْهِمْ قَوْلاً وَ لاٰ یَمْلِکُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً (۸۹) وَ لَقَدْ قٰالَ لَهُمْ هٰارُونُ مِنْ قَبْلُ یٰا قَوْمِ إِنَّمٰا فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّکُمُ
اَلرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِی وَ أَطِیعُوا أَمْرِی (۹۰) قٰالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَیْهِ عٰاکِفِینَ حَتّٰی یَرْجِعَ إِلَیْنٰا مُوسیٰ (۹۱)

ص: ۵۱

التّفسير

اشاره

صخب السامری:

ذكر فی هـذه الآیـات فصـل آخر من حیاه موسـی علیه السّلام و بنی إسـرائیل،و یتعلّق بـذهاب موسـی علیه السّلام مع و كلاء و ممثّلی بنی إسرائیل إلی الطور حیث موعدهم هناك، ثمّ عباده بنی إسرائیل للعجل فی غیاب هؤلاء.

كان من المقرّر أن یذهب موسـی علیه السّلام إلی«الطور»لتلقّی أحكام التوراه، و یصـطحب معه جماعه من بنی إسـرائیل لتتّضـح لهم خلال هذه الرحله حقائق جدیده حول معرفه اللّه و الوحی.

غیر أنّ شوق موسـی علیه السّلام إلی المناجاه مع اللّه و سـماع ترتیل الوحی كان قد بلغ حدّا بحیث نسـی فی هذا الطریق-حسب الرّوایات-كلّ شـیء حتّی الأكل و الشـرب و الاستراحه،فطوی هذا الطریق بسـرعه،و وصل لوحده قبل الآخرین إلی میقات اللّه و میعاده.هنـا نزل علیه الوحی: وَ مٰا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ یٰا مُوسیٰ ؟ فأجاب موسـی علی الفور: قٰالَ هُمْ أُولاٰءِ عَلیٰ أَثَرِی وَ عَجِلْتُ إِلَیْكَ رَبِّ لِتَرْضیٰ فلیس شوق المناجاه و سـماع كلامك لوحـده قـد سـلب قراری،بل كنت مشـتاقا إلی أن آخـذ منك أحكام التوراه بأسرع ما یمكن لأؤدّیها إلی عبادك، و لأنال رضاك عنّی بذلك...أجل إنّی عاشق لرضاك،و مشتاق لسماع أمرك.

و فی هـذا اللقاء امتـدّت مـدّه الإشـراقات و التجلیّات المعنویه الإلهیّه من ثلاثین لیله إلی أربعین،و أدّت الأجواء المهیأه لانحراف بنی إسـرائیل دورهـا،فالسامری، ذلك الرجل الفطن و المنحرف صـنع باسـتعماله الوسائل التی سنشـیر إلیها فیما بعـد عجلا،و دعا تلك الجماعه إلی عبادته،و أوقعهم فیها.

لا شكّ فی أنّ الأرضـیات،كمشاهده عباده المصـریین للعجل،أو مشاهده مشهد عباده الأصنام-العجل بعد عبور نهر النیل،و طلب صنع صنم كهؤلاء، و كذلك تمدید مدّه میعاد موسی،و انتشار شائعه موته من قبل المنافقین،و أخیرا

جهل هـذه الامـّه،کـلّ ذلک کان له أثر فی ظهور هـذه الحادثه و الانحراف الکبیر عن التوحیـد،لأنّ الحوادث الاجتماعیه لا تقع عاده بدون مقدّمات،غایه ما هناک أنّ هذه المقدّمات تکون تاره واضحه و علنیه،و أخری مستوره و خفیّه.

علی کلّ حال،فإنّ الشرک فی أسوأ صوره قـد أحاط ببنی إسرائیل،و أخذ بأطرافهم،خاصه و أنّ کبار القوم کانوا مع موسـی فی الجبل،و کان زعیم الأمّه هارون وحیدا دون أن یکون له مساعدون أکفّاء مؤثّرون.

و أخیرا أخبر اللّه موسی فی المیعـاد بمـا جری لقومه و السـامری إذ تحکی الآیه التـالیه ذلک فتقول: قٰالَ فَإِنّٰا قَدْ فَتَنّٰا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ وَ أَضَلَّهُمُ السّٰامِرِیُّ .

غضـب موسـی عنـد سـماعه هـذه الکلمـات غضـبا التهب معه کـلّ وجـوده، و ربّمـا کـان یقـول لنفسه:لقـد تحمّلت المصـائب و المصاعب خلال هذه السنین الطویله، و أرهقت نفسی و واجهت کلّ الأخطار فی سبیل أن ترکن هذه الامّه إلی التوحید، فکیف ذهبت جهودی أدراج الریاح بمجرّد أن غبت عنها عدّه أیّام فَرَجَعَ مُوسیٰ إِلیٰ قَوْمِهِ غَضْبٰانَ أَسِفاً .

و ما أن وقعت عینه علی ذلک المنظر القبیـح،منظر عباده العجل قال أَ لَمْ یَعِدْکُمْ رَبُّکُمْ وَعْداً حَسَناً .و هـذا الوعد الحسن إمّا أن یکون وعـد بنی إسرائیل بنزول التوراه و بیـان الأحکـام السـماویه فیها،أو الوعـد بالنجاه و الإنتصار علی الفراعنه و وراثه حکومه الأرض،أو الوعد بالمغفره و العفو للذین یتوبون و یؤمنون و یعملون الصالحات،أو أنّه کلّ هذه الأمور.

ثمّ أضـاف: أَ فَطٰالَ عَلَیْکُمُ الْعَهْدُ و هو یشـیر إلی أنّه:هبوا أنّ مـدّه رجوعی قـد طالت من ثلاثین إلی أربعین یوما،فإنّ هـذا الزمن لیس طویلا،ألا یجب علیکم أن تحفظوا أنفسکم فی هـذه المـدّه القصـیره؟و حتّی لو نأیت عنکم سـنین طویله فینبغی أن تلتزموا بالتعالیم الإلهیّه التی تعلمّتموها و تؤمنوا بالمعجزات التی

رأیتموها: أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ یَحِلَّ عَلَیْکَمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّکَمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِی (۱) فقد عاهدتکم علی أن تثبتوا علی خطّ التوحید و طریق طاعه اللّه الخالصه،و أن لا تنحرفوا عنه قید أنمله،إلاّ أنّکم نسیتم کلّ کلامی فی غیابی،و کذلک تمردّتم علی طاعه أمر أخی هارون و عصیتموه.

فلمّا رأی بنو إسرائیل أنّ موسی علیه السّلام قد عنّفهم بشدّه و لامهم علی فعلهم و تنبّهوا إلی قبح ما قاموا به من عمل،هبوا للاعتذار ف قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَکَ بِمَلْکِنا (۲) فلم نکن فی الواقع قد رغبنا و صمّمنا علی عباده العجل وَ لکِنّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِینَهِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَکَذلِکَ أَلْقَی السّامِرِیُّ .

و للمفسّرین آراء فیما فعله بنو إسرائیل،و ما فعله السامری،و ما هو معنی الآیات-محلّ البحث-علی نحو الدقّه،و لا یبدو هناک فرق کبیر فی النتیجه بین هذه الاختلافات.

فذهب بعضهم:إن«قذفناها»تعنی أنّنا ألقینا أدوات الزینه التی کنّا قد أخذناها من الفراعنه قبل الحرکه من مصر فی النّار،و کذلک ألقی السامری ما کان معه أیضا فی النّار حتّی ذاب و صنع منه عجلا.

و قال آخرون:إنّ معنی الجمله أنّنا ألقینا أدوات الزینه بعیدا عنّا،فجمعها السامری و ألقاها فی النّار لیصنع منها العجل.

و یحتمل أیضا أن تکون جمله فَکَذلِکَ أَلْقَی السّامِرِیُّ إشاره إلی مجموع الخطّه التی نفذّها السامری.

ص: ۵۴

۱- ۱) -من البدیهی أن لا أحد یصمّم علی أن یحلّ علیه غضب اللّه،بل المراد من العباره أنّکم فی وضع کأنّکم قد صمّمتم مثل هذا التصمیم فی حقّ أنفسکم.

۲- ۲) -«ملک»و«ملک»کلاهما تعنی تملّک الشیء،و کأنّ مراد بنی إسرائیل أننا لم نتملّک هذا العمل،بل وقعنا تحت تأثیره حتّی اختطف قلوبنا و دیننا من أیدینا.و اعتبر بعض المفسّرین هذه الجمله مرتبطه بجماعه قلیله من بنی إسرائیل لم تعبد العجل،و یقال إنّ ستمائه ألف شخص من هؤلاء أصبحوا من عبده العجل،و بقی منهم إثنا عشر ألف فقط علی التوحید.لکن یبدو أنّ التّفسیر الذی قلنا أعلاه هو الأصحّ.

و على كلّ حال،فإنّ كبير القوم إذا لام من تحت إمرته على ارتكابهم ذنبا ما، فإنّهم يسعون إلى نفى ذلك الذنب عنهم،و يلقونه على عاتق غيرهم،و كذلك عبّاد العجل من بنى إسرائيل،فإنّهم كانوا قد انحرفوا بإرادتهم و رغبتهم عن التوحيد إلى الشرك،إلاّ أنّهم أرادوا أن يلقوا كلّ التبعه على السامرى.

على كلّ،فإنّ السامرى ألقى كلّ أدوات زينه الفراعنه و حليهم التى كانوا قد حصلوا عليها عن طريق الظلم و المعصيه-و لم يكن لها قيمه إلاّ أن تصرف فى مثل هذا العمل المحرّم-فى النّار فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ (١) فلمّا رأى بنو إسرائيل هذا المشهد،نسوا فجأه كلّ تعليمات موسى التوحيديّه فَقالُوا هٰذا إِلٰهُكُمْ وَ إِلٰهُ مُوسىٰ .

و يحتمل أيضا أن يكون قائل هذا الكلام هو السامرى و أنصاره و المؤمنون به.

و بهذا فإنّ السامرى قد نسى عهده و ميثاقه مع موسى،بل مع إله موسى،و جرّ الناس إلى طريق الضلال:«فنسى».

و لكن بعض المفسّرين فسّروا«النسيان»بالضلال و الانحراف،أو أنّهم اعتبروا فاعل النسيان موسى عليه السّلام و قالوا:إنّ هذا كلام السامرى،و هو يريد أن يقول:إنّ موسى نسى أنّ هذا العجل هو ربّكم،إلاّ أنّ كلّ ذلك مخالف لظاهر الآيه، و ظاهرها هو ما قلناه من أنّ المراد هو أنّ السامرى قد أودع عهده و ميثاقه مع موسى و ربّ موسى فى يد النسيان،و أتّخذ طريق عباده الأصنام.

و هنا قال اللّه سبحانه توبيخا و ملامه لعبده الأوثان هؤلاء: أَ فَلاٰ يَرَوْنَ أَلاّٰ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَ لاٰ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً فإنّ المعبود الواقعى يستطيع على الأقل أن يلبىّ طلبات عباده و يجيب على أسئلتهم،فهل يمكن أن يكون سماع خوار العجل من هذا الجسد الذهبى لوحده،ذلك الصوت الذى لا يشعر بأيّه

۱- ۱) -«الخوار»صوت البقره و العجل،و يطلق أحيانا على صوت البعير.

إراده،دليلا ـ على جواز عباده العجل،و صحّه تلك العباده؟ و على فرض أنّه أجابهم عن أسئلتهم،فإنّه لا يعدو أن يكون كإنسان عاجز لا يملك نفع غيره و لا ضرّه،بل و حتّى نفسه،فهل يمكن أن يكون معبودا و هو على هذا الحال؟ أى عقل يسمح بأن يعبد الإنسان تمثالا ـ لا ـ روح له يظهر منه بين الحين و الآخر صوت غير مفهوم،و يعظمه و يخضع أمامه؟ و لا ـ شكّ أنّ هارون،خليفه موسى و نبى اللّه الكبير،لم يرفع يده عن رسالته فى هذا الصخب و الغوغاء،و أدّى واجبه فى محاربه الانحراف و الفساد قدر ما يستطيع،كما يقول القرآن: وَ لَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ ثمّ أضاف: وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمنُ .

لقد كنتم عبيدا فحرّركم،و كنتم أسرى فأطلقكم،و كنتم ضالّين فهداكم،و كنتم متفرّقين مبعثرين فجمعكم و وحدّكم تحت رايه رجل ربّانى،و كنتم جاهلين فألقى عليكم نور العلم و هداكم إلى صراط التوحيد المستقيم،فالآن فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي .

أنسيتم أنّ أخى موسى قد نصّبنى خليفه له و فرض عليكم طاعتى؟فلما ذا تنقضون الميثاق؟و لماذا ترمون بأنفسكم فى هاويه الفناء؟ إلاّ ـ أنّ بنى إسرائيل تمسكوا بهذا العجل عنادا،و لم يؤثّر فيهم المنطق السليم القوى لهذا الرجل،و لا أدلّه هذا القائد الحريص،و أعلنوا مخالفتهم بصراحه:

قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى

(١)

.

و الخلاصه:إنّهم ركبوا رؤوسهم و قالوا:الأمر هو هذا و لا شىء سواه، و يجب أن نعبد العجل حتّى يرجع موسى و نطلب منه الحكم و القضاء،فلعلّه يسجد معنا

١- ١) -(لن نبرح)من مادّه(برح)بمعنى الزوال،و إنّ ما نراه فى أنّ معنى جمله(برح الخفاء)أى الظهور و الوضوح لأنّ زوال الخفاء ليس إلاّ الظهور،و لمّا كانت(لن)تدلّ على النفى،فإنّ معنى جمله(لن نبرح)أننا سنستمر فى هذا العمل.

للعجل!و على هـذا فلا تتعب نفسك كثيرا،و كفّ عنّا يـدك! و بهـذا لم يذعن بنو إسـرائيل لأمر العقل و لا لأمر خليفه قائدهم و زعيمهم أيضا.

و لكن،كما كتب المفسّرون-و القاعـده تقتضـى ذلك أيضا-فإنّ هارون لمّا أدّى رسالته فى هـذه المواجهه،و لم يقبل أكثر بنى إسرائيل كلامه،ابتعد عنهم بصحبه القلّه الذين اتّبعوه،لئلّا يكون اختلاطهم بهؤلاء دليلا على إمضاء طريقهم المنحرف.

و العجيـب أنّ بعض المفسـرين ذكروا أنّ هـذا التبـدّل و الانـحراف فى بنى إسـرائيل قـد حـدث فى أيّام قليلـه فحسـب،فبعـد أن مضت(٣٥)يومـا على ذهـاب موسـى عليه السّلام إلى ميقـات ربّه،شـرع السـامرى بعمله،و طلب من بنى إسـرائيل أن يجمعوا كلّ أدوات الزينه التى أخـذوها كعـاريه من الفراعنه و مـا أخـذوه منهم بعـد غرقهم،و وضـعوها جميعـا فى اليوم السادس و الثلاثين و السـابع و الثلاثين و الثـامن و الثلاثين فى موقـد النّار،و أذابوها ثمّ صـنعوا منها تمثال العجل،و فى اليوم التاسع و الثلاثين دعاهم السـامرى إلى عبـادته،فقبلهـا جماعه عظيمه-و على بعض الرّوايات سـتمائه ألف شـخص-و فى اليوم التالى،أى فى نهايه الأربعين يوما، رجع موسى (١) .

و لكن افترق عنهم هـارون مع القلّه من المؤمنين الثـابتين،و الـذين كان عـددهم قرابه اثنى عشـر ألفا،فى حين أنّ الأغلبيه الجاهله كادوا أن يقتلوه!

١- ١) -مجمع البيان ذيل الآيه مورد البحث.

بحوث

اشاره

۱–شوق اللقاء!

قد یکون قول موسی علیه السّلام فی جواب سؤال اللّه تعالی له حول استعجاله إلی المیقات حیث قال: وَ عَجِلْتُ إِلَیْکَ رَبِّ لِتَرْضیٰ عجیبا لدی من لم یعرف شأن جاذبیه عشق اللّه،إلاّ أن الذین أدرکوا هذه الحقیقه بکلّ وجودهم،و الذین إذا اقترب موعد الوصال اشتدّ لهیب العشق فی أفئدتهم،یعلمون جیدا أیّه قوّه خفیّه کانت تجرّ موسی علیه السّلام إلی میقات اللّه،و کان یسیر سریعا بحیث تخلّف عنه قومه الذین کانوا معه.

لقد کان موسی علیه السّلام قد تذوق حلاوه الوصال و الحبّ و المناجاه مع اللّه مرارا، فکان یعلم أنّ کلّ الدنیا لا تعدل لحظه من هذه المناجاه.

أجل...هذا هو طریق الذین تجاوزوا مرحله العشق المجازی نحو مرحله العشق الحقیقی...عشق المعبود الأزلی المقدّس و الکمال المطلق،و الحسن و اللطف الذی لا نهایه له،و کلّ ما عند المحسنین الصالحین جمیعا عنده بمفرده،بل إنّ جمال و حسن المحسنین کلّه ومضه بسیطه من إحسانه الدائم الخالد.فیا إلهنا الکبیر من علینا بذرّه من هذا العشق المقدّس.

یقول الإمام الصادق علیه السّلام-کما روی عنه- «المشتاق لا یشتهی طعاما، و لا یلتذّ شرابا،و لا یستطیب رقادا،و لا یأنس حمیما،و لا یأویّ دارا... و یعبد اللّه لیلا و نهارا،راجیا بأن یصل إلی ما یشتاق إلیه...کما أخبر اللّه عن موسی بن عمران فی میعاد ربّه بقوله:و عجّلت إلیک ربّ لترضی» (۱) .

ص: ۵۸

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،الجزء ۳،ص ۳۸۸.

۲-الحركات المناوئه لنهضه الأنبياء!

من الطبيعى أن توجد فى مقابل كلّ ثوره حركه مضادّه تسعى إلى تحطيم نتائج الثوره،و إلى إرجاع المجتمع إلى مرحله ما قبل الثوره،و ليس سبب ذلك معقّدا و لا غامضا،لأنّ انتصار ثوره ما لا يعنى فناء كلّ العناصر الفاسده من الفتره السابقه دفعه واحده،بل تبقى حثالات منهم تبدأ نشاطها من أجل الحفاظ على وجودها و كيانها،و مع اختلاف ظروف و مقدار و كيفيّه هؤلاء،فإنّهم يقومون بأعمال تناهض الثوره سرّا أمّ علانيه.

و فى حركه موسى بن عمران الثوريه نحو توحيد و استقلال و حريه بنى إسرائيل،كان السامرى زعيم هذه الحركه الرجعيّه المضادّه،فقد كان عالما-كبقيّه قاده الحركات الرجعيّه-بنقاط ضعف قومه جيدا،و كان يعلم أنّه قادر على أن يستغلّ هذه النقاط فيثير الفتنه فيهم،فسعى أن يصنع من أدوات الزينه و الذهب التى هى آلهه عبيد الدنيا،و تجلب اهتمام عوام الناس،عجلا على هيئه خاصه، و جعله فى مسير حركه الريح- أو بالاستعانه بأيّه وسيله أخرى-ليخرج منه صوت.و ذلك بانتهاز فرصه مناسبه-و هى غيبه موسى لعدّه أيّام-و نظرا إلى أنّ بنى إسرائيل بعد النجاه من الغرق،و مرورهم على قوم يعبدون الأصنام،طلبوا من موسى صنما،و الخلاصه أنّه استغلّ كلّ نقاط الضعف النفسى،و الفرض المكانيه و الزمانيه المناسبه،و بدأ خطّته المضادّه للتوحيد.و قد نظّم هذه المواد بمهاره فائقه بحيث حرّف فى مدّه قصيره أغلبيه الجهله من بنى إسرائيل عن خطّ التوحيد إلى طريق الشرك.

و بالرغم من أنّ هذه الخطّه قد أحبطت بمجرّد رجوع موسى و قوّه إيمانه و منطقه بنور الوحى،و لكن إذا لم يرجع موسى فما ذا كان سيحدث؟إنّهم إمّا كانوا سيقتلون أخاه هارون حتما،أو سيحجمونه بحيث لا يصل صوته إلى أحد.

أجل...إنّ كلّ ثوره تحارب فى البدايه بهذه الصوره،فيجب الحذر دائما،

و مراقبه تحرّكات الشرك الرجعيه،و القضاء على المؤامرات و هى فى و كرها و مهدها.

و كذلك يجب الالتفات إلى هذه الحقيقه،و هى أنّ كثيرا من الثورات الحقيقيّه تعتمد فى البدايه-و لأسباب مختلفه-على فرد أو أفراد معينين،بحيث أنّهم إذا فقدوا و غابوا عن الساحه سيعود الخطر و يهدّد الثوره من جديد،و لذلك يجب السعى من أجل خلق الموازين الثقافيه الثوريه فى عمق المجتمع بأسرع ما يمكن، و كذلك تربيه الناس بشكل لا تهزّهم العواصف المضادّه للثوره،بل يقفون كالجبل الأصمّ أمام كلّ حركه رجعيّه متخلّفه.

و بتعبير آخر،فإنّ واحده من وظائف القاده المخلصين أن ينقلوا الموازين و المعايير منهم إلى المجتمع،و لا شكّ أنّ هذا الأمر المهمّ يحتاج إلى مضى زمان، إلاّ أنّه يجب السعى لاختصار هذا الزمن إلى أقلّ ما يمكن.

أمّا من كان السامرى؟و كيف كانت عاقبه أمره؟فسنتحدّث عنه فى الآيات المقبله إن شاء اللّه تعالى.

۳-مراحل القياده

لا شكّ أنّ هارون عليه السّلام لم يأل جهدا فى أداء رسالته عند غياب موسى عليه السّلام،إلاّ أنّ جهل الناس من جهه،و ترسبّات مرحله العبوديه و الرقّ و عباده الأصنام من جهه أخرى،قد أفشلت جهوده،فهو قد نفّذ واجبه-حسب الآيات محل البحث- على أربع مراحل:

الأولى:إنّه نبّه هؤلاء و أعلمهم أنّ هذا العمل يشكّل تيار انحرافى،و هو موضع اختبار خطير للجميع لتصحو العقول الغافله،و ليعى الناس و يفكّروا لئلاّ يغلبوا على أمرهم،إذ قال لهم: يٰا قَوْمِ إِنَّمٰا فُتِنْتُمْ بِهِ .

الثّانيه:إنّه ذكرهم بنعم اللّه المختلفه عليهم منذ بدء ثوره موسى عليه السّلام إلى زمان

نجـاتهم من قبضه الفراعنه،خـاصّه و إنّه وصف اللّه بصـفه رحمته العامّه،ليكون الأثر أعمق،و ليؤمل هؤلاء فى غفران هـذا الـذنب الكبير: وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ .

الثّالثه:إنّه نبّههم على مقام نبوّته و خلافته لأخيه موسى فَاتَّبِعُونِی .

و أخيرا فإنّه عرفهم بواجباتهم الإلهيّه وَ أَطِيعُوا أَمْرِی .

۴-سؤال و جواب؟

لقد أورد المفسّر المعروف«الفخر الرازى»هنا إشكالا و هو ينتظر جوابه و الرّد عليه و هو أنّه قال:إنّ الرافضه تمسّكوا

بقوله صـلى اللّه عليه و آله و سـلم لعلى «أنت منّى بمنزله هارون من موسـى» ثمّ إنّ هارون ما منعته التقيّه فى مثل هـذا الجمع،بل صعد المنبر و صـرّح بالحقّ و دعا الناس إلى مبايعه نفسه و المنع من متابعه غيره،فلو كانت أمّه محمّد صـلى اللّه عليه و آله و سلم على الخطأ لكـان يجب على على عليه السّلام أن يفعـل مـا فعله هـارون و أن يصـعد على المنـبر من غير تقيّه و لا خـوف و أن يقول:فاتّبعونى و أطيعوا أمرى.فلمّا لم يفعل ذلك علمنا أنّ الأمّه كانت على الصواب.

إلّا أنّ الرازى غفل فى هذا الباب عن مسألتين أساسيتين:

۱-إنّ مـا يقوله من أنّ عليـا عليه السّلام لم يقـل شـيئا فى شـأن خلافته التى لا ينازع فيها خطأ محض،لأنّ فى أيـدينا وثائق كثيره تؤكّـد أنّ الإمـام قـد بيّن هـذا الموضوع فى موارد مختلفه،تـاره بصـراحه،و أخرى تلميحا،و تلاحظ فى نهـج البلاغه أمثله مختلفه كالخطبه الشقشقيه-الخطبه الثّالثه-و الخطبه ۱۴۷،۱۵۴،۹۴،۸۷ و كلّها تتحدّث فى هذا المجال.

و قد ذكرنا فى تفسيرنا هذا ذيل الآيه(۶۷)من سوره المائده بعد ذكر قصّه الغدير،روايات عديده،و أنّ عليّا عليه السّلام قد استدلّ و استند إلى حديث الغدير مرارا لإثبات موقعه و خلافته.و لمزيد التوضيح راجع ذيل الآيه(۶۷)من سوره المائده.

۲-لقد كانت هناك ظروف خاصّه بعد وفاه النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،فإنّ المنافقين الذين

كانوا يعـدّون الأيّام يوما بعد يوم و هم يترقّبون وفاه النّبى و كانوا قد أعدّوا أنفسـهم ليطعنوا الإسـلام الفتىّ طعنه نجلاء،و لذا نرى أنّ أصـحاب الردّه-المناوئين للإسـلام- قد ثاروا مباشـره فى زمان أبى بكر،و لولا اتّحاد المسـلمين و فطنتهم و حذرهم لكان من الممكن أن ينزلوا بالإسلام ضربات قاسيه،و من أجل ذلك سكت على عليه السّلام عن حقّه لئلّا يستغلّ العدو هذا الأمر.

ثمّ إنّ هارون-مع أنّ موسـى كان على قيد الحياه-قال بصـراحه ردّا على ملامه أخيه له على تقصـيره: إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرٰائِيلَ (۱) و هو يوحى بأنّه أيضا قد تراجع بعض الشىء نتيجه الخوف من الاختلاف.

ص :۶۲

۱- ۱) -سوره طه،۹۴.

الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۹۲ الی ۹۸]

اشاره

قالَ یا هارُونُ ما مَنَعَکَ إِذْ رَأَیْتَهُمْ ضَلُّوا (۹۲) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَیْتَ أَمْرِی (۹۳) قالَ یَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لا بِرَأْسِی إِنِّی خَشِیتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَیْنَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِی (۹۴) قالَ فَما خَطْبُکَ یا سامِرِیُّ (۹۵) قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ کَذلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی (۹۶) قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَیاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَ انْظُرْ إِلی إِلهِکَ الَّذِی ظَلْتَ عَلَیْهِ عاکِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی الْیَمِّ نَسْفاً (۹۷) إِنَّما إِلهُکُمُ اللّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَسِعَ کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً (۹۸)

التّفسیر

اشاره

نهایه السّامری المریره:

تعقیبا علی البحث الذی تناولته الآیات السابقه حول تقریع موسی و ملامته لبنی إسرائیل الشدیده علی عبادتهم العجل،تعکس هذه الآیات التی نبحثها-فی

ص :۶۳

البدايه-محاوره موسى عليه السّلام مع أخيه هارون عليه السّلام،ثمّ مع السامرى.

فخاطب أوّلا أخاه هارون قٰالَ يٰا هٰارُونُ مٰا مَنَعَکَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاّٰ تَتَّبِعَنِ أ فلم أقل لك أن اُخْلُفْنِی فِی قَوْمِی وَ أَصْلِحْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١) ؟ فلما ذا لم تهب لمحاربه عباده العجل هـذه؟ بناء على هـذا،فإنّ المراد من جمله أَلاّٰ تَتَّبِعَنِ هو:لماذا لم تتّبع طريقه عملى فى شدّه مواجهه عباده الأصنام؟أمّا ما قاله بعض المفسّرين من أنّ المراد هو:لماذا لم تثبت معى على التوحيد مع الذين ثبتوا،و لم تأت معى إلى جبل الطور،فيبدو بعيدا جدّا،و لا يتناسب كثيرا و الجواب الذى سيبديه هارون فى الآيات التاليه.

ثمّ أضاف: أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِی ؟لقد كان موسى عليه السّلام يتحدّث بهذا الكلام مع أخيه و هو فى فوره و سوره من الغضب،و كان يصرخ فى وجهه،و قد أخذ برأسه و لحيته يجرّه إليه. فلمّا رأى هارون غضب أخيه الشديد قال له-من أجل تهدئته و ليقلّل من فورته،و كذلك ليبيّن عذره و حجّته فى هذه الحادثه ضمنا... قٰالَ يَا بْنَ أُمَّ لاٰ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِی وَ لاٰ بِرَأْسِی إِنِّی خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِی إِسْرٰائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِی .

كان هارون فى الحقيقه يشير إلى كلام موسى عليه السّلام الذى وجّهه إليه عند توجّهه إلى الميقات،و كان محتواه الدعوه إلى الإصلاح-الآيه(١۴٢)من سوره الأعراف -فهو يريد أن يقول:إنّى إذا كنت قد أقدمت على الاشتباك معهم كان ذلك خلاف أمرك، و كان من حقّك أن تؤاخذنى.و بهذا أثبت هارون براءته،و خاصّه مع ملاحظه الجمله الأخرى التى وردت الآيه(١۵٠)من سوره الأعراف: إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ كٰادُوا يَقْتُلُونَنِی .

ص:۶۴

١- ١) -سوره الأعراف،١۴٢.

و هنا ینقدح السؤال التالی و هو:لا شکّ أنّ کلّا من موسی و هارون نبی،فکیف یوجّه موسی علیه السّلام هذا العتاب و اللهجه الشدیده إلی أخیه،و کیف نفسّر دفاع هارون عن نفسه؟! و یمکن القول فی الجواب:إنّ موسی علیه السّلام کان متیقّنا من براءه أخیه،إلّا أنّه أراد أن یثبت أمرین بهذا العمل.

الأوّل:أراد أن یفهم بنی إسرائیل أنّهم قد ارتکبوا ذنبا عظیما جدّا،و أی ذنب؟!الذنب الذی ساق هارون الذی کان نبیّا عظیما إلی المحکمه،و بتلک الشدّه من المعامله،أی إنّ المسأله لم تکن بتلک البساطه التی کان یتصوّرها بنو إسرائیل.فإنّ الانحراف عن التوحید و الرجوع إلی الشرک،و ذلک بعد کلّ هذه التعلیمات،و بعد رؤیه کلّ تلک المعجزات و آثار عظمه الحقّ،أمر لا یمکن تصدیقه،و یجب الوقوف أمامه بکلّ حزم و شدّه.

قد یشقّ الإنسان جیبه،و یلطم علی رأسه عند ما تقع حادثه عظیمه أحیانا، فکیف إذا وصل الأمر إلی عتاب أخیه و ملامته،و لا شکّ أنّ هذا الأسلوب مؤثّر فی حفظ الهدف و ترک الأثر النفسی فی الأناس المنحرفین،و بیان عظمه الذنب الذی ارتکبوه.کما لا شکّ فی أنّ هارون-أیضا-کان راضیا کلّ الرضی عن هذا العمل.

الثّانی:هو أن تثبت للجمیع براءه هارون من خلال التوضیحات التی یبدیها، حتّی لا یتّهموه فیما بعد بالتهاون فی أداء رسالته.

و بعد الانتهاء من محادثه أخیه هارون و تبرئه ساحته،بدأ بمحاکمه السامری:

لماذا فعلت ما فعلت،و ما هدفک من ذلک؟: قٰالَ فَمٰا خَطْبُکَ یٰا سٰامِرِیُّ ؟ فأجابه و قٰالَ بَصُرْتُ بِمٰا لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَهً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهٰا وَ کَذٰلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی .

تری ما کان مقصود السامری من کلامه هذا؟!للمفسّرین قولان مشهوران...

الأوّل:إنّ مراده هو:إنّنی رأیت جبرئیل علی فرس،عند مجیء جیش

فرعون إلی ساحل البحر،یرغّب ذلک الجیش فی المسیر فی تلک الطرق الیابسه فی البحر،و کان یسیر أمامهم،فقبضت شیئا من تراب قدمه،أو«مرکبه»و أدّخرته لهذا الیوم،فألقیته داخل العجل الذهبی،و ما هذا الصوت إلاّ من أثر ذلک التراب الذی أخذته.

الثّانی:إنّنی آمنت-بدایه الأمر-بقسم من آثار الرّسول(موسی)،ثمّ شککت فیها فألقیتها بعیدا و ملت إلی عباده الأصنام،و کان هذا عندی أجمل و أحلی.

فعلی التّفسیر الأوّل فإنّ کلمه«الرسول»تعنی جبرئیل،و علی التّفسیر الثّانی تعنی«موسی»علیه السّلام.«و الأثر»فی التّفسیر الأوّل بمعنی تراب القدم،و فی الثّانی یعنی بعض تعلیمات موسی علیه السّلام.و«نبذتها»علی التّفسیر الأوّل بمعنی إلقاء التراب داخل العجل،و علی الثّانی ترک تعلیمات موسی علیه السّلام.و أخیرا فإن بَصُرْتُ بِمٰا لَمْ یَبْصُرُوا تشیر-طبق التّفسیر الأوّل إلی جبرئیل الذی کان قد تجلّی فی هیئته فارس-و ربّما رآه بعض آخر لکنّهم لم یعرفوه-إلاّ أنّها تشیر-وفقا للتفسیر الثّانی إلی ما کان لدیه من معلومات خاصّه عن دین موسی علیه السّلام.

و علی کلّ حال،فإنّ لکلّ واحد من هذین التّفسیرین أنصارا،و له نقاط واضحه أو مبهمه،لکن-کمحصّله نهائیه-یبدو أنّ التّفسیر الثّانی هو الأفضل و الأنسب من عدّه جهات،خاصّه و أنّا نقرأ

فی حدیث ورد فی کتاب(الإحتجاج) إنّ أمیر المؤمنین علیا علیه السّلام لمّا فتح البصره أحاط الناس به-و کان من بینهم «الحسن البصری»و قد جلبوا معهم ألواحا یکتبون فیها ما یقوله أمیر المؤمنین علی علیه السّلام،فقال له أمیر المؤمنین بأعلی صوته:«ما تصنع؟»قال:أکتب آثارکم لنحدّث بها بعدکم،فقال أمیر المؤمنین:«أما إنّ لکلّ قوم سامریا،و هذا سامری

هذه الامّه!إلّا أنّه لا يقول:لا مساس،و لكنّه يقول:لا قتال» (۱) .

و يستفاد من هذا الحديث أنّ السامری کان رجلا منافقا،فإن توسّل لإغواء الناس و إضلالهم ببعض المطالب و المقولات الصحيحه التی تعلّمها سابقا،و هذا المعنی ينسجم و التّفسير الثّانی أکثر.

من الواضح أنّ جواب السامری عن سؤال موسی عليه السّلام لم يکن مقبولا بأی وجه،و لذلک فإنّ موسی عليه السّلام أصدر قرار الحکم فی هذه المحکمه،و حکم بثلاثه أحکام عليه و علی عجله،فأوّلا: قٰالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَيٰاهِ أَنْ تَقُولَ لاٰ مِسٰاسَ أی يجب عليک الابتعاد عن الناس و عدم الاتّصال بهم إلی آخر العمر، فکلّما أراد شخص الاقتراب منک،فعليک أن تقول له:لا تتّصل بی و لا تقربنی.

و بهذا الحکم الحازم طرد السامری من المجتمع و جعله فی عزله تامّه.منزويا بعيدا عنهم! قال بعض المفسّرين:إنّ جمله لاٰ مِسٰاسَ إشاره إلی أحد القوانين الجزائيه فی شريعه موسی عليه السّلام التی کانت تصدر فی حقّ من يرتکب جريمه کبيره،و کان ذلک الفرد يبدو کموجود شرّير نجس قذر،فلا يقربه أحد و لا يقرب أحدا (۲) .

فاضطرّ السامری بعد هذه الحادثه أن يخرج من جماعه بنی إسرائيل و يترک دياره و أهله،و يتواری فی الصحراء،و هذا هو جزاء الإنسان الذی يطلب الجاه و يريد إغواء جماعه عظيمه من المجتمع ببدعه و أفکاره الضّاله،و يجمعهم حوله، و يجب أن يحرم مثل هذا و يعزل،و لا يتّصل به أیّ شخص،فإنّ هذا الطرد و هذه العزله أشدّ من الموت و الإعدام علی مثل السامری و أضرابه.لأنّه يعامل معامله النجس الملوّث فيطرد من کلّ مکان.

و قال بعض المفسّرين:إنّ موسی دعا علی السامری و لعنه بعد ثبوت جرمه

۱- ۱) -نور الثقلين الجزء ۳ ص ۳۹۲.

۲- ۲) -تفسير فی ظلال القرآن.المجلّد الخامس ص ۴۹۴.

و خطئه،فابتلاه اللّه بمرض غامض خفى جعله ما دام حيّا لا يمكن لأحد أن يمسّه،و إذا مسّه فسيبتلى بالمرض.أو أنّ السامرى قد ابتلى بمرض نفسى و وسواس شديد،و الخوف من كلّ إنسان،إذ كان بمجرّد أن يقترب منه أى إنسان يصرخ(لا تمسّنى) (١) .

و العقاب الثّانى:إنّ موسى عليه السّلام قد أسمعه و أعلمه بجزائه فى القيامه فقال:

وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ

(٢)

.

و الثالث: وَ انْظُرْ إِلىٰ إِلٰهِکَ الَّذِی ظَلْتَ عَلَيْهِ عٰاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی الْيَمِّ نَسْفاً .

و هنا يأتى سؤالان:

الأوّل:إنّ جمله لَنُحَرِّقَنَّهُ تدلّ على أنّ العجل كان جسما قابلا للاشتعال، و هذا يؤيّد عقيده من يقولون:إنّ العجل لم يكن ذهبيّا،بل تبدّل إلى موجود حى بسبب تراب قدم جبرئيل.

و نقول فى الجواب:إنّ ظاهر جمله جَسَداً لَهُ خُوٰارٌ هو أنّ العجل كان جسدا لا روح فيه،كان يخرج منه صوت يشبه خوار العجل،بالطريقه التى قلناها سابقا. أمّا مسأله الإحراق فمن الممكن أن تكون لأحد سببين:

أحدهما:إنّ هذا التمثال لم يكن ذهبيّا خالصا،بل يحتمل أن يكون من الخشب،ثمّ إلى بالذهب.

و الآخر:إنّه على فرض أنّه كان من الذهب فقط،فإنّ إحراقه كان للتحقير و الإهانه و تعريه شكله الظاهرى و إسقاطه،كما تكرّر هذا الأمر فى تماثيل الملوک

١- ١) -تفسير القرطبى،الجزء ۶،ص ۴۲۸۱.

٢- ٢) -(لن تخلفه)فعل مبنى للمجهول نائب فاعله السامرى،و ضميره مفعول ثان،و فاعل الفعل فى الأصل هو اللّه،و معنى الجمله فى الجمله:إنّ لک موعدا لا يخلفه اللّه لک.

المستكبرين الجبابره فى عصرنا! بناء على هذا فإنّهم بعد حرقه كسروه قطعا صغيره بآلات معيّنه،ثمّ ألقوا ذرّاته فى البحر.

و السؤال الآخر هو:هل يجوز إلقاء كلّ هذا الذهب فى البحر،ألا يعدّ إسرافا؟ و الجواب:قد يكون مثل هذا التعامل مع الأصنام واجبا فى بعض الأحيان،إذا أريد منه تحقيق هدف أهمّ و أسمى،كتحطيم و سحق فكره عباده الأصنام،لئلّا يبقى بين الناس مادّه الفساد،و تكون باعثا للوسوسه فى صدور بعض الناس.

و بعباره أوضح:فإنّ موسى عليه السّلام لو أبقى الذهب الذى استعمل فى صناعه العجل،أو قسّمه بين الناس بالسويّه،فربّما نظر إليه الجاهلون يوما ما نظره تقديس،و تحيا فيهم من جديد فكره عباده العجل،فيجب أن تتلف هذه المادّه الغاليه الثمن فداء لحفظ عقيده الناس،و ليس هناك أسلوب آخر لذلك و بهذا فإنّ موسى بطريقته الحازمه و تعامله الجازم الذى اتّخذه مع السامرى و عجله استطاع أن يقطع مادّه عباده العجل،و أن يمحو آثارها من العقول،و سنرى فيما بعد كيف أثّر هذا التعامل القاطع مع عبّاد العجل فى عقول بنى إسرائيل (۱) .

و شخص موسى فى آخر جمله،و مع التأكيد الشديد على مسأله التوحيد، حاكميه نهج اللّه،فقال: إِنَّمٰا إِلٰهُكُمُ اللّٰهُ الَّذِى لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً فليس هو كالأوثان المصنوعه التى لا تسمع كلاما،و لا تجيب سائلا،و لا تحلّ مشكله، و لا تدفع ضرّا.

۱- ۱) -نقرأ نظير هذا التعامل القاطع من أجل قلع جذور الأفكار المنحرفه فى شأن مسجد ضرار فى القرآن كإشاره سريعه،و فى التاريخ و الحديث بصوره مفصّله،بأنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم قد أمر أوّلا بحرق مسجد ضرار،و أن يهدموا الباقى منه،و يجعلوا مكانه محلّلا لأوساخ و قاذورات و فضلات الناس(و لمزيد التوضيح راجع التّفسير الأمثل فى ذيل الآيات ۱۰۷-۱۱۰ من سوره التوبه).

فی الواقع،إنّ جمله وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً جاءت فی مقابل وصف العجل و جهله و عجزه الذی ذکر قبل عدّه آیات.

بحثان

اشاره

۱-یجب الثبات أمام الحوادث الصعبه

إنّ طریقه موسی علیه السّلام فی مقابله انحراف بنی إسرائیل فی عبادتهم العجل، یمکن أن تکون مثلا یقتدی به فی کلّ زمان و مکان فی مجال مکافحه الانحرافات الصعبه المعقّده.

فلو أنّ موسی علیه السّلام کان یرید أن یقف أمام مئات الآلاف من عبده العجل و یواجههم بالموعظه و النصیحه و قدر من الاستدلال فقط لما حالفه الفوز و النجاح، فقد کان علیه أن یقف بحزم هنا أمام ثلاثه أمور:أمام أخیه،و السامری، و عبده العجل،فبدأ أوّلا بأخیه فأخذ بمحاسنه و جرّه إلیه و صرخ فی وجهه،فهو فی الحقیقه قد شکّل محکمه له-و إن کانت قد ثبتت برائته فی النهایه-حتّی یحسب الآخرون حسابهم.

ثمّ توجّه إلی المسبّب الأصلی لهذه المؤامره-أی السامری-فحکمه بحکم کان أشدّ من القتل،و هو الطرد من المجتمع و عزله و تبدیله إلی موجود نجس ملوّث یجب أن یبتعد عنه الجمیع،ثمّ تهدیده بعقاب اللّه الألیم.

ثمّ جاء إلی عبده العجل من بنی إسرائیل،و وضّح لهم بأنّ ذنبکم کبیر لا توبه منه إلاّ أن تشهر السیوف و یقتل بعضکم بعضا لیتطهّر هذا المجتمع من الدماء الفاسده،و بهذه الطریقه یعدم جماعه من المذنبین بأیدیهم،لیتواری هذا الفکر الخطر المنحرف عن عقول هؤلاء،و قد بیّنا شرح هذه الحادثه فی ذیل الآیات ۵۱ -۵۴ من سوره البقره تحت عنوان:«توبه لم یسبق لها مثیل».

و هکـذا فإنّه توجّه أوّلا إلی قائد المجتمع لیری هل کان فی عمله قصور أولا؟ و بعد ثبوت براءته توجّه إلی سـبب الفساد،ثمّ إلی أنصار الفساد و مبتغیه!

٢-من هو السامری؟

إنّ أصل لفظ(سامری)فی اللغه العبریه(شمری)و لمّا کان المعتاد أن یبدّل حرف الشین إلی السین عند تعریب الألفاظ العبریه کما فی تبـدیل«موشـی»إلی «موسـی»،و«یشوع»إلی«یسوع»،نفهم من ذلـک أنّ السـامری کان منسوبا إلی «شـمرون»،و شـمرون هو ابن یشاکر النسل الرّابع لیعقوب.

و من هنا یتّضـح أنّ اعتراض بعض المسـیحیین علی القرآن المجیـد-بأنّ القرآن قد عرّف شـخصا کان یعیش فی زمان موسـی و أصـبح زعیما و مروّجا لعباده العجل باسم السامری المنسوب إلی«السامره»،فی حین أنّ السامره لم یکن لها وجود أصلا فی ذلک الزمان-لا أساس له،لأنّه کما قلنا منسوب إلی شمرون لا السامره (١) .

علی کلّ حال،فإنّ السامری کان رجلا أنانیا منحرفا و ذکیا فی الوقت نفسه، حیث اسـتطاع أن یسـتغلّ نقاط ضعف بنی إسرائیل و أن یوجـد-بجرأه و مهاره خاصّه-تلک الفتنه العظیمه التی سـبّبت میل الأغلبیه الساحقه إلی عباده الأصـنام، و کذلک رأینا أیضـا أنّه لاقی جزاء هذه الأنانیّه و الفتنه فی هذه الدنیا.

١- ١) -أعلام القرآن،ص ٣٥٩.

الآیات [سوره طه (۲۰): الآیات ۹۹ الی ۱۰۴]

اشاره

کَذٰلِکَ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبٰاءِ مٰا قَدْ سَبَقَ وَ قَدْ آتَیْنٰاکَ مِنْ لَدُنّٰا ذِکْراً (۹۹) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ یَحْمِلُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ وِزْراً (۱۰۰) خٰالِدِینَ فِیهِ وَ سٰاءَ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ حِمْلاً (۱۰۱) یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِینَ یَوْمَئِذٍ زُرْقاً (۱۰۲) یَتَخٰافَتُونَ بَیْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ عَشْراً (۱۰۳) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا یَقُولُونَ إِذْ یَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِیقَهً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ یَوْماً (۱۰۴)

التّفسیر

اشاره

أسوأ ما یحملون علی عاتقهم!

مع أنّ الآیات السابقه کانت تتحدّث حول تاریخ موسی و بنی إسرائیل و الفراعنه و السامری الملیء بالحوادث،و قد بیّنت فی أیّاتها بحوثا مختلفه،فإنّ القرآن الکریم بعد الانتهاء منها یستخلص نتیجه عامّه فیقول: کَذٰلِکَ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبٰاءِ مٰا قَدْ سَبَقَ .ثمّ یضیف وَ قَدْ آتَیْنٰاکَ مِنْ لَدُنّٰا ذِکْراً قرآنا ملیئا بالدروس و العبر،و الأدلّه العقلیّه،و أخبار الماضین و ما ینبّه المقبلین و یحذّرهم.

ص: ۷۲

إنّ قسما مهمّا من القرآن المجيد يبيّن تاريخ و قصص الماضين،و ذكر كلّ هذه الوقائع التاريخيّه التى جرت على السابقين فى القرآن الذى هو كتاب يهتمّ بتربيه الإنسان ليس أمرا اعتباطيّا عبثيّا،بل الغايه منه الاستفاده من الأبعاد المختلفه فى تأريخ هؤلاء،عوامل الإنتصار و الهزيمه،و الساعده و الشقاء،و الاستفاده من التجارب الكثيره المخفيه فى طيّات تاريخ أولئك السابقين.

و بصوره عامّه،فإنّ من أكثر العلوم اطمئنانا و واقعيّه هى العلوم التجريبيّه التى تخضع للتجارب فى المختبر،و تظهر نتائجها الدقيقه.و التأريخ مختبر كبير لحياه البشر،و فى هذا المختبر سرّ شموخ الأمم و سقوطها،نجاحها و فشلها،سعادتها و تعاستها،فكلّها وضعت تحت التجربه و ظهرت نتائجها أمام أعيننا،و نحن نستطيع بالاستفاده من تلك التجارب أن نتعلّم قسما من معارفنا الأكثر اطمئنانا فى مجال أمور حياتنا.

و بتعبير آخر،فإنّ حاصل حياه الإنسان-من جهه-هو التجربه،و لا شىء غيرها،و التاريخ-إذا كان خاليا من كلّ أشكال التحريف-هو حاصل حياه آلاف السنين من عمر البشر جمعت فى مكان واحد فى متناول الباحثين و الدارسين.

و لهذا السبب يؤكّد أمير المؤمنين على عليه السّلام فى مواعظه الحكيمه لولده الإمام الحسن عليه السّلام على هذه النقطه بالذات،

فيقول:

«أى بنى،إنّى و إن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى،فقد نظرت فى أعمالهم، و فكّرت فى أخبارهم،و سرت فى آثارهم حتّى عدت كأحدهم،بل كأنّى بما أنتهى إليه من أمورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلى آخرهم،فعرفت صفو ذلك من كدره، و نفعه من ضرره،فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله» (۱) .

بناء على هذا،فإنّ التاريخ مرآه يعكس الماضى،و حلقه تربط الحاضر

۱- ۱) -نهج البلاغه،الرساله ۳۱.قسم الرسائل.

بالماضی،و یوسّع و یطیل من عمر الإنسان بمقداره.

التأریخ معلّم یحکی لنا عن سرّ و رمز عزّه الأمم و سقوطها،فیحذر الظالمین، و یجسّد المصیر المشؤوم للظالمین السابقین الذین کانوا أشدّ منهم قوّه،و یبشّر رجال الحقّ و یدعوهم للاستقامه و الثبات،و یحمسهم و یحفّزهم علی المضی فی مسیرهم.

التأریخ هو المشعل الذی یضیء مسیر حیاه البشر،و یفتح الطرق و یعبّدها لحرکه الجیل الحاضر.

التأریخ مربّی الجیل الحاضر،و هم سیصنعون تأریخ الغدّ.

و الخلاصه،فإنّ التأریخ أحد أسباب الهدایه الإلهیه.

و لکن ینبغی الانتباه جیدا،فبمقدار ما یکون التأریخ الصحیح بنّاء ملهما مربّیا نجد أنّ التواریخ المزیّفه مدعاه للضلال و الانحراف،و من هذا المنطلق فإنّ مرضی القلوب سعوا دائما إلی تضلیل البشر و صدّهم عن سبیل اللّه،بتحریف التأریخ،و ینبغی أن لا ننسی أنّ التحریف فی التأریخ کثیر (1) .

و یلزم بیان هذه الملاحظه أیضا،و هی أنّ کلمه(ذکر)هنا،و فی آیات کثیره أخری من آیات القرآن الکریم تشیر إلی القرآن نفسه،لأنّ آیاته سبب لتذکّر و تذکیر البشر،و الوعی و الحذر.

و لهذا السبب فإنّ الآیه التالیه تتحدّث عن الذین ینسون حقائق القرآن و دروس التأریخ و عبره،فتقول: مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ یَحْمِلُ یَوْمَ الْقِیامَهِ وِزْراً .

نعم...إنّ الإعراض عن اللّه سبحانه یجرّ الإنسان إلی مثل هذه المتاهات التی تحمله أعباءا ثقیله من أنواع الذنوب و الانحرافات الفکریّه و العقائدیه و کلمه (وزر)عاده تعنی بحدّ ذاتها الحمل الثقیل،و ذکرها نکره یؤکّد تأکیدا أکبر علی

۱- ۱) -لقد بحثنا فی مجال التاریخ و أهمیته فی بدایه سوره یوسف و نهایتها و کذلک فی ذیل الآیه(۱۲۰)من سوره هود.

هذه المسأله.

ثمّ تضیف: خالِدِینَ فِیهِ وَ ساءَ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ حِمْلاً و الملفت للنظر هنا أنّ ضمیر(فیه)فی هذه الآیه یعود إلی(الوزر)أی أنّ هؤلاء سیبقون دائما فی وزرهم و مسئولیتهم و حملهم الثقیل(و لا دلیل لدینا کی نقدّر شیئا هنا و نقول:إنّ هؤلاء سیخلدون فی العذاب أو فی الجحیم)و هذا بنفسه إشاره إلی مسأله تجسّم الأعمال،و إنّ الإنسان یری الجزاء الحسن أو العقاب فی القیامه طبقا لتلک الأعمال التی قام بها فی هذه الدنیا.

ثمّ تتطرّق الآیات إلی وصف یوم القیامه و بدایته،فتقول: یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِینَ یَوْمَئِذٍ زُرْقاً و کما أشرنا سابقا،فإنّه یستفاد من آیات القرآن أنّ نهایه هذا العالم و بدایه العالم الآخر ستتمّان بحرکتین عنیفتین فجائیتین،و عبّر عن کلّ منهما ب(نفخه الصور)،و سنبیّن ذلک فی سوره الزمر ذیل الآیه ۶۸ إن شاء اللّه تعالی.

لفظه«زرق»جمع«أزرق»تأتی عاده بمعنی زرقه العین،إلاّ أنّها تطلق أحیانا علی القاتم جسده بسبب الشدّه و الألم، فإنّ البدن عند تحمّل الألم و التعب و العذاب یضعف،و یفقد طراوته،فیبدو قاتما و کأنّه أزرق.

و فسّر بعضهم هذه الکلمه بمعنی«العمی»،لأنّ الأشخاص زرق العیون یعانون و یبتلون عاده بضعف شدید فی البصر،و ذلک یقترن عاده بکون کلّ شعر بدنهم أبیضا.إلاّ أنّما ذکرناه آنفا من تفسیر ربّما کان هو الأنسب.

فی هذه الحال یتحدّث المجرمون فیما بینهم بإخفات حول مقدار مکوثهم و بقائهم فی عالم البرزخ،فبعضهم یقول:لم تلبثوا إلاّ عشر لیال،أو عشره أیّام بلیالیها: یَتَخافَتُونَ بَیْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ عَشْراً (۱) .

۱- ۱) -العدد فی لغه العرب من ۳ إلی ۱۰ یخالف المعدود فی الجنس،فإذا کان العدد مذکّرا کان المعدود مؤنثا،فإنّ(عشرا)لما

لا ـ شكّ أنّ مدّه توقّف هؤلاء كانت طويله،إلاّ أنّها تبدو قصيره جدّا فى مقابل عمر القيامه.و إنّ تخافتهم هذا بالكلام إمّا هو للرعب و الخوف الشديد الذى ينتابهم عند مشاهده أهوال القيامه،أو أنّه نتيجه شدّه ضعفهم و عجزهم.

و احتمل بعض المفسّرين أن تكون هذه الجمله إشاره إلى مكثهم فى الدنيا، و الذى يعدّ أيّاما قلائل بالنسبه للآخره و حوادثها المخفيه.

ثمّ يضيف: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا يَقُولُونَ سواء تكلّموا بهمس أم بصراخ،و بصوت خفى أم عال إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ يَوْماً .

و من المسلّم به أنّه:لا العشر مدّه طويله،و لا اليوم كذلك،إلاّ أنّ هناك تفاوتا بينهما،و هو أنّ اليوم الواحد إشاره إلى أقل أعداد الآحاد،و العشره إشاره إلى أقلّ أعداد العشرات،و لذلك فإنّ الأوّل يشير إلى مدّه أقل،و لذلك عبّر القرآن عمّن قال به ب أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً لأنّ قصر عمر الدنيا أو البرزخ فى مقابل عمر الآخره، و كذلك كون كيفيتهما و حالهما لا شيء أمام كيفيّه و حال الآخره،و يكون أنسب مع أقل الأعداد.(فلاحظوا بدقّه).

(١)

جاءت هنا بصيغه المذكّر،فإنّ المضاف إليه هو(ليال)و الذى يجب أن يكون مؤنثا حتما،أمّا لو كان المضاف إليه(أيّام) فكان يجب أن يقال:عشره.إلاّ أنّ بعض أدباء العرب نقل بأنّ العدد إذا ذكر مطلقا و حذف تمييزه فلا تجرى القاعده السابقه،و بناء على هذا فإنّ(عشرا)هنا إشاره إلى عشره أيّام.

الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۱۰۵ الی ۱۱۲]

اشاره

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّی نَسْفاً (۱۰۵) فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً (۱۰۶) لا تَرىٰ فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً (۱۰۷) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ
اَلدّاعِیَ لا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ اَلْأَصْواتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً (۱۰۸) يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ اَلشَّفاعَةُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمٰنُ وَ رَضِیَ
لَهُ قَوْلاً (۱۰۹) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً (۱۱۰) وَ عَنَتِ اَلْوُجُوهُ لِلْحَیِّ اَلْقَيُّومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً
(۱۱۱) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ اَلصّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً (۱۱۲)

التّفسير

اشاره

مشهد القيامه المهول:

تتابع هذه الآيات الكلام فی الآيات السابقه عن الحوادث المرتبطه بانتهاء الدنيا و بدايه القيامه.

و يظهر من الآيه الأولی أنّ الناس كانوا قد سألوا النّبی صلی اللّه عليه و آله و سلم عن مصير الجبال

ص: ۷۷

عند انتهاء الدنیا،و ربّما کان ذلک لأنّهم لم یکونوا یصدّقون إمکانیه تصدّع و زوال هذه الجبال العظیمه التی امتدّت جذورها فی أعماق الأرض و شمخت رؤوسها إلی السّماء،و إذا کان بالإمکان قلعها من مکانها فأی هواء أو طوفان له مثل هذه القدره،و لذلک یقول: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبٰالِ و الجواب: فَقُلْ یَنْسِفُهٰا رَبِّی نَسْفاً (۱) .

یستفاد من مجموع آیات القرآن حول مصیر الجبال أنّها تمرّ عند حلول القیامه بمراحل مختلفه:

فی ترجف و تهتزّ أوّلا: یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ (۲) .

ثمّ تتحرّک: وَ تَسِیرُ الْجِبٰالُ سَیْراً (۳) .

و فی المرحله الثّالثه تتلاشی و تتحوّل إلی کثبان من الرمل: وَ کٰانَتِ الْجِبٰالُ کَثِیباً مَهِیلاً (۴) .

و فی المرحله الأخیره سیزحزحها الهواء و الطوفان من مکانها و یبعثرها فی الهواء و تبدو کالصوف المنفوش: وَ تَکُونُ الْجِبٰالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۵) ثمّ تقول الآیه:إنّ اللّه سبحانه بعد تلاشی الجبال و تطایر ذرّاتها یأتی أمره إلی الأرض فَیَذَرُهٰا قٰاعاً صَفْصَفاً (۶) لاٰ تَریٰ فِیهٰا عِوَجاً وَ لاٰ أَمْتاً (۷) و فی ذلک الحین

---

۱ – ۱) -«نسف»فی اللغه تعنی وضع الحبوب الغذائیه فی الغربال و غربلتها،أو ذرها فی الهواء لینفصل الحبّ عن القشر،و هنا إشاره إلی تلاشی الجبال و تهشّمها،ثمّ تناثرها فی الهواء.

۲- ۲) -سوره المزمل،۱۴.

۳- ۳) -سوره الطور،۱۰.

۴- ۴) -سوره المزمل،۱۴.

۵- ۵) -سوره القارعه،۵.

۶ – ۶) -«القاع»:الأرض المستویه،و فسّره البعض بأنّه المکان الذی یجتمع فیه الماء.و أمّا«الصفصف»فقد فسّرت أحیانا بأنّها الأرض الخالیه من کلّ أنواع النباتات،و أحیانا بمعنی الأرض المستویه.و یستفاد من مجموع هذین الوصفین أنّ کلّ الجبال و النباتات ستمحی من علی وجه الأرض فی ذلک الیوم و ستبقی الأرض مستویه خالیه.

۷- ۷) -«العوج»بمعنی الاعوجاج،و«الأمت»أی الأرض المرتفعه و الربیه،و بناء علی هذا فإنّ معنی الآیه هو أنّه لا یری فی ذلک الیوم أی ارتفاع و انخفاض علی وجه الأرض.

يدعو الداعى الإلهى جميع البشر إلى الحياه و الاجتماع فى المحشر للحساب فيلبّى الجميع دعوته و يتّبعونه يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدّٰاعِيَ لاٰ عِوَجَ لَهُ .

هل إنّ هذا الداعى(إسرافيل)أم ملك آخر من ملائكه اللّه المقرّبين؟القرآن لم يشخّص و يحدّد ذلك بدقه،و كائنا من كان فإنّ أمره نافذ لا يقدر أى أحد على التخلّف عنه.

و جمله«لا عوج»أ يمكن أن تكون وصفا لدعوه هذا الداعى،أو وصفا لاتّباع المدعوين،أو لكليهما.و ممّا يلفت النظر أنّه كما أنّ سطح الأرض يصبح صافيا و مستويا بحيث لا يبقى فيه أى اعوجاج،فإنّ أمر اللّه و الداعى أيضا كلّ منهما صاف و مستقيم جلى،و اتّباعه واضح لا سبيل لأى انحراف و اعوجاج إليه.

عند ذلك: «وَ خَشَعَتِ الْأَصْوٰاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلاٰ تَسْمَعُ إِلاّٰ هَمْساً» (١) . إنّ هدوء الأصوات أو خشوعها هذا إمّا هو لهيمنه العظمه الإلهيّه على عرصه المحشر حيث يخضع لها الجميع،أو خوفا من الحساب و نتيجه الأعمال،أو لكليهما.

و بما أنّ بعض الغارقين فى الذنوب و المعاصى قد يحتمل أن تنالهم شفاعه الشافعين و تنجيهم،فإنّه يضيف مباشره: يَوْمَئِذٍ لاٰ تَنْفَعُ الشَّفٰاعَةُ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلاً و هذا إشاره إلى أنّ الشفاعه هناك ليست اعتباطيه و عشوائيه،بل إنّ هناك تخطيطا دقيقا لها،سواء ما يتعلّق بالشافعين أو المشفوع لهم،و ما دام الأفراد لا يملكون الأهليه و الاستحقاق للشفاعه،فلا معنى حينئذ لها.

و الحقيقه هى أنّ جماعه ينظرون إلى الشفاعه بمنظار خاطئ،فهم يتصورون أنّها لا تختلف عن أساليب الدنيا و مراوغاتها،فى حين أنّ الشفاعه فى منطق الإسلام مرحله تربويه متقدّمه،و عامل مساعد لهؤلاء الذين يطوون طريق الحقّ

١- ١) -«الهمس»-كما يقول الراغب فى مفرداته-يعنى الصوت الخفى و المنخفض.و فسّره بعضهم بأنّه الصوت الخفى للقدم الحافيه،و البعض بحركه الشفاه من دون أن يسمع معها صوت،و لا يوجد تفاوت كبير بين هذه المعانى.

بجدّ و سعى إلاّ أنّهم يبتلون أحيانا بالنقائص و الزلاّت،و لعلّ من الممكن أن يعلو غبار اليأس و القنوط قلوبهم نتيجه هذه الزلاّت و الهفوات،هنا تأتى إليهم الشفاعه كقوّه محرّكه و تقول:لا تيأسوا،و استمروا فى طريقكم،و لا تكفوا أيديكم عن السعى و الاجتهاد فى هذا المسير،و إذا ما بدر منكم زلل و هفوات فإنّ هناك شفعاء سيشفعون لكم عند اللّه الرحمن الذى وسعت رحمته كلّ شىء فيأذن لهم بالشفاعه.

أنّ الشفاعه ليست دعوه للتقاعس،أو الفرار من تحمّل المسؤوليه،أو أنّها ضوء أخضر لارتكاب المعاصى،بل هى دعوه إلى الاستقامه فى طريق الحقّ، و اجتناب الذنوب قدر الإمكان.

و مع أنّنا قد أوردنا بحث الشفاعه بصوره مفصّله فى ذيل الآيه(۴۷-۴۸)من سوره البقره،و فى ذيل الآيه(۲۵۵)من سوره البقره،لكن لا بأس من أن نضيف هنا قصّه جميله:

فقد روى العالم الرّبانى المرحوم«ياسرى»-أحد علماء طهران المحترمين- أنّ شاعرا يسمّى«حاجبا»كان قد ابتلى بأفكار العوام فى مسأله الشفاعه،فنظّم شعرا قال فيه:

يا حاجب إن كانت معاملتك مع على فى المحشر،فأنا ضامن لك النجاه و اعمل ما شئت من الذنوب.

فرأى أمير المؤمنين عليا عليه السّلام فى المنام،و كان مغضبا،و قال له:لم تحسن قول الشعر،فقال:فما ذا أقول؟فقال:أصلح شعرك و قل:يا حاجب:إن كانت معاملتك مع على فى المحشر فاستح منه و قلّل من ذنوبك و معاصيك.

و لمّا كان حضور الناس فى عرصات القيامه للحساب و الجزاء لا بدّ معه من علم اللّه سبحانه بأعمالهم و سلوكهم و معاملاتهم،فإنّ الآيه التاليه تضيف: يَعْلَمُ مٰا

بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً

(۱)

فهو یعلم ما قدّم المجرمون و ما فعلوه فی الدنیا،و هو مطّلع علی کلّ أفعالهم و أقوالهم و نیّاتهم فی الماضی و ما سیلاقونه من الجزء فی المستقبل،إلاّ أنّهم لا یحیطون بعلم اللّه.و بهذا فإنّ إحاطه علم اللّه سبحانه تشمل العلم بأعمال هؤلاء و بجزائهم،و هذان الرکنان فی الحقیقه هما دعامه القضاء التامّ العادل،و هو أن یکون القاضی عالما و مطّلعا تماما علی الحوادث التی وقعت،و کذلک یعلم بحکمها و جزائها.

فی ذلک الیوم: وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَیِّ الْقَیُّومِ .

«العنت»من ماده العنوه،و قد وردت بمعنی الخضوع و الذلّه،و لذلک یقال للأسیر:«عانی»،لأنّه خاضع و ذلیل فی ید الأسر.و إذا رأینا الخضوع قد نسب إلی الوجوه هنا،فلأنّ کلّ الإحساسات النفسیه،و من جملتها الخضوع،تظهر آثارها أوّلا علی وجه الإنسان.

و احتمل بعض المفسّرین أنّ الوجوه هنا تعنی الرؤساء و الزعماء و أولیاء الأمور الذین یقفون فی ذلک الیوم أذلاّء خاضعین للّه.إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل أقرب و أنسب.

إنّ انتخاب صفتی«الحی و القیّوم»هنا من بین صفات اللّه سبحانه،لأنّهما یناسبان النشور أو الحیاه و قیام الناس جمیعا من قبورهم«یوم القیامه».

و تختتم الآیه بالقول: وَ قَدْ خٰابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً فالظلم و الجور کالحمل العظیم الذی یثقل کاهل الإنسان،و یمنعه من السیر و الرقی إلی نعم اللّه الخالده، و إنّ الظالمین-سواء منهم من ظلم نفسه أو ظلم الآخرین-لما یرون بأعینهم فی ذلک الیوم خفیفی الأحمال یهرعون إلی الجنّه،و هم قد جثوا حول جهنّم ینظرون

۱- ۱) -احتمل بعض المفسّرین أنّ ضمائر الجمع فی الجمله الأولی تعود إلی الشافعین،و احتمل البعض أیضا أنّ الضمیر فی(به) یعود إلی أعمال المجرمین و نتائجها،و لکن ما ذکرناه أعلاه هو الأصحّ کما یبدو.دقّقوا ذلک.

إلى أهل الجنّه يتملّكهم اليأس و الخيبه و الحسره.

و لمّا كانت طريقه القرآن غالبا هي بيان تطبيقي للمسائل،فإنّه بعد أن بيّن مصير الظالمين في ذلك اليوم،تطرّق إلى بيان حال المؤمنين فقال: وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً (١) .

التعبير ب مِنَ الصّالِحاتِ إشاره إلى أنّهم إن لم يستطيعوا أن يعملوا كلّ الصالحات فليقوموا ببعضها،لأنّ الإيمان بدون العمل الصالح كالشجره بلا ثمره، كما أنّ العمل الصالح بدون إيمان كالشجره من دون جذر،إذ قد تبقى عدّه أيّام لكنّها تجفّ آخر الأمر،و لذلك ورد قيد وَ هُوَ مُؤْمِنٌ بعد ذكر العمل الصالح في الآيه.

قاعده:لا يمكن أن يوجد العمل الصالح بدون إيمان،و لو قام بعض الأفراد غير المؤمنين-أحيانا-بأعمال صالحه،فلا شكّ أنّها ستكون ضئيله و محدوده و استثنائيه،و بتعبير آخر:فإنّ العمل الصالح من أجل أن يستمر و يتأصّل و يتعمّق يجب أن يروى من عقيده سالمه و إعتقاد صحيح.

بحثان

اشاره

١-الفرق بين الظلم و الهضم

قرأنا في الآيه الأخيره من الآيات محلّ البحث أنّ المؤمنين الصالحين لا يخافون ظلما و لا هضما،و قال بعض المفسّرين:إنّ«الظلم»إشاره إلى أنّ هؤلاء لا يخافون مطلقا من أن يظلموا في تلك المحكمه العادله و يؤاخذوا على ذنوب لم

١- ١) -«الهضم»في اللغه بمعنى النقص،و إذا قيل لجذب الغذاء إلى البدن:هضم،فلأنّ الغذاء يقلّ ظاهرا و تبقى فضلاته.

يرتكبوها و«الهضم»إشاره إلى أنّهم لا يخافون-أيضا-نقصان ثوابهم،لأنّهم يعلمون أنّ ما يستحقّونه من الثواب يصل إليهم دون زياده أو نقصان.

و احتمل بعضهم أنّ الأوّل يعنى أنّهم لا يخافون من محو حسناتهم،و الثّانى إشاره إلى أنّهم لا يخافون نقصان حتّى مقدار قليل منها،لأنّ الحساب الإلهى دقيق جدّا.

و يحتمل أيضا أنّ للمؤمنين الصالحين زلّات و هفوات أيضا،و أنّ الكاتبين لا يكتبون أكثر ممّا صدر منهم،و لا ينقصون شيئا من ثواب أعمالهم الصالحه.

إنّ التفاسير المتقدّمه لا تتقاط فيما بينها،و يمكن أن تكون الجمله آنفه الذكر إشاره إلى كلّ هذه المعانى أيضا.

٢-مراحل القيامه

وردت الإشاره فى الآيات-محلّ البحث-إلى سلسله من الحوادث التى تقع عند حلول القيامه و بعدها:

١-رجوع الأموات إلى الحياه: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ .

٢-جميع المجرمين و حشرهم: نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ .

٣-تلاشى جبال الأرض،ثمّ تبعثرها فى كلّ مكان،و استواء سطح الأرض تماما: يَنْسِفُهٰا رَبِّي نَسْفاً .

۴-استماع الجميع لدعوه داعى اللّه،و انقطاع جميع الأصوات: يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدّٰاعِيَ... .

۵-عدم تأثير الشفاعه فى ذلك اليوم بدون إذن اللّه: يَوْمَئِذٍ لاٰ تَنْفَعُ الشَّفٰاعَةُ... .

۶-إعداد اللّه تعالى جميع خلقه للحساب بعلمه المطلق غير المتناهى يَعْلَمُ

ص :٨٣

مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ...

.

۷-خضوع الجميع فى مقابل حكمه: وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ... .

۸-يأس الظالمين: وَ قَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً .

۹-رجاء المؤمنين لطف اللّه و رحمته: وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ... .

الآیتان [سوره طه (۲۰): الآیات ۱۱۳ الی ۱۱۴]

اشاره

وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنٰا فِيهِ مِنَ اَلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (۱۱۳) فَتَعٰالَى اَللّٰهُ اَلْمَلِكُ اَلْحَقُّ وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (۱۱۴)

التّفسیر

قـل: رَبِّ زِدْنِی عِلْمـاً الآیـات محلّ البحث-فی الواقع-إشاره إلی مجموع ما مرّ فی الآیات السابقه حول المسائل التربویه المرتبطه بالقیامه و الوعد و الوعید،فتقول:

وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنٰا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً

.

التعبیر ب(کذلک)إشاره إلی المطالب التی بیّنت قبل هذه الآیه، و هذا یشـبه تماما أن یذکر إنسان لآخر أمورا من شأنها التوعیه و العبره،ثمّ یضیف:هکذا ینبغی التذکیر و الوعظ،و علی هذا فلا حاجه إلی التفاسیر التی ذکرت و البعیده هنا عن معنی الآیه).

ص: ۸۵

کلمه«عربی»و إن کانت بمعنی اللغه العربیه،إلاّ أنّها هنا إشاره إلی فصاحه القرآن و بلاغته و سرعه إیصاله للمفهوم و المراد من جهتین:

الأولی:إنّ اللغه العربیه-بشهاده علماء اللغه فی العالم-واحده من أبلغ لغات العالم،و أدبها من أقوی الآداب.

و الثّانیه:إنّ جمله(صرفنا)أحیانا تشیر إلی التعبیرات القرآنیه المختلفه حول حادثه واحده،فمثلا نراه یبیّن مسأله الوعید و عقاب المجرمین من خلال ذکر قصص الأمم السابقه و حوادثها تاره،و تاره أخری علی هیئه خطاب موجّه للحاضرین،و ثالثه بتجسید حالهم فی مشهد القیامه،و هکذا.

إنّ اختلاف جمله لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ مع جمله یُحْدِثُ لَهُمْ ذِکْراً قد یکون من جهه أنّ الجمله الأولی تقول:إنّ الهدف هو إیجاد و غرس التقوی بصوره کامله.

و فی الجمله الثّانیه:إنّ الهدف هو أنّ التقوی و إن لم تحصل کامله،فلیحصل علی الأقل الوعی و العلم فعلا،ثمّ تکون فی المستقبل مصدرا و ینبوعا للحرکه نحو الکمال.

و یحتمل أیضا أن تکون الجمله الأولی إشاره إلی إیجاد و تحقیق التقوی بالنسبه لغیر المتّقین،و الثّانیه إلی التذکّر و التذکیر بالنسبه للمتقین،کما نقرأ فی الآیه (۲)من سوره الأنفال: إِذا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیاتُهُ زادَتْهُمْ إِیماناً .

فی الآیه آنفه الذکر إشاره إلی أصلین مهمّین من أصول التعلیم و التربیه المؤثّره:

أحدهما:مسأله الصراحه فی البیان،و کون العبارات بلیغه واضحه تستقرّ فی القلب.

و الآخر:بیان المطالب بأسالیب متنوعه،لئلاّ تکون سببا للتکرار و الملل، و لتنفذ إلی القلوب.

أمّا الآیه التّالیه فتضیف قائله: فَتَعالَی اللّهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ و من المحتمل أن

یکون ذکر کلمه«الحقّ»بعد کلمه«الملک»،هو أنّ الناس ینظرون إلی الملک بمنظار سیء و تتداعی فی أذهانهم صور الظلم و الطغیان و الجور و الاستعلاء و التجبّر التی تکون فی الملوک غالبا،و لذا فإنّ الآیه تصف اللّه الملک سبحانه مباشره ب«الحقّ».

و بما أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم کان یعجّل فی إبلاغ الوحی و ما ینزل به من القرآن لاهتمامه به و تعشّقه أن یحفظه المسلمون و یستظهروه،و لم یتمهّل أن یتمّ جبرئیل ما یلقیه علیه من الوحی فیبلغه عنه،فإنّ الآیه محلّ البحث تذکّره بأنّ یتمهّل فتقول: وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً .

و یستشفّ من بعض آیات القرآن الأخری أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم کانت تنتابه حاله نفسیّه خاصّه من الشوق عند نزول الوحی،فکانت سببا فی تعجّله کما فی قوله تعالی: لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذٰا قَرَأْنٰاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱) .

بحثان

اشاره

۱-لا تعجل حتّی فی تلقّی الوحی!

لقد تضمّنت الآیات الأخیره دروسا تعلیمیّه،و من جملتها النهی عن العجله عند تلقّی الوحی،و کثیرا ما لوحظ بعض المستمعین یقفون کلام المتحدّث أو یکملونه قبل أن یتمّه هو،و هذا الأمر ناشئ عن قلّه الصبر أحیانا،أو ناشئ عن الغرور و إثبات وجود أیضا،و قد یکون العشق و التعلّق الشدیده بشیء یدفع الإنسان-أحیانا-إلی هذا العمل،و فی هذه الحاله ینبعث عن حافر مقدّس،غیر أنّ هذا الفعل نفسه-أی العجله-قد یحدث مشاکل أحیانا،و لذلک فقد نهت الآیات

۱- ۱) -سوره القیامه،الآیه ۱۵-۱۶-۱۷.

آنفه الذکر عن العجله حتّی و لو کان المراد أو الهدف من هذا الفعل صحیحا، و أساسا لا تخلو الأعمال التی تنجز باستعجال من العیب و النقص غالبا.و من المسلّم به أنّ فعل النّبی لمّا کان علیه من مقام العصمه-کان مصونا من الخطأ،إلاّ أنّه ینبغی علیه أن یکون فی کلّ شیء مثلا و قدوه للناس،لیفهم الناس أنّه إذا کان الاستعجال فی تلقّی الوحی غیر محبّذ،فلا ینبغی الاستعجال فی الأمور الأخری من باب أولی أیضا.

و لا ینبغی أن نخلط بین السرعه و العجله طبعا-فالسرعه تعنی أنّ الخطّه قد نظمت بدقّه کامله،و حسبت جمیع مسائلها،ثمّ تجری بنودها بدون فوات وقت.

أمّا العجله فتعنی أنّ الخطّه لم تنضج تماما بعد،و تحتاج إلی تحقیق و تدقیق،و علی هذا فإنّ السرعه مطلوبه،و العجله أمر غیر مطلوب.

و قد ذکرت احتمالات أخری فی تفسیر هذه الجمله،و منها أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم کان لا یطیق تأخّر الوحی،فعلّمته الآیه أن یتمهّل فإنّ اللّه ینزل علیه وحیه عند الاقتضاء و الحاجه إلیه.

و قال بعض المفسّرین:إنّ آیات القرآن نزلت علی قلب النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی لیله القدر دفعه واحده،و نزلت مرّه أخری بصوره تدریجیّه علی مدی(٢٣)سنه، و لذلک فإنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم کان یسبق جبرئیل عند النّزول التدریجی للآیات،فأمره القرآن أن لا تعجل فی هذا الأمر،ودع الآیات تنزل نزولا تدریجیّا کلّ فی موقعها و زمانها.

إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل یبدو أقرب للصواب.

٢-أطلب المزید من العلم

لمّا کان النهی عن العجله عند تلقّی الوحی موهما النهی عن الاستزاده فی طلب العلم،فقد عقّبت الآیه بعد ذلک بالقول مباشره: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً لتقف

أما هذا التصوّر الخاطئ،أی أنّ العجله لیست صحیحه،لکن من الضروری الجدّ و السعی من أجل الارتواء من منهل العلم! و قال بعض المفسّرین:إنّ الجمله الأولی أمرت النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم ألاّ یعجل فی فهم کلّ جوانب الآیات قبل تبیینها فی الآیات الاخری،و فی الجمله الثّانیه صدر الأمر بأن یطلب من اللّه سبحانه علما أکثر فیما یتعلّق بأبعاد آیات القرآن المختلفه.

و علی کلّ حال،فإذا کان النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم مأمورا أن یطلب زیاده العلم من ربّه إلی آخر عمره مع غزاره علمه،و روحه الملیئه و عیا و علما،فإنّ واجب الآخرین واضح جدّا،و فی الحقیقه،فإنّ العلم من وجهه نظر الإسلام لا یعرف حدّا،و زیاده الطلب فی کثیر من الأمور مذمومه إلاّ فی طلب العلم فانّها ممدوحه،و الإفراط قبیح فی کلّ شیء إلاّ فی طلب العلم.

فالعلم لیس له حدّ مکانی،فیجب الاجتهاد لتحصیله و لو کان فی الصین أو الثریا،و لیس له حدّ زمانی فهو یستمرّ من المهد إلی اللحد.

و لا یعرف حدّا من جهه المعلّم،فإنّ الحکمه ضالّه المؤمن أینما وجدها أخذها،و إذا ما سقطت جوهره من فم ملوّث فاسق فإنّه یلتقطها.

و لا حدّ فی الإسلام لمقدار السعی و الاجتهاد،فهو یغوص فی أعماق البحر لیکتسب العلم،و قد یضحّی بروحه فی طریق تحصیل العلم.و علی هذا فإنّ کلمه (خرّیج)أو(أنهی دراسته)لا معنی لها فی منطق الإسلام،فإنّ المسلم الحقیقی لا یعرف نهایه فی تحصیله للعلوم،فهو دائما طالب جامعی، و طالب علم،حتّی لو أصبح أکثر الأساتذه تفوّقا و أفضلهم.

الطریف أنّنا نقرأ

فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال لأحد أصحابه:

«إنّ لنا فی کلّ جمعه سرورا»قال:قلت:و ما ذاک؟قال:«إذا کان لیله الجمعه وافی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم العرش،و وافی الأئمّه علیهم السّلام و وافینا معهم،فلا ترد أرواحنا بأبداننا

إلاّ بعلم مستفاد،و لو لا ذلک لأنفذنا» (۱) .

و قد ورد هذا المضمون فی روایات عدیده بعبارات،مختلفه،و هو یوضّح أنّ النّبی و الأئمّه یضاف و یزاد علی علمهم إلی نهایه العالم:و نقرأ

فی روایه أخری عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم أنّه قال: «إذا أتی علی یوم لا أزداد فیه علما یقربنی إلی اللّه فلا بارک اللّه لی فی طلوع شمسه» (۲) .

و کذلک نقرأ

فی حدیث آخر عنه صلی اللّه علیه و آله و سلم: «أعلم الناس من جمع علم الناس إلی علمه،و أکثر الناس قیمه أکثرهم علما،و أقلّ الناس قیمه أقلّهم علما» (۳) . و هذا هو قدر العلم و قیمته فی منظار التعلیمات الإسلامیه.

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،الجزء ۳،ص ۳۹۷.

۲- ۲) -تفسیر مجمع البیان،و نور الثقلین،و الصافی فی ذیل الآیات مورد البحث.

۳- ۳) -سفینه البحار،الجزء ۲،ص ۲۱۹(مادّه علم).

الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۱۱۵ الى ۱۲۲]

اشاره

وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (۱۱۵) وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى (۱۱۶) فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقى (۱۱۷) إِنَّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى (۱۱۸) وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى (۱۱۹) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَهِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى (۱۲۰) فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى (۱۲۱) ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى (۱۲۲)

التّفسير

اشاره

آدم و مكر الشّيطان:

كان القسم الأهمّ من هذه السوره فى بيان قصّه موسى عليه السّلام و بنى إسرائيل، و المواجهه بينهم و بين فرعون و أنصاره،إلاّ أنّ هذه الآيات و ما بعدها تتحدّث عن

ص :۹۱

قصّه آدم و حواء،و عداء و محاربه إبليس لهما.و ربّما كانت إشاره إلى أنّ الصـراع بين الحقّ و الباطل لا ينحصـر بأمس و اليوم،و موسى عليه السّلام و فرعون،بل كان منذ بدايه خلق آدم و سيستمر كذلك.

و بـالرغم من أنّ قصّه آدم و إبليس قـد وردت مرارا فى القرآن،إلاّ أنّهـا تمتزج فى كلّ مورد بملاحظات و مسائل جديـده،و هنا تتحدّث أوّلا عن عهد اللّه إلى آدم فتقول: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً .

هناك عـدّه آراء فى ماهيّه العهد المذكور،فقال البعض:إنّه أمر اللّه بعدم الاقتراب من الشـجره الممنوعه،و هناك روايات متعدّده تؤيّـد هـذا المعنى.فى حيـن أنّ بعض المفسّـرين احتملـوا احتمالات أخرى يمكـن اعتبارهـا بمثـابه الأغصـان و الأوراق لهـذا المعنى،كإخطار اللّه لآدم بأنّ الشيطان عدوّ مبين له،و يجب أن لا يتبعه.

و أمّا«النسـيان»هنا فمن المسلم أنّه ليس بالمعنى المطلق،لأنّه لا معنى للعتاب و الملامه فى النسيان المطلق،بل إنّه إمّا بمعنى الترك كما نسـتعمل ذلك فى مكالماتنا اليوميّه،فقد نقول لمن لم يف بعهده:أنسـيت عهدك؟أى إنّك كالناسـى.أو أنّه بمعنى النسـيان الذى يطرأ نتيجه قلّه الانتباه و شرود الذهن.

و المراد من«العزم»هنا هو التصميم و الإراده القويّه الصلبه التى تحفظ الإنسان من الوقوع تحت تأثير وساوس الشيطان القويّه.

و على كلّ حال،فلا شكّ أنّ آدم لم يرتكب معصـيه،بل بـدر منه ترك الأولى، أو بتعبير آخر،فإنّ مرحله وجود آدم فى الجنّه لم تكن مرحله تكليف،بل كانت مرحله تجريبيّه للاستعداد للحياه فى هذه الدنيا و تقبل المسؤوليه،خاصه و إن نهى اللّه هنا كان نهيا إرشاديا،لأنّه قـد أخبره بأنّه إن أكل من الشـجره الممنوعه فسـيبتلى بالشـقاء.و قـد أوردنا تفصـيل كلّ ذلك،و كـذلك المراد من الشجره الممنوعه و أمثال ذلك فى ذيل الآيات ١٩-٢٢ من سوره الأعراف.

ص :٩٢

ثمّ أشارت إلى جانب آخر من هذه القصّه،فقالت: وَ إِذْ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبىٰ و من هنا يتّضح مقام آدم العظيم،آدم الذى سجدت له الملائكه،و أبدت هذه المخلوقات العظيمه احترامها إيّاه.كما أنّ عداوه إبليس تجلّت له ضمنا من أوّل الأمر إذ لم يخضع لآدم و لم يعظمه.

لا شكّ أنّ السجده لا تعنى السجده الخاصّه بعباده اللّه،و لا أحد أو موجود يستحقّ أن يكون معبودا من دون اللّه سبحانه،و بناء على هذا فإنّ هذه السجده كانت للّه،غايه ما هناك أنّها كانت من أجل خلق هذا الموجود العظيم.أو أنّ السجده هنا تعنى الخضوع و التواضع.

على كلّ حال،فإنّ اللّه سبحانه تعالى أنذر آدم بقوله فَقُلْنٰا يٰا آدَمُ إِنَّ هٰذٰا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلاٰ يُخْرِجَنَّكُمٰا مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقىٰ .

من الواضح أنّ الجنّه هنا لا يراد منها جنّه الخلود فى العالم الآخر،و التى هى نقطه تكامل لا يمكن الخروج منها أو التراجع عن نعيمها،بل كانت بستانا فيه كلّ شىء ممّا فى بساتين هذه الدنيا،و لم يكن فيها نصب و لا غصّه بلطف اللّه،و لذلك فإنّ اللّه سبحانه قد أنذر آدم بأنّك إن خرجت من هذا النعيم فإنّك ستشقى.و كلمه «تشقى» من مادّه الشقاء،و أحد معانيها الألم و المشقّه.

سؤال:لماذا خاطب اللّه الإثنين معا-أى آدم و حواء-فى بدايه الأمر فقال:

فَلاٰ يُخْرِجَنَّكُمٰا

إلاّ أنّه ذكر نتيجه الخروج بصيغه المفرد فى شأن آدم فقط فقال:

فَتَشْقىٰ

؟ و الجواب هو:إنّ هذا الاختلاف فى التعبير قد يكون إشاره إلى أنّ الآلام و الأتعاب كانت تصيب آدم فى الدرجه الأولى،فإنّه كان مأمورا بتحمّل مسئوليات زوجته أيضا،و هكذا كانت مسئوليه الرجال من بدايه الأمر.أو أنّ العهد لما كان من البدايه على عاتق آدم،فإنّ النهايه أيضا ترتبط به.

ثمّ يبيّن اللّه لآدم راحه الجنّه و هدوأها،و ألم و مشقّه الخروج منها،فيقول:

إِنَّ لَکَ أَلاّ تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى وَ أَنَّکَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى

.

و هنا سؤال يوجّه للمفسّرين،و هو:لماذا اقترن ذكر الظمأ بضحى الشمس، و الجوع بالعرى،فى حين أنّ المعتاد ذكر العطش مع الجوع؟ قيل فى الجواب:إنّ بين العطش و أشعّه الشمس علاقه لا يمكن إنكارها.

(«تضحى»من مادّه«ضحى»أى إشراق الشمس من دون أن يحجبها حاجب من سحاب و أمثاله).

و أمّا الجمع بين الجوع و العرى فقد يكون بسبب أنّ الجوع نوع من عراء الجوف و خلوّه من الغذاء!و الأفضل أن يقال:إنّ هذين الوصفين-الجوع و العرى- علامتان واضحتان للفقر تأتيان معا عاده.

و على كلّ حال،فقد أشير فى هاتين الآيتين إلى أربع احتياجات أصليه و ابتدائيه للإنسان،أى:الحاجه إلى الغذاء،و الماء،و اللباس-للحمايه من حراره الشمس-و المسكن،و كان تأمين هذه الحاجات نتيجه توفّر النعمه،و ذكر هذه الأمور فى الواقع توضيح لما جاء فى جمله«فتشقى».

لكن،و مع كلّ ذلك،فإنّ الشيطان قد ربط رباط العداوه حول آدم،و لهذا لم يهدأ له بال: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّکَ عَلى شَجَرَهِ الْخُلْدِ وَ مُلْکٍ لا يَبْلى .

«الوسوسه»فى الأصل تعنى الصوت المنخفض جدّا،ثمّ قيلت لخطور الأفكار السافله و الخواطر السيّئه سواء كانت تنبع من داخل الإنسان،أو من خارجه.

إنّ الشيطان تتبع رغبه آدم و أنّها فى أى شىء،فوجد أنّ رغبته فى الحياه الخالده و الوصول إلى القدره الأزليّه،و لذلك جاء إليه عن هذين العاملين و استغلّهما فى سبيل جرّه إلى مخالفه أمر اللّه.و بتعبير آخر:فكما أنّ اللّه قد وعد آدم بأنّك إن تجنّبت الشيطان و خالفته فستحظى بالتّنعم فى الجنّه دائما،فإنّ

الشيطان قد وسوس إليه عن هذا الطريق«أى أنّه سيخلد فى الجنّه أيضا».

أجل...إنّ الشياطين يبدؤون دائما فى باديه خططهم من نفس النقاط و الطرق التى يبدأ منها المرشدون إلى طريق الحقّ،لكن لا تمرّ الأيّام حتّى يجروهم إلى هاويه الانحراف،و يجعلون جاذبيه طريق الحقّ وسيله للوصول إلى المتاهات.

و أخيرا وقع المحذور،و أكل آدم و حواء من الشجره الممنوعه،فتساقط عنهما لباس الجنّه،فبدت أعضاؤهما: فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما (١) فلمّا رأى آدم و حواء ذلك استحييا وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ (٢) .نعم،لقد كانت العاقبه المؤسفه وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى .

«غوى»أخذت من مادّه الغى،أى العمل الصبيانى الناشئ من إعتقاد خاطئ،و لمّا كان آدم هنا قد أكل-جهلا و اشتباها-من الشجره المحرّمه،نتيجه للظنّ الذى حصل له من قول الشيطان،فقد عبّر عن عمله ب(غوى).

و فسّره بعض المفسّرين بأنّه الجهل الناشئ عن الغفله،و البعض فسّرها بالمحرومين،و البعض الآخر بالفساد فى الحياه.

و على كلّ حال فإنّ«الغى»يقابل«الرشد»،و الرشد هو أن يسلك الإنسان طريقا يوصله إلى هدفه و مقصده،أمّا الغى فهو عدم الوصول إلى المقصود.

و لكن لمّا كان آدم نقيّا و مؤمنا فى ذاته،و كان يسير فى طريق رضى اللّه سبحانه،و كان لهذا الخطأ الذى أحاط به نتيجه وسوسه الشيطان صفه استثنائيه، فإنّ اللّه سبحانه لم يبعده عن رحمته إلى الأبد،بل ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى .

١- ١) -«سوءات»جمع سوءه،و هى فى الأصل كلّ شيء غير سار و يسيء الإنسان،و لذلك تطلق أحيانا على جسد الميّت، و أحيانا على العوره،و المراد هنا هو المعنى الأخير.

٢- ٢) -«يخصفان»من مادّه خصف،و هى هنا تعنى خياطه اللباس.

هل ارتكب آدم معصيه؟

مع أنّ العصيان يأتی فی عرف اليوم–عاده–بمعنی الـذنب و المعصـيه،إلاّ أنّه فی اللغه يعنی الخروج عن الطاعه و عدم تنفيذ الأمر سواء كان الأمر واجبا أو مستحبّا،و بناء علی هذا فإنّ استعمال كلمه العصيان لا يعنی بالضروره ترک واجب أو ارتكاب محرّم،بل يمكن أن يكون ترک أمر مستحبّ أو ارتكاب مكروه.

إضـافه لمـا مرّ،فـإنّ الأـمر و النهی يكون إرشاديـا،كأمر و نهی الطبيب حيث يأمر المريض أن يتناول الـدواء الفلانی،و أن يجتنب الغـذاء الفلاـنی غير المنـاسب،و لاـ شـکّ أنّ المريض إذا خـالف أمر الطبيب فـإنّه لا يضـرّ إلاّ نفسه،لأنّه لم يعبأ بإرشاد الطبيب و نصيحته.و كذلک كان اللّه قد أمر آدم أن لا تأكل من ثمره الشجره الممنوعه،فإنّک إن أكلت ستخرج من الجنّه،و ستبتلی بالألم و المشـقّه الكبيره فی الأرض،فخالف هذا الأمر الإرشادی،و رأی نتيجه مخالفته أيضا.و إذا لا حظنا أنّ هذا الكلام كان فی مرحله وجود آدم فی الجنّه،و هی مرحله اختبار لا تكليف، فسيتّضح معناه بصوره أجلی.

و إضـافه لمـا مرّ،فـإنّ العصـيان أو الـذنب يكون أحيانا متّصـفا بالإطلاق،أی إنّه يعـدّ ذنبا من قبل مرتكبيه جميعا و بـدون اسـتثناء كالكـذب و الظلم و أكل المال الحرام،و يكون أحيانا نسبيّا،أی العمل الذی إن بدر من شـخص ما فقد لا يكون ذنبا،بل قد يعتبر أحيانا عملا مطلوبا و لائقا لصدوره من مثله،أمّا إذا صدر من آخر فإنّه لا يناسبه نظرا إلی مكانته و منزلته.

فمثلا:تطلب المساعده من قبل بعض الناس لبناء مستشـفی،فيعطی العامل أجره يوم من عمله و التی لا تتجاوز أحيانا أكثر من عدّه دراهم.إنّ هـذا الفعل الصادر من مثل هـذا الشـخص يعدّ إيثارا و حسـنه و هو مطلوب تماما،أمّا إذا أعطی رجل ثری هذا المقدار من المـال مثلاـ فـإنّه لا يناسـبه و لا يليق به فحسب،بل سـيكون موضع ملامه و مـذمّه و تعنيف مع أنّه أساسا لم يرتكب حراما،بل ساهم و لو

بمقدار يسير فى عمل الخير و البرّ.

إنّ هذا هو ما نعبّر عنه ب(حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين)و هو المعروف بترك الأولى،و نحن نعبر عنه بالذنب النسبى الذى لا يعدّ ذنبا،و لا يخالف مقام العصمه.

و فى الأحاديث الإسلاميه أيضا أطلقت المعصيه على مخالفه المستحبّات، فنرى

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال فى النوافل اليوميّه:«و إنّما هذا كلّه تطوّع و ليس بمفروض...و لكنّها معصيه،لأنّه يستحبّ إذا عمل الرجل عملا من الخير أن يدوم عليه» (۱) .

و قد بحثنا هذا الموضوع و سائر المسائل المرتبطه بآدم و خروجه من الجنّه فى سوره الأعراف ذيل الآيه ۱۹ و ما بعدها،و فى سوره البقره ذيل الآيه ۳۰-۳۸، و لا حاجه إلى التكرار.

۱- ۱) -نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۴۰۴.

الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۱۲۳ الی ۱۲۷]

اشاره

قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُداىَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى (۱۲۳) وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى (۱۲۴) قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً (۱۲۵) قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى (۱۲۶) وَ كَذلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَشَدُّ وَ أَبْقى (۱۲۷)

التّفسير

اشاره

المعيشه الضنكا:

مع أنّ توبه آدم قد قبلت،إلّا أنّ عمله أدّى إلى عدم استطاعته الرجوع إلى الحاله الأولى،و لذا فإنّ اللّه سبحانه أصدر أمره لآدم و حواء كليهما و كذلك الشيطان أن يهبطوا جميعا من الجنّه: قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .

إلّا أنّى أعلمكم بأنّ طريق النجاه و السعاده مفتوح أمامكم فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً

فَمَنِ اتَّبَعَ هُدٰایَ فَلاٰ یَضِلُّ وَ لاٰ یَشْقیٰ

.

و من أجل أن یتّضح أیضا مصیر الذین ینسون أمر الحقّ،فقد أضاف تعالی وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَنْکاً وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ أَعْمیٰ .

هنا قٰالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِی أَعْمیٰ وَ قَدْ کُنْتُ بَصِیراً ؟ فیسمع الجواب مباشره:

قٰالَ کَذٰلِکَ أَتَتْکَ آیٰاتُنٰا فَنَسِیتَهٰا وَ کَذٰلِکَ الْیَوْمَ تُنْسیٰ

و تعمی عینک عن رؤیه نعم اللّه و مقام قربه.

أمّا الآیه الأخیره من الآیات محلّ البحث فهی بمثابه الاستنتاج و الخلاصه إذ تقول: وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ یُؤْمِنْ بِآیٰاتِ رَبِّهِ وَ لَعَذٰابُ الْآخِرَهِ أَشَدُّ وَ أَبْقیٰ .

بحوث

اشاره

۱-الغفله عن ذکر الحقّ و آثارها

قد توصد أحیانا کلّ أبواب الحیاه بوجه الإنسان،فکلّما أقدم علی عمل یجد الأبواب المغلقه،و قد تنعکس الصوره فأینما اتّجه یری الأبواب مفتّحه فی وجهه، و قد تهیأت له مقدّمات العمل،و لا یواجه عقبات فی طریقه،فیعبّر عن هذه الحاله بسعه العیش و رغده،و عن الأولی بضیق المعیشه و شظفها،و المراد من قوله تعالی:

مَعِیشَهً ضَنْکاً

(۱)

الوارد فی الآیات محلّ البحث هو هذا المعنی أیضا.

و قد یکون ضیق العیش ناتجا أحیانا من قلّه المورد،و قد یکون المرء کثیر المال موفور الثراء.إلاّ أنّ البخل و الحرص و الطمع یضیق علیه معاشه،فلا یمیل إلی فتح باب داره للآخرین لمشارکته نعیمه،بل و لا یمیل إلی الإنفاق علی نفسه أیضا،و علی

قول الإمام علی علیه السّلام: «یعیش عیش الفقراء و یحاسب حساب

١- ١) -الضنک:المشقّه و الضیق،و هذه الکلمه تأتی دائما بصیغه المفرد،و لیس لها تثنیه و لا جمع و لا تأنیث.

الأغنياء».

حقّا،لماذا يبتلى الإنسان بهذه الضائقات؟ القرآن يقول:إنّ العامل الأساس هو الإعراض عن ذكر اللّه،فإنّ ذكر اللّه يبعث على اطمئنان الروح و التقوى و الشهامه،و نسيانه مبعث الاضطراب و الخوف و القلق.

عند ما ينسى الإنسان مسئولياته بعد أن ينسى ذكر اللّه،فإنّه سيغرق فى خضمّ الشهوات و الحرص و الطمع،و من الوضوح بمكان أنّ نصيبه سيكون المعيشه الضنك،فلا قناعه تملأ عينه،و لا اهتمام بالمعنويات تغنى روحه،و لا أخلاق تمنعه أمام طغيان الشهوات.

و أساسا فانّ ضيق الحياه ينشأ فى الغالب من النقائص المعنويه و انعدام الغنى الروحى...ينشأ من عدم الاطمئنان إلى المستقبل،و الخوف من نفاد الإمكانيات الموجوده،و العلاقه المفرطه بعالم المادّه،بينما نجد أنّ الإنسان الذى يؤمن باللّه، و تعلّق قلبه بذاته المقدّسه،يعيش بعيدا عن كلّ هذه الاضطرابات،و فى مأمن منها.

إلى هنا كان الكلام عن الفرد،و عند ما نأتى إلى المجتمعات التى أعرضت عن ذكر اللّه،فإنّ المسأله ستكون أشدّ رعبا و خطرا،فإنّ المجتمعات البشريه على رغم تقدّمها الصناعى المذهل،و بالرغم من توفّر كلّ وسائل الحياه،فهى تعيش فى حاله اضطراب و قلق شديد،و مبتلاه بضائقات عجيبه و ترى نفسها سجينه.

فكلّ فرد يخاف من الآخرين،و لا يعتمد أحد على الآخر،و الروابط و العلاقات تتمحور حول محور المصالح الشخصيّه،و سبّاق التسلح-نتيجه الخوف من الحرب-يلتهم و يستهلك أغلب إمكانياتهم الاقتصاديه.

السجون مليئه بالمجرمين،و تقع فى كلّ ساعه و دقيقه-و طبقا للإحصاءات الرسميّه-حوادث قتل و جرائم مرعبه...التلوّث بالفحشاء،و الإدمان على المواد المخدّره قد استعبد هؤلاء،و لا يوجد فى عوائلهم نسمه حبّ،و لا ارتباط عاطفى

يبعث على النشاط...أجل هذه هى حياتهم القاسيه،و معيشتهم الضنك.

لقد اعترف ريتشارد نيكسون الرئيس الأسبق للولايات المتحده الأمريكيه- بلد الشيطان الأكبر-بهذا الواقع فى خطابه الرئاسى الأوّل إذ قال:(إنّنا نرى حولنا دائما حياه جوفاء،و نحن نأمل أن نرضى،و لكنّنا لا نرضى)! رجل آخر من رجال المعروفين كانت مهمّته إيجاد السرور و الفرح فى المجتمع،يقول:إنّى أرى الإنسانيه تعدو فى زقاق مظلم لا شيء فى نهايته إلّا القلق المطلق.

و من الطريف أن نقرأ

فى الرّوايات الإسلاميه أنّه سئل الإمام الصادق عليه السّلام عن المراد من الآيه: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ؟قال:«يعنى [الإعراض عن]

ولايه أمير المؤمنين» (۱) .

أجل...فإنّ الذى يستلهم العبره من حياه على عليه السّلام،ذلك الرجل العظيم الذى كانت الدنيا فى نظره لا تساوى عفطه عنز،و الذى انقطع إلى اللّه حتّى صغرت الدنيا فى عينه إلى هذا الحدّ،فمن يكن كذلك فستكون حياته فى سعه و رفاه،أمّا أولئك الذين ينسون المثل و القدوه فإنّهم فى ضنك العيش فى كلّ الأحوال.

و قد فسّر الإعراض عن ذكر اللّه-فى الآيه-بترك الحجّ من قبل القادرين عليه،و ذلك لأنّ مراسم الحج تهزّ الإنسان،و توجد ارتباطا و علاقه جديده بين الإنسان و ربّه بحيث يكون هذا الارتباط هو مفتاح حياته،فى حين أنّ عكس هذا الأمر يؤدّى إلى الارتباط الشديد بالماديات التى هى أساس المعيشه الضنكا.

۲-عمى البصر و عمى البصيره!

لقد حدّدت عقوبتان لأولئك الذين يعرضون عن ذكر اللّه:إحداهما:المعيشه

۱- ۱) -نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۴۰۵.

الضنک فی هذه الدنیا،و التی أشیر إلیها فی الملاحظه السابقه،و الأخری:العمی فی الآخره.

و قلنا مرارا:إنّ عالم الآخره هو تجسّم أوسع لعالم الدنیا،و کلّ حقائق هذا العالم تتجسّد هناک بما یناسبها هنا،فأولئک الذین عمیت بصیرتهم عن مشاهده الحقائق فی هذه الدنیا،ستعمی هناک عیون أجسامهم،و لذلک فإنّهم حین یتساءلون بأنّا کنّا قبل هذا صحیحی البصر،فلما ذا حشرنا عمیا؟یقال لهم:لأنّکم قد نسیتم آیات اللّه،و هذه الحاله انعکاس لتلک الحاله.

و هنا ینقدح سؤال،و هو:إنّ ظاهر بعض الآیات القرآنیه هو أنّ کلّ الناس یبصرون فی یوم القیامه،و یقال لهم:اقرؤوا صحیفه أعمالکم اِقْرَأْ کِتٰابَکَ... (۱) ، أو أنّ المجرمین یرون نار جهنّم بأعینهم: وَ رَأَی الْمُجْرِمُونَ النّٰارَ... (۲) ،فکیف تناسب هذه التعبیرات کون جماعه عمیا؟ قال بعض المفسّرین إنّ حال ذلک العالم تختلف عن حال هذا العالم،فربّما کان بعض الأفراد مبصرین فی مشاهده بعض الأمور،و عمیانا عن مشاهده البعض الآخر، و علی ما ینقل العلاّمه الطبرسی عن بعض المفسّرین:إنّه أعمی عن جهات الخیر لا یهتدی لشیء منها،لأنّ نظام ذلک العالم یختلف عن نظام هذا العالم.

و یحتمل أیضا أن یکون هؤلاء فی بعض المنازل و المواقف عمیا،و فی بعضها مبصرین.

ثمّ إنّ المراد من نسیان المجرمین فی العالم الآخر لیس هو نسیان اللّه سبحانه لهم،بل من الواضح أنّ المراد معامله هؤلاء معامله الناسی،کما نستعمل ذلک فی محاوراتنا الیومیّه،فإذا لم یهتمّ شخص بآخر،فإنّ الثّانی یقول له:لماذا نسیتنی؟

۱- ۱) -الإسراء،۱۴.

۲- ۲) -الکهف،۵۳.

۳-الإسراف فی المعصیه

ممّا یلفت النظر أنّه قد ذکرت فی الآیات-محلّ البحث-هذه العقوبات المؤلمه للأفراد الذین یسرفون و لا یؤمنون بآیات اللّه.

إنّ التعبیر ب«الإسراف»هنا قد یکون إشاره إلی أنّهم قد استعملوا تلک النعم و العطایا الإلهیّه،کالعین و الاذن و العقل،فی طرق الشّر،و لیس الإسراف إلاّ أن یتلف الإنسان هذه النعم من غیر هدف.

أو أن یکون إشاره إلی أنّ المذنبین قسمان:قسم لهم ذنوب محدوده،و فی قلوبهم خوف اللّه،أی أنّهم لم یقطعوا ارتباطهم و صلتهم باللّه تماما،فإذا ما ظلموا-علی سبیل الفرض-یتیما أو ضریرا فإنّهم لا یستبیحون ذلک العمل،بل یعدّون أنفسهم مقصّرین أمام اللّه.و لا شکّ أنّ مثل هذا الفرد عاص یستحقّ العقاب، إلاّ أنّ بینه و بین من یقترف الذنوب بلا حساب-و لا یعتبر ذلک ذنبا،و لا یعترف بمعیار للذنب و عدمه،بل و یفتخر أحیانا بارتکابه المعاصی،أو یحتقر الذنب و یستصغره- فرقا شاسعا،لأنّ القسم الأوّل یمکن أن یتوبوا فی النهایه و یجبروا ما صدر عنهم من ذنوب،أمّا أولئک الذین یسرفون فی الذنوب فلا توبه لهم.

۴-ما هو الهبوط؟

«الهبوط»فی اللغه بمعنی النّزول الإجباری،کسقوط الصخره من مرتفع ما، و عند ما تستعمل فی حقّ الإنسان فإنّها تعنی الإبعاد و الإنزال عقابا له.

و بملاحظه أنّ أدم قد خلق للحیاه علی وجه الأرض،و کانت الجنّه أیضا بقعه خضراء و فیره النعمه من هذا العالم،فإنّ هبوط و نزول آدم هنا یعنی النّزول المقامی لا المکانی،أی إنّ اللّه سبحانه قد نزّل مقامه لترکه الأولی،و حرمه من کلّ نعم الجنّه تلک،و ابتلاه بمصائب هذه الدنیا و متاعبها.

و ممّا یستحقّ الالتفات أنّ المخاطب هنا قد ذکر بصیغه المثنّی(اهبطا)أی

ص:۱۰۳

اهبطـا كلاكمـا،و من الممكن أن يكون المراد آدم و حواء،و إذا كـان المخـاطب قـد ورد بصـيغه الجمع(اهبطوا)فى بعض آيات القرآن الاخرى،فلأنّ الشيطان قد أشرك معهما فى الخطاب،لأنّه هو الآخر قد طرد من الجنّه.

و يحتمل أيضا أن يكون المخاطب آدم و الشيطان،لأنّ الجمله التى تلى هذه الجمله تقول: بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .

و قال بعض المفسّرين:إنّ المراد من جمله بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ و التى ورد الخطاب فيها بصيغه الجمع،هو تولّد العداوه بين أدم و حواء من جهه،و بين الشيطان من جهه أخرى،و تولّد العداوه بين آدم و أولاده من جهه و الشيطان و ذريته من جانب آخر.

و على كـلّ حـال،فـإنّ المخـاطب فى جمله: فَإِمّٰا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً هم أولاد آدم و حواء حتما،لأنّ هـدايه اللّه مختصه بهم،أمّا الشيطان و ذريته الذين أعرضوا عن منهج الهدايه الإلهيّه،فإنّ الخطاب لا يشملهم.

الآيات [سوره طه (۲۰): الآیات ۱۲۸ الی ۱۳۰]

اشاره

أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ اَلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي اَلنُّهىٰ (۱۲۸) وَ لَوْ لاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكٰانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى (۱۲۹) فَاصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ اَلشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها وَ مِنْ آنٰاءِ اَللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرافَ اَلنَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضىٰ (۱۳۰)

التّفسير

اشاره

اعتبروا بتاريخ الماضين:

لمّا كانت عـدّه بحوث فى الآيات السابقه قد وردت عن المجرمين، فقد أشارت الآيات الأولى من الآيات محلّ البحث إلى واحد من أفضـل طرق التـوعيه و أكثرهـا تـأثيرا،و هو مطـالعه تأريـخ الماضـين،فتقول: أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنٰا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ (۱) أولئك الذين عمّهم العذاب الإلهى الأليم يَمْشُونَ فِي مَسٰاكِنِهِمْ .

ص: ۱۰۵

۱- ۱) -كما قلنا سابقا،فإنّ«قرون»جمع قرن،تعنى الناس الـذين يعيشون فى عصـر ما،و يقال أحيانا لنفس ذلك الزمان:قرن. و هى من مادّه المقارنه.

إنّ هؤلاء يمرّون فى مسيرهم و ذهابهم و إيابهم على منازل قوم عاد-فى أسفارهم إلى اليمن-و على مساكن ثمود المتهدّمه الخربه-فى سفرهم إلى الشام- و على منازل قوم لوط التى جعل عاليها سافلها-فى سفرهم إلى فلسطين-و يرون آثارهم،إلاّ أنّهم لا يعتبرون،فإنّ الخرائب و الأطلال تتكلّم بلسان الحال و تخبر عن قصص السابقين و تحذّر أبناء اليوم و أبناء الغد و تعول صارخه أنّ هذه عاقبه الظلم و الكفر و الفساد.

نعم.. إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِأُولِي النُّهىٰ (1) .

إنّ موضوع أخذ العبره من تأريخ الماضين من الأمور التى يؤكّد عليها القرآن و الأحاديث الإسلاميه كثيرا،و هو حقّا معلم مذكّر متبّه،فما أكثر أولئك الأشخاص الذين لا يتأثّرون بأيّه موعظه،و لا يعتبرون بها،إلاّ أنّ رؤيه مشاهد من آثار الماضين المعبّره تهزّهم،و كثيرا ما تغيّر مسير حياتهم.

و نقرأ

فى حديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم: «أغفل الناس من لم يتّعظ بتغيّر الدنيا من حال إلى حال» (2) و لا يفكّر فى تقلّب الليل و النهار و تعاقبهما.

الآيه التاليه فى الحقيقه جواب عن سؤال يثار هنا،و هو:لماذا لا يجرى اللّه سبحانه على هذا القسم من المجرمين ما أجراه على المجرمين السابقين،فيقول القرآن: وَ لَوْ لاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكٰانَ لِزٰاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى .

إنّ هذه السنّه الإلهيّه التى ذكرت فى مواضع عديده من القرآن باسم(كلمه) إشاره إلى قانون الخلقه المبتنى على حريّه البشر،لأنّ كلّ مجرم إذا عوقب مباشره و بدون أن يمهل،فإنّ الإيمان و العمل الصالح سيتّصف بالجبر تقريبا،و سيكون على الأغلب خوفا من العقاب الآنى،و بناء على هذا فسوف لا يكون وسيله للتكامل الذى هو الهدف الأصلى.

١- ١) -«النهى»من مادّه نهى،و هى هنا بمعنى العقل،لأنّ العقل ينهى الإنسان عن القبائح و السيّئات.

٢- ٢) -سفينه البحار-مادّه عبر-الجزء ٢ ص ١٤۶.

إضافه إلى أنّه إذا تقرّر أن يعاقب جميع المجرمين فورا،فسوف لا يبقى أحد حيّا على وجه الأرض: وَ لَوْ يُؤٰاخِذُ اللّٰهُ النّٰاسَ بِظُلْمِهِمْ مٰا تَرَكَ عَلَيْهٰا مِنْ دَابَّهٍ (١) .

و بناء على هذا فيجب أن تكون هناك مهله و فتره تعطى لكلّ المرتبطين بطريق الحقّ حتّى يرجع المجرمون إلى أنفسهم و يسلكوا سبيل الصلاح،و لتكون كذلك فرصه لتهذيب النفس.

إنّ التعبير ب(أجل مسمّى)بالشكل الذى يفهم من مجموع آيات القرآن، إشاره إلى الزمان الحتمى لنهايه حياه الإنسان (٢) .

و على كلّ حال،فإنّ الظالمين الذين لا إيمان لهم و المجرمين يجب أن لا يغترّوا بتأخير العذاب الإلهى،و أن لا يغفلوا عن هذه الحقيقه،و هى أنّ لطف اللّه و سنّته فى الحياه،و قانون التكامل هذا،هو الذى يفسح المجال لهؤلاء.

ثمّ يوجّه الخطاب إلى النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،فيقول: فَاصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ و من أجل رفع معنويات النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و تقويه قلبه،و تسليه خاطره،فإنّه يؤمر بمناجاه اللّه و الصلاه و التسبيح فيقول: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهٰا وَ مِنْ آنٰاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرٰافَ النَّهٰارِ لَعَلَّكَ تَرْضىٰ و لا يتأثّر قلبك جرّاء كلامهم المؤلم.

لا شكّ أنّ هذا الحمد و التسبيح محاربه للشرك و عباده الأصنام،و فى الوقت نفسه صبر و تحمّل أمام أقوال المشركين السيّئه،و كلامهم الخشن.إلاّ أنّ هناك بحثا بين المفسّرين فى أنّ المقصود من الحمد و التسبيح هل الحمد و التسبيح المطلق،أم أنّه إشاره إلى خصوص الصلوات الخمس اليوميّه؟فجماعه يعتقدون بأنّه يجب أن يبقى ظاهر العبارات على معناه الواسع،و من ذلك يستفاد أنّ المراد هو التسبيح

١- ١) -النحل،٦١.

٢ – ٢) -لمزيد الإيضاح راجع البحث المفصّل الذى ذكرناه فى ذيل الآيه(١ و ٢)من سوره الأنعام.و نذكر فى الضمن أنّ جمله(أجل مسمّى)من ناحيه التركيب النحوى عطف على(كلمه).

و الحمد المطلق.

فی حین أنّ جماعه أخری تری أنّه إشاره إلی الصلوات الخمس،و هی علی النحو التالی.

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ

و هی إشاره إلی صلاه الصبح.

وَ قَبْلَ غُرُوبِهٰا

و هی إشاره إلی صلاه العصر،أو أنّها إشاره إلی صلاتی الظهر و العصر،و اللتان یمتدّ وقتهما إلی الغروب.

وَ مِنْ آنٰاءِ اللَّیْلِ

و هی إشاره إلی صلاتی المغرب و العشاء،و کذلک صلاه اللیل.

أمّا التعبیر ب أَطْرٰافَ النَّهٰارِ فهو إمّا إشاره إلی صلاه الظهر،لأنّ أطراف جمع طرف،و هو یعنی الجانب،و إذا قسّمنا الیوم نصفین،فإنّ صلاه الظهر ستکون فی أحد طرفی النصف الثّانی.

و یستفاد من بعض الرّوایات-أیضا-أنّ أَطْرٰافَ النَّهٰارِ إشاره إلی الصلوات المستحبّه التی یستطیع الإنسان أو یؤدّیها فی الأوقات المختلفه،لأنّ أطراف النهار هنا قد وقعت فی مقابل آناء اللیل،و هی تتضمّن کلّ ساعات الیوم.

و خاصّه أنّنا إذا لاحظنا أنّ کلمه أطراف قد وردت بصیغه الجمع،فی حین أنّ للیوم طرفین لا أکثر،فسیتّضح أنّ للأطراف معنی واسعا یشمل ساعات الیوم المختلفه.

و هناک احتمال ثالث أیضا،و هو أنّه إشاره إلی الأذکار الخاصّه التی وردت فی الرّوایات الإسلامیه فی هذه الساعات المخصوصه،فمثلا نقرأ

فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه محل البحث أنّه قال: «فریضه علی کلّ مسلم أن یقول قبل طلوع الشمس عشر مرّات و قبل غروبها عشر مرّات:لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له،له الملک و له الحمد،یحیی و یمیت،و هو حی لا یموت،بیده الخیر،و هو علی کلّ شیء قدیر».

إلاّـ أنّ هـذه التفاسـير لاـ منافـاه بينهـا على كـلّ حـال،و يمكـن أن تكـون الآـيه إشـاره إلى التسبيحـات و إلى الصـلوات الواجبه و المسـتحبّه فى الليل و النهار،و بهذا فسوف لا يكون هناك تضادّ بين الرّوايات الواصله فى هذا الباب،لأنّ الجمله فسّرت فى بعض الرّوايات بالأذكار الخاصّه،و فى بعضها بالصلاه.

و الجدير بالذكر أنّ جمله«لعلّك ترضـى»فى الحقيقه نتيجه حمد اللّه و تسبيحه،و الصبر و التحمّل فى مقابل قول أولئك،لأنّ هذا الحمد و التسبيح و صـلوات الليل و النهار تحكم الرابطه بين الإنسان و ربّه إلى درجه لا يفكّر فيها بأى شـىء سواه،فلا يخاف من الحوادث الصعبه،و لا يخشى عدوّا باعتماده على هذا السند و العماد القوى،و بهذا سيملأ الهدوء و الاطمئنان وجوده.

و لعـلّ التعبير ب(لعـلّ)إشـاره إلى ذلـك المطلب الـذى قلنـاه فيمـا مضـى فى تفسـير هـذه الكلمه،و هو أنّ(لعـلّ)عاده إشاره إلى الشـروط التى تكون لازمه لتحصـيل النتيجه،فمثلا لكى تكون الصلاه و ذكر اللّه سببا لحصول الاطمئنان،يجب أن تقام مع حضور القلب و آدابها الكامله.

ثمّ إنّ المخاطب فى هذه الآيه و إن كان النّبى الأكرم صـلى اللّه عليه و آله و سلم،إلاّ أنّ القرائن تدلّ على أنّ هذا الحكم يتّصف بالعموم.

ص :١٠٩

الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۱۳۱ الی ۱۳۵]

اشاره

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ (۱۳۱) وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاٰةِ وَ اِصْطَبِرْ عَلَيْهٰا لاٰ نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَ اَلْعٰاقِبَةُ لِلتَّقْوىٰ (۱۳۲) وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ يَأْتِينٰا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مٰا فِي اَلصُّحُفِ اَلْأُولىٰ (۱۳۳) وَ لَوْ أَنّٰا أَهْلَكْنٰاهُمْ بِعَذٰابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقٰالُوا رَبَّنٰا لَوْ لاٰ أَرْسَلْتَ إِلَيْنٰا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيٰاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزىٰ (۱۳۴) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحٰابُ اَلصِّرٰاطِ اَلسَّوِيِّ وَ مَنِ اِهْتَدىٰ (۱۳۵)

التّفسير

لقد أصدرت فی هذه الآيات أوامر و توجيهات للنبی،و المراد منها و المخاطب فيها عموم المسلمين،و هی تتمّه للبحث الذی قرأناه آنفا حول الصبر و التحمّل.

ص: ۱۱۰

فتقول أوّلا: وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ فإنّ هذه النعم المتزلزله الزائله ما هى إلاّ زَهْرَةَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا ،تلك الأزهار التى تقطع بسرعه و تذبل و تتناثر على الأرض،و لا تبقى إلاّ أيّاما معدودات.

فى الوقت الذى أمددناهم بها لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ فإنّ اللّه سبحانه وهب لك مواهب و نعما متنوّعه،فأعطاك الإيمان و الإسلام،و القرآن و الآيات الإلهيّه و الرزق الحلال الطاهر،و أخيرا نعم الآخره الخالده،هذه الهبات و العطايا المستمرّه الدائمه.

و تقول الآيه التاليه تلطيفا لنفس النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و تقويه لروحه: وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاٰةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهٰا لأنّ هذه الصلاه بالنسبه لك و لأهلك أساس العفّه و الطهاره و صفاء القلب و سمو الروح و دوام ذكر اللّه.

لا شكّ أنّ ظاهر(أهلك)هنا هو أسره النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بصوره عامّه،إلاّ أنّ هذه السوره لمّا كانت قد نزلت فى مكّه،فإنّ مصداق الأهل فى ذلك الزمان كان (خديجه و عليا عليهما السّلام)و ربّما شملت بعضا من أقارب النّبى الآخرين،إلاّ أنّ مصطلح أهل بيت النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أصبح واسع الدلاله بمرور الزمن.

ثمّ تضيف بأنّه إذا كان قد صدر الأمر لك و لأهلك بالصلاه فإنّ نفعها و بركاتها إنّما يعود كلّ ذلك عليكم،فإنّا لاٰ نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ فإنّ هذه الصلاه لا تزيد شيئا من عظمه اللّه،بل هى رأس مال عظيم لتكامل البشر و ارتقائهم و درس تعليمى و تربوى عال،إنّ اللّه سبحانه ليس كباقى الملوك و الأمراء الذين يأخذون الضرائب من شعوبهم ليديروا بها حياتهم و حياه مقرّبيهم،فإنّ اللّه غنى عن الجميع و يحتاجه الجميع و يفتقرون إليه.

إنّ هذا التعبير فى الحقيقه يشبه ما ورد فى سوره الذاريات-الآيه(۵۶- ۵۸): وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ. مٰا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ

يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزّٰاقُ ذُو الْقُوَّهِ الْمَتِينُ و على هذا،فإنّ نتيجه العبادات ترجع مباشره إلى نفس العابدين.

و تضعيف الآيه فى النهايه: وَ الْعٰاقِبَهُ لِلتَّقْوىٰ فإنّ ما يبقى و يفيد فى نهايه الأمر هو التقوى،و المتّقون هم الفائزون فى النهايه،أمّا الذين لا تقوى لهم فهم محكومون بالهزيمه و الانكسار.

و يحتمل أيضا فى تفسير هذه الآيه أنّ هدفها هو التأكيد فى مجال الروح و التقوى و الإخلاص فى العبادات،لأنّ هذا أساس العباده،و فى الآيه(٣٧) منسوره الحجّ نقرأ: لَنْ يَنٰالَ اللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ فليس ظاهر الأعمال و قشورها هو الذى يوصلكم إلى مقام القرب من اللّه،بل إنّ الواقع و الإخلاص و الباطن الذى فيها هو الذى يفتح الطريق إلى مقام القرب منه.

ثمّ أشارت الآيه التاليه إلى واحده من حجج الكفّار الواهيه فقالت: وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ يَأْتِينٰا بِآيَهٍ مِنْ رَبِّهِ و اجابتهم مباشره: أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَهُ مٰا فِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ حيث كانوا يشكّكون و يطلبون الأعذار بصوره متلاحقه من أجل الإتيان بالمعجزات،و بعد رؤيه و مشاهده تلك المعاجز استمرّوا فى كفرهم و إنكارهم، فحاق بهم العذاب الإلهى،أ فلا يعلمون بأنّهم إذا ساروا فى نفس الطريق فسينتظرهم المصير نفسه؟ و يحتمل أيضا فى تفسير هذه الآيه أنّ المراد من«البيّنه»نفس القرآن الذى يبيّن حقائق الكتب السماويه السابقه على مستوى أعلى،فالآيه تقول:لماذا يطلب هؤلاء معجزه،و يتذرّعون بالأعذار الواهيه؟أليس هذا القرآن مع هذه الامتيازات الكبيره التى تحتوى على حقائق الكتب السماويه السابقه كافيا لهؤلاء؟ و قد ذكر تفسير آخر لهذه الآيه،و هو:إنّ الرّسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم-مع أنّه لم

يكن قد درس و تعلّم-فقد جاء بكتاب واضح جلى ينسجم مع ما كان فى متون الكتب السماويه،و هذا بنفسه دليل على الإعجاز.إضافه إلى أنّ صفات النّبى و صفات كتابه تنطبق تماما على العلامات التى جاءت فى الكتب السماويه السابقه،و هذا دليل أحقيّته (١) .

و على كلّ حال،فإنّ هؤلاء المتذرّعين ليسوا أناسا طلّاب حقّ،بل إنّهم دائما فى صدد إيجاد أعذار و تبريرات جديده،فحتّى وَ لَوْ أَنّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى إلاّ أنّهم الآن و قد جاءهم هذا النّبى الكريم بهذا الكتاب العظيم،يقولون كلّ يوم كلاما، و يختلفون الأعذار للفرار من الحقّ.

و قالت الآيه التاليه:أنذر هؤلاء و قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فنحن بانتظار الوعود الإلهيّه فى حقّكم،و أنتم بانتظار أن تحيط بنا المشاكل و المصائب فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدى و بهذه الجمله الحاسمه العميقه المعنى تنتهى المحاوره مع هؤلاء المنكرين العنودين المتذرّعين.

و خلاصه القول:فإنّ هذه السوره لمّا كانت قد نزلت فى مكّه،و كان النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و المسلمون تحت ضغط شديد من قبل الأعداد،فإنّ اللّه قد واساهم و سرّى عن نفوسهم فى نهايه هذه السوره،فتاره ينهاهم عن أن تأخذهم و تبهرهم أموال المنكرين الزائله و ثرواتهم،إذ هى للامتحان و الابتلاء و تاره يأمرهم بالصلاه و الاستقامه لتقوى قواهم المعنويه أمام كثره الأعداء.و أخيرا يبشّر المسلمين بأنّ هؤلاء إن لم يؤمنوا فإنّ لهم مصيرا أسود مشؤوما يجب أن يكونوا فى انتظاره.

اللّهم اجعلنا من المهتدين و أصحاب الصراط المستقيم.

ص :١١٣

---

١ - ١) -التّفسير الأوّل فى مجمع البيان،و الثّانى فى الظلال،و الثّالث ذكره الفخر الرازى فى التّفسير الكبير،و هذه التفاسير و إن اختلفت إلاّ أنّها لا تتضارب فيما بينها،و خاصّه التّفسير الثّانى و الثّالث.

اللهم ألهمنا تلك الشهامه التى لا نرهب معها كثره الأعداء،و لا نضعف عند الحوادث الصعبه.

و اخلع عنّا أطمار العناد و اللجاجه،و وفّقنا لقبول الحقّ.

آمين ربّ العالمين نهايه سوره طه

ص :۱۱۴

سوره الأنبياء

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها مائه و اثنتا عشره آیه

ص :۱۱۵

فضل سوره الأنبياء:

روى عن النّبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى فضل تلاوه هذه السوره أنّه قال صلى اللّه عليه و آله و سلم: «من قرأ سوره الأنبياء حاسبه اللّه حسابا يسيرا،و صافحه و سلّم عليه كلّ نبى ذكر اسمه فى القرآن» (۱) .

و

عن الإمام الصادق عليه السّلام: «من قرأ سوره الأنبياء حبّا لها كان كمن رافق النبيّين أجمعين فى جنّات النعيم،و كان مهيبا فى أعين الناس حياه الدنيا» (۲) .

إنّ جمله«حبّا لها»مفتاح فى الواقع لفهم معنى الرّوايات التى وصلتنا فى مجال فضل سوره القرآن،و هى تعنى أنّ الهدف ليس هو التلاوه و تلفّظ الكلمات فقط،بل عشق المحتوى،و من المسلّم أنّ عشق المحتوى بلا عمل لا معنى له،و إذا ما ادّعى شخص أنّه يعشق السوره الفلانيّه،و يخالف عمله مفاهيمها،فإنّه يكذب.

و قد قلنا مرارا:إنّ القرآن كتاب عقيده و عمل،و القراءه مقدّمه للتفكير و التدبّر،و هو مقدّمه للإيمان و العمل!.

محتوى السوره:

۱-إنّ هذه السوره كما تدلّ عليها تسميتها هى سوره الأنبياء،لأنّ اسم ستّه

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۴۱۲.

۲- ۲) -المصدر السابق.

عشر نبيّا قد جاء فی هذه السوره،بعضهم بذكر نماذج و صور من حالاتهم، و البعض كإشاره،و هم:

موسی-هارون-إبراهيم-لوط-إسحاق-يعقوب-نوح-داود-سليمان- أيّوب-إسماعيل-إدريس-ذو الكفل-ذو النون(يونس)-زكريا-يحيی عليهم السّلام، و بناء علی هذا فإنّ عمده البحوث المهمّه فی هذه السوره تدور حول مناهج الأنبياء.

و إضافه إلی هؤلاء الأنبياء،فإنّ هناك أنبياء آخرين لم تذكر أسماؤهم صريحا فی هذه السوره،لكن قد ورد الكلام حولهم،كرسول اللّه محمّد صلی اللّه عليه و آله و سلم و المسيح عيسی بن مريم عليهما السّلام.

۲-إضافه إلی ما مرّ،فإنّ خاصيه السوره المكيّه التی تتحدّث عن العقائد الدينيّه،و بالأخصّ المبدأ و المعاد،منعكسه تماما فی هذه السوره.

۳-بحثت هذه السوره كذلك عن توحيد الخالق،و أنّه لا خالق و لا معبود سواه،و كذلك عن خلق العالم علی أساس الهدف و التخطيط،و وحده القوانين الحاكمه علی هذا العالم،و كذلك وحده مصدر و منبع الحياه و الوجود،و كذلك اشتراك الموجودات فی مسأله الفناء و الموت.

۴-و تحدث جانب آخر من هذه السوره عن انتصار الحقّ علی الباطل، و التوحيد علی الشرك،و جنود الحقّ علی جنود إبليس.

۵-و الذی يلفت النظر هنا أنّ هذه السوره تبتدئ بتهديد الناس الغافلين الجاهلين بالحساب الشديد،و تنتهی بتهديدات أخری فی هذا المجال أيضا.

إنّ الأنبياء الذين وردت أسماؤهم فی هذه السوره،ذكر تفصيل حياه و نشاطات بعضهم فی سوره أخری،إلاّ أنّ التأكيد فی هذه السوره كان أغلبه علی أنّ هؤلاء العظام عند ما كانوا يبتلون بالضائقات و المواقف الصعبه،كانوا يمدّون يد التوسّل و الاستعانه نحو لطف اللّه و عونه،و كيف أنّ اللّه سبحانه كان يفتح أمامهم

الطرق المغلقه،و ينجّيهم من الدوامات و تلاطم أمواج البلايا.

فإبراهيم حين ابتلى بنار نمرود.

و يونس حينما حلّ فى بطن الحوت.

و زكريا عند ما رأى أنّ شمس عمره قد أوشكت على الغروب و لا خليفه له يكمل مسيره.

كما أنّها تتكلّم على سائر الأنبياء عند وقوعهم فى المشاكل الصعبه العسيره.

ص :۱۱۹

الآيات [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ اِقْتَرَبَ لِلنّٰاسِ حِسٰابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (۱) مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اِسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ (۲) لاٰهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَ أَسَرُّوا اَلنَّجْوَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ اَلسِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (۳) قٰالَ رَبِّي يَعْلَمُ اَلْقَوْلَ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۴) بَلْ قٰالُوا أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ بَلِ اِفْتَرٰاهُ بَلْ هُوَ شٰاعِرٌ فَلْيَأْتِنٰا بِآيَةٍ كَمٰا أُرْسِلَ اَلْأَوَّلُونَ (۵)

التّفسير

اشاره

أعذار متنوّعه:

تبدأ هذه السوره-كما أشرنا-بتحذير قوى شديد موجّه لعموم الناس، تحذير يهزّ الوجدان و يوقظ الغافلين،فتقول: اِقْتَرَبَ لِلنّٰاسِ حِسٰابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ

ص: ۱۲۰

مُعْرِضُونَ

.

إنّ عمـل هؤلاـء يـدلّ على أنّ هـذه الغفله عمّت كـلّ وجودهم،و إلاّـ فكيف يمكن للإنسان أن يؤمن باقتراب الحساب..الحساب الـدقيق المتناهى فى الـدقّه،و مع كلّ ذلك لا يكترث بالأمور و يرتكب أنواع الـذنوب!! كلمه(اقترب)لها دلاله على التأكيـد أكثر من(قرب)و هى إشاره إلى أنّ هذا الحساب قد أصبح قريبا جدّا.

و التعبير ب(الناس)و إن كان يشـمل عموم الناس ظاهرا،و هو يـدلّ على أنّ الجميع فى غفله،إلاّ أنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ الذين لهم قلوب واعيه يقظه على الدوام، و يفكّرون بالحساب و يعملون له فهم مستثنون من هذا العموم.

و الجميل فى الأمر أنّه يقول:اقترب الحساب للناس،لا أنّ الناس اقتربوا للحساب،فكأنّ الحساب يسرع لاستقبال الناس.

ثمّ إنّ الفرق بين«الغفله»و«الإـعراض»يمكن أن يكون من جهه أنّ هؤلاـء غـافلون عن اقـتراب الحسـاب،و هـذه الغفله هى تسـبّب الإعراض عن آيات اللّه سـبحانه،ف«الغفله عن الحساب»علّه فى الحقيقه،و«الإعراض عن الحقّ»معلول لتلك العلّه.أو أنّ المراد هو الإـعراض عن نفس الحسـاب،و عن الاسـتعداد للإجـابه فى تلـك المحكمه الكبرى،أى إنّهم لمّـا كـانوا غـافلين،فإنّهم لا يهيّؤون أنفسهم لذلك و يعرضون عنه.

و هنا يأتى سؤال،و هو:ما معنى اقتراب الحساب و القيامه؟ لقد قال البعض:إنّ المراد منه هو أنّ ما بقى من الدنيا قليل فى مقابل ما مضى منها،و لهذا فإنّ القيامه ستكون قريبه-قربا نسبيّا-خاصه و أنّه

قد روى عن الرّسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم أنّه قال: «بعثت أنا و الساعه كهاتين» (۱) و أشار إلى السبابه

۱- ۱) -مجمع البيان،ذيل الآيات مورد البحث.

و الوسطی اللتین تقع إحداهما إلی جنب الأخری.

و قال البعض الآخر:إنّ هذا التعبیر لکون القیامه موجوده،کما نری ذلک فی المثل السائر کلّ ما هو آت قریب.

و لا منافاه بین هذین التّفسیرین و یمکن أن تکون الآیه إشاره إلی کلا الأمرین.

و احتمل بعض المفسّرین-کالقرطبی-أن یکون الحساب هنا إشاره إلی «القیامه الصغری»،أی الموت،لأنّ جزءا من المحاسبه و جزاء الأعمال یصل إلی الإنسان حین الموت (۱) إلاّ أنّ ظاهر الآیه ناظر إلی القیامه الکبری.

ثمّ تبیّن الآیه التالیه علامه من علامات إعراض هؤلاء بهذه الصوره: مٰا یَأْتِیهِمْ مِنْ ذِکْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ یَلْعَبُونَ فلم یتّفق لهم أن یتدبّروا ساعه فی کلام اللّه المجید،و یتأمّلوا فی آیاته بجدّیه،و یحتملوا-علی الأقل-أن تکون مؤثّره فی حیاتهم و عاقبه أمرهم و مصیرهم.فهم لا یفکّرون فی الحساب الإلهی،و لا فی تحذیرات اللّه سبحانه.

و أساسا فإنّ أحد أسباب شقاء الجهله و المتکبّرین هو اتّخاذهم النصائح و مواعظ الأخیار لهوا و لعبا دائما،و هذا هو السبب فی عدم تنبّههم من غفلتهم،فی حین أنّهم لو تعاملوا بصوره جدّیه مع تلک النصائح و لو مرّه واحده،فربّما تغیّر مسیر حیاتهم فی تلک اللحظه! کلمه«ذکر»فی الآیه إشاره إلی کلّ کلام منبّه یوقظ الغافلین،و التعبیر ب(محدث)إشاره إلی أنّ الکتب السماویه کانت تنزل الواحد تلو الآخر،و تحتوی کلّ سوره من سور القرآن،و کلّ آیه من آیاته محتوی جدیدا ینفذ إلی قلوب الغافلین بطرق مختلفه،لکن أی فائده مع من یتّخذ کلّ ذلک هزوا؟

۱- ۱) -تفسیر القرطبی.الجزء ۶ ص ۴۳۰۷.

و أساسا،فإنّ هؤلاء يفرقون من كلّ جديد،و يتمسّكون و يفرحون لكلّ الخرافات القديمه التى ورثوها من الآباء و الأجداد،و كأنّهم قد تعاهدوا عهدا دائما على أن يخالفوا كلّ حقيقه جديده،مع أنّ أساس تكامل الإنسان مبتن على أن يواجه الإنسان كلّ يوم مسائل جديده.

ثمّ تقول من أجل زياده التأكيد: لاٰهِيَةً قُلُوبُهُمْ لأنّهم فى الظاهر يتّخذون كلّ المسائل الجديّه لهوا و لعبا-كما تشير جمله«يلعبون»إلى ذلك،حيث وردت بصيغه فعل مضارع مطلق-و هم فى الباطن مشغولون باللهو و المسائل التى لا قيمه لها،و التى تجعلهم فى غفله عن الواقع.و من الطبيعى أنّ مثل هؤلاء الأشخاص سوف لا يجدون طريق السعاده،و لا يوفّقون إليه.

ثمّ تشير إلى جانب من الخطط الشيطانيّه فتقول: وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ (1) و إذا لم يكن سوى بشر اعتيادى،فلا بدّ أن تكون أعماله الخارقه و نفوذ كلامه سحرا،و لا يمكن أن يكون شيئا آخر: أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ؟ قلنا:إنّ هذه السوره نزلت فى مكّه،و فى تلك الأيّام التىّ كان فيها أعداء الإسلام فى غايه القوّه و المنعه،فأى داع يدعوهم لإخفاء كلامهم،بل و حتّى نجواهم؟(و ينبغى الالتفات إلى أنّ القرآن يقول إنّهم كانوا يخفون حتّى مناجاتهم).

قد يكون ذلك من أجل أنّ هؤلاء كانوا يتشاورون فى المسائل التى تتّصف بالتخطيط و التآمر،حتّى يظهروا أمام عامّه الناس موقفا واحدا ضدّ النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم.

إضافه إلى أنّ هؤلاء كانوا من ناحيه القوّه متفوّقين حتما،إلاّ أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و المسلمين كانوا من ناحيه المنطق و القوّه و نفوذ الكلام أكثر تفوّقا،و هذا التفوّق هو الذى دفع هؤلاء إلى أن يتشاوروا فى الخفاء لانتخاب الأجوبه المصطنعه فى

1- 1) -فى لغه العرب إذا كان الفعل اسما ظاهرا فيؤتى عاده بفعل مفرد،إلاّ أنّ هذه ليست قاعده عامّه و ثابته،بل يأتون-لعلل خاصّه-بالفعل بصيغه الجمع و بالفاعل اسما ظاهرا و جمله وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا من هذا القبيل أيضا.

مقابل النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم.

علی کلّ حال،فإنّ هؤلاء قد أکّدوا علی مسألتین فی أقوالهم:إحداهما:کون النّبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلم بشرا،و الأخری:تهمه السحر،و ستأتی الاتّهامات الاخری فی الآیات التالیه أیضا،و یتصدّی القرآن الکریم لجوابها.

إلاّ أنّ القرآن یجیبهم بصوره عامّه علی لسان النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فیقول: قٰالَ رَبِّی یَعْلَمُ الْقَوْلَ فِی السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ فلا تتصوّروا أنّ نجواکم و مؤامراتکم المخفیّه تخفی علیه وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ فهو یعلم کلّ شیء،و مطّلع علی کلّ شیء،فلا یسمع کلامکم و حسب،بل هو مطّلع حتی علی الأفکار التّی تمرّ فی أذهانکم، و القرارات التی فی صدورکم.

بعد ذکر نوعین من تذرّعات المخالفین،یتطرّق القرآن إلی ذکر أربعه أنواع أخری منها،فیقول: بَلْ قٰالُوا أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ (1) و هم یعتقدون أنّها حقیقه.

و قد یغیّرون کلامهم هذا أحیانا فیقولون: بَلِ افْتَرٰاهُ و نسبه إلی اللّه.

و یقولون أحیانا: بَلْ هُوَ شٰاعِرٌ ،و هذه الآیات مجموعه من خیالاته الشعریه.

و فی المرحله الرّابعه یقولون:إنّا نتجاوز عن کلّ ذلک فإذا کان مرسلا من اللّه حقّا فَلْیَأْتِنٰا بِآیَهٍ کَمٰا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ .

إنّ التحقیق فی هذه الادّعاءات المتضادّه المتناقضه فی حقّ النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم سیوضّح أنّها بنفسها دلیل علی أنّهم لم یکونوا طلاّب حقّ،بل کان هدفهم خلق الأعذار،و إخراج خصمهم من الحلبه بأیّه قیمه و ثمن،و بأی صوره کانت.

فهم یعتبرونه ساحرا تاره،و أخری شاعرا،و ثالثه مفتریا،و أخری إنسانا

1- 1) -«أضغاث»جمع ضغث،و هو حزمه الحطب أو الأعشاب الیابسه و ما شاکل ذلک،و«الأحلام»جمع حلم و هو المنام و الرؤیه،و لمّا کان جمع حزمه حطب یحتاج أن یجمعوا عدّه أشیاء متفرّقه إلی بعضها،فإنّ هذا التعبیر اطلق علی المنامات المضطربه المتفرّقه.

يختلط الأمر عليه و يهجر-و العياذ باللّه-فهو يحسب مناماته المضطربه وحيا! و يقولون حينا:لماذا أنت بشر؟و يتذرّعون أحيانا بطلب معجزه جديده مع كلّ تلك المعاجز.

إذا لم يكن لدينا دليل على بطلان كلامهم إلاّ هذا الاضطراب و التمزّق،فإنّه كاف لوحده،و لكنّنا سنرى فى الآيات التاليه أنّ القرآن سيجيبهم جوابا حاسما من طرق أخرى أيضا.

ملاحظه:

اشاره

هل القرآن محدث؟

لقد أورد جمع من المفسّرين فى ذيل الآيات-لوجود كلمه(محدث)فى الآيه الثّانيه من الآيات محلّ البحث-بحوثا جمّه حول كون كلام اللّه حادثا أم قديما؟و هى نفس المسأله التى أثيرت فى زمن خلفاء بنى العبّاس و صارت مثارا للجدل لسنين طويله،و كانت قد لفتت انتباه و أفكار جماعه من العلماء.

إلاّ أنّنا نعلم اليوم جيدا أنّ معظم هذا الموضوع كان يراد منه الإشغال السياسى ليهتمّ به علماء الإسلام،و ينصرفوا عن المسائل الضروريّه و الأساسيّه التى تتعلّق بشؤون الحكومه و كيفيّه حياه الناس،و حقائق الإسلام الأصيله.

و اليوم اتّضح لنا تماما أنّ المراد من كلام اللّه محتواه و مضمونه،و هو قديم قطعا،أى إنّه كان دائما فى علم اللّه،و إنّ علم اللّه الواسع كان محيطا بالقرآن على الدوام.و إذا كان المراد منه هذه الألفاظ و الكلمات،و هذا الوحى الذى نزل على النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فلا شكّ فى أنّه حادث.

أى عاقل يقول:إنّ ألفاظ القرآن و كلماته أزليّه؟أو أنّ نزول الوحى على النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم لم يكن من بدايه أمر الرساله؟و بناء على هذا فأنتم تلاحظون بأنّ

المسأله واضحه وضوح الشمس فی جمیع أبعادها.

و بتعبیر آخر فإنّ القرآن یحتوی علی ألفاظ و معان:فألفاظه حادثه قطعا، و معانیه قدیمه قطعا،و علی هذا فلا مجال للبحث و المناقشه.

ثمّ إنّ أیّ مشکله علمیّه و اجتماعیه و سیاسیّه و أخلاقیه فی المجتمع الإسلامی یحلّها هذا البحث آنذاک؟و لماذا خدع بعض العلماء السابقین بأسالیب الحکّام المکره المتآمرین الخداعه؟ و لهذا نری أنّ بعض أئمّه أهل البیت علیهم السّلام بعد بیان هذه المسأله،قد حذّروا هؤلاء من هذه البحوث،و دعوهم إلی الابتعاد و الامتناع عنها (1) .

1- 1) -نور الثقلین الجزء 3 ص 412.

الآيات [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۶ الى ۱۰]

اشاره

مٰا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَهٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ (۶) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِی إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۷) وَ مٰا جَعَلْنٰاهُمْ جَسَداً لاٰ يَأْكُلُونَ اَلطَّعٰامَ وَ مٰا كٰانُوا خٰالِدِينَ (۸) ثُمَّ صَدَقْنٰاهُمُ اَلْوَعْدَ فَأَنْجَيْنٰاهُمْ وَ مَنْ نَشٰاءُ وَ أَهْلَكْنَا اَلْمُسْرِفِينَ (۹) لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ كِتٰاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۱۰)

التّفسير

اشاره

كلّ الأنبياء كانوا بشرا:

قلنا:إنّ ستّه إشكالات و إيرادات قد أعيد ذكرها فی الآيات السابقه،و هذه الآيات التی نبحثها تجيب عنها،تاره بصوره عامّه جامعه،و أخرى تجيب عن بعضها بالخصوص.

أشارت الآيه الأولى إلى المعجزات المقترحه لأولئک،و نقصد منها:

المعجزات المقترحه حسب أهوائهم تذرّعا،فنقول:إنّ جميع المدن و القرى التی

أهلكناها سابقا كانت قد طلبت مثل هذه المعاجز،و لكن لمّا استجيب طلبهم كذّبوا بها،فهل يؤمن هؤلاء؟: مٰا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ ؟و هى تنذرهم بصوره ضمنيّه بأنّ الآيات لو تحقّقت على ما اقترحتم ثمّ لم تؤمنوا،فإنّ فناءكم حتمى! و يحتمل أيضا فى تفسير هذه الآيه أنّ القرآن يشير-فى هذه الآيه-إلى كلّ إشكالات هؤلاء المتناقضه و يقول:إنّ هذا التعامل مع دعوه الأنبياء الحقيقيين ليس جديدا،فإنّ الأفراد العنودين كانوا يتوسّلون دائما بهذه الأساليب،و لم تكن عاقبه عملهم و أمرهم إلاّ الكفر،ثمّ الهلاك و العذاب الأليم.

ثمّ تطرّقت الآيه التاليه إلى جواب الإشكال الأوّل-خاصه-حول كون النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بشرا،فتقول:إنّك لست الوحيد فى كونك نبيّا،و فى نفس الوقت أنت بشر وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فإنّ هذه حقيقه تاريخيّه يعرفها الجميع فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ .

من هم أهل الذكر؟

لا شكّ أنّ أَهْلَ الذِّكْرِ تشمل من الناحيه اللغويه كلّ العلماء و المطّلعين، و الآيه أعلاه تبيّن قانونا عقلائيّا عامّا فى مسأله(رجوع الجاهل إلى العالم)فإنّ مورد و مصداق الآيه و إن كان علماء أهل الكتاب،إلاّ أنّ هذا لا يمنع من عموميه القانون.و لهذه العلّه استدلّ علماء و فقهاء الإسلام بهذه الآيه فى مسأله«جواز تقليد المجتهدين المسلمين».

و إذا رأينا فى بعض الرّوايات التى وصلتنا عن أهل البيت عليهم السّلام بأنّ أَهْلَ الذِّكْرِ قد فسّرت بعلى عليه السّلام أو سائر الأئمّه عليهم السّلام،فلا يعنى ذلك الحصر،بل هو بيان لأوضح مصاديق هذا القانون الكلّى.و لزياده الإيضاح حول هذا الموضوع،اقرأ تفسير الآيه(۴۳)من سوره النحل من هذا الكتاب.

ثمّ تعطی الآیه التالیه توضیحا أکثر حول کون الأنبیاء بشرا،فتقول: وَ مٰا جَعَلْنٰاهُمْ جَسَداً لاٰ یَأْکُلُونَ الطَّعٰامَ وَ مٰا کٰانُوا خٰالِدِینَ .و جمله لاٰ یَأْکُلُونَ الطَّعٰامَ إشاره إلی ما جاء فی موضع آخر من القرآن فی نفس هذا الموضوع: وَ قٰالُوا مٰا لِهٰذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعٰامَ وَ یَمْشِی فِی الْأَسْوٰاقِ (۱) .

و جمله مٰا کٰانُوا خٰالِدِینَ أیضا تکمله لنفس هذا المعنی،لأنّ المشرکین کانوا یقولون:کان من الأفضل أن یرسل ملک مکان البشر،ملک له الخلود، و لا تمتدّ إلیه ید الموت!فأجابهم القرآن بأنّ أیّا من الأنبیاء السابقین لم یکتب له الخلود حتّی یکتب لرسول اللّه(محمّد)الخلود و«البقاء فی هذه الدنیا».

علی کلّ حال،فلا شکّ-کما قلنا ذلک مرارا-فی أنّه یجب أن یکون قائد البشر و مرشدهم من جنسهم،بنفس تلک الغرائز و العواطف و الأحاسیس و الحاجات و العلاقات حتّی یحسّ بآلامهم و عذابهم،و لینتخب أفضل طرق العلاج باستلهامه من معلوماته لیکون قدوه و أسوه لکلّ البشر،و یقیم الحجّه علی الجمیع.

ثمّ تحذّر الآیه و تهدّد المنکرین المتعصّبین العنودین،فتقول:إنّا کنا قد وعدنا رسلنا بل ننقذهم من قبضه الأعداء،و نبطل کید أولئک الأشرار ثُمَّ صَدَقْنٰاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَیْنٰاهُمْ وَ مَنْ نَشٰاءُ وَ أَهْلَکْنَا الْمُسْرِفِینَ .

أجل،فکما أنّ سنّتنا کانت إختیار قاده البشر من بین أفراد البشر،کذلک کانت سنّتنا أن نحمیهم من مکائد المخالفین،و إذا لم تؤثّر المواعظ و النصائح المتلاحقه أثرها فی المخالفین،فإنّنا سنطهّر الأرض من وجودهم القذر.

و من المعلوم أنّ المراد من«و من نشاء»:الإراده التی تدور حول معیار الإیمان و العمل الصالح،کما أنّ من الواضح أیضا أنّ المراد من«المسرفین»هنا هم الذین أسرفوا فی حقّ أنفسهم و مجتمعهم الذی یعیشون فیه عن طریق إنکار

۱- ۱) -الفرقان،۷.

الآيات الإلهيّه و تكذيب الأنبياء،و لهذا نرى القرآن فى موضع آخر يقول: كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنٰا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (۱) .

أمّا آخر آيه من الآيات مورد البحث،فتجيب-مرّه أخرى-فى جمله قصيره عميقه المعنى عن أكثر إشكالات المشركين،فتقول: لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ كِتٰاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ فإنّ كلّ من يتدبّر آيات هذا الكتاب الذى هو أساس التذكّر و حياه القلب،و حركه الفكر،و طهاره المجتمع،سيعلم جيدا أنّه معجزه واضحه و خالده،و مع وجود هذه المعجزه البيّنه التى تظهر فيها آثار الإعجاز من جهات مختلفه...من جهه الجاذبيّه الخارقه،و من جهه المحتوى،الأحكام و القوانين، العقائد و المعارف،و و..فهل لا زلتم بانتظار معجزه أخرى؟أى معجزه تقدر أن تثبت أحقّيه دعوه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم أحسن من هذه المعجزه؟ و فضلا عمّا مرّ،فإنّ آيات هذا الكتاب تصرخ بأنّها ليست سحرا،بل هى حقائق و تعليمات غنيّه المحتوى و جذّابه،أ تقولون بعد ذلك أنّها سحر؟ هل يمكن أن توصف هذه الآيات بأنّها أضغاث أحلام؟فأين هى الأحلام المضطربه التى لا معنى لها من هذا الكلام المنسجم الموزون؟و أين الثرى من الثريّا؟ هل يمكن أن تعتبر تلك الآيات كذبا و افتراء مع أنّ آثار الصدق باديه فى كلّ مكان منها؟ أم أنّ من جاء بها كان شاعرا،فى حين أنّ الشعر يدور حول محور الخيال، و آيات هذا الكتاب تدور كلّها حول محور الواقعيّات و الحقائق؟ و بكلمه قصيره،إنّ الدقّه و البحث فى هذا الكتاب يثبت أنّ هذه الادّعاءات متضادّه متناقضه غير منسجمه،و هى كلام المغرضين الجهله.

۱- ۱) -يونس،۱۰۳.

و اختلف المفسّرون فی معنی کلمه«ذکرکم»فی الآیه آنفه الذکر،و ذکروا لها تفاسیر مختلفه.

فذهب بعضهم:إنّ المراد هو أنّ آیات القرآن منبع الوعی و التذکّر بین أفراد المجتمع،کما یقول القرآن فی موضع آخر: فَذَکِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ یَخافُ وَعِیدِ (۱) .

و قال آخرون:إنّ المراد أنّ هذا القرآن سیرفع اسمکم و مکانتکم فی الدنیا، أی إنّه أساس عزّکم و شرفکم أیّها المؤمنون و المسلمون،أو أنتم أیّها العرب الذین نزل القرآن بلسانکم،و إذا أخذ منکم فسوف لا یکون لکم اسم و لا رسم فی العالم.

و البعض الآخر قالوا:إنّ المقصود هو أنّه قد ذکر فی هذا القرآن کلّ ما تحتاجون إلیه فی أمور الدین و الدنیا،أو فی مجال مکارم الأخلاق.

و بالرغم من أنّ هذه التفاسیر لا ینافی بعضها بعضا،و یمکن أن تکون مجتمعه فی تعبیر«ذکرکم»،إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل یبدو هو الأظهر.

فإن قیل:کیف یکون هذا القرآن أساس الوعی و الیقظه،فی حین أنّ کثیرا من المشرکین قد سمعوه فلم ینتبهوا؟ قلنا:إنّ کون القرآن موقظا و منبّها لا یعنی إجباره الناس علی هذا الوعی،بل إنّ الوعی مشروط بأن یرید الإنسان و یصمّم،و أن یفتح نوافذ قلبه أمام القرآن.

ص: ۱۳۱

۱- ۱) -سوره ق،۴۵.

الآيات [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۱۱ الی ۱۵]

اشاره

وَ کَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْیَهٍ کانَتْ ظالِمَهً وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِینَ (۱۱) فَلَمّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها یَرْکُضُونَ (۱۲) لا تَرْکُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلی ما أُتْرِفْتُمْ فِیهِ وَ مَساکِنِکُمْ لَعَلَّکُمْ تُسْئَلُونَ (۱۳) قالُوا یا وَیْلَنا إِنّا کُنّا ظالِمِینَ (۱۴) فَما زالَتْ تِلْکَ دَعْواهُمْ حَتّی جَعَلْناهُمْ حَصِیداً خامِدِینَ (۱۵)

التّفسير

اشاره

كيف وقع الظّالمون فى قبضه العذاب؟

تبيّن هذه الآيات مصير المشركين و الكافرين مع مقارنته بمصير الأقوام الماضين،و ذلك بعد البحث الذى مرّ حول هؤلاء.فتقول الآيه الاولى: وَ کَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْیَهٍ کانَتْ ظالِمَهً وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِینَ .

فمع ملاحظه أنّ«القسم»يعنى الكسر المقترن بالشدّه،بل ورد أحيانا بمعنى التفتيت و التقطيع،و مع ملاحظه التأكيد على ظلم هذه الأقوام و جورها،فإنّها توحى بأنّ اللّه سبحانه قد أعدّ أشدّ العقاب و الانتقام للأقوام الظالمين الجائرين.

و تشير الآيه ضمنا إلى أنّكم إذا درستم تاريخ السابقين و بحثتم فيه فستعلمون

ص: ۱۳۲

بأنّ تهديدات نبى الإسلام لم تكن مزاحا أو اعتباطا،بل هى حقيقه مرّه يجب أن تفكّروا فيها.

عند ذلك توضّح الآيه حال هؤلاء عند ما تتّسع دائره العذاب لتشمل ديارهم العامره،و عجزهم أمام العقاب الإلهى،فتقول: فَلَمّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ (۱) تماما كفلول جيش منهزم يرون سيوف العدو مسلوله وراءهم فيتفرقّون فى كلّ جانب.

إلاّ أنّه يقال لهؤلاء من باب التوبيخ و التقريع: لا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ .

إنّ هذه العباره قد تكون إشاره إلى أنّ هؤلاء حينما كانوا غارقين فى تلك النعمه الوفيره،كان السائلون و طالبو الحاجات يتردّدون دائما إلى أبوابهم،يأتون و الأمل يقدمهم،و يرجعون بالخيبه و الحرمان،فالآيه تقول لهم:ارجعوا و أعيدوا ذلك المشهد اللعين.و هذا فى الحقيقه نوع من الاستهزاء و الملامه.

و احتمل بعض المفسّرين أن تكون جمله لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ إشاره إلى قدره و ثروه هؤلاء فى الدنيا،حيث كانوا يجلسون فى زاويه و علائم الابّهه و الكبرياء باديه عليهم،و كان الخدم يأتون إليهم و يحضرون عندهم بصوره متواليه و يسألون إن كان لديهم أمر أو عمل يقومون به.

أمّا من هو قائل هذا الكلام؟فلم تصرّح الآيه به،فمن الممكن أن يكون نداء بواسطه ملائكه اللّه،أو أنبيائه و رسله، أو نداء صادر من داخل ضميرهم الخفى و وجدانهم.

فى الحقيقه إنّه نداء إلهى يقول لهؤلاء:لا تفرّوا و ارجعوا،و كان يصل إليهم بإحدى هذه الطرق الثلاث.

۱- ۱) -«الركض»يأتى بمعنى ركض الإنسان بنفسه،أو بمعنى إركاض المركب و الدابّه،و يأتى أحيانا بمعنى ضرب الرجل على الأرض مثل اُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ سوره ص-۴۲.

و الجميل هنا أنّه قد ركّز على المسكن خاصّه من بين كلّ النعم الماديّه،و ربّما كان ذلك بسبب أنّ أوّل وسائل استقرار الإنسان هو وجود سكن مناسب.أو أنّ الإنسان يصرف أكثر مورد حياته فى بيته،و كذلك فإنّ أشدّ تعلّقه إنّما يكون بمسكنه.

على كلّ حال،فإنّ هؤلاء يعون فى هذا الوقت حقيقه الأمر،و يرون ما كانوا يظنّونه مزاحا من قبل قد تجلّى أمامهم بصوره جديّه تماما،فتعلو صرختهم:

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

.

إلاّ أنّ هذا الوعى الاضطرارى للإنسان عند ما يواجه مشاهد العذاب لا قيمه له،و لا يؤثّر فى تغيير مصير هؤلاء،و لذلك فإنّ القرآن فى آخر آيه من الآيات محلّ البحث يضيف: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً فيلقونهم على الأرض كالزرع المحصود،و تبدّل مدينتهم التى غمرتها الحياه و الحركه و العمران إلى قبور مهدّمه مظلمه،فيصبحوا خَامِدِينَ (1) .

ص: ۱۳۴

۱- ۱) -خامد من مادّه الخمود،بمعنى انطفاء النّار،ثمّ أطلقت على كلّ شىء يفقد حركته و فاعليّته و نشاطه.

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ١۶ الى ١٨]

اشاره

وَ مٰا خَلَقْنَا اَلسَّمٰاءَ وَ اَلْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ (١۶) لَوْ أَرَدْنٰا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاَتَّخَذْنٰاهُ مِنْ لَدُنّٰا إِنْ كُنّٰا فٰاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى اَلْبٰاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذٰا هُوَ زٰاهِقٌ وَ لَكُمُ اَلْوَيْلُ مِمّٰا تَصِفُونَ (١٨)

التّفسير

اشاره

خلق السّماء و الأرض ليس لهوا:

لمّا كانت الآيات السابقه قد عكست هـذه الحقيقه و هى:إنّ الظالمين الـذين لا إيمان لهم لا يعتقـدون بوجود هـدف و غايه من خلقهم إلّا الأكل و الشـرب و الملـذّات،و يظنّون أنّ العالم بلا هـدف،القرآن الكريم يقول فى الآيات التى نبحثها من أجل إبطال هـذا النوع من التفكير،و إثبات وجود هدف عال و سام من وراء خلق كلّ العالم،و خاصّه البشـر: وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ .

إنّ هذه الأرض الواسـعه،و هذه السّماء المترامیه الأطراف،و كلّ هذه الموجودات المتنوعه البديعه التى توجد فى ساحتها تبيّن أنّ هدفا مهمّا فى خلقها

ص :١٣۵

...نعم،إنّ الهدف هو بيان قدره الخالق الجليل،و إبراز جانب من عظمته من جهه، و من جهه أخرى ليكون دليلا على المعاد،و إلاّ فإنّ كلّ هذه الضجّه و الغوغاء إن كانت لبضعه أيّام فلا معنى لها.

هل يمكن أن يبنى الإنسان قصرا فى وسط صحراء،و يجهّزه بكلّ الوسائل، و ذلك من أجل أن يستريح فيه ساعه واحده-طول عمره-عند مروره عليه؟ بعباره موجزه:إذا نظرنا إلى هذا العالم العظيم من منظار الكفّار،فسنراه لا فائده فيه و لا هدف منه،و الإيمان بالمبدأ و المعاد هو الذى يجعل له معنى و غايه.

ثمّ تقول الآيه التاليه:الآن و قد ثبت أنّ العالم له هدف فإنّه لا ريب فى أنّ الهدف من هذا الخلق لم يكن أن يلهو اللّه سبحانه و تعالى عن ذلك،فإنّ هذا اللهو غير معقول،ف لَوْ أَرَدْنٰا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاَتَّخَذْنٰاهُ مِنْ لَدُنّٰا إِنْ كُنّٰا فٰاعِلِينَ .

«اللعب»يعنى العمل الغير هادف،و«اللهو»إشاره إلى الأهداف غير المعقوله و الملاهى.

هذه الآيه تبيّن حقيقتين:

الأولى:أنّه بملاحظه كلمه(لو)،و هى فى لغه العرب للامتناع،فهى تشير إلى أنّ من المحال أن يكون هدف اللّه هو اللهو.

و الأخرى:إنّه على فرض أنّ الهدف هو اللهو،فيجب أن يكون لهوا مناسبا لذاته،كأن يكون من عالم المجردات و أمثال ذلك،لا من عالم المادّه المحدود (1) .

ثمّ تقول بلهجه قاطعه من أجل إبطال أوهام الجاهلين الذين يظنّون عدم

1- 1) -اعتبر بعض المفسّرين الآيات إعلاه إشاره إلى نفى عقائد المسيحيين،أى اعتقدوا أنّ اللهو بمعنى الزوج و الزوجه و الولد. و قالوا:إنّ الآيه تجيب هؤلاء و تقول:إنّنا إذا كنّا نريد أن نختار الصاحبه و الولد فلم نكن ننتخبهما من جنس البشر. إلاّ أنّ هذا التّفسير لا يبدو مناسبا من عدّه جهات،و من جملتها أنّ ارتباط الآيات أعلاه بالآيات السابقه سينقطع،و الأخرى أنّ كلمه«اللهو»و خاصه إذا كانت بعد كلمه اللعب،تعنى التسليّ لا المرأه و الولد.

هـدفيّه الـدنيا،بل هى للهو و اللعب فقط:إنّ هـذا العالم مجموعه من الحقّ و الواقع، و لم يقم أساسه على الباطل بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبٰاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذٰا هُوَ زٰاهِقٌ .

و تقول فى النهايه: وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمّٰا تَصِفُونَ و تتحدّثون عن عدم هدفيه الخلق.

أى إنّنـا نجعـل الأدلّه العقليّه و الاسـتدلالات الواضـحه و المعجزات البيّنه إلى جانب ظنون و أوهام اللاهـدفيين،لتتبخّر و تتلاشـى هذه الأوهام فى نظر العلماء و أصحاب الفكر و الرأى.

إنّ أدلّه معرفه اللّه واضـحه،و أدلّه وجـود المعـاد بيّنه،و براهين أحقيّه الأنبيـاء جليّه،و الحـقّ يمكن تمييزه عن الباطـل تمامـا إذا لم يكن الشخص من المعاندين.

و ممّا يسـتحقّ الانتباه أنّ جمله«نقـذف»من مادّه(قـذف)بمعنى الإلقاء، و خاصّه الإلقاء من طريق بعيـد،و لمّا كان للقذف من بعيد سرعه و قوّه أكثر،فإنّ هذا التعبير يبيّن قدره انتصار الحقّ على الباطل.و كلمه«على»أيضا مؤيّده لهذا المعنى.

و جمله«يـدمغه»على قول الراغب كسـر«الجمجمه و الـدماغ»،و تعتبر أكثر نقطه فى بدن الإنسان حسّاسيّه،و هو تعبير بليغ عن غلبه جند الحقّ غلبه واضحه قاطعه.

و التعبير ب(إذا)توحى بأنّا حتّى فى الموارد التى لا ينتظر و لا يتوقّع انتصار الحقّ فيها،فإنّنا سـنجرى هذه السنّه.و التعبير ب«زاهق»و الذى يعنى الشىء المضمحل،تأكيد على هذا المقصود.

و أمّا أنّ جملتى(نقذف)و(يدمغ)قد جاء تا بصيغه الفعل المضارع،فهو دليل على استمرار هذه السنّه.

بحث

اشاره

الهدف من الخلق:

فی الوقت الـذی لا یعترف المادّیون بهـدف للخلق،لأنّهم یعتقدون أنّ الطبیعه الفاقده للعقل و الشـعور و الهدف هی التی ابتدأت الخلق،و لهـذا فإنّهم یؤیّدون اللغویه و عـدم الفائـده فی مجموعه الوجود،فإنّ الفلاسـفه الإلهیین و إتباع الأدیان جمیعا یعتقـدون بوجود هدف سام للمخلوقات،لأنّ المبدئ للخلق قادر و حکیم و عالم،فمن المستحیل أن یقوم بعمل لا فائده فیه.

و هنـا ینقـدح هـذا السؤال:مـا هو الهـدف؟ قـد نتوهّم أحیانـا نتیجه قیاس اللّه سـبحانه علی ذواتنا و أنفسـنا و نتساءل:هل کان اللّه محتاجا و ینقصه شیء،و کان یرید بخلق الوجود،و من جملته الإنسان،أن یسدّ ذلک النقص و یرفع تلک الحاجه؟ هل هو محتاج لعبادتنا و دعائنا و مناجاتنا؟هل کان یرید أن یعرف فخلق الخلق لیعرف؟ إلّا أنّ هذا کما قلنا خطأ کبیر ناشئ من المقارنه بین اللّه و خلقه،فی حین أنّ هذه المقارنه و القیاس غیر الصـحیح هو أکبر سدّ و مانع فی بحث معرفه صفات اللّه، و لذلک فإنّ أوّل أصل فی هذا البحث هو أن نعلم أنّ اللّه سبحانه لا یشبهنا فی أی شیء.

فالإنسان موجود محـدود من کلّ النواحی،و لـذلک فإنّ کلّ مساعینا هی من أجل رفع نواقصـنا و احتیاجاتنا،ندرس لنتعلّم فنمحو نقص جهلنا،و نسـعی للعمل و الکسب لدفع الفقر و نکسب الثروه،نهیّئ الجیوش و القوی لنسدّ النقص فی قوانا أمام العدوّ،و حتّی فی الأمور المعنویه أو تهذیب النفس أو التکامل المعنوی و الروحی،فإنّ السعی و الجدّ فی کلّ ذلک من أجل رفع النواقص...

و لکن،هل من المعقول أن یقوم الوجود المطلق غیر المتناهی فی کلّ الجهات

(فعلمه و قدرته و قوّته غير محدوده،و لا يعانى أى نقص فى الوجود)بعمل لرفع حاجته؟ يتّضح من هذا التحليل أنّ الخلق ليس عبثا من جهه،و من جهه أخرى فإنّ الهدف من الخلق لا-يعود إلى الخالق.و هنا يمكن أن نصل ببساطه إلى نتيجه، و هى:أنّ الهدف،حتما و بلا شكّ،أمر يرتبط بنا.

و مع ملاحظه هذه المقدّمه يمكن التوصّل إلى أنّ هدف الخلقه هو تكاملنا و ارتقاؤنا و لا شيء سواه.

و بتعبير آخر فإنّ عالم الوجود بمثابه مدرسه لتكاملنا فى مجال العلم.

و دار حضانه لتربيه و تهذيب نفوسنا.

و متجر لكسب الموارد المعنويه،و أرض زراعيه غنيّه صالحه لإنتاج أنواع المحصولات الإنسانيه.

أجل

«الدنيا مزرعه الآخره...الدنيا دار صدق لمن صدقها،و دار غنى لمن تزوّد منها،و دار موعظه لمن اتّعظ بها» (۱) .

إنّ هذه القافله قد تحركت من عالم العدم،و هى تسير دائما إلى ما لا نهايه له.

و يشير القرآن المجيد إشارات قصيره عميقه المعنى جدّا فى آيات مختلفه إلى وجود هدف معيّن من الخلق من جهه،و من جهه أخرى فإنّه يشخّص هذا الهدف و يوضّحه.

فيقول فى الجانب الأوّل: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (۲) .

أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ

(۳)

.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،رقم ۱۳۱.

۲- ۲) -القيامه،۳۶

۳- ۳) -المؤمنون،۱۱۵

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا بٰاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(۱)

.

و فی الجانب الآخر،فإنّه جعل هـدف الخلق فی بعض الآيات عبوديه اللّه و عبادته: وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ (۲) ،و من البـديهی أنّ العباده منهج لتربيه الإنسان فی الأبعاد المختلفه...العباده بمعناها الشـمولی التی هی التسليم لأمر اللّه سـتهب روح الإنسان تكاملا فی الأبعاد المختلفه،و قد بيّنا تفصيله فی ذيل الآيات المرتبطه بالعبادات المختلفه.

و يقول:أحيانـا إنّ الهـدف من الخلقه هو إيقـاظكم و توعيتكم و تقويه إيمانكم و اعتقادكم: اَللّٰهُ الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۳) .

و يقول تاره:إنّ الهدف من الخلق هو اختبار حسن عملكم: اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيٰاهَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (۴) .

إنّ الآيـات الثلاـث آنفه الـذكر و الـتی يشـير كـلّ منهـا إلی بعـد من أبعـاد وجود الإنسـان الثلاـث-بعـد الوعی و الإيمـان،و بعد الأخلاق،و بعد العمل-تبيّن هدف الخلق التكاملی الذی يعود علی الإنسان نفسه.

و يجدر أن نشـير إلی هذه«اللطيفه»،و هی أنّه لمّا كانت آيات القرآن غير حاويه لكلمه التكامل،فإنّ بعضا يتصوّر أنّها من الأفكار المسـتورده،إلاّ أنّ الردّ علی مثل هذا التصّور أو الإشـكال واضح،لأنّنا لسنا فی صدد الألفاظ الخاصّه، فمفهوم التكامل و مصاديقه جليّه فی الآيات آنفه الذكر،تری ألم يكن العلم مصداقه الواضح..أم لم يكن الارتقاء فی العبوديه و حسن العمل من مصاديقه!

۱- ۱) -سوره ص،۲۷.

۲- ۲) -الذاريات،۵۶.

۳- ۳) -الطلاق،۱۲.

۴- ۴) -الملك،۲.

فنحن نقرأ فی الآیه(۱۷)من سوره محمّد قوله تعالی: وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدیً فهل یدلّ التعبیر بالزیاده إلّا علی التکامل؟ و هنا ینقدح سؤال،و هو:إذا کان الهدف هو التکامل،فلما ذا لم یخلق اللّه الإنسان کاملا منذ البدایه حتّی لا یکون محتاجا إلی طیّ مراحل التکامل؟ إنّ أساس هذا الإشکال هو الغفله عن هذه النقطه،و هی أنّ العنصر الأصلی للتکامل هو التکامل الاختیاری،و بتعبیر آخر فإنّ التکامل یعنی أن یطوی الإنسان الطریق بنفسه و إرادته و تصمیمه،فإذا أخذوا بیده و أوصلوه بالقوّه و الجبر فلیس هذا افتخارا و لا تکاملا.

فمثلا:لو أنفق الإنسان فلسا واحدا من ماله بإرادته و تصمیمه،فقد طوی من طریق الکمال الأخلاقی بتلک النسبه،فی حین أنّه لو أجبر علی إنفاق الملایین من ثروته،فإنّه لم یتقدّم خطوه واحده فی ذلک الطریق،و لذلک صرّح القرآن بهذه الحقیقه فی الآیات المختلفه،و هی أنّ اللّه سبحانه لو شاء لأجبر الناس علی أن یؤمنوا،إلّا أنّ هذا الإیمان لا نفع فیه لهؤلاء: وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ کُلُّهُمْ جَمِیعاً (۱) .

۱- ۱) -یونس،۹۹.

الآیات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ١٩ الى ٢٥]

اشاره

وَ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ یَسْتَحْسِرُونَ (١٩) یُسَبِّحُونَ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لاٰ یَفْتُرُونَ (٢٠) أَمِ اِتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ اَلْأَرْضِ هُمْ یُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ کٰانَ فِیهِمٰا آلِهَةٌ إِلاَّ اَللّٰهُ لَفَسَدَتٰا فَسُبْحٰانَ اَللّٰهِ رَبِّ اَلْعَرْشِ عَمّٰا یَصِفُونَ (٢٢) لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ (٢٣) أَمِ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَکُمْ هٰذٰا ذِکْرُ مَنْ مَعِیَ وَ ذِکْرُ مَنْ قَبْلِی بَلْ أَکْثَرُهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ اَلْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢۴) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ نُوحِی إِلَیْهِ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢۵)

التّفسیر

اشاره

الشرک ینبع من الظنّ:

کـان الکلام فی الآیـات السـابقه عن أنّ عالم الوجود لیس عبثیا لا هـدف من ورائه،فلا مزاح و لا عبث،و لا لهو و لا لعب،بل له هدف تکاملی دقیق للبشر.

ص:١۴٢

و لمّا كان من الممكن أن يوجد هذا التّوهّم،و هو:ما حاجه اللّه إلى إيماننا و عبادتنا؟ فإنّ الآيات التى نبحثها تجيب أوّلا عن هذا التوهّم،و تقول: وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ،وَ مَنْ عِنْدَهُ (أى الملائكه) لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ (١) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ لاٰ يَفْتُرُونَ .

و مع هذا الحال فأى حاجه لطاعتكم و عبادتكم؟فكلّ هؤلاء الملائكه المقرّبين مشغولون بالتسبيح ليلا و نهارا،و هو تعالى لا يحتاج حتّى لعباده هؤلاء، فإذا كنتم قد أمرتم بالإيمان و العمل الصالح و العبوديه فإنّ كلّ ذلك سيعود بالنفع عليكم.

و هنا نقطه تلفت الانتباه أيضا،و هى أنّه فى نظام العبيد و الموالى الظاهرى، كلّما تقرّب العبد من مولاه يقلّ خضوعه أمامه،لأن يختصّ به أكثر،فيحتاجه المولى أكثر.أمّا فى نظام عبوديّه الخلق و الخالق فالأمر على العكس،فكلّما اقتربت الملائكه و أولياء اللّه من اللّه سبحانه زادت عبوديتهم (٢) .

و بعد أن نفت فى الآيات السابقه عبثيّه و لا هدفيّه عالم الوجود،و أصبح من المسلّم أنّ لهذا العالم هدفا مقدّسا،فإنّ هذه الآيات تتطرّق إلى بحث مسأله وحده المعبود و مدبّر هذا العالم،فتقول: أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٣) .

و هذه الجمله فى الحقيقه إشاره إلى أنّ المعبود يجب أن يكون خالقا،و خاصّه خلق الحياه،لأنّها أوضح مظاهر الخلق و مصاديقه.و هذا فى الحقيقه يشبه ما نقرؤه

١- ١) -«يستحسرون»فى الأصل من مادّه حسر،و فى الأصل تعنى رفع النقاب و الستار عن الشيء المغطّى،ثمّ استعملت بمعنى التعب و الضعف،فكأنّ كلّ قوى الإنسان تصرف فى مثل هذه الحاله،و لا يبقى منها شيء مخفى فى بدنه.

٢- ٢) -الميزان،ذيل الآيات محلّ البحث.

٣- ٣) -«ينشرون»من مادّه نشر،أى فكّ الشيء المعقّد الملفوف،و هو كنايه عن الخلق و انتشار المخلوقات فى أرجاء الأرض و السّماء.و يصرّ بعض المفسّرين على اعتبار هذه الجمله إشاره إلى المعاد و رجوع الأموات إلى الحياه من جديد،فى حين أنّه بملاحظه الآيات التاليه سيتّضح أنّ الكلام عن توحيد اللّه و أنّه المعبود الحقيقى،و ليس عن المعاد و الحياه بعد الموت.

فی الآیه(۷۳)من سوره الحجّ: إِنَّ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ یَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ و مع هذا الحال کیف یکون هؤلاء أهلاـ للعباده؟ التعبیر ب آلِهَهً مِنَ الْأَرْضِ إشاره إلی الأصنام و المعبودات التی کانوا یصنعونها من الحجاره و الخشب،و کانوا یظنّونها حاکمه علی السماوات.

و تبیّن الآیه التالیه أحد الأدلّه الواضحه علی نفی آلهه و أرباب المشرکین، فتقول: لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَهٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا یَصِفُونَ .

هذه الادّعاءات غیر الصحیحه و هذه الأرباب المصنوعه و الآلهه المظنونه لیست إلاّ أوهاما،و ساحه کبریاء ذاته المقدّسه لا تتلوّث بهذه النسب المغلوطه.

برهان التمانع:

إنّ الدلیل الوارد فی الآیه آنفه الذکر و لإثبات التوحید و نفی الآلهه،فی الوقت الذی هو بسیط و واضح،فإنّه من البراهین الفلسفیّه الدقیقه فی هذا الباب،و یذکره العلماء تحت عنوان(برهان التمانع).و یمکن إیضاح خلاصه هذا البرهان بما یلی:

إنّنا نری-بدون شکّ-نظاما واحدا حاکما فی هذا العالم،ذلک النظام المتناسق من جمیع جهاته،فقوانینه ثابته تجری فی الأرض و السّماء،و مناهجه متطابقه بعضها مع بعضها،و أجزاؤه متناسبه.

إنّ انسجام القوانین و أنظمه الخلقه هذا یحکی أنّها تنبع من عین واحده،لأنّ البدایات إن کانت متعدّده،و الإرادات مختلفه،لم یکن یوجد هذا الانسجام مطلقا،و هذا الشیء الذی یعبّر عنه القرآن ب(الفساد)یلاحظ فی العالم بوضوح.

إذا کنّا من أهل التحقیق و المطالعه-و لو قلیلا-فإنّا نستطیع أن نفهم جیدا من خلال تحقیق کتاب ما،أنّ کاتبه شخص واحد أم عدّه أشخاص؟فإنّ الکتاب الذی یؤلّفه شخص واحد یوجد انسجام خاص بین عباراته،ترتیب جمله،تعبیراته المختلفه،کنایاته و إشاراته،عناوینه و رؤوس مطالبه،طریقه الدخول فی البحوث

و الخروج منها،و الخلاصه:إنّ كلّ أقسامه متحدّه متناسقه لأنّها وليده فكر واحد، و ترشّح قلم واحد.

أمّا إذا تعهّد شخصان أو عدّه أشخاص بأن يؤلّف كلّ منهم جزءا من الكتاب-و إن كان الجميع علماء متقاربين فى الروح و التفكير-فستظهر آثار هذه الازدواجيه أو الكثره فى العبارات و الألفاظ،و طريقه الأبحاث.و سبب ذلك واضح،لأنّ الفردين مهما كانا منسجمين فى الفكر و الذوق،فإنّهما فى النتيجه فردان،فلو كانت كلّ أشيائهما واحده لأصبحا فردا واحدا،فبناء على هذا فيجب أن يكون هناك تفاوت فيما بينهما قطعا ليتمكّنا أن يكونا فردين،و هذا الاختلاف سيؤثّر أثره فى النتيجه،و سيبدى آثاره فى كتاباتهما.

و كلّما كان هذا الكتاب أكبر و أكثر تفصيلا،و يبحث مواضيع متنوّعه،فإنّ عدم الانسجام يلمس فيه أوضح.و كتاب عالم الخلقه الكبير،الذى نضيّع بكلّ وجودنا فى طيّات عباراته لعظمته يشمله هذا القانون أيضا.

حقّا إنّنا لا نستطيع مطالعه كلّ هذا الكتاب حتّى لو صرفنا كلّ عمرنا فى مطالعته،إلاّ أنّ هذا القدر الذى وفّقنا نحن-و جميع العلماء-لمطالعته منسجم إلى الحدّ الذى يدلّ تماما على وحده مؤلّفه...إنّنا كلّما تصفّحنا هذا الكتاب العجيب فستظهر بين كلماته و سطوره و صفحاته آثار تنظيم عال و انسجام منقطع النظير.

فإذا كانت هناك إرادات و بدايات متعدّده تتدخّل فى إداره هذا العالم و تنظيمه، فهل كان بالإمكان أن يوجد مثل هذا الانسجام؟ و لو فكّرنا:لماذا يستطيع علماء الفضاء أن يرسلوا السفن الفضائيه إلى الفضاء بدقّه كامله،و ينزلوا العربه على القمر فى المحلّ الذى قدروه من الناحيه العلميه بدقّه متناهيه،ثمّ يحرّكونها من هناك و ينزلونها إلى الأرض فى المحل الذى توقّعوه؟ ألم تكن هذه الدقّه فى الحسابات لكون النظام الحاكم على كلّ الوجود الذى

هو أساس حسابات هؤلاء العلماء-دقيقا و منسجما،بحيث إذا كان هناک شیء من عدم الانسجام-و من الناحیه الزمنیّه جزء من مائه من الثّانیه-فستضطرب جمیع حساباتهم؟ و نقول باختصار:إذا کانت هناک إرادتان أو عدّه إرادات حاکمه فی العالم، فإنّ لکلّ واحده قضاء،و کانت الاخری تمحو أثر الأولی،و سیؤول العالم إلی الفساد عندئذ.

سؤال:

و هنا یثار سؤال یمکن استلهام جوابه من التوضیحات السابقه،و هو:إنّ تعدّد الآلهه یکون منشأ للفساد عند ما یحارب أحدها الآخر،أمّا إذا اعتقدنا بأنّ هؤلاء أفراد حکماء عالمون،فإنّهم یتعاونون فیما بینهم و یدیرون العالم.

و جواب هذا السؤال لا لبس فیه:فإنّ کونهم حکماء لا یزیل تعدّدهم،فعند ما نقول:إنّهم متعدّدون،فإنّ معناه إنّهم لیسوا متحدّین من جمیع الجهات،لأنّهم إن اتّحدوا من کلّ الجوانب أصبحوا إلها واحدا،و بناء علی ذلک فأینما وجد التعدّد وجد الاختلاف الذی یؤثّر فی الإداره و العمل شئنا أم أبینا،و هذا سیجرّ عالم الوجود إلی الهرج و المرج.

و قد استند فی بعض هذه الاستدلالات إلی أنّه لو کان هناک إرادتان حاکمتان علی الخلق،لما کان هناک عالم أصلا.فی حین أنّ هذه الآیه تتحدّث عن فساد العالم و اختلال النظام،لا عن عدم وجود العالم.

و من اللطیف أن نقرأ فی حدیث یرویه هشام بن الحکم عن الإمام الصادق علیه السّلام فی جواب الرجل الملحد الذی کان یتحدّث عن تعدّد الآلهه،أنّه

قال:

«لا یخلو قولک أنّهما اثنان من أن یکونا قویین أو یکونا ضعیفین،أو یکون أحدهما قویّا و الآخر ضعیفا،فإن کانا قویّین فلم لا یدفع کلّ واحد منهما صاحبه

و ینفرد بالتدبیر،و إن زعمت أنّ أحدهما قوی و الآخر ضعیف ثبت أنّه واحد کما تقول،للعجز الظاهر فی الثّانی،و إن قلت:إنّهما اثنان،لا یخلو من أن یکونا متّفقین من کلّ جهه أو متفرّقین من کلّ جهه،فلمّا رأینا الخلق منتظما،و الفلک جاریا، و اختلاف اللیل و النهار،و الشمس و القمر،دلّ صحّه الأمر و التدبیر و ائتلاف الأمر أنّ المدبّر واحد.

ثمّ یلزمک إن ادّعیت إثنین فلا بدّ من فرجه بینهما حتّی یکونا إثنین،فصارت الفرجه ثالثا بینهما قدیما معهما فیلزمک ثلاثه،فإن ادّعیت ثلاثه لزمک ما قلنا فی الإثنین حتّی یکون بینهما فرجتان فیکون خمسا،ثمّ یتناهی فی العدد إلی ما لا نهایه فی الکثره» (1)

.

إنّ بدایه هذا الحدیث إشاره إلی برهان التمانع،و نهایته إشاره إلی برهان آخر یسمّی ب(برهان الفرجه).

و

فی حدیث آخر: إنّ هشام بن الحکم سأل الإمام الصادق علیه السّلام:ما الدلیل علی أنّ اللّه واحد؟قال:«اتّصال التدبیر،و تمام الصنع،کما قال اللّه عزّ و جلّ:لو کان فیهما آلهه إلاّ اللّه لفسدتا» (2) .

و بعد أن ثبت بالاستدلال الذی ورد فی الآیه توحید مدبّر و مدیر هذا العالم، فتقول الآیه التالیه:إنّه قد نظّم العالم بحکمه لا مجال فیها للإشکال و الانتقاص و لا أحد یعترض علیه فی خلقه: لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ .

و بالرغم من أنّ المفسّرین قد تکلّموا کثیرا حول تفسیر هذه الآیه،إلاّ أنّ ما ذکرناه أعلاه یبدو هو الأقرب.

و توضیح ذلک:أنّ لدینا نوعین من الأسئله:

الأوّل:السؤال التوضیحی،و هو أن یکون الإنسان جاهلا ببعض المسائل،

۱- ۱) -التوحید،«للصدوق»کما ورد فی تفسیر نور الثقلین،الجزء ۳،ص ۴۱۷-۴۱۸.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و يرغب فى أن يدرك حقيقتها،و حتى إذا علم و آمن بأنّ هذا العمل الذى تمّ كان صحيحا،فإنّه يريد أن يعلم النقطه الأصليّه و الهدف الحقيقى منه،و مثل هذا السؤال جائز حتّى حول أفعال اللّه،بل إنّ هذا السؤال يعتبر أساس و مصدر الفحص و التحقيق فى عالم المخلقه و المسائل العلميّه،و قد كان لأصحاب النّبى و الأئمّه كثير من هذه الأسئله سواء فيما يتعلّق بعالم التكوين أو التشريع.

أمّا النوع الثّانى:فهو السؤال الاعتراضى،و الذى يعنى أنّ العمل الذى تمّ كان خطأ،كأن ينقض إنسان عهده بلا سبب،فنقول:لماذا نقضت عهدك؟فليس الهدف طلب التوضيح،بل الهدف الاعتراض و التخطئه.

من المسلّم أنّ هذا النوع من السؤال لا معنى له حول أفعال اللّه الحكيم،و إذا ما اعترض أحد أحيانا فلجهله،إلاّ أنّ مجال هذا السؤال حول أفعال الآخرين واسع.

و

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام فى جواب سؤال جابر الجعفرى عن هذه الآيه أنّه قال: «لأنّه لا يفعل إلاّ ما كان حكمه و صوابا» (1) .

و يمكن أن تستخلص نتيجه من هذا الكلام،و هى:إنّ أحدا إذا سأل سؤالا من النوع الثّانى،فهو دليل على أنّه لم يعرف اللّه معرفه صحيحه لحدّ الآن،و هو جاهل بكونه حكيما.

و تشتمل الآيه التاليه على دليلين آخرين فى مجال نفى الشرك،فمضافا إلى الدليل السابق يصبح مجموعها ثلاثه أدلّه.

تقول الآيه أوّلا: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ و هو إشاره إلى أنّكم إذا صرفتم النظر عن الدليل السابق القائم على أنّ نظام عالم الوجود دليل على التوحيد،فإنّه لا يوجد أى دليل-على الأقل-على إثبات الشرك و الوهيّه

١- ١) -توحيد الصدوق،حسب نقل تفسير نور الثقلين،الجزء ٣،ص ٤١٩.

هـذه الآلهه،فكيف يتقبّل إنسان عاقل مطلبا لا دليل عليه؟ ثمّ تشـير إلى الـدليل الأخير فتقول: هٰذٰا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي و هذا هو الدليل الذى ذكره علماء العقائد تحت عنوان(إجماع و اتّفاق الأنبياء على التوحيد).

و لمّـا كـانت كثره المشـركين(و خـاصّه فى ظرف حيـاه المسـلمين فى مكّه، و التى نزلت فيهـا هـذه السوره)مانعا أحيانا من قبول التوحيد من قبل بعض الأفراد،فهى تضيف: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ .

لقـد كـانت مخـالفه الأكثريه الجـاهله فى كثير من المجتمعات دليل و حجّه لإعراض الغافلين الجاهلين دائما،و قـد انتقـد القرآن الاستناد إلى هذه الأكثريه بشدّه فى كثير من الآيات،سواء التى نزلت فى مكّه أو المدينه،و لم يعرها أيّه أهميّه،بل اعتبر المعيار هو الدليل و المنطق.

و لمّـا كـان من المحتمـل أن يقول بعض الجهله الغـافلين أنّ لـدينا أنبياء كعيسـى مثلا دعوا إلى آلهه متعـدّده،فإنّ القرآن الكريم يقول فى آخر آيه من الآيات محلّ البحث بصراحه تامّه: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدُونِ و بهذا يثبت أنّه لا عيسى و لا غيره قد دعا إلى الشرك،و مثل هذه النسبه إليه تهمه و افتراء.

الآيات [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۲۶ الی ۲۹]

اشاره

وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ (۲۶) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (۲۷) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (۲۸) وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ (۲۹)

التّفسير

اشاره

الملائكه عباد مكرمون مطيعون:

لمّا كان الكلام فى آخر آيه عن الأنبياء،و نفى كلّ أنواع الشرك،و نفى كون المسيح عليه السّلام ولدا،فإنّ كلّ الآيات محلّ البحث تتحدّث حول نفى كون الملائكه أولادا.

و توضيح ذلک أنّ كثيرا من مشركى العرب كانوا يعتقدون أنّ الملائكه بنات اللّه سبحانه،و لهذا السبب كانوا يعبدونها أحيانا،و القرآن الكريم انتقد هذه العقيده الخرافيه التى لا أساس لها،و بيّن بطلانها بالأدلّه المختلفه.

يقول أوّلا: وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً فإن كان مرادهم الولد الحقيقى،فإنّه

يلزم من هـذا الجسـميّه،و إن كان المراد التبنّى-و الـذى كان اعتياديا و متداولا بين العرب-فإنّ ذلك أيضا دليل على الضـعف و الاحتياج،و فوق كلّ ذلك فإنّ الـذى يحتاج إلى الولـد هو الـذى يفنى،و يجب أن يـديم ابنه حياته على المدى البعيد، و كذلك ليبقى نسـله و كيانه و آثاره،أو لإبعاد الإحساس بالوحـده و الحاجه إلى المؤنس،أو ليكتسب القدره و القوّه.إلاّ أنّ الوجود الأزلى الأبدى و غير الجسمانى،و غير المحتاج من جميع الجهات،لا معنى لوجود الولد له.و لذلك فإنّ القرآن يقول مباشره: سُبْحٰانَهُ .

ثمّ تبيّن أوصاف الملائكه فى ستّه أقسام تشكّل بمجموعها دليلا واضحا على نفى كونهم أولادا:

۱-بل عباد.

۲-مكرمون.

فليس هؤلاـء عبادا هاربين خضـعوا للخـدمه تحت ضـغط المولى،بل هم عباد لائقون يعرفون طريق العبوديه و أصولها و يفتخرون بها،و لذلك فإنّ اللّه سبحانه قد أحبّهم، و أفاض عليهم من مواهبه نتيجه لإخلاصهم فى العبوديه.

۳-إنّ هؤلاء على درجه من الأدب و الخضوع و الطاعه للّه بحيث لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ .

۴-و كذلك من ناحيه العمل أيضا فهم مطيعون وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ .

فهل هذه صـفات الأولاد،أم صـفات العبيد؟ ثمّ أشارت إلى إحاطه علم اللّه بهؤلاء فتقول:إنّ اللّه تعالى يعلم أعمالهم الحاضـره و فى المسـتقبل،و كـذلك أعمالهم السالفه،و أيضا يعلم دنياهم و آخرتهم و قبل وجودهم و بعده: يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ (۱) و من المسلّم أنّ

ص :۱۵۱

۱- ۱) -للمفسّرين فى هذه الجمله ثلاثه تفاسير أوردناها معا فى العبارات أعلاه لعدم المنافاه فيما بينها.

الملائکه مطّلعون علی هذا الموضوع،و هو أنّ للّه إحاطه علمیه بهم،و هذا العرفان هو السبب فی أنّهم لا یسبقونه بالقول،و لا یعصون أمره،و لهذا فإنّ هذه الجمله یمکن أن تکون بمثابه تعلیل للآیه السابقه.

۵-و لا شکّ أنّ هؤلاء الذین هم عباد اللّه المکرمون المحترمون یشفعون للمحتاجین،لکن ینبغی الالتفات إلی أنّ هؤلاء وَ لا یَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضی و من المسلّم أنّ رضی اللّه و إذنه فی الشفاعه لا یمکن أن یکون أی منهما اعتباطیا، بل لا بدّ أن یکون من أجل الإیمان الحقیقی،أو الأعمال التی تحفظ علاقه الإنسان باللّه.

و بتعبیر آخر،فإنّ من الممکن أن یتلوّث الإنسان بالمعصیه،إلاّ أنّه إذا لم یقطع علاقته باللّه و أولیائه تماما،فإنّ الشفاعه تؤمّل فی حقّه.أمّا إذا قطع علاقته تماما من ناحیه الاتّجاه الفکری و العقائدی،أو أنّه غرق فی المعاصی و الانحراف من الناحیه العملیه،إلی الحدّ الذی یفقد معه لیاقه الشفاعه أو استحقاقها،ففی هذه الحال سوف لا یشفع له أی نبی مرسل أو ملک مقرّب.

إنّ هذا هو نفس المطلب الذی أوردناه فی بحث فلسفه الشفاعه ضمن البحوث السابقه،بأنّ الشفاعه هی طریق لتهذیب الإنسان،و وسیله لإرجاع المذنبین إلی الصراط المستقیم،و المنع من الیأس أو القنوط،و الذی هو بنفسه عامل للانزلاق و الغرق فی الانحراف و المعصیه.

إنّ الإیمان بمثل هذه الشفاعه یبعث علی بقاء ارتباط المذنبین باللّه و رسله و الأئمّه،و لا یهدموا کلّ الجسور خلفهم،و یحفظوا خطّ الرجعه (۱) .

ثمّ إنّ هذه الجمله تجیب ضمنا أولئک الذین یقولون:إنّنا نعبد الملائکه لتشفع لنا عند اللّه،فیقول القرآن لهم:إنّ هؤلاء لا یقدرون علی فعل شیء من تلقاء

۱- ۱) -بحثنا فی مجال الشفاعه بصوره مفصّله فی ذیل الآیتین(۴۸ و ۲۵۴)من سوره البقره فراجع.

أنفسهم،و كلّ ما تريدونه يجب أن تطلبوه من اللّه مباشره،و حتّى إذن شفاعه الشافعين.

۶-و نتيجه لهذه المعرفه و الوعى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ فهم لا يخشون من أن يكونوا قد أذنبوا،بل يخافون من التقصير فى العباده أو ترك الأولى.

و من بديع اللغه العربيه،أنّ«الخشيه»من ناحيه الأصل اللغوى لا تعنى كلّ خوف، بل الخوف المقترن بالتعظيم و الاحترام.

و كلمه«مشفق»من مادّه الإشفاق،بمعنى التوجّه الممتزج بالخوف،لأنّها فى الأصل مأخوذه من الشفق،و هو الضياء الممتزج بالظلمه.

فبناء على هذا،فإنّ خوف الملائكه ليس كخوف الإنسان من حادثه مرعبه مخيفه،و كذلك إشفاقهم فإنّه لا يشبه خوف الإنسان من موجود خطر،بل إنّ خوفهم و إشفاقهم ممزوجان بالاحترام،و العنايه و التوجّه،و المعرفه و الإحساس بالمسؤوليه (۱) .

من الواضح أنّ الملائكه مع هذه الصفات البارزه و الممتازه،و مقام العبوديه الخالصه لا يدّعون الالوهيه مطلقا،أمّا إذا فرضنا ذلك وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّی إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِکَ نَجْزِیهِ جَهَنَّمَ إنّ ادّعاء الالوهيه فى الحقيقه مصداق واضح على ظلم النفس و المجتمع، و يندرج فى القانون العامّ کَذٰلِکَ نَجْزِی الظّٰالِمِینَ .

ص :۱۵۳

۱- ۱) -مفردات الراغب مادّه خشيه و شفق،و تفسير الصافى ذيل الآيات مورد البحث.

الآيات [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۳۰ الی ۳۳]

اشاره

أَ وَ لَمْ يَرَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ اَلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلاَ يُؤْمِنُونَ (۳۰) وَ جَعَلْنَا فِي اَلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (۳۱) وَ جَعَلْنَا اَلسَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (۳۲ وَ هُوَ اَلَّذِي خَلَقَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهَارَ وَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (۳۳)

التّفسير

اشاره

علامات أخرى للّه فی عالم الوجود:

تعقيبا على البحوث السابقه حول عقائد المشركين الخرافيه،و الأدلّه التی ذكرت على التوحيد،فإنّ فی هذه الآيات سلسله من براهين اللّه فی عالم الوجود، و تدبيره المنظّم،و تأكيدا على هذه البحوث تقول أوّلا: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلاَ يُؤْمِنُونَ .

لقد ذكر المفسّرون أقوالا كثيره فيما هو المراد من«الرتق»و«الفتق»

ص: ۱۵۴

المذكورين هنا فی شأن السماوات و الأرض؟و يبدو أنّ الأقرب من بينها ثلاثه تفاسير،و يحتمل أن تكون جميعا داخله فی مفهوم الآيه (۱) .

۱-إنّ رتق السّماء و الأرض إشاره إلی بدايه الخلقه،حيث يری العلماء أنّ كلّ هذا العالم كان كتله واحده عظيمه من البخار المحترق،و تجزّأ تدريجيّا نتيجه الإنفجارات الداخليه و الحركه،فتولّدت الكواكب و النجوم،و من جملتها المنظومه الشمسيه و الكره الأرضيه،و لا يزال العالم فی توسّع دائب.

۲-المراد من الرتق هو كون مواد العالم متّحده،بحيث تداخلت فيما بينها و كانت تبدو و كأنّها مادّه واحده،إلاّ أنّها انفصلت عن بعضها بمرور الزمان، فأوجدت تركيبات جديده،و ظهرت أنواع مختلفه من النباتات و الحيوانات و الموجودات الأخری فی السّماء و الأرض،موجودات كلّ منها نظام خاص و آثار و خواص تختص بها،و كلّ منها آيه علی عظمه اللّه و علمه و قدرته غير المتناهيه (۲) .

۳-إنّ المراد من رتق السّماء هو أنّها لم تكن تمطر فی البدايه،و المراد من رتق الأرض أنّها لم تكن تنبت النبات فی ذلك الزمان،إلاّ أنّ اللّه سبحانه فتق الإثنين،فأنزل من السّماء المطر،و أخرج من الأرض أنواع النباتات.و الرّوايات المتعدّده الوارده عن طرق أهل البيت عليهم السّلام تشير إلی المعنی الأخير،و بعضها يشير إلی التّفسير الأوّل (۳) .

لا شكّ أنّ التّفسير الأخير شیء يمكن رؤيته بالعين،و كيف أنّ المطر ينزل من السّماء،و كيف تنفتق الأرض و تنمو النباتات،و هو يناسب تماما قوله تعالی: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا و كذلك ينسجم و قوله تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .

۱- ۱) -الفخر الرازی،فی التّفسير الكبير،و بعض المفسّرين الآخرين.

۲- ۲) -الميزان،ذيل الآيه.

۳- ۳) -يراجع تفسير الصافی،و نور الثقلين،ذيل الآيه مورد البحث.

إلاّـ أنّ التّفسيرين الأوّل و الثّانى أيضا لا يخالفان المعنى الواسع لهذه الآيه، لأنّ الرؤيه تأتى أحيانا بمعنى العلم.صحيح أنّ هذا العلم و الوعى ليس للجميع،بل إنّ العلماء وحدهم الذين يستطيعون أن يكتسبوا العلوم حول ماضى الأرض و السّماء،و اتّصالهما ثمّ انفصالهما،إلاّ أنّنا نعلم أنّ القرآن ليس كتابا مختصا بعصر و زمان معيّن،بل هو مرشد و دليل للبشر فى كلّ القرون و الأعصار.

من هذا يظهر أنّ له محتوى عميقا يستفيد منه كلّ قوم و فى كلّ زمان، و لهذا نعتقد أنّه لا مانع من أن تجتمع للآيه التفاسير الثلاثه،فكلّ فى محلّه كامل و صحيح و قد قلنا مرارا:إنّ استعمال لفظ واحد فى أكثر من معنى ليس جائزا فحسب،بل قد يكون أحيانا دليلا على كمال الفصاحه،و إنّ ما نقرؤه فى الرّوايات من أنّ للقرآن بطونا مختلفه يمكن أن يكون إشاره إلى هذا المعنى.

و أمّا فيما يتعلّق بإيجاد كلّ الكائنات الحيّه من الماء الذى أشير إليه فى ذيل الآيه،فهناك تفسيران مشهوران:

أحدهما:إنّ حياه كلّ الكائنات الحيّه-سواء كانت النباتات أم الحيوانات- ترتبط بالماء،هذا الماء الذى كان مبدؤه-المطر الذى نزل من السّماء.

و الآخر:إنّ الماء هنا إشاره إلى النطفه التى تتولّد منها الكائنات الحيّه عاده.

و ما يلفت النظر أنّ علماء عصرنا الحديث يعتقدون أنّ أوّل انبثاقه للحياه وجدت فى أعمال البحار،و ذلك يرون أنّ بدايه الحياه من الماء.و إذا كان القرآن يعتبر خلق الإنسان من التراب،فيجب أن لا ننسى أنّ المراد من التراب هو الطين المركّب من الماء و التراب.

و الجدير بالذكر أيضا أنّه طبقا لتحقيقات العلماء،فإنّ الماء يشكّل الجزء الأكبر من بدن الإنسان و كثير من الحيوانات،و هو فى حدود ٧٠٪!و ما يورده البعض من أنّ خلق الملائكه و الجنّ ليس من الماء،مع أنّهما كائنات حيّه،فجوابه واضح،لأنّ المراد هو الموجودات الحيّه المحسوسه بالنسبه لنا.

و

فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّ رجلا سأله:ما طعم الماء؟فقال الإمام أوّلا:«سل تفقّها و لا تسأل تعنّتا»ثمّ أضاف:«طعم الماء طعم الحياه!قال اللّه سبحانه: وَ جَعَلْنٰا مِنَ الْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .

و خاصه عند ما يصل الإنسان إلى الماء السائغ بعد عطش طويل فى الصيف، و فى ذلك الهواء المحرق،فإنّه حينما تدخل أوّل جرعه ماء إلى جوفه يشعر أنّ الروح قد دبّت فى بدنه،و فى الواقع أراد الإمام أن يجسّد الارتباط و العلاقه بين الحياه و الماء بهذا التعبير الجميل.

و أشارت الآيه التاليه إلى جانب آخر من آيات التوحيد و نعم اللّه الكبيره، فقالت: وَ جَعَلْنٰا فِي الْأَرْضِ رَوٰاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ (١) و قلنا فيما مضى:إنّ الجبال كالدرع الذى يحمى الأرض،و هذا هو الذى يمنع-إلى حدّ كبير-من الزلازل الأرضيّه الشديده التى تحدث نتيجه ضغط الغازات الداخليه.إضافه إلى أنّ وضع الجبال هذا يقلّل من حركات القشره الأرضيّه أمام ظاهره المدّ و الجزر الناشئه بواسطه القمر إلى الحدّ الأدنى.

و من جهه أخرى فلو لا الجبال،فإنّ سطح الأرض سيكون معرّضا للرياح القويّه دائما،و سوف لا تستقرّ على حال أبدا،كما هى حال الصحارى المقفره المحرقه.

ثمّ أشارت الآيه إلى نعمه أخرى،و هى أيضا من آيات عظمه اللّه،فقالت:

وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا فِجٰاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

.

و لو لم تكن هذه الوديان و الفجاج،فإنّ سلاسل الجبال العظيمه الموجوده فى المناطق المختلفه من الأرض كانت ستنفصل بعضها عن بعض بحيث ينفصل

---

١ - ١) -«رواسى»جمع راسيه أى الجبال الثابته،و لمّا كانت هذه الجبال تتّصل جذورها،فيمكن أن تكون إشاره إلى هذا الارتباط،و قد ثبت من الناحيه العلميه أن لاتصال أصول الجبال أثر عميق فى منع الزلازل الأرضيه.«و تميد»من الميد،و هو الهزّه و الحركه غير الموزونه للأشياء الكبيره.

ارتباطها تماما،و هذا یدلّ انّ هذه الظواهر الکونیّه کلّها وفق حساب دقیق.

و لمّا کان استقرار الأرض لا یکفی لوحده لاستقرار حیاه الإنسان،بل یجب أن یکون آمنا ممّا فوقه،فإنّ الآیه التالیه تضیف: وَ جَعَلْنَا السَّمٰاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آیٰاتِهٰا مُعْرِضُونَ .

المراد من السّماء هنا-کما قلنا سابقا-هو الجوّ الذی یحیط بالأرض دائما، و تبلغ ضخامته مئات الکیلومترات کما توصّل إلیه العلماء و هذه الطبقه رقیقه ظاهرا،و تتکوّن من الهواء و الغازات،و هی محکمه و منیعه إلی الحدّ الذی لا ینفذ جسم من خارجها إلی الأرض إلاّ و یفنی و یتحطّم،فهی تحفظ الکره الأرضیه من سقوط الشهب و النیازک«لیل نهار»التی تعتبر أشدّ خطرا حتّی من القذائف العسکریه.

إضافه إلی أنّ هذا الغلاف الجوی یقوم بتصفیه أشعّه الشمس التی تحتوی علی أشعّه قاتله و تمنع من نفوذ تلک الأشعه الکونیه القاتله.

أجل،إنّ هذه السّماء سقف متین منیع حفظه اللّه من الهدم و السقوط (۱) .

و تطرّقت الآیه الأخیره إلی خلق اللیل و النهار و الشمس و القمر،فقالت:

وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ وَ النَّهٰارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ

.

بحثان

اشاره

۱-تفسیر قوله تعالی: کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ .

اختلف المفسّرون فی تفسیر هذه الآیه،أمّا ما یناسب تحقیقات علماء الفلک

ص :۱۵۸

۱- ۱) -یعتقد بعض المفسّرین أنّ الآیه المذکوره تنسجم و الآیات التی وردت فی القرآن المجید حول حفظ السّماء من صعود الشیاطین بواسطه الشهب،مثل وَ حِفْظاً مِنْ کُلِّ شَیْطٰانٍ مٰارِدٍ الصافات،۷. إلاّ أنّ من الواضح أنّ هذا التّفسیر لا یناسب کلمه«سقف»،لأنّ السقف غطاء لمن تحته،لا لمن فوقه.دقّقوا ذلک.

الثابته،فهو أنّ المراد من حركه الشمس فی الآیه إمّا الدوران حول نفسها،أو حرکتها ضمن المنظومه الشمسیّه.

و لا بدّ من الإشاره إلی أنّ کلمه(کل)یمکن أن تکون إشاره إلی الشمس و القمر،و کذلک النجوم،و التی تستفاد من کلمه«اللیل».

و احتمل بعض المفسّرین أن تکون إشاره إلی کلّ من اللیل و النهار و الشمس و القمر،لأنّ«اللیل»-و الذی هو الظّل المخروطی للأرض-له مدار خاص،فإذا نظر إنسان-خارج الکره الأرضیه-من بعید إلیه،فسیری أنّ هذا الظل المخروطی فی حرکه مستمره حول الأرض،و سیری نور الشمس الذی یشعّ علی الأرض و یشکّل فی النهار کالأسطوانه التی تنتقل دائما حول هذه الکره،و بناء علی هذا فإنّ لکلّ من اللیل و النهار مدارا و مکانا خاصا به (۱) .

و یحتمل أیضا أن یکون المراد من حرکه الشمس حرکتها فی إحساسنا،لأنّ کلّا من الشمس و القمر فی دوران مستمر فی نظر الناظرین من أهل الأرض..

۲-السّماء سقف محکم

قلنا فیما مضی:إنّ(السّماء)وردت فی القرآن بمعان مختلفه،فجاءت تاره بمعنی الجو،أیّ الطبقه الضخمه من الهواء(الغلاف الغازی)الذی یحیط بالأرض، کالآیه آنفه الذکر.و لا بأس أن نسمع هنا توضیحا أکثر حول إحکام هذا السقف العظیم من لسان العلماء:

کتب(فرانک ألن)أستاذ الفیزیاء الحیاتیه یقول:إنّ الجو الذی یتکوّن من الغازات التی تحفظ الحیاه علی سطح الأرض ضخم إلی الحدّ الذی یستطیع أن یکون کالدرع الذی یحفظ الأرض من شرّ المجموعه القاتله المتکوّنه من عشرین

۱- ۱) -اقتباس من المیزان،ذیل الآیه.

ملیون شهاب سماوی تسیر بسرعه ۵۰ کیلومتر فی الثّانیه لتتساقط یومیا علی الأرض.

إنّ الغلاف الجوی إضافه إلی فوائده الأخری،فإنّه یحفظ درجه الحراره علی سطح الأرض فی حدود مناسبه تساعد علی الحیاه،و هو ذخیره مهمّه جدّا لنقل الماء و البخار من المحیطات إلی الیابسه،و لو لم یکن کذلک لکانت کلّ القارات صحاری یابسه لا یمکن الحیاه فیها،و علی هذا فیجب القول بأنّ المحیطات و الغلاف الجوّی هی التی تحفظ للأرض توازنها و ثباتها فی مدارها.

إنّ وزن بعض هذه الشهب التی تسقط علی الأرض یبلغ جزءا من ألف من الغرام،إلاّ أنّ قوته نتیجه تلک السرعه الخارقه یعادل قوّه الأجزاء الذریه التی فی القنبله المخرّبه!و قد یکون حجم تلک الشهب بمقدار ذرّه الرمل أحیانا! فی کلّ یوم تحترق ملایین من هذه الشهب قبل وصولها إلی سطح الأرض،أو تتحوّل إلی بخار،إلاّ أنّ حجم و وزن بعض الشهب کبیر إلی حدّ تخترق معه الغلاف الجوی و تصیب سطح الأرض.

و من جمله الشهب التی عبرت الغلاف الغازی و وصلت إلی الأرض،هو الشهاب العظیم المعروف ب(سیبری)،و الذی أصاب الأرض سنه ۱۹۰۸ و کان قطره بشکل أنّه شغل مکانا من الأرض بمقدار(۴۰)کیلومترا تقریبا و سبّب خسائر کبیره.

و الشهاب الآخر الذی سقط فی(أریزونا)فی أمریکا،و الذی کان بقطر کیلومتر واحد و عمق(۲۰۰)متر،أحدث عند سقوطه علی الأرض حفره عمیقه فیها،و تولّدت منه شهب صغیره کثیره نتیجه انفجاره شغلت مساحه کبیره نسبیّا من الأرض.

و یکتب(کرسی موریسن):إنّ الهواء المحیط بالأرض لو کان أقل قلیلا ممّا علیه،فإنّ الأجرام السماویه و الشهب الثاقبه التی ترده بمقدار عدّه ملایین شهاب

فی الیوم،و تتلاشی فی الفضاء الخارجی،فإنّها کانت تصل إلی الأرض دائما و تصیبها.

إنّ هذه الأجرام الفلکیه تتحرّک بسرعه ۶-۴۰ میل فی الثّانیه!و هی تنفجر و تحترق عند اصطدامها بأی شیء،و لو کانت سرعه هذه الأجرام أقل ممّا هی علیه -مثلا بسرعه الطلقه-فإنّها کانت تسقط علی الأرض جمیعا،و یتّضح مقدار تدمیرها فیما لو أنّ إنسانا تعرّض لسقوط أصغر جرم من هذه الأجرام السماویه علیه،فإنّها کانت ستمزّقه إربا إربا و تفنیه لشدّه حرارتها،لأنّها تتحرّک بسرعه تعادل سرعه الطلقه(۹۰)مرّه! إنّ سمک الهواء المحیط بالأرض یبلغ مقدارا یسمح أن یمرّ من خلاله إلی الأرض المقدار اللازم من الأشعّه الکونیه لنمو النباتات،و یقتل کلّ الجراثیم المضرّه فی ذلک الفضاء،و یوجد الفیتامینات المفیده (۱) .

۱- ۱) -من کتاب«سرّ خلق الإنسان»،ص ۳۴-۳۵.

الآيتان [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣۴ الى ٣۵]

اشاره

وَ مٰا جَعَلْنٰا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ اَلْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ اَلْخٰالِدُونَ (٣۴) كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ اَلْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ اَلْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنٰا تُرْجَعُونَ (٣۵)

التّفسير

اشاره

الموت يتربّص بالجميع:

قرأنا فى الآيات السابقه أنّ المشركين قد تشبّثوا بمسأله كون النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بشرا من أجل التشكيك بنبوّته،و كانوا يعتقدون أنّ النّبى يجيب أن يكون ملكا و خاليا من كلّ العوارض البشريّه.

إنّ الآيات-محلّ البحث-أشارت إلى بعض إشكالات هؤلاء،فهم يشيعون تاره أنّ انتفاضه النّبى(و فى نظرهم شاعر)لا دوام لها، و سينتهى بموته كلّ شيء، كما جاء فى الآيه(٣٠)من سوره الطور، أَمْ يَقُولُونَ شٰاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ .

و كانوا يظنّون تاره أخرى أنّ هذا الرجل لمّا كان يعتقد أنّه خاتم النبيّين، فيجب أن لا يموت أبدا ليحفظ دينه،و بناء على هذا فإنّ موته فى المستقبل

ص:١۶٢

سيكون دليلا على بطلان ادّعائه.فيجيبهم القرآن فى أوّل آيه بجمله قصيره فيقول:

وَ مٰا جَعَلْنٰا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِکَ الْخُلْدَ

.

إنّ قانون الخلقه هذا لا يقبل التغيير،أى أنّه لا يكتب لأحد الخلود،و إذا كان هؤلاء يفرحون بموتك: أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخٰالِدُونَ .

ربّما لا نحتاج إلى توضيح أنّ بقاء الشريعه و الدين لا يحتاج إلى بقاء الرسول.فإنّ شرائع إبراهيم و موسى و عيسى عليه السّلام و إن لم تكن خالده،إلاّ أنّها بقيت بعد وفاه هؤلاء الأنبياء العظام(و بالنسبه لعيسى فإنّ شريعته استمرت بعد صعوده إلى السّماء)لقرون طويله.و بناء على هذا فإنّ خلود المذهب لا يحتاج إلى حراسه النّبى الدائمه له،فمن الممكن أن يستمر خلفاؤه فى إقامه دينه و السير على خطاه.

و أمّا ما تصوّره أولئك من أنّ كلّ شىء سينتهى بموت النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فإنّهم أخطأوا فى ظنّهم،لأنّ هذا الكلام يصحّ فى المسائل التى تقوم بالشخص.

و الإسلام لم يكن قائما بالنّبى و لا بأصحابه.فقد كان دينا حيّا-ينطلق متقدّما بحركه الذاتيه الداخليه و يخترق حدود الزمان و المكان و يواصل طريقه! ثمّ يذكر قانون الموت العامّ الذى يصيب كلّ النفوس بدون استثناء فيقول:

كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ الْمَوْتِ

.

و يجب أن نذكّر بأنّ لفظه(النفس)قد استعملت فى القرآن بمعان مختلفه،فأوّل معنى للنفس هو الذات،و هذا المعنى واسع يطلق حتّى على ذات اللّه المقدّسه،كما نقرأ: كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (١) .

ثمّ استعملت هذه الكلمه فى الإنسان،أى مجموع جسمه و روحه،مثل:

مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسٰادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمٰا قَتَلَ النّٰاسَ جَمِيعاً

(٢)

.

ص:١٦٣

١- ١) -الأنعام،١٢.

۲- ۲) -المائده،۳۲

و استعملت أحيانا فی خصوص روح الإنسان کما فی أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ (۱) .

و من الواضح أنّ المراد من النفس فی الآیات التی نبحثها هو المعنی الثّانی، و بناء علی هذا فإنّ المراد هو بیان قانون الموت العام فی حقّ البشر،و بذلک لا یبقی مجال للإشکال علی الآیه بأنّ التعبیر بالنفس یشمل اللّه أو الملائکه أیضا فکیف نخصّص الآیه و نخرج اللّه و الملائکه منها؟ (۲) .

و بعد ذکر قانون الموت الکلّی یطرح هذا السؤال،و هو:ما هو الهدف من هذه الحیاه الزائله؟و أی فائده منها؟ فیقول القرآن حول هذا الکلام: وَ نَبْلُوکُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَیْرِ فِتْنَهً وَ إِلَیْنا تُرْجَعُونَ أی إنّ مکانکم الأصلی لیس هو هذه الدنیا،بل هو مکان آخر، و إنّما تأتون هنا لتؤدّوا الاختبار و«الامتحان»،و بعد اکتسابکم التکامل اللازم سترجعون إلی مکانکم الأصلی و هو الدار الآخره.

و ممّا یسترعی النظر أنّ«الشرّ»مقدّم علی«الخیر»من بین المواد الامتحانیه، و ینبغی أن یکون کذلک،لأنّ الامتحان الإلهی و إن کان تاره بالنعمه و أخری بالبلاء،إلاّ أنّ من المسلّم أنّ الامتحان بالبلاء أشدّ و أصعب.

و أمّا«الشرّ»فإنّه لا یعنی مطلق الشرّ،لأنّ الفرض أنّ هذا الشرّ عباره عن وسیله للاختبار و التکامل،و بناء علی هذا فإنّ المراد هو الشرّ النسبی،و أساسا لا یوجد شرّ مطلق فی مجموع عالم الوجود بالنظره التوحیدیّه الصحیحه! و لذلک نقرأ

فی حدیث أنّ أمیر المؤمنین علیا علیه السّلام مرض یوما فجاء جمع من أصحابه لعیادته،فقالوا:کیف نجدک یا أمیر المؤمنین؟قال:«بشرّ»!قالوا:ما هذا کلام مثلک؟!قال:«إنّ اللّه تعالی یقول:و نبلوکم بالشرّ و الخیر فتنه،فالخیر الصحّه و الغنی،و الشرّ المرض و الفقر».

ص:۱۶۴

۱- ۱) -الأنعام،۹۳.

۲- ۲) -المیزان،الجزء ۱۴،ص ۳۱۲.

و يبقى هنـا سؤال مهمّ،و هو:لمـاذا يختبر اللّه عبـاده؟و مـاذا يعنى الاختبـار من قبـل اللّه؟و قـد ذكرنـا جواب هـذا السؤال فى ذيل الآيه(۱۵۵)من سوره البقره، و قلنا:إنّ الامتحان من اللّه تعالى لعباده يعنى تربيتهم.طالعوا التّفصيل الكامل لهذا الموضوع هناك.

ص: ۱۶۵

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

اشاره

وَ إِذٰا رَآکَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلاّٰ هُزُواً أَ هٰذَا اَلَّذِی یَذْکُرُ آلِهَتَکُمْ وَ هُمْ بِذِکْرِ اَلرَّحْمٰنِ هُمْ کٰافِرُونَ (٣۶) خُلِقَ اَلْإِنْسٰانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِیکُمْ آیٰاتِی فَلاٰ تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَ یَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا اَلْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (٣٨) لَوْ یَعْلَمُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا حِینَ لاٰ یَکُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ اَلنّٰارَ وَ لاٰ عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ لاٰ هُمْ یُنْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِیهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاٰ یَسْتَطِیعُونَ رَدَّهٰا وَ لاٰ هُمْ یُنْظَرُونَ (۴٠)

التّفسير

اشاره

خلق الإنسان من عجل!

نواجه فی هذه الآیات مرّه أخری،بحوثا أخری حول موقف المشرکین من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم،حیث یتّضح نمط تفکیرهم المنحرف فی المسائل الأصولیه، فتقول أوّلا: وَ إِذٰا رَآکَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلاّٰ هُزُواً فهؤلاء لا عمل لهم إلاّ السخریه و الاستهزاء،و یشیرون إلیک بعدم اکتراث و یقولون: أَ هٰذَا الَّذِی یَذْکُرُ

آلِهَتَكُمْ (۱) وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كٰافِرُونَ

.

ممّا يثير العجب هو إنّه لو ازدرى أحد هذه الأصنام الخشبيه و الحجريه(و ما هو بمزدر لها،بل يفصح عن حقيقتها)فيقول:إنّ هذه موجودات لا روح فيها و لا شعور و لا قيمه لها،لتعجبوا منه،أمّا إذا جحد أحدهم ربّه الرحمن الرحيم الذى عمّت آثار رحمته و عظمته الأرض و السّماء و ما من شيء إلاّ و فيه دليل على عظمته و رحمته،لما أثار إعجابهم!! نعم،إنّ الإنسان إذا إعتاد أمرا و تطبّع عليه و تعصّب له فإنّه سيتقدّس فى نظره و إن كان أسوء الأمور،و إذا عادى شيئا فسيبدو سيّئا فى نظره تدريجيّا و إن كان أجمل الأمور و أحبّها.

ثمّ تشير إلى أمر آخر من الأمور القبيحه لدى هذا الإنسان المتحلّل،فتقول:

خُلِقَ الْإِنْسٰانُ مِنْ عَجَلٍ

.و بالرغم من اختلاف المفسّرين فى تفسير كلمتى (إنسان)و(عجل)،و لكن من المعلوم أنّ المراد من الإنسان هنا نوع الإنسان-طبعا الإنسان المتحلّل و الخارج عن هدايه القاده الإلهيين و حكومتهم-و المراد من«عجل»هى العجله و التعجيل،كما تشهد الآيات التاليه على هذا المعنى،و كما نقرأ فى مكان آخر من القرآن: وَ كٰانَ الْإِنْسٰانُ عَجُولاً (۲) .

إنّ تعبير خُلِقَ الْإِنْسٰانُ مِنْ عَجَلٍ فى الحقيقه نوع من التأكيد،أى إنّ الإنسان عجول إلى درجه كأنّه خلق من العجله،و تشكّلت أنسجته و وجوده منها!و فى الواقع،فإنّ كثيرا من البشر العاديين هم على هذه الشاكله،فهم عجولون فى الخير و فى الشرّ،و حتّى حين يقال لهم:إذا ارتكبتم المعاصى و كفرتم سيأخذكم العذاب الإلهى،فإنّهم يقولون:فلما ذا لا يأتى هذا العذاب أسرع؟!

ص: ۱۶۷

۱- ۱) -العجيب هنا أنّ هؤلاء كانوا يقولون أَ هٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ و لم يرضوا أن يذكروا فى عبارتهم كلمه(سوء)فيقولون: يذكر آلهتكم بسوء!

۲- ۲) -الإسراء،۱۱.

و تضيف الآيه فى النهايه: سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ .

التعبير ب(آياتى)هنا يمكن أن يكون إشاره إلى آيات العذاب و علاماته و البلاء الذى كان يهدّد به النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم مخالفيه،و لكن هؤلاء الحمقى كانوا يقولون مرارا:فأين تلك الابتلاءات و المصائب التى تخوّفنا بها؟فالقرآن الكريم يقول:

لا تعجلوا فلا يمضى زمن طويل حتّى تحيط بكم.

و قد يكون إشاره إلى المعجزات التى تؤيّد صدق نبى الإسلام صلى اللّه عليه و آله و سلم، أى أنّكم لو صبرتم قليلا فستظهر لكم معجزات كافيه.

و لا منافاه بين هذين التّفسيرين،لأنّ المشركين كانوا عجولين فى كليهما، و قد أراهم اللّه كليهما،و إن كان التّفسير بالأوّل يبدو هو الأقرب و الأنسب مع الآيات التاليه.

ثمّ يشير القرآن إلى إحدى مطالب أولئك المستعجلين فيقول: وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ فهؤلاء كانوا ينتظرون قيام القيامه بفارغ الصبر،و هم غافلون عن أنّ قيام القيامه يعنى تعاستهم و شقاءهم المرير،و لكن ماذا يمكن فعله؟فإنّ الإنسان العجول يعجّل حتّى فى قضيّه تعاسته و فنائه؟ و التعبير ب إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ بصيغه الجمع مع أنّ المخاطب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، من أجل أنّهم أشركوا أنصاره و أتباعه الحقيقيّين فى الخطاب،فكأنّهم أرادوا أن يقولوا:إنّ عدم قيام القيامه دليل على أنّكم كاذبون جميعا.

و تجيبهم الآيه التاليه فتقول: لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاٰ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النّٰارَ وَ لاٰ عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ .

إنّ التعبير ب«الوجوه»و«الظهور»فى الآيه محلّ البحث إشاره إلى أنّ جهنّم ليست نارا تحرقهم من جهه واحده،بل إنّ وجوه هؤلاء و ظهورهم فى النّار، فكأنّهم غرقوا و دفنوا فى وسط النّار! و جمله وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ إشاره إلى أنّ هذه الأصنام التى يظنّون أنّها

ستكون شفيعه لهم و ناصره،لا تقدر على أى شيء.

ممّا يلفت النظر أنّ العقوبه الإلهيّه لا يعيّن وقتها دائما بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاٰ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهٰا و حتّى إذا استمهلوا،و طلبوا التأخير على خلاف ما كانوا يستعجلون به إلى الآن،فلا يجابون وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ .

ملاحظتان

۱-بملاحظه الآيات آنفات الذكر يثار هذا السؤال،و هو:إذا كان الإنسان عجولا بطبيعته،فلما ذا ينهى اللّه-سبحانه عن العجله و يقول: فَلاٰ تَسْتَعْجِلُونِ ؟ أليس هذا تناقضا بين الإثنين؟ و نقول فى الجواب:إنّنا إذا لا حظنا أصل إختيار و حريه إراده الإنسان،و كون صفاته و معنوياته و خصائصه الأخلاقيّه قابله للتغيير،فسيتّضح أن لا تضادّ فى الأمر،حيث يمكن تغيير هذه الحاله بالتربيه و تزكيه النفس.

۲-جمله بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ قد تشير إلى أنّ عذاب القيامه و عقوباتها تختلف جميعها عن عذاب الدنيا،فنقرأ مثلا حول النّار: نٰارُ اللّٰهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (۱) ، أو نقرأ فى شأن وقود النّار: وَقُودُهَا النّٰاسُ وَ الْحِجٰارَةُ (۲) .

و مثل هذه التعبيرات توحى بأنّ نار جهنّم تأتى على حين غفله فتبهت الناس.

ص: ۱۶۹

۱- ۱) -سوره الهمزه،۷.

۲- ۲) -البقره،۲۴.

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ۴١ الی ۴۵]

اشاره

وَ لَقَدِ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحٰاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۴١) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ اَلنَّهٰارِ مِنَ اَلرَّحْمٰنِ
بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (۴٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنٰا لاٰ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَ لاٰ هُمْ مِنّٰا يُصْحَبُونَ (۴٣) بَلْ مَتَّعْنٰا
هٰؤُلاٰءِ وَ آبٰاءَهُمْ حَتّٰى طٰالَ عَلَيْهِمُ اَلْعُمُرُ أَ فَلاٰ يَرَوْنَ أَنّٰا نَأْتِي اَلْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا أَ فَهُمُ اَلْغٰالِبُونَ (۴۴) قُلْ إِنَّمٰا أُنْذِرُكُمْ
بِالْوَحْيِ وَ لاٰ يَسْمَعُ اَلصُّمُّ اَلدُّعٰاءَ إِذٰا مٰا يُنْذَرُونَ (۴۵)

التّفسير

لا حظنا فی الآيات السابقه أنّ المشركين و الكفّار كانوا يستهزءون برسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلم،و هذا دأب كلّ الجهّال المغرورين،إنّهم يأخذون الحقائق المهمّه الجديّه مأخذ الهزل و الاستهزاء.

فتقول الآيه الأولی تسليه للنّبی:لست الوحيد الذی يستهزأ به وَ لَقَدِ

ص: ۱۷۰

اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ

و لکن فی النهایه نزل بهم العذاب الذی کانوا یستهزؤن به فَحٰاقَ بِالَّذِینَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مٰا کٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ و بناء علی هذا فلا تدع للغمّ و الحزن إلی نفسک طریقا،و ینبغی أن لا تترک مثل أعمال الجاهلین هذه أدنی أثر فی روحک الکبیره،أو تخلّ بإرادتک الحدیدیّه الصلبه.

و تقول الآیه التالیه:قل لهم إنّ أحدا لا یدافع عنکم أمام عذاب اللّه فی القیامه، بل و فی هذه الدنیا: قُلْ مَنْ یَکْلَؤُکُمْ بِاللَّیْلِ وَ النَّهٰارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ أی من عذابه، فلو أنّ اللّه سبحانه لم یجعل السّماء-أی الجوّ المحیط بالأرض سقفا محفوظا کما مرّ فی الآیات السابقه-لکان هذا وحده کافیا أن تتهاوی النیازک و تمطرکم الأجرام السماویه بأحجارها لیل نهار.

إنّ اللّه الرحمن قد أولاکم من محبّته أن جعل جنودا متعدّدین لحفظکم و حراستکم،بحیث لو غفلوا عنکم لحظه واحده لصبّ علیکم سیل البلاء.

ممّا یستحقّ الانتباه أنّ کلمه«الرحمن»قد استعملت مکان(اللّه)فی هذه الآیه،أی انظروا إلی أنفسکم کم اقترفتم من الذنوب حتّی أغضبتم اللّه الذی هو مصدر الرحمه العامّه؟! ثمّ تضیف: بَلْ هُمْ عَنْ ذِکْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ فلا هم یصغون إلی مواعظ الأنبیاء و نصحهم،و لا تهزّ قلوبهم نعم اللّه و ذکره،و لا یستعملون عقولهم لحظه فی هذا السبیل.

ثمّ یسأل القرآن الکریم:أی شیء یعتمد علیه هؤلاء الکافرین الظالمین و المجرمین فی مقابل العقوبات الإلهیّه؟ أَمْ لَهُمْ آلِهَهٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنٰا لاٰ یَسْتَطِیعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَ لاٰ هُمْ مِنّٰا یُصْحَبُونَ (1) فهذه الأصنام لا تستطیع أن تنقذ نفسها من

1- 1) -«یصحبون»من باب الأفعال،و فی الأصل یعنی أن یجعلوا شیئا تحت تصرّفهم بعنوان المساعده و الحمایه،و هو هنا یعنی أنّ هذه الأصنام لا تملک الدفاع ذاتیا،و لا وضعت تحت تصرفها مثل هذه القوّه من قبل اللّه تعالی،و نحن نعلم أنّ أیّه قوّه دفاعیه فی عالم الوجود إمّا أن تنبع من ذات الشیء،أو تمنح له من قبل اللّه تعالی.أی أنّها إمّا ذاتیه أو عرضیه.

العذاب،و لا تكون مصحوبه بتأييدنا و رحمتنا.

ثمّ أشارت الآيه التاليه إلى أحد علل تمرّد و عصيان الكافرين المهمّه،فتقول:

بَلْ مَتَّعْنا هٰؤُلاٰءِ وَ آبٰاءَهُمْ حَتّٰى طٰالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ

إلاّـ أنّ هـذا العمر الطويـل و النعـم الـوفيره بـدل أن تحرّك فيهم حسّ الشـكر و الحمـد،و يطـأطئوا رؤوسـهم لعبـوديه اللّه، فـإنّها أصبحت سبب غرورهم و طغيانهم.

و لكن ألاـ يرى هؤلاـء أنّ هـذا العـالم و نعمه زائله؟ أَ فَلاٰ يَرَوْنَ أَنّٰا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا ؟فإنّ الأقوام و القبائل تأتى الواحـده تلو الاخرى و تـذهب، و ليس للأفراد الصـغار و الكبار عمر خالـد،و الجميع سيصـيبهم الفناء،و الأقوام الذين كانوا أشـدّ منهم و أقوى و أكثر تمرّدا و عصيانا أودعوا تحت التراب،و فى ظلام القبور،و حتّى العلماء و العظماء الذين كان بهم قوام الأرض قـد أغمضوا أعينهم و ودّعوا الـدنيا!و مع هـذا الحال أَ فَهُمُ الْغٰالِبُونَ ؟ و قد اختلف المفسّـرون فى المراد من جمله أَنّٰا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا :

۱-فقال بعضـهم:إنّ المراد هو أنّ اللّه ينقص تدريجيّا من أراضـى المشـركين و يضيفها على بلاد المسلمين.إلاّ أنّه بملاحظه كون هذه السوره نزلت فى مكّه، و لم يكن للمسلمين تلك الفتوحات،فإنّ هذا التّفسير يبدو غير مناسب.

۲-و قال بعض آخر:إنّ المقصود هو خراب و انهدام الأراضى بصوره تدريجيّه.

۳-و بعض يعتبرونها إشاره إلى سكّان الأرض.

۴-و ذكر بعض أنّ المراد من أطراف الأرض هو العلماء خاصّه.

إلاّ أنّ الأنسب من كلّ ذلك،أنّ المراد من الأرض هو شـعوب بلـدان العالم المختلفه،و الأقوام و الأفراد الذين يسـيرون نحو ديار العدم بصوره تدريجيّه و دائمه،و يودعون الحياه الدنيا،و بهذا فإنّه ينقص دائما من أطراف الأرض.

ص :۱۷۲

و قد فسّرت هذه الآيه فی بعض الرّوايات التی رويت عن أهل البيت عليهم السّلام بموت العلماء،

فيقول الإمام الصادق عليه السّلام: «نقصانها ذهاب عالمها».

و من المعلوم أنّ هذه الرّوايات-عاده-تبيّن مصاديق واضحه،لا أنّها تحصر مفهوم الآيه فی أفراد معينين.و بهذا فإنّ الآيه تريد أن تبيّن أنّ موت الكبار و العظماء و الأقوام درس و عبره للكافرين المغرورين الجاهلين ليعلموا أنّ محاربه اللّه تعالی لا تنتج سوی الاندحار.

ثمّ تقرّر الآيه حقيقه أنّ وظيفه النّبی صلی اللّه عليه و آله و سلم هی إنذار الناس عن طريق الوحی الإلهی،فتوجّه الخطاب إلی النّبی صلی اللّه عليه و آله و سلم،فتقول: قُلْ إِنَّمٰا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ و إذا لم يؤثّر فی قلوبكم القاسيه،فلا عجب من ذلک،و ليس ذلک دليلا علی نقص الوحی الإلهی،بل السبب هو وَ لاٰ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعٰاءَ إِذٰا مٰا يُنْذَرُونَ .

إنّ الاذن السميعه يلزمها أن تسمع كلام اللّه،أمّا الآذان التی أصمّتها حجب الذنوب و الغفله و الغرور فلا تسمع الحقّ مطلقا.

ص :173

الآيتان [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ۴۶ الی ۴۷]

اشاره

وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذٰابِ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ يٰا وَيْلَنٰا إِنّٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ (۴۶) وَ نَضَعُ اَلْمَوٰازِينَ اَلْقِسْطَ لِيَوْمِ اَلْقِيٰامَهِ فَلاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كٰانَ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنٰا بِهٰا وَ كَفىٰ بِنٰا حٰاسِبِينَ (۴۷)

التّفسير

اشاره

موازين العدل في القيامه:

بعد أن كانت الآيات السابقه تعكس حاله غرور و غفله الأفراد الكافرين، تقول الآيه الأولى أعلاه:إنّ هؤلاء المغرورين لم يذكروا اللّه يوما في الرخاء، و لكن: وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذٰابِ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ يٰا وَيْلَنٰا إِنّٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ .

كلمه(نفحه)تعنى برأى المفسّرين و أرباب اللغه:الشىء القليل،أو النسيم اللطيف،و بالرغم من أنّ هذه الكلمه تستعمل غالبا فى نسمات الرحمه و النعمه غالبا،إلاّ أنّها تستعمل فى مورد العذاب أيضا (١) .

١- ١) -تفسير الفخر الرازى،تفسير فى ظلال القرآن،و مفردات الراغب ذيل الآيه مادّه(نفحه).

و على قول تفسير الكشّاف فإنّ جمله وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَهٌ... تتضمّن ثلاثه تعابير كلّها تشير إلى القلّه:التعبير بالمسّ،و التعبير بالنفحه،من ناحيه اللغه،و من ناحيه الوزن و الصيغه أيضا (۱) .

و الخلاصه:إنّ ما يريد أن يقوله القرآن الكريم هو:إنّ هؤلاء الذين عميت قلوبهم يسمعون كلام النّبى و منطق الوحى سنين طويله،و لا يؤثّر فيهم أدنى تأثير، إلّا أنّهم عند ما تلهب ظهورهم سياط العذاب-و إن كانت خفيفه يسيره- سيصرخون إِنّٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ ألا ينبغى لهؤلاء أن ينتبهوا قبل أن تصيبهم سياط العذاب؟ و لو انتبهوا حينئذ،فما الفائده؟فإنّ هذه اليقظه الاضطراريه لا تنفعهم،و إذا ما هدأت فوره العذاب و اطمأنّوا فإنّهم سيعودون إلى ما كانوا عليه! أمّا الآيه الأخيره التى نبحثها فتشير إلى حساب القيامه الدقيق،و جزائها العادل،ليعلم الكافرون و الظالمون أنّ العذاب على فرض أنّه لم يعمّهم فى هذه الدنيا،فإنّ عذاب الآخره حتمى،و سيحاسبون على جميع أعمالهم بدقّه،فتقول:

وَ نَضَعُ الْمَوٰازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيٰامَهِ

.

«القسط»يعنى أحيانا عدم التبعيض،و أحيانا يأتى بمعنى العداله بصوره مطلقه،و ما يناسب المقام هو المعنى الثّانى.

و ممّا يلفت النظر أنّ«القسط»هنا ذكر كصفه للموازين، و هذه الموازين دقيقه و منظّمه إلى الحدّ الذى تبدو و كأنّها عين العداله . (۲)

و لهذا تضيف مباشره: فَلاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً فلا ينقص من ثواب المحسنين شيء،و لا يضاف إلى عقاب المسيئين شيء.

إلّا أنّ نفى الظلم و الجور هذا لا يعنى عدم الدقّه فى الحساب،بل

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -مع أن«موازين»جمع،و«قسط»مفرد،إلا أن(القسط)مصدر،و المصدر لا يجمع،فليس هنا إشكال.

وَ إِنْ كٰانَ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنٰا بِهٰا وَ كَفىٰ بِنٰا حٰاسِبِينَ

.

«الخردل»نبات له حبّه صغيره جدّا يضرب المثل بها فى الصغر و الحقاره.

و جاء نظير هذا التعبير فى موضع آخر من القرآن بتعبير مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ (۱) .

و ممّا يستحقّ الانتباه أنّه قد عبّر فى ستّ مواضع من القرآن ب مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ و فى موضعين ب مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ .و فى الحقيقه فإنّ الآيه آنفه الذكر مع التعابير الست المختلفه تأكيد على مسأله المحاسبه الدقيقه فى يوم القيامه.

إنّ كلمه«موازين»،و بصيغه الجمع،و بعدها ذكر وصف«القسط»،و بعده التأكيد على نفى الظلم فَلاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً و بعد ذلك ذكر كلمه«شيئا» ثمّ التمثيل بحبّه الخردل،و أخيرا جمله وَ كَفىٰ بِنٰا حٰاسِبِينَ كلّ هذه أدلّه على أنّ حساب يوم القيامه دقيق جدّا،و خال من أى نوع من الظلم و الجور.

أمّا ما المراد من الموازين؟ بعض المفسّرين ظنّوا أنّ هناك موازين كموازين هذه الدنيا تنصب،ثمّ فرضوا بعد ذلك أنّ لأعمال الإنسان هناك و زنا و ثقلا ليمكن وزنها بتلك الموازين.

إلاّ أنّ الصحيح هو أنّ الميزان هنا يعنى وسيله قياس الوزن،و من المعلوم أنّ لكلّ شيء مقياس وزن متناسب معه،كميزان الحراره،و ميزان الهواء،و الموازين الاخرى الذى يتناسب كلّ منها مع الموضوع الذى يريدون قياسه بها.

و نقرأ فى الرّوايات الإسلاميه أنّ موازين الحساب فى القيامه هم الأنبياء و الأئمّه و الصالحون الذين لا توجد نقطه سوداء فى صحيفه أعمالهم (۲) .فنقرأ:

«السلام على ميزان الأعمال»!و تجد التوضيح و التفصيل بصوره أوسع حول هذا الموضوع ذيل الآيه(۸)من سوره الأعراف.

إنّ ذكر الموازين بصيغه الجمع لعلّه إشاره إلى هذا المعنى أيضا،لأنّ رجال

۱- ۱) -الزلزال،۷.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۷،ص ۲۵۲.

الحقّ كـلّ منهم ميزان لأعمـال البشـر،فمضافـا إلى أنّ جميعهم ممتازون،فإنّ لكلّ منهم امتيازا خاصّا بحيث يعتبر فى تلك المرتبه مقياسا و مثلا. و بتعبير آخر:فإنّ كلّ من يشـبه هؤلاء إلى حدّ ما،و تنسـجم صـفاته و أعماله و صـفات و أعمال العظماء، فإنّ وزنه سيثقل بذلك المقدار،و كلّما ابتعدت و اختلفت فسيخفّ وزنه.

ص :۱۷۷

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ۴٨ الى ۵٠]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسىٰ وَ هارُونَ اَلْفُرْقانَ وَ ضِياءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ (۴٨) اَلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ اَلسّاعَةِ مُشْفِقُونَ (۴٩) وَ هٰذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (۵٠)

التّفسير

اشاره

لمحه من قصص الأنبياء:

ذكرت هـذه الآيـات و مـا بعـدها جوانب من حياه الأنبياء المشـفوعه بأمور تربويه بالغه الأثر،و توضّح البحوث السابقه حول نبوّه الرّسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و مواجهته المخالفين بصوره أجلى مع ملاحظه الأصول المشتركه الحاكمه عليها.

تقول الآيه الأولى: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسىٰ وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِياءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ .

«الفرقان»يعنى فى الأصل الشـىء الذى يميّز الحقّ عن الباطل،و هو وسـيله لمعرفه الإثنين.و قد ذكروا هنا تفاسير متعدّده فى المراد من الفرقان فى هذه الآيه.

فقال بعضهم:إنّ المراد التوراه.

و البعض اعتبره انشقاق البحر لبنى إسرائيل،و الذى كان علامه واضحه على

عظمه الحقّ و أحقيّه موسى.فى حين أنّ البعض اعتبره إشاره إلى سائر المعجزات و الدلائل التى كانت بيد موسى و هارون عليهما السّلام.

غير أنّ هذه التفاسير لا منافاه بينها مطلقا،لأنّ من الممكن أن يكون الفرقان إشاره إلى التوراه،و إلى سائر معجزات و دلائل موسى عليه السّلام.

و قد أطلق الفرقان فى سائر الآيات على نفس القرآن أيضا،مثل: تَبٰارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقٰانَ عَلىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰالَمِينَ نَذِيراً (١) و أحيانا يعبّر عن الإنتصار الإعجازى الذى ناله النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،كما قال فى شأن معركه بدر: يَوْمَ الْفُرْقٰانِ (٢) أمّا كلمه«الضياء»فتعنى النور الذى ينبع من ذات الشىء، و من المسلّم أنّ القرآن و التوراه و معجزات الأنبياء كانت كذلك (٣) .

«الذكر»هو كلّ موضوع يبعد الإنسان عن الغفله،و هذا أيضا من آثار الكتب السماويه و المعجزات الإلهيّه الواضحه.

إنّ ذكر هذه التعابير الثلاثه متعاقبه ربّما كان إشاره إلى أنّ الإنسان من أجل أن يصل إلى هدفه يحتاج أوّلا إلى الفرقان،أى أن يشخّص الطريق الأصلى عند مفترق الطرق،فإذا شخّص طريقه يحتاج إلى ضياء و نور ليتحرّك فى ذلك الطريق و يستمرّ فيه،و قد تعترضه موانع أهمّها الغفله،فيحتاج إلى ما يذكره و يحذّره دائما.

و ممّا ينبغى الالتفات إليه ورود لفظ«الفرقان»معرفه،و ورود كلمتى[ضياء و ذكرا]

نكرتين فى الآيه محلّ البحث،و عدّ أثرهما خاصّا بالمتّقين،و لعلّ هذا التفاوت إشاره إلى أنّ المعجزات و الخطابات السماويه تضىء الطريق للجميع،إلاّ أنّ من ينتفع من الضياء و الذكر ليس جميع الناس،بل الذين يحسّون بالمسؤوليه،

١- ١) -الفرقان،١.

٢- ٢) -الأنفال،۴١.

٣- ٣) -لقد أوضحنا الفرق بين«الضياء»و«النور»بصوره أكثر تفصيلا فى ذيل الآيه(۵)من سوره يونس.

و على جانب من التقوى.

ثمّ تعرف الآيه التاليه المتّقين بأنّهم اَلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ اَلسّاعَهِ مُشْفِقُونَ .

و لكلمه«الغيب»هنا تفسيران:الأوّل:إنّه إشاره إلى ذات اللّه المقدّسه، أى مع أنّ اللّه سبحانه غائب عن الأنظار،فإنّ هؤلاء آمنوا به بدليل العقل،و يحسّون بالمسؤوليه أمام ذاته المقدّسه.

و الآخر:إنّ المتّقين لا يخافون اللّه فى العلانيه و بين المجتمع فقط،بل يعلمون أنّه حاضر و ناظر إليهم حتّى فى خلواتهم.

و ممّا يلفت النظر،أنّه عبّر عن الخوف أمام اللّه بالخشيه،و فى شأن القيامه بالإشفاق،إنّ هذين اللفظين و إن كان كلاهما بمعنى الخوف،إلاّ أنّ«الخشيه»-على قول الراغب فى المفردات-تقال فى موضع يمتزج فيه الخوف بالاحترام و التعظيم،كخوف الابن من أبيه الموقّر،و بناء على هذا فإنّ خوف المتّقين ممتزج بالمعرفه.

و أمّا«الإشفاق»فيعنى الاهتمام و الحبّ المقترن بالخوف،و هذا التعبير يستعمل أحيانا فى شأن الأولاد أو الأصدقاء الذين يحبّهم الإنسان،إلاّ أنّه يخاف عليهم فى الوقت نفسه من تعرّضهم للبلايا و الأمراض مثلا.و فى الواقع فإنّ المتّقين يحبّون يوم القيامه،لأنّه مكان الثواب و الرحمه،إلاّ أنّهم فى الوقت نفسه مشفقون من حساب اللّه فيه.

و يمكن أن تستعمل هاتان الكلمتان أيضا فى معنى واحد.

و قارنت الآيه الأخيره بين القرآن و باقى الكتب السابقه: وَ هٰذٰا ذِكْرٌ مُبٰارَكٌ أَنْزَلْنٰاهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ؟و لماذا الإنكار؟لأنّه ذكر لكم و مصدر وعيكم و يقظتكم و تذكيرهم؟أ لأنّه مصدر البركه و فيه خير الدنيا و خير الآخره،و منبع الانتصارات و السعادات؟فهل ينكر مثل هذا الكتاب الذى يستبطن أدلّه أحقيّته

فیه،و قـد سـطعت نورانیّته،و الـذین یسـیرون فی طریقه سـعداء منتصـرون؟! و لکی نعرف مدی أثر القرآن فی التوعیه و ما له من البرکـات،فیکفی أن نری حـال سـکّان جزیره العرب قبل نزول القرآن علیهم،إذ کانوا یعیشون فی جاهلیه جهلاء و فقر و تعاسه و تفرّق و تمزّق،ثمّ نری حـالهم بعـد نزول القرآن حیث أصـبحوا أسوه و مثلا حسـنا للآخرین،و نری کـذلک حال الأقوام الآخرین قبل وصول القرآن إلیهم و بعده.

الآيات [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۵۱ الی ۵۸]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنّا بِهِ عالِمِينَ (۵۱) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هٰذِهِ اَلتَّماثِيلُ اَلَّتِى أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ (۵۲) قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ (۵۳) قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ (۵۴) قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اَللاّعِبِينَ (۵۵) قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ اَلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلىٰ ذٰلِكُمْ مِنَ اَلشّاهِدِينَ (۵۶) وَ تَاللّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (۵۷) فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (۵۸)

التّفسير

اشاره

تخطيط إبراهيم عليه السّلام لتحطيم الأصنام:

قلنا:أنّ هذه السوره تحدّثت-كما هو معلوم من اسمها-عن جوانب عديده من حالات الأنبياء-ستّه عشر نبيّا-فقد أشير فى الآيات السابقه إشاره قصيره إلى رساله موسى و هارون عليهما السّلام،و عكست هذه الآيات و بعض الآيات الآتيه جانبا

مهمّا من حياه إبراهيم عليه السّلام و مواجهته لعبده الأصنام،فتقول أوّلا: وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنّا بِهِ عالِمِينَ .

«الرشد»فى الأصل بمعنى السير إلى المقصد و الغايه،و من الممكن أن يكون هنا إشاره إلى حقيقه التوحيد،و أنّ إبراهيم عرفها و اطّلع عليها منذ سنى الطفوله.

و قد يكون إشاره إلى كلّ خير و صلاح بمعنى الكلمه و الواسع.

و التعبير ب مِنْ قَبْلُ إشاره إلى ما قبل موسى و هارون عليهما السّلام.

و جمله وَ كُنّا بِهِ عالِمِينَ إشاره إلى مؤهّلات و استعدادات إبراهيم لاكتساب هذه المواهب،و فى الحقيقه إنّ اللّه سبحانه لا يهب موهبه عبثا و بلا حكمه،فإنّ هذه المؤهّلات استعداد لتقبّل المواهب الإلهيّه،و إن كان مقام النبوّه مقاما موهوبا.

ثمّ أشارت إلى أحد أهمّ مناهج إبراهيم عليه السّلام،فقالت:إنّ رشد إبراهيم قد بان عند ما قال لأبيه و قومه-و هو إشاره إلى عمّه آزر،لأنّ العرب تسمّى العمّ أبا-ما هذه التماثيل التى تعبدونها؟ إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هٰذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِى أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ .

لقد حقّر إبراهيم عليه السّلام الأصنام التى كان لها قدسيّه فى نظر هؤلاء بتعبير ما هٰذِهِ (1) أوّلا،و ثانيا بتعبير اَلتَّماثِيلُ لأنّ التمثال يعنى الصوره أو المجسّمه التى لا روح لها.و يقول تاريخ عباده الأصنام:إنّ هذه المجسّمات و الصور كانت فى البدايه ذكرى للأنبياء و العلماء،إلاّ أنّها اكتسبت قدسيّه و أصبحت آلهه معبوده بمضى الزمان.

و جمله أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ بملاحظه معنى«العكوف»الذى يعنى الملازمه المقترنه بالاحترام،توحى بأنّ أولئك كانوا يحبّون الأصنام،و يطأطئون رؤوسهم فى حضرتها و يطوفون حولها،و كأنّهم كانوا ملازميها دائما.

١- ١) -إنّ التعبير ب(ما)فى مثل هذه الموارد يشير عاده إلى غير العاقل،و اسم الإشاره القريب أيضا يعطى معنى التحقير أيضا،و إلاّ كان المناسب الإشاره إلى البعيد.

إنّ مقوله إبراهيم عليه السّلام هذه فى الحقيقه استدلال على بطلان عباده الأصنام، لأنّ ما نراه من الأصنام هو المجسّمه و التمثال،و الباقى خيال و ظنّ و أوهام،فأى إنسان عاقل يسمح لنفسه أن يوجب عليها كلّ هذا التعظيم و الاحترام لقبضه حجر أو كومه خشب؟لماذا يخضع الإنسان-الذى هو أشرف المخلوقات-أمام ما صنعه بيده،و يطلب منه حلّ مشاكله و معضلاته؟! إلاّ أنّ عبده الأصنام لم يكن عندهم-فى الحقيقه-جواب أمام هذا المنطق السليم القاطع،سوى أن يبعدوا المسأله عن أنفسهم و يلقوها على عاتق آبائهم، و لهذا قٰالُوا وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا لَهٰا عٰابِدِينَ .

و لمّا كانت حجّتهم بأنّ«هذه العباده هى سنّه الآباء»غير مجديه نفعا..و لا نمتلك دليلا على أنّ السابقين من الآباء و الأجداد أعقل و أكثر معرفه من الأجيال المقبله،بل القضيّه على العكس غالبا،لأنّ العلم يتّسع بمرور الزمن،فأجابهم إبراهيم مباشره ف قٰالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمْ فِى ضَلاٰلٍ مُبِينٍ .

إنّ هذا التعبير المقترن بأنواع التأكيدات،و الحاكى عن الحزم التامّ سبّب أن يرجع عبده الأصنام إلى أنفسهم قليلا،و يتوجّهوا إلى التحقّق من قول إبراهيم، فأتوا إلى إبراهيم قٰالُوا أَ جِئْتَنٰا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاّٰعِبِينَ لأنّ أولئك الذين كانوا قد اعتادوا على عباده الأصنام،و كانوا يظنّون أنّ ذلك حقيقه حتميّه، و لم يكونوا يصدّقون أنّ أحدا يخالفها بصوره جديّه،و لذلك سألوا إبراهيم هذا السؤال تعجّبا، إلاّ أنّ إبراهيم أجابهم بصراحه: قٰالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلىٰ ذٰلِكُمْ مِنَ الشّٰاهِدِينَ .

إنّ إبراهيم عليه السّلام قد بيّن بهذه الكلمات القاطعه أنّ الذى يستحقّ العباده هو خالقهم و خالق الأرض و كلّ الموجودات،أمّا قطع الحجر و الخشب المصنوعه فهى لا شىء،و ليس لها حقّ العباده،و خاصه و قد أكّد بجمله وَ أَنَا عَلىٰ ذٰلِكُمْ مِنَ الشّٰاهِدِينَ فأنا لست الشاهد الوحيد على هذه الحقيقه،بل إنّ كلّ العقلاء الذين

قطعوا حبل التقليد الأعمى شاهدون على هذه الحقيقه.

و من أجل أن يثبت إبراهيم جديّه هذه المسأله،و أنّه ثابت على عقيدته إلى أبعد الحدود،و أنّه يتقبّل كلّ ما يترتّب على ذلك بكلّ وجوده،أضاف: وَ تَاللّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ .

«أكيدنّ»مأخوذه من الكيد،و هو التخطيط السرى،و التفكير المخفى و كان مراده أن يفهمهم بصراحه بأنّنى سأستغلّ فى النهايه فرصه مناسبه و احطّم هذه الأصنام.

إلاّ أنّ عظمه و هيبه الأصنام فى نفوسهم ربّما كانت قد بلغت حدّا لم يأخذوا معه كلام إبراهيم مأخذ الجدّ،و لم يظهروا ردّ فعل تجاهه،و ربّما ظنّوا بأنّ أى إنسان لا يسمح لنفسه أن يهزأ و يسخر من مقدّسات قوم تدعم حكومتهم تلك المقدّسات تماما،بأيّه جرأه؟و بأيّه قوّه؟! و من هنا يتّضح أنّ ما قاله بعض المفسّرين من أنّ هذه الجمله قد قالها إبراهيم سرّا فى نفسه،أو بيّنها لبعض بصوره خاصّه لا داعى له،خاصّه و أنّه مخالف تماما لظاهر الآيه.إضافه إلى أنّنا سنقرأ بعد عدّه آيات أنّ عبّاد الأصنام قد تذكّروا قول إبراهيم،و قالوا:سمعنا فتى كان يتحدّث عن مؤامره ضدّ الأصنام.

على كلّ حال،فإنّ إبراهيم نفّذ خطّته فى يوم كان معبد الأوثان خاليا من الناس و لم يكن أحد من الوثنيين حاضرا.

و توضيح ذلك:إنّه طبقا لنقل بعض المفسّرين،فإنّ عبده الأوثان كانوا قد اتّخذوا يوما خاصّا من كلّ سنه عيدا لأصنامهم،و كانوا يحضرون الأطعمه عند أصنامهم فى المعبد فى ذلك اليوم،ثمّ يخرجون من المدينه أفواجا،و كانوا يرجعون فى آخر النهار،فيأتون إلى المعبد ليأكلوا من ذلك الطعام الذى نالته البركه فى اعتقادهم.

و كانوا قد عرضوا على إبراهيم أن يخرج معهم،إلاّ أنّه اعتذر بالمرض و لم

یخرج معهم.

علی کلّ حال،فإنّ إبراهیم من دون أن یحذر من مغبّه هذا العمل و ما سیحدث من غضب عبده الأصنام العارم،دخل المیدان برجوله و توجّه إلی حرب هذه الآلهه الجوفاء-التی لها أنصار متعصّبون جهّال-بشجاعه خارقه و حطّمها بصوره یصفها القرآن فیقول: فَجَعَلَهُمْ جُذٰاذاً إِلاّٰ کَبِیراً لَهُمْ و کان هدفه من ترکه لَعَلَّهُمْ إِلَیْهِ یَرْجِعُونَ (۱) .

ملاحظتان

اشاره

۱-الصنمیّه فی أشکال متعدّده

صحیح أنّ أذهاننا تنصرف من لفظ عباده الأصنام إلی الأصنام الحجریه و الخشبیه علی الأکثر،إلاّ أنّ الصنم و الصنمیه-من وجهه نظر-لها مفهوم واسع یشمل کلّ ما یبعد الإنسان عن اللّه،بأی شکل و صوره کان،حیث

یقول الحدیث المعروف: «کلّما شغلک عن اللّه فهو صنمک».

و

فی حدیث عن الأصبغ بن نباته-و هو أحد أصحاب الإمام علی علیه السّلام المعروفین أنّه قال: انّ علیا علیه السّلام مرّ بقوم یلعبون الشطرنج،فقال:«ما هذه التماثیل التی أنتم لها عاکفون؟لقد عصیتم اللّه و رسوله» (۲) .

۱- ۱) -قال کثیر من المفسّرین:إنّ مرجع ضمیر(إلیه)إلی إبراهیم،و قال البعض أنّ المراد هو الصنم الکبیر،إلاّ أنّ الأوّل یبدو هو الأصحّ. أمّا ما نقرؤه فی الآیه آنفه الذکر من أنّه کان أکبرهم،فیمکن أن یکون إشاره إلی کبره الظاهری،أو إشاره إلی احترامه من قبل عبّاد الأصنام الخرافیین،أو إلی الإثنین معا.

۲- ۲) -مجمع البیان،ذیل الآیه مورد البحث.

۲-قول عبده الأصنام و جواب إبراهيم

ممّا يلفت النظر أنّ عبده الأصنام قالوا فى جواب إبراهيم عليه السّلام،اعتمادا على كثرتهم،و على طول الزمان:إنّا وجدنا آباءنا على هذا الدين. فأجابهم على كلا الشّقين،بأنّكم كنتم أنتم و آباؤكم فى ضلال مبين دائما.أى إنّ الإنسان العاقل الذى له تفكير مستقل لا يربط نفسه بمثل هذه الأوهام مطلقا،فلا يعتبر كثره الأنصار للمذهب المتداول دليلا على أصالته،و كذلك لا يعتنى بدوامه و تجذّره.

ص: ۱۸۷

الآیات [سوره الأنبیاء (۲۱): الآیات ۵۹ الی ۶۷]

اشاره

قالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ اَلظّالِمِینَ (۵۹) قالُوا سَمِعْنا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقالُ لَهُ إِبْراهِیمُ (۶۰) قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلیٰ أَعْیُنِ اَلنّاسِ
لَعَلَّهُمْ یَشْهَدُونَ (۶۱) قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هٰذا بِآلِهَتِنا یا إِبْراهِیمُ (۶۲) قالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هٰذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کانُوا یَنْطِقُونَ (۶۳)
فَرَجَعُوا إِلیٰ أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ اَلظّالِمُونَ (۶۴) ثُمَّ نُکِسُوا عَلیٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هٰؤُلاءِ یَنْطِقُونَ (۶۵) قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اَللّٰهِ ما لا یَنْفَعُکُمْ شَیْئاً وَ لا یَضُرُّکُمْ (۶۶) أُفٍّ لَکُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۶۷)

التّفسیر

اشاره

إبراهیم و برهانه المبین:

و أخیرا انتهی یوم العید،و رجع عبده الأصنام فرحین إلی المدینه،فأتوا إلی المعبد مباشره،حتّی یظهروا ولاءهم للأصنام،و لیأکلوا من الأطعمه التی تبرّکت-

ص:۱۸۸

بزعمهم-بمجاوره الأصنام.فما أن دخلوا المعبد حتّى واجهوا منظرا أطار عقولهم من رؤوسهم،فقد وجدوا تلاّ من الأيادى و الأرجل المكسّره المتراكمه بعضها على البعض الآخر فى ذلك المعبد المعمور،فصاحوا و قالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذا بِآلِهَتِنا (١) ؟!و لا ريب أنّ من فعل ذلك ف إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ فقد ظلم آلهتنا و مجتمعنا و نفسه!لأنّه عرض نفسه للهلاك بهذا العمل.

إلاّ أنّ جماعه منهم تذكّروا ما سمعوه من إبراهيم عليه السّلام و ازدرائه بالأصنام و تهديده لها و طريقه تعامله السلبى لهذه الآلهه المزعومه! قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ (٢) .

صحيح أنّ إبراهيم-طبقا لبعض الرّوايات-كان شابا،و ربّما لم يكن سنّه يتجاوز(١۶)عاما،و صحيح أنّ كلّ خصائص الرجوله من الشجاعه و الشهامه و الصراحه و الحزم قد جمعت فيه،إلاّ أنّه من المسلّم به أنّ مراد عبّاد الأصنام لم يكن سوى التحقير،فبدل أن يقولوا:إنّ إبراهيم قد فعل هذا الفعل،قالوا:إنّ فتى يقال له إبراهيم كان يقول كذا...أى إنّه فرد مجهول تماما،و لا شخصيّه له فى نظرهم.

إنّ المألوف-عاده-عند ما تقع جريمه فى مكان ما،فإنّه و من أجل كشف الشخص الذى قام بهذا العمل،تبحث علاقات الخصومه و العداء،و من البديهى أنّه لم يكن هناك شخص فى تلك البيئه من يعادى الأصنام غير إبراهيم، و لذلك توجّهت إليه أفكار الجميع،و قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلىٰ أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ عليه بالجريمه.

---

١ - ١) -اعتبر بعض المفسّرين(من)هنا موصوله،إلاّ أنّ ملاحظه الآيه التاليه التى هى فى حكم الجواب،فسيظهر أنّ(من)هنا استفهاميه.

٢- ٢) -كما أشرنا سابقا:إنّ الوثنيين لم يكونوا مستعدّين للقول:أنّ هذا الفتى كان يعيب الآلهه،بل قالوا فقط:إنّه كان يتحدّث عن الأصنام.

و احتمل بعض المفسّرين أن يكون المراد مشاهده منظر عقاب إبراهيم، لا الشهاده على كونه مجرما.غير أنّ الآيات المقبله التى لها صبغه التحقيق و الاستجواب تنفى هذا الاحتمال،إضافه إلى أنّ التعبير ب«لعلّ»لا يناسب المعنى الثّانى،لأنّ الناس إذا حضروا ساحه العقاب فسيشاهدون ذلك المنظر حتما، فلا معنى ل«لعلّ».

فنادى المنادون فى نواحى المدينه:«ليحضر كلّ من يعلم بعداء إبراهيم و إهانته للأصنام»،فاجتمع كلّ الذين كانوا يعلمون بالموضوع،و كذلك سائر الناس ليروا أين ستصل عاقبه عمل هذا المتّهم؟ لقد حدثت ضجّه و همهمه عجيبه بين الناس،لأنّ هذا العمل كان فى نظرهم جريمه لم يسبق لها نظير من قبل شابّ مثير للفتن و المتاعب،و كانت قد هزّت البناء الدينى للناس.

و أخيرا تشكّلت المحكمه،و كان زعماء القوم قد اجتمعوا هناك،و يقول بعض المفسّرين:أنّ نمرود نفسه كان مشرفا على هذه المحاكمه،و أوّل سؤال وجّهوه إلى إبراهيم عليه السّلام هو أن: قَالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ هؤلاء لم يكونوا مستعدّين حتّى للقول:أ أنت حطّمت آلهتنا و جعلتها قطعا متناثره؟بل قالوا فقط:أ أنت فعلت بآلهتنا ذلك؟ فأجابهم إبراهيم جوابا أفحمهم،و جعلهم فى حيره لم يجدوا منها مخرجا قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ .

إنّ من أسس علم معرفه الجرائم أن يكون المتّهم باديه عليه آثار الجريمه، و الملاحظ هنا أنّ آثار الجريمه كانت باديه على يد الصنم الكبير،[وفقا للروايه المعروفه:إنّ إبراهيم جعل الفأس على رقبه الصنم الكبير.]

لماذا تأتون إلىّ؟و لماذا لا تتّهمون إلهكم الكبير؟ألا تحتملون أنّه غضب على الآلهه الصغيره،أو إنّه اعتبرهم منافسيه فى المستقبل فعاقبهم؟

ص: ۱۹۰

و لمّا كان ظاهر هـذا التعبير لا يطابق الواقع فى نظر المفسّرين،و لمّا كان إبراهيم نبيّا معصوما و لا يكذب أبدا،فقد ذكروا تفاسير مختلفه،و أفضلها كما يبدو هو:

إنّ إبراهيم عليه السّلام قد نسب العمل إلى كبير الأصنام قطعا،إلاّ أنّ كلّ القرائن تشهد أنّه لم يكن جادّا فى قصده،بل كان يريد أن يزعزع عقائد الوثنين الخرافيه الواهيه،و يفنّدها أمامهم،و يفهم هؤلاء أنّ هذه الأحجار و الأخشاب التى لا حياه فيها ذليله و عاجزه إلى الحدّ الذى لا تستطيع أن تتكلّم بجمله واحده تستنجد بعبّادها،فكيف يريدون منها أن تحلّ معضلاتهم؟! و نظير هذا التعبير كثير فى محادثاتنا اليوميّه،فنحن إذا أردنا إبطال أقوال الطرف المقابل نضع أمامه مسلّماته على هيئه الأمر أو الإخبار أو الاستفهام،و هذا ليس كذبا أبدا،بل الكذب هو القول الذى لا يمتلك القرينه معه.

و فى روايه عن الإمام الصادق عليه السّلام فى كتاب الكافى:«إنّما قال:بل فعله كبيرهم،إراده الإصلاح،و دلاله على أنّهم لا يفعلون»ثمّ قال:«و اللّه ما فعلوه و ما كذّب».

و احتمل جمع من المفسّرين أنّ إبراهيم قد أدّى هذا المطلب بشكل جمله شرطيّه و قال:إنّ الأصنام إذا كانت تتكلّم فإنّها قد فعلت هذا الفعل،و من المسلّم أنّ هذا التعبير لم يكن خلاف الواقع،لأنّ الأصنام لم تكن تتكلّم،و لم تكن قد أقدمت على مثل هذا العمل،و لم يصدر منها،و وردت روايه فى مضمون هذا التّفسير أيضا.

إلاّ أنّ التّفسير الأوّل يبدو هو الأقرب،لأنّ الجمله الشرطيّه«إن كانوا ينطقون»جواب الطلب فى«فاسألوهم»،و ليست شرطا لجمله«بل فعله كبيرهم».

(فلاحظوا بدقّه).

و اللطيفه الاخرى التى ينبغى الالتفات إليها هى:إنّ العباره هى أنّه يجب أن

یسأل من الأصنام المحطّمه الأیدی و الأرجل عمّن فعل بها ذلک،لا من الصنم الکبیر لأنّ ضمیر(هم)،و کذلک ضمائر«إن کانوا ینطقون»کلّها بصیغه الجمع،و هذا أنسب مع التّفسیر الأوّل (۱) .

لقد هزّت کلمات إبراهیم الوثنیین و أیقظت ضمائرهم النائمه الغافله،و أزاح الرماد عن شعله النّار فأضاءها،و أنار فطرتهم التوحیدیّه من خلف حجب التعصّب و الجهل.

فی لحظه سریعه استیقظوا من هذا النوم العمیق و رجعوا إلی فطرتهم و وجدانهم،کما یقول القرآن: فَرَجَعُوا إِلیٰ أَنْفُسِهِمْ فَقٰالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظّٰالِمُونَ (۲) فقد ظلمتم أنفسکم و مجتمعکم الذی تنتمون إلیه،و کذلک ساحه اللّه واهب النعم المقدّسه.

و الطریف فی الأمر أنّنا قرأنا فی الآیات السابقه أنّهم اتّهموا إبراهیم بکونه ظالما،و هنا قبلوا و اعترفوا فی أنفسهم بأنّ الظالم الأصلی و الحقیقی هو أنفسهم.

و فی الواقع فإنّ کلّ مراد إبراهیم من تحطیم الأصنام تحطیم فکر الوثنیه و روح الصنمیه،لا تحطیم الأصنام ذاتها،إذ لا جدوی من تحطیمها إذا صنع الوثنیّون العنودون أصناما أکبر منها و جعلوها مکانها،و توجد أمثله کثیره لهذه المسأله فی تأریخ الأقوام الجاهلین المتعصّبین.

إلی الآن استطاع إبراهیم أن یجتاز بنجاح مرحله حسّاسه جدا من طریق تبلیغ الرساله،و هی إیقاظ الضمائر عن طریق إیجاد موجه نفسیّه هائجه.

و لکن للأسف،فإنّ صدأ الجهل و التعصّب و التقلید الأعمی کان أکبر من أن یصقل و یمحی تماما بنداء بطل التوحید.

۱- ۱) -إضافه إلی أنّ ضمیر کبیرهم مع البقیّه متشابه.

۲- ۲) -احتمل بعض المفسّرین أن یکون المراد من فَرَجَعُوا إِلیٰ أَنْفُسِهِمْ أنّهم تحدّثوا بینهم عن ذلک الکلام،و لام بعضهم بعضا. إلاّ أنّ ما قلناه یبدو هو الأصحّ.

و للأسف لم تستمر هذه اليقظه الروحيه المقدّسه،و ثارت فى ضمائرهم الملوّثه المظلمه قوى الشيطان و الجهل ضدّ نور التوحيد هذا،و رجع كلّ شيء إلى حالته الأولى،و كم هو لطيف تعبير القرآن حيث يقول: ثُمَّ نُكِسُوا عَلىٰ رُؤُسِهِمْ و من أجل أن يأتوا بعذر نيابه عن الآلهه البكم قالوا: لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا هٰؤُلاٰءِ يَنْطِقُونَ فإنّهم دائما صامتون،و لا يحطّمون حاجز الصمت.و أرادوا بهذا العذر الواهى أن يخفوا ضعف و ذلّه الأصنام.

و هنا فتح أمام إبراهيم الميدان و المجال للإستدلال المنطقى ليوجّه لهم أشدّ هجماته،و ليرمى عقولهم بوابل من التوبيخ و اللوم المنطقى الواعى: قٰالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لاٰ يَضُرُّكُمْ ؟فما ذا تنفع هذه الآلهه المزعومه الخياليّه التى لا قدره لها على الكلام،و ليس لها شعور و إدراك،و لا تقدر أن تدافع عن نفسها،و لا تستطيع أن تحمى عبّادها،و لا يصدر عنها أى عمل؟ إنّ عباده معبود ما إنّما يكون لأهليّته للعباده،و مثل هذا الأمر لا معنى له فى شأن الأصنام الميته،أو يعبد رجاء فائده و نفع تعود عليهم من قبله،أو الخوف من خسارتهم،إلاّ أنّ إقدامى على تحطيم الأصنام أوضح أنّها لا تملك أدنى حركه، و مع هذا الحال ألا يعتبر عملكم هذا حمقا و جهاله؟! و وسّع معلّم التوحيد دائره الكلام،و انهال بسياط التقريع على روحهم التى فقدت الإحساس،فقال: أُفٍّ (1) لَكُمْ وَ لِمٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ ؟إلاّ أنّه لم يلحّ فى توبيخهم و تقريعهم لئلاّ يلجّوا فى عنادهم.

فى الحقيقه،كان إبراهيم يتابع خطّته بدقّه متناهيه،فأوّل شيء قام به عند دعوتهم إلى التوحيد هو أن ناداهم قائلا:ما هذه التماثيل التى تعبدونها؟و هى

١- ١) -بحثنا فى معنى أُفٍّ بصوره أكثر تفصيلا فى ذيل الآيه(٢٣)من سوره الإسراء

لا تحسّ و لا تتكلّم و إذا كنتم تقولون:إنّها سنّه آبائكم،فقد كنتم أنتم و آباؤكم فى ضلال مبين.

و فى المرحله الثّانيه أقدم على خطّه عمليه ليبيّن أنّ هذه الأصنام ليست لها تلك القدره على إهلاك كلّ من ينظر إليها نظره احتقار،خاصه و أنّه ذهب إليها مع سابق إنذار و حطّمها تماما،و ليوضّح أنّ تلك الأوهام التى حاكوها مجتمعين لا فائده و لا ثمر فيها.

و فى المرحله الثّالثه أوصلهم فى تلك المحكمه التاريخيّه إلى طريق مسدود، فمرّه دخل إليهم عن طريق فطرتهم،و تاره خاطب عقولهم،و أخرى وعظّهم، و أحيانا وبّخهم و لامهم.

و الخلاصه،فإنّ هذا المعلّم الكبير قد دخل من كلّ الأبواب،و استخدم كلّ طاقته،إلاّ أنّ من المسلّم أنّ القابليه شرط فى التأثير،و كان هذا قليل الوجود بين أولئك القوم للأسف.

و لكن لا شكّ أنّ كلمات إبراهيم عليه السّلام و أفعاله بقيت كأرضيّه للتوحيد،أو على الأقل بقيت كعلامات استفهام فى أذهان أولئك،و أصبحت مقدّمه ليقظه و وعى أوسع فى المستقبل.و يستفاد من التواريخ أنّ جماعه آمنوا به،و هم و إن قلّوا عددا،إلاّ أنّهم كانوا من الأهميّه بمكان،إذ هيّئوا الاستعداد النسبى لفئه أخرى.

ص:١٩۴

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ۶۸ الی ۷۰]

اشاره

قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (۶۸) قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ (۶۹) وَ أَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ (۷۰)

التّفسير

اشاره

عند ما تصير النّار جنّه:

مع أنّ عبده الأوثان أسقط ما فی أیدیهم نتیجه استدلالات إبراهیم العملیّه و المنطقیّه،و اعترفوا فی أنفسهم بهذه الهزیمه،إلّا أنّ عنادهم و تعصّبهم الشدید منعهم من قبول الحقّ،و لذلک فلا عجب من أنّ یتّخذوا قرارا صارما و خطیرا فی شأن إبراهیم،و هو قتل إبراهیم بأبشع صوره،أی حرقه و جعله رمادا! هناک علاقه عکسیه بین القوّه و المنطق عاده،فکلّ من اشتدّت قوّته ضعف منطقه،إلّا رجال الحقّ فإنّهم کلّما زادت قوتهم یصبحون أکثر تواضعا و منطقا.

و عند ما لا یحقّق المتعصّبون شیئا عن طریق المنطق،فسوف یتوسّلون بالقوّه فورا،و قد طبّقت هذه الخطّه فی حقّ إبراهیم تماما کما یقول القرآن الکریم:

قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ

.

إنّ المتسلّطين المتعنّتين يستغلّون نقاط الضعف النفسيّه لدى الغوغاء من الناس لتحريكهم-عاده-لمعرفتهم بالنفسيات و مهارتهم فى عملهم!و كذلك فعلوا فى هذه الحادثه،و أطلقوا شعارات تثير حفيظتهم،فقالوا:إنّ آلهتكم و مقدّساتكم مهدّده بالخطر،و قد سحقت سنّه آبائكم و أجدادكم،فأين غيرتكم و حميّتكم؟! لماذا أنتم ضعفاء أذلّاء؟لماذا لا تنصرون آلهتكم؟احرقوا إبراهيم و انصروا آلهتكم -إذا كنتم لا تقدرون على أى عمل-ما دام فيكم عرق ينبض،و لكم قوّه و قدره.

أنظروا إلى كلّ الناس يدافعون عن مقدّساتهم،فما بالكم و قد أحدق الخطر بكلّ مقدّساتكم؟! و الخلاصه،فقد قالوا الكثير من أمثال هذه لخزعبلات و أثاروا الناس ضدّ إبراهيم بحيث أنّهم لم يكتفوا بعدّه حزم من الحطب تكفى لإحراق عدّه أشخاص، بل أتوا بآلاف الحزم و ألقوها حتّى صارت جبلا من الحطب ثمّ أشعلوه فاتّقدت منه نار مهوله كأنّها البحر المتلاطم و الدخان يتصاعد إلى عنان السّماء لينتقموا من إبراهيم أوّلا،و ليحفظوا مهابه أصنامهم المزعومه التى حطّمتها خطّته و أسقطت أبّهتها!! لقد كتب المؤرخّون هنا مطالب كثيره،لا يبدو أى منها بعيدا،و من جملتها قولهم:إنّ الناس سعوا أربعين يوما لجمع الحطب،فجمعوا منه الكثير من كلّ مكان، و قد وصل الأمر إلى أنّ النساء اللآتى كان عملهنّ الحياكه فى البيوت،خرجن و أضفن تلّا من الحطب إلى ذلك الحطب،و وصّى المرضى المشرفون على الموت بمبلغ من أموالهم لشراء الحطب،و كان المحتاجون ينذرون بأنّهم يضيفون مقدارا من الحطب إذا قضيت حوائجهم،و لذلك عند ما أشعلوا النّار فى الحطب من كلّ جانب اشتعلت نار عظيمه بحيث لا تستطيع الطيور أن تمرّ فوقها.

من البديهى أنّ نارا بهذه العظمه لا يمكن الاقتراب منها،فكيف يريدون أن يلقوا إبراهيم فيها،و من هنا اضطروا إلى الاستعانه بالمنجنيق،فوضعوا إبراهيم

عليه و ألقوه فى تلك النّار المترامیه الأطراف بحركه سريعه (۱) .

و نقرأ فى الرّوايات المنقوله عن طرق الشّيعه و السّنه أنّهم عند ما وضعوا إبراهيم على المنجنيق،و أرادوا أن يلقوه فى النّار،ضجّت السّماء و الأرض و الملائكه،و سألت اللّه سبحانه أن يحفظ هذا الموحد البطل و زعيم الرجال الأحرار.

و نقلوا أيضا أنّ جبرئيل جاء للقاء إبراهيم،و قال له:أ لك حاجه؟فأجابه إبراهيم بعباره موجزه:«أمّا إليك فلا»إنّى أحتاج إلى من هو غنى عن الجميع، و رؤوف بالجميع.

و هنا اقترح عليه جبرئيل فقال:فاسأل ربّك،فأجابه:

«حسبى من سؤالى علمه بحالى» (۲) .

و

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام: إنّ إبراهيم ناجى ربّه فى تلك الساعه:

«يا أحد يا أحد،يا صمد يا صمد،يا من لم يلد و لم يولد،و لم يكن له كفوا أحد، توكّلت على اللّه» (۳) .

كما ورد هذا الدعاء بعبارات مختلفه و فى العديد من المصادر الأخرى.

و على كلّ حال،فقد القى إبراهيم فى النّار وسط زعاريد الناس و سرورهم و صراخهم،و قد أطلقوا أصوات الفرح ظانّين أنّ محطّم الأصنام قد فنى إلى الأبد و أصبح ترابا و رمادا.

لكنّ اللّه الذى بيده كلّ شىء حتّى النّار لا تحرق إلّا بإذنه،شاء أن يبقى هذا العبد المؤمن المخلص سالما من لهب تلك النّار الموقده ليضيف وثيقه فخر جديده

۱- ۱) -مجمع البيان،و تفسير الميزان،و تفسير الفخر الرازى،و تفسير القرطبى،فى ذيل الآيات مورد البحث.و كذلك الكامل لابن الأثير المجلّد الأوّل ص ۹۸.

۲- ۲) -روضه الكافى،طبقا لنقل الميزان،ج ۱۴،ص ۳۳۶.

۳- ۳) -تفسير الفخر الرّازى ذيل الآيه.

إلى سجل افتخاراته،و كما يقول القرآن الكريم: قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ .

لا شكّ أنّ أمر اللّه هنا كان أمرا تكوينيّا،كالأمر الذى يصدره فى عالم الوجود إلى الشمس و القمر،و الأرض و السّماء،و الماء و النّار،و النباتات و الطيور.

و المعروف أنّ النّار قد بردت بردا شديدا اصطكّت أسنان إبراهيم منه، و حسب قول بعض المفسّرين:إنّ اللّه سبحانه لو لم يقل:سلاما،لمات إبراهيم من شدّه البرد.و كذلك نقرأ فى روايه مشهوره أنّ نار النمرود قد تحوّلت إلى حديقه غناء (۱) . حتّى قال بعض المفسّرين إنّ تلك اللحظات التى كان فيها إبراهيم فى النّار،كانت أهدأ و أفضل و أجمل أيّام عمره (۲) .

على كلّ حال،فهناك اختلاف كبير بين المفسّرين فى كيفيه عدم إحراق النّار لإبراهيم،إلاّ أنّ مجمل الكلام أنّه فى فلسفه التوحيد لا يصدر أى مسبّب عن أى سبب إلاّ بأمر اللّه،فيقول يوما للسكّين التى فى يد إبراهيم:لا تقطعى،و يقول يوما آخر للنار:لا تحرقى،و يوما آخر يأمر الماء الذى هو أساس الحياه أن يغرق فرعون و الفراعنه! و يقول اللّه سبحانه فى آخر آيه من الآيات محلّ البحث على سبيل الاستنتاج باقتضاب:أنّهم تآمروا عليه ليقتلوه و لكن النتيجه لم تكن فى صالحهم وَ أَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ .

لا يخفى أنّ الوضع قد اختلف تماما ببقاء إبراهيم سالما،و خمدت أصوات الفرح،و بقيت الأفواه فاغره من العجب،و كان جماعه يتهامسون علنا فيما بينهم حول هذه الظاهره العجيبه،و أصبحت الألسن تلهج بعظمه إبراهيم و ربّه،و أحدق الخطر بوجود نمرود و حكومته،غير أنّ العناد ظلّ مانعا من قبول الحقّ،و إن كان

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان،ذيل الآيه.

۲- ۲) -تفسير الفخر الرازى،ذيل الآيه.

أصحاب القلوب الواعيه قد استفادوا من هذه الواقعه،و زاد إيمانهم مع قلّتهم.

بحوث

اشاره

۱-السعی للخیر و الشرّ

قد یغرق الإنسان أحیانا فی عالم الأسباب حتّی یخیّل إلیه أنّ الآثار و الخواص من نفس هذه الموجودات،و یغفل عن المبدأ العظیم الذی وهب هذه الآثار المختلفه لهذه الموجودات،و یغفل عن المبدأ العظیم الذی وهب هذه الآثار المختلفه لهذه الموجودات،و من أجل أن یوقظ اللّه العباد یشیر إلی أنّ بعض الموجودات التافهه قد تصبح مصدرا للآثار العظیمه،فیأمر العنکبوت أن تنسج عدّه خیوط رقیقه ضعیفه علی باب غار ثور،و تجعل الذین کانوا یطاردون النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و یبحثون عنه فی کلّ مکان یائسین من العثور علیه،و لو ظفروا به لقتلوه، و لتغیّر مجری التأریخ بهذا الأمر الهیّن..

و علی العکس من ذلک،فإنّه یعطّل الأسباب التی یضرب بها المثل فی عالم المادّه-کالنّار فی الإحراق،و السکّین فی القطع-عن العمل،لیعلم أنّ هذه أیضا لیس لها أمر و قدره ذاتیه فی العمل،فإنّها تقف عن العمل إذا نهاها ربّها الجلیل فتکفّ حتّی لو أمرها إبراهیم الخلیل علیه السّلام.

إنّ الالتفات إلی هذه الحقائق التی رأینا أمثله کثیره لها فی الحیاه،تحیی فی العبد المؤمن روح التوحید و التوکّل حتّی أنّه لا یفکّر إلاّ فی اللّه،و لا یطلب العون إلاّ منه،فیطلب منه-وحده-إطفاء نار المشاکل و المعضلات،و یسأله أن یدفع کید الأعداء،فلا یری غیره،و لا یرجو شیئا من غیره.

۲-الفتی الشّجاع

جاء فی بعض کتب التّفسیر أنّ إبراهیم لمّا ألقی فی النّار لم یکن عمره یتجاوز

ست عشره سنه (۱) و ذکر البعض الآخر أنّ عمره عند ذاک کان(۲۶)سنه (۲) .

و علی کلّ حال فإنّه کان فی عمر الشباب،و مع أنّه لم یکن معه أحد یعینه،فإنّه رمی بسهم المواجهه فی وجه طاغوت زمانه الکبیر الذی کان حامیا للطواغیت الآخرین،وهبّ بمفرده لمقارعه الجهل و الخرافات و الشرک،و استهزاء بکلّ مقدّسات المجتمع الخیالیه الواهیه،و لم یدع للخوف من غضب و انتقام الناس أدنی سبیل إلی نفسه،لأنّ قلبه کان مغمورا بعشق اللّه،و کان اعتماده و توکّله علی الذات المقدّسه فحسب.

أجل...هکذا هو الإیمان،أینما وجد وجدت الشهامه،و کلّ من حلّ فیه فلا یمکن أن یقهر! إنّ أهمّ الاسس التی ینبغی للمسلمین الاهتمام بها لمقارعه القوی الشیطانیه الکبری،فی دنیا الیوم المضطربه،هو هذا الأساس و الرأسمال العظیم،و هو الإیمان،

ففی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام: «إنّ المؤمن أشدّ من زبر الحدید،إنّ زبر الحدید إذا دخل النّار تغیّر،و إنّ المؤمن لو قتل ثمّ نشر ثمّ قتل لم یتغیّر قلبه» (۳) .

۳-إبراهیم و نمرود

جاء فی التواریخ أنّه عند ما ألقوا إبراهیم فی النّار،کان نمرود علی یقین من أنّ إبراهیم قد أصبح رمادا،أمّا عند ما دقّق النظر و وجده حیّا،قال لمن حوله:إنّی أری إبراهیم حیّا،لعلّی یخیّل إلیّ!فصعد علی مرتفع و رأی حاله جیدا فصاح نمرود:یا إبراهیم إنّ ربّک عظیم،و قد أوجد بقدرته حائلا بینک و بین النّار!و لذلک فإنّی أرید أن أقدّم قربانا له،و أحضر أربعه آلاف قربان لذلک،فأعاد إبراهیم القول

۱- ۱) -مجمع البیان،ذیل الآیات مورد البحث.

۲- ۲) -تفسیر القرطبی،المجلّد ۶،ص ۴۳۴۴.

۳- ۳) -سفینه البحار،مادّه أمن،ج ۱،ص ۳۷.

عليه بأنّ أى قربان-و أى عمل-لا يتقبّل منك إلاّ أن تؤمن أوّلا.غير أنّ نمرود قال فى الجواب:فسيذهب سلطانى و ملكى سدى إذن،و ليس بإمكانى أن أتحمّل ذلك! على كلّ حال،فإنّ هذه الحوادث صارت سببا لإيمان جماعه من ذوى القلوب الواعيه بربّ إبراهيم عليه السّلام،أو يزدادوا إيمانا،و ربّما كان هذا هو السبب فى عدم إظهار نمرود ردّ فعل قوى ضدّ إبراهيم،بل اكتفى بإبعاده عن أرض بابل (۱) .

۱- ۱) -الكامل لابن الأثير،المجلد الأوّل،ص ۹۹.

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧١ الى ٧٣]

اشاره

وَ نَجَّيْناهُ وَ لُوطاً إِلَى اَلْأَرْضِ اَلَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ (٧١) وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ نافِلَةً وَ كُلاًّ جَعَلْنا صالِحِينَ (٧٢) وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ اَلْخَيْراتِ وَ إِقامَ اَلصَّلاةِ وَ إِيتاءَ اَلزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ (٧٣)

التّفسير

اشاره

هجره إبراهيم من أرض الوثنيين

لقد هزّت قصّه حريق إبراهيم عليه السّلام و نجاته الإعجازيه من هذه المرحله الخطيره أركان حكومه نمرود،بحيث فقد نمرود معنوياته تماما،لأنّه لم يعد قادرا على أن يظهر إبراهيم بمظهر الشاب المنافق و المثير للمشاكل.فقد عرف بين الناس بأنّه مرشد إلهى و بطل شجاع يقدر على مواجهه جبّار ظالم-بكلّ إمكانياته و قدرته-بمفرده،و أنّه لو بقى فى تلك المدينه و البلاد على هذا الحال،و مع ذلك اللسان المتكلّم و المنطق القوى،و الشهامه و الشجاعه التى لا نظير لها،فمن المحتّم أنّه سيكون خطرا على تلك الحكومه الجبّاره الغاشمه،فلا بدّ أن يخرج من تلك الأرض على أى حال.

و من جهه أخرى،فإنّ إبراهيم كان قد أدّى رسالته فى الواقع-فى تلك البلاد، و وجّه ضربات ما حقه إلى هيكل و بنيان الشرك،و بذر بذور الإيمان و الوعى فى تلك البلاد،و بقيت المسأله مسأله وقت لتنمو هذه البذور و تبدى ثمارها،و تقلع جذور الأصنام و عبادتها،و تسحب البساط من تحتها.

فلا بدّ من الهجره إلى موطن آخر لإيجاد أرضيه لرسالته هناك،و لذلك صمّم على الهجره إلى الشام بصحبه لوط-و كان ابن أخ إبراهيم-و زوجته ساره،و ربّما كان معهم جمع قليل من المؤمنين،كما يقول القرآن الكريم: وَ نَجَّيْنٰاهُ وَ لُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بٰارَكْنٰا فِيهٰا لِلْعٰالَمِينَ .

و بالرغم من أنّ اسم هذه الأرض لم يرد صريحا فى القرآن،إلّا أنّه بملاحظه الآيه الأولى من سوره الإسراء: سُبْحٰانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بٰارَكْنٰا حَوْلَهُ يتّضح أنّ هذه الأرض هى أرض الشام ذاتها،التى كانت من الناحيه الظاهريه أرضا غنيّه مباركه خضراء،و من الجهه المعنويه كانت معهدا لرعايه الأنبياء.

و قد وردت بحوث مختلفه فى التفاسير و الرّوايات فى أنّ إبراهيم عليه السّلام هاجر تلقائيا،أم أبعدته سلطات نمرود،أم أنّ الإثنين اشتركا،و الجمع بينها جميعا هو أنّ نمرود و من حوله كانوا يرون فى إبراهيم خطرا كبيرا عليهم،فأجبروه على الخروج من تلك البلاد،هذا من جهه،و من جهه أخرى،فإنّ إبراهيم كان يرى أنّ رسالته و مهمّته فى تلك الأرض قد انتهت،و كان يبحث عن منطقه أخرى للعمل على توسيع دعوه التوحيد فيها،خاصه و أنّ البقاء فى بابل قد يشكّل خطرا على حياته فتبقى دعوته العالميه ناقصه.

و

فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام: إنّ نمرود«أمر أن ينفوا إبراهيم من بلاده،و أن يمنعوه من الخروج بماشيته و ماله،فحاجّهم إبراهيم عند ذلك فقال:إن

ص:٢٠٣

أخـذتم ماشـيتى و مالى فحقّى عليكم أن تردّوا علىّ ما ذهب من عمرى فى بلادكم، فاختصـموا إلى قاضـى نمرود،و قضـى على إبراهيم أن يسلّم إليهم جميع مـا أصـاب فى بلادهم،و قضـى على أصـحاب نمرود أن يردّوا على إبراهيم مـا ذهب من عمره فى بلادهم،فأخبر بـذلك نمرود،فأمرهم أن يخلّوا سبيله و سبيـل ماشـيته و مـاله،و أن يخرجوه،و قال:إنّه إن بقى فى بلادكم أفسـد دينكم و أضرّ بآلهتكم» (1) .

و أشـارت الآيه التاليه إلى أحـد أهمّ مواهب اللّه لإبراهيم،و هى هبته الولـد الصالـح،و النسل المفيـد،فقالت: وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ نٰافِلَةً (2) وَ كُلاًّ جَعَلْنٰا صٰالِحِينَ فقـد مرّت أعوام طوال و إبراهيم فى لهفه و انتظار للولـد الصالـح،و الآيه (١٠٠)من سوره الصافات ناطقه بأمنيته الباطنيه هذه: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصّٰالِحِينَ .و أخيرا استجاب له ربّه،فوهبه إسماعيل أوّلا،و من بعد إسحاق، و كان كلّ منهما نبيّا عظيم الشخصيّه.

إنّ التعـبير ب«نـافله»-و الـذى يبـدو أنّـه وصـف ليعقـوب خـاصّه-من جهه أنّ إبراهيم عليه السّـلام كـان قـد طلب الولـد الصـالح فقد،فأضاف اللّه إلى مراده حفيدا صالحا أيضا،لأنّ النافله فى الأصل تعنى الهبه أو العمل الإضافى.

و تشـير الآـيه الأـخيره إلى مقـام إمامه و قياده هـذا النّبى الكبير،و إلى جانب من صـفات الأنبياء و مناهجهم المهمّه القيّمه بصوره جماعيه.

لقـد عـدّت فى هـذه الآيه سـتّه أقسام من هذه الخصائص،و إذا أضـيف إليها وصـفهم بكونهم صالحين-و الذى يسـتفاد من الآيه السابقه-فستصبح سبعه.

و يحتمل أيضا أن يكون مجموع الصفات الست التى ذكرت فى هذه الآيه تفصيلا

١- ١) -روضه الكافى،طبقا لنقل الميزان،فى ذيل الآيات مورد البحث.

٢- ٢) -عـدم ذكر إسـماعيل هنـا مع أنّه كان أوّل ولـد إبراهيم،ربّما كان من أجل أنّ ولاده إسـحاق من أمّ عقيم و عجوز،كانت تبدو مسأله عجيبه للغايه،فى حين أنّ ولاده إسماعيل من أمّه هاجر لم يكن عجيبا.

و تبيانا لصلاح أولئك،و الذى ورد فى الآيه السابقه.

يقول أوّلا: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً أى إنّنا وهبناهم مقام الإمامه إضافه إلى مقام النّبوّه و الرساله،و الإمامه-كما أشرنا إلى ذلك سابقا-هى آخر مراحل سير الإنسان التكاملى،و التى تعنى القياده العامّه الشامله لكلّ الجوانب الماديّه و المعنويه،و الظاهريه و الباطنيه،و الجسميّه و الروحيه للناس.

و الفرق بين النبوّه و الرساله و بين الإمامه،هو أنّ الأنبياء فى مقام النبوّه و الرساله يتلقّون أوامر اللّه و يبلّغونها الناس إبلاغا مقترنا بالإنذار أو البشاره فقط، أمّا فى مرحله الإمامه فإنّهم ينفّذون هذا البرنامج الإلهى،سواء كان هذا التنفيذ عن طريق تشكيل حكومه عادله أو بدون ذلك،فهم فى هذه المرحله مربّون للناس، و معلّمون لهم،و منفّذون للأحكام و البرامج فى سبيل إيجاد بيئه طاهره نزيهه إنسانيه.

فى الحقيقه،إنّ مقام الإمامه مقام تنفيذ كلّ الخطط و الاطروحات الإلهيّه، و بتعبير آخر:الإيصال إلى المطلوب،و الهدايه التشريعيّه و التكوينيّه،فالإمام من هذه الناحيه كالشمس التى تنمى الكائنات الحيّه بأشّعتها تماما (۱) .

ثمّ يذكر فى المرحله التاليه ثمره هذا المقام،فيقول: يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا و لا يعنى بالهدايه الإرشاد و بيان الطريق الصحيح،و الذى هو من شأن النبوّه و الرساله،بل يعنى الأخذ باليد و الإيصال إلى المقصود. و هذا بالطبع لمن له الاستعداد و اللياقه و الأهليّه.

أمّا الموهبه الثّالثه الرّابعه و الخامسه فقد عبّر عنها القرآن بقوله: وَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرٰاتِ وَ إِقٰامَ الصَّلاٰهِ وَ إِيتٰاءَ الزَّكٰاهِ و هذا الوحى يمكن أن يكون وحيا

۱- ۱) -لمزيد الاطّلاع فى هذا المجال راجع ذيل الآيه(۱۲۴)من سوره البقره.

تشریعیّا،أی إنّنا جعلنا کلّ أنواع أعمال الخیر و أداء الصلاه و إعطاء الزکاه فی مناهجهم الدینیّه.و یمکن أیضا أن یکون وحیا تکوینیّا،أی إنّنا وهبنا لهم التوفیق و القدره و الجاذبیه المعنویه من أجل تنفیذ هذه الأمور.

طبعا،لیس لأی من هذه الأمور صبغه إجباریه و اضطراریه،و حتّی مجرّد الأهلیه و الاستعداد و الأرضیه لوحدها من دون إرادتهم و تصمیمهم لا توصل إلی نتیجه.

إنّ ذکر إِقٰامَ الصَّلاٰهِ وَ إِیتٰاءَ الزَّکٰاهِ بعد فعل الخیرات،من أجل أهمیّه هذین الأمرین اللذین بیّنا أوّلا بصوره عامّه فی جمله وَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْرٰاتِ ثمّ بصوره خاصّه فی التصریح بهما،و هذا ما یبحثه علماء البلاغه العربیه تحت عنوان ذکر الخاص بعد العام...

و فی آخر فصل أشار إلی مقام العبودیه،فقال: وَ کٰانُوا لَنٰا عٰابِدِینَ (1) .

و التعبیر ب«کانوا»الذی یدلّ علی الماضی المستمر فی هذا المنهج،ربّما کان إشاره إلی أنّ هؤلاء کانوا رجالا صالحین موحّدین مؤهّلین حتّی قبل الوصول إلی مقام النّبوّه و الإمامه،و فی ظلّ ذلک المخطّط و هبهم اللّه سبحانه مواهب جدیده.

و ینبغی التذکیر بهذه النقطه،و هیّ أنّ جمله یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا فی الحقیقه وسیله لمعرفه الأئمّه و هداه الحقّ،فی مقابل زعماء و قاده الباطل الذین یقوم أساس و معیار أعمالهم علی الأهواء و الرغبات الشیطانیه.و

فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: «إنّ الأئمّه فی کتاب اللّه إمامان:قال اللّه تبارک و تعالی:

و جعلناهم أئمّه یهدون بأمرنا،لا بأمر الناس،یقدّمون ما أمر اللّه قبل أمرهم،و حکم

۱- ۱) -تقدیم کلمه(لنا)علی(عابدین)یدلّ علی الحصر،و إشاره إلی مقام التوحید الخالص،لهؤلاء المقدّمین الکبار،أی إنّ هؤلاء کانوا یعبدون اللّه فقط.

اللّه قبـل حكمهم،قـال:و جعلنا أئمّه يهـدون إلى النّار،يقـدّمون أمرهم قبل أمر اللّه، و حكمهم قبل حكم اللّه،و يأخـذون بأهوائهم خلاف ما فی کتاب اللّه» (۱) .

و هذا هو المعيار و المحک لمعرفه إمام الحقّ من إمام الباطل.

ص :۲۰۷

۱- ۱) -الآيه الثّانيه-و هی الآيه(۴۱)من سوره القصص-تشير إلى فرعون و جنوده،و هذا الحديث جاء فی تفسير الصافی نقلا عن كتاب الكافی.

الآیتان [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧۴ الى ٧۵]

اشاره

وَ لُوطاً آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ نَجَّيْنٰاهُ مِنَ اَلْقَرْيَهِ اَلَّتِى كٰانَتْ تَعْمَلُ اَلْخَبٰائِثَ إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فٰاسِقِينَ (٧۴) وَ أَدْخَلْنٰاهُ فِى رَحْمَتِنٰا إِنَّهُ مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (٧۵)

التّفسير

اشاره

نجاه لوط من أرض الفجّار:

لمّا كان لوط من أقرباء إبراهيم و ذوى أرحامه،و من أوائل من آمن به،فقد أشارت الآيتان بعد قصّه إبراهيم عليه السّلام إلى جانب من اجتهاده و سعيه فى طريق إبلاغ الرساله،و المواهب التى منحها اللّه سبحانه له،فتقول: وَ لُوطاً آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً (١) .

لفظه(الحكم)جاءت فى بعض الموارد بمعنى أمر النبوّه و الرساله،و فى موارد أخرى بمعنى القضاء،و أحيانا،بمعنى العقل،و يبدو أنّ الأنسب هنا من بين هذه المعانى هو المعنى الأوّل،مع إمكانيه الجمع بين هذه المعانى هنا.

و المراد من العلم كلّ العلوم التى لها أثر فى سعاده و مصير الإنسان.

١- ١) -لقد نصبت كلمه(لوط)لأنّها مفعول لفعل مقدّر،يمكن أن يكون تقديره:(آتينا)أو(اذكر).

لقد كان لوط من الأنبياء العظام و كان معاصرا لإبراهيم،و هاجر معه من أرض بابل إلى فلسطين،ثمّ فارق إبراهيم،و جاء إلى مدينه(سدوم)لأنّ أهلها كانوا غارقين فى الفساد و المعاصى،و خاصّه الانحرافات الجنسيه.و قد سعى كثيرا من أجل هدايه هؤلاء القوم،و تحمّل المشاق فى هذا الطريق،إلاّ أنّه لم يؤثّر فى أولئك العمى القلوب.

و أخيرا،نعلم أنّ الغضب و العذاب الإلهى قد حلّ بهؤلاء،و قلب عالى مدينتهم سافلها،و أهلكوا جميعا،إلاّ عائله لوط-باستثناء امرأته-و قد بيّنا تفصيل هذه الحادثه فى ذيل الآيات(٧٧)و ما بعدها من سوره هود.

و لذلك أشارت الآيه إلى هذه الموهبه التى و هبت للوط،و هى وَ نَجَّيْنٰاهُ مِنَ الْقَرْيَهِ الَّتِى كٰانَتْ تَعْمَلُ الْخَبٰائِثَ إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فٰاسِقِينَ .

إنّ نسبه الأعمال القبيحه إلى القريه و المدينه بدلا من أهل القريه إشاره إلى أنّ هؤلاء كانوا قد غرقوا فى الفساد و المعاصى إلى درجه حتّى كأنّ أعمال الفساد و الخبائث كانت تقطر من جدران مدينتهم و أبوابها.

و التعبير ب«الخبائث»بصيغه الجمع،إشاره إلى أنّهم إضافه إلى فعل اللواط الشنيع،كانوا يعملون أعمالا قبيحه و خبيثه أخرى،أشرنا إليها فى ذيل الآيه(٨) من سوره هود.

و التعبير ب«الفاسقين»بعد«قوم سوء»ربّما يكون إشاره إلى أنّ أولئك كانوا فاسقين من وجهه نظر القوانين الإلهيّه،و حتّى مع قطع النظر عن الدين و الإيمان، فإنّهم كانوا أفرادا حمقى و منحرفين فى نظر المعايير الاجتماعيه بين الناس.

ثمّ أشارت الآيه إلى آخر موهبه إلهيّه للنبى لوط،فقالت: وَ أَدْخَلْنٰاهُ فِى رَحْمَتِنٰا إِنَّهُ مِنَ الصّٰالِحِينَ فهذه الرحمه الإلهيّه الخاصّه لا تعطى لأحد اعتباطا و بدون حساب،بل إنّ أهلّيه و صلاحيه لوط هى التى جعلته مستحقّا لمثل هذه الرحمه.

حقّا،أی عمل أصعب،و أی منهج إصلاحی أجهد من أن یبقی إنسان مدّه طویله فی مدینه فیها کلّ هذا الفساد و الانحطاط،و یظلّ دائما یبلّغ الناس الضالّین المنحرفین أمر ربّهم و یرشدهم إلی طریق الهدی،و یصل الأمر بهم إلی أنّهم یریدون أن یعتدوا حتّی علی ضیفه؟و الحقّ أنّ مثل هذه الاستقامه و الثبات لا تصدر إلاّ من أنبیاء اللّه و أتباعهم،فأی واحد منّا یستطیع أن یتحمّل مثل هذا العذاب الروحی المؤلم؟!

ص:٢١٠

الآيتان [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧٦ الى ٧٧]

اشاره

وَ نُوحاً إِذْ نادىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ اَلْكَرْبِ اَلْعَظِيمِ (٧۶) وَ نَصَرْناهُ مِنَ اَلْقَوْمِ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)

التّفسير

اشاره

نجاه نوح من القوم الكافرين:

بعد ذكر جانب من قصّه إبراهيم و قصّه لوط عليهما السّلام،تطرّقت السوره إلى ذكر جانب من قصّه نبى آخر من الأنبياء الكبار-أى نوح عليه السّلام-فقالت: وَ نُوحاً إِذْ نادىٰ مِنْ قَبْلُ أى قبل إبراهيم و لوط.

إنّ هذا النداء-ظاهرا-إشاره إلى الدعاء و اللعنه التى ذكرت فى سوره نوح من القرآن الكريم حيث يقول: رَبِّ لاٰ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰافِرِينَ دَيّٰاراً. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبٰادَكَ وَ لاٰ يَلِدُوا إِلاّٰ فٰاجِراً كَفّٰاراً (١) . أو إنّه إشاره إلى الجمله التى وردت فى الآيه ۱۰سوره القمر: فَدَعٰا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ .

التعبير ب«نادى»يأتى عاده بمعنى الدعاء بصوت عال،و لعلّه إشاره إلى أنّهم

١- ١) -نوح،٢٧،٢۶.

آذوا هـذا النّبى الجليـل إلى درجه جعلته يصـرخ مناديـا ربّه ليـدركه و ينجّيه من أذاهم و شـرّهم،و لو أمعنـا النظر فى أحوال نوح الوارده فى سوره نوح و سوره هود لوجدنا أنّه كان محقّا أن يرفع صوته و يدعو ربّه سبحانه (۱) .

ثـمّ تضـيف الآيه: فَاسْتَجَبْنا لَـهُ فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَـهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ و فى الحقيقه فـإنّ جمله«فاسـتجبنا»إشـاره مجمله إلى اسـتجابه دعوته،و جمله فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ تعتبر شرحا و تفصيلا لها.

و هنـاك اختلاـف بين المفسّرين فى المراد من كلمه(أهـل)هنـا،لأـنّه إذا كـان المراد منها عائلته و أهل بيته فستشـمل بعض أبناء نوح،لأنّ واحدا من أولاده تخلّف عنه مع المسيئين و أضاع بنوته لعائلته،و كذلك لم تكن زوجته مؤمنه به.

و إن كان المراد من الأهل خواص أتباعه و أصحابه المؤمنين،فإنّها على خلاف المعنى المشهور للأهل.

لكن يمكن أن يقال:أنّ للأهل-هنا-معنى وسـيعا يشـمل أهله المؤمنين و خواص أصحابه،لأنّا نقرأ فى حقّ ابنه الذى لم يتبعه: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ (۲) و على هذا فإنّ الذين اعتنقوا دين نوح يعدّون فى الواقع من عائلته و أهله.

و ينبغى ذكر هـذه الملاـحظه أيضـا،و هى:إنّ«الكرب»فى اللغه تعنى الغمّ الشديـد،و هى فى الأصـل مـأخوذه من تقليب الأرض و حفرها،لأنّ الغمّ الشديد يقلب قلب الإنسان،و وصفه بالعظيم يكشف عن منتهى كربه و أساه.

و أىّ كرب أعظـم مـن أن يـدعو قـومه إلى دين الحـقّ(۹۵۰)عاما،كما صـرّح القرآن بـذلك،لكن لم يؤمن به خلال هـذه المـدّه الطويله إلاّ ثمانون شخصا على المشهور بين المفسّرين (۳) ،و أمّا عمل الآخرين فلم يكن غير السخريه

ص:۲۱۲

۱- ۱) -راجع ما ذكرنا عليه آنفا ذيل الآيه(۲۵)سوره هود.

۲- ۲) -هود،۴۶.

۳- ۳) -مجمع البيان ذيل الآيه(۴۰)من سوره هود،و نور الثقلين،المجلّد ۲،ص ۳۵۰.

و الاستهزاء و الأذى.

و تضيف الآيه التاليه: وَ نَصَرْنٰاهُ (۱) مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنٰاهُمْ أَجْمَعِينَ إنّ هـذه الجمله تؤكّد مرّه أخرى على حقيقه أنّ العقوبات الإلهيّه لا تتّصف بصـفه الانتقام مطلقا، بل هى على أساس انتخاب الأصلح،أى إنّ حقّ الحياه و التنعّم بمواهب الحيـاه لأناس يكونون فى طريق التكامل و السير إلى اللّه،أو انّهم إذا ساروا يوما فى طريق الانحراف انتبهوا إلى أنفسهم و رجعوا إلى جاده الصواب.أمّا أولئك الفاسدون الذين لا أمل مطلقا فى صلاحهم فى المستقبل،فلا مصير و لا جزاء لهم إلّا الموت و الفناء.

ملاحظه

الجـدير بالذكر أنّ هذه السوره ذكرت آنفا قصه«إبراهيم»و«لوط»و كذلك سوف تذكر قصتى«أيّوب»و«يونس»،و قد ذكرت آنفا قصّه نوح عليه السّلام و فى جميعها تذكر مسأله نجاتهم و خلاصهم من الشدائد و المحن و الأعداء.

و كأنّ منهج هذه السوره بيان منتهى رعايه اللّه و حمايته لأنبيائه و إنقاذهم من الكروب،ليكون ذلك تسليه للرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم،و أملا للمؤمنين،و بملاحظه أنّ هـذه السوره مكّيه،و أنّ المسـلمين كانوا حينئذ فى شدّه و كرب فستتجلّى أهميّه هذا الموضوع أكثر...

ص: ۲۱۳

۱- ۱) -إن فعل(نصر)يعدّى عاده ب(على)إلى مفعول ثان،فيقال مثلا:اللّهم انصرنا عليهم.أمّا هنا فقد استعملت كلمه(من)، و ربّما كان ذلك من أجل أنّ المراد النصره المقترنه بالنجاه،لأنّ مادّه النجاه تتعدّى ب(من).

الآیات [سوره الأنبیاء (21): الآیات 78 الی 80]

اشاره

وَ دٰاوُدَ وَ سُلَیْمٰانَ إِذْ یَحْکُمٰانِ فِی اَلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِیهِ غَنَمُ اَلْقَوْمِ وَ کُنّٰا لِحُکْمِهِمْ شٰاهِدِینَ (٧٨) فَفَهَّمْنٰاهٰا سُلَیْمٰانَ وَ کُلاًّ آتَیْنٰا حُکْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنٰا مَعَ دٰاوُدَ اَلْجِبٰالَ یُسَبِّحْنَ وَ اَلطَّیْرَ وَ کُنّٰا فٰاعِلِینَ (٧٩) وَ عَلَّمْنٰاهُ صَنْعَهَ لَبُوسٍ لَکُمْ لِتُحْصِنَکُمْ مِنْ بَأْسِکُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شٰاکِرُونَ (٨٠)

التّفسیر

اشاره

قضاء داود و سلیمان علیهما السّلام:

بعد الحوادث و الوقائع المتعلّقه بموسی و هارون و إبراهیم و نوح و لوط علیهم السّلام، تشیر هذه الآیات إلی جانب من حیاه داود و سلیمان،و فی البدایه أشارت إشاره خفیّه إلی حادث قضاء و حکم صدر من جانب داود و سلیمان،فتقول: وَ دٰاوُدَ وَ سُلَیْمٰانَ إِذْ یَحْکُمٰانِ فِی الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ (1) فِیهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ کُنّٰا لِحُکْمِهِمْ شٰاهِدِینَ .

و بالرغم من أنّ القرآن قد ألمح إلی هذه المحکمه لمحه خفیّه،و اکتفی بإشاره

---

1 – 1) -«نفشت»من مادّه نفش علی وزن(حرب)أی التفرّق و التبعثر فی اللیل،و لمّا کان تفرّق الأغنام فی اللیل،و فی مزرعه سیقترن بالتهام نباتها حتما لذا قال البعض:إنّها الرعی فی اللیل،و«نقش»(علی وزن علم)تعنی الأغنام التی تتفرّق فی اللیل.

إجماليه و استخلاص النتيجه الأخلاقيه و التربويه لها و التى سنشير إليها فيما بعد، إلّا أنّه وردت بحوث كثيره حولها فى الرّوايات الإسلاميه و أقوال المفسّرين.

فقال جماعه:إنّ القصّه كانت كما يلى:إنّ قطيع أغنام لبعض الرعاه دخلت ليلا-إلى بستان فأكلت أوراقه و عناقيد العنب منه فأتلفته،فرفع صاحب البستان شكواه إلى داود،فحكم داود بأن تعطى كلّ الأغنام لصاحب البستان تعويضا لهذه الخساره الفادحه،فقال سليمان-و الذى كان طفلا-آنذاك-لأبيه:يا نبى اللّه العظيم، غيرّ هذا الحكم و عدّله!فقال الأدب:و كيف ذاك؟قال:يجب أن تودع الأغنام عند صاحب البستان ليستفيد من منافعها و لبنها و صوفها،و تودع البستان فى يد صاحب الأغنام ليسعى فى إصلاحه، فإذا عاد البستان إلى حالته الأولى يردّ إلى صاحبه،و تردّ الأغنام أيضا إلى صاحبها،و أيّد اللّه حكم سليمان فى الآيه التاليه.

و قد ورد هذا المضمون فى روايه عن الإمامين الباقر و الصادقين عليهما السّلام (۱) .

و يمكن أن يتصوّر عدم تناسب هذا التّفسير مع كلمه(حرث)التى تعنى الزراعه،و لكن يبدو أنّ للحرث معنى واسعا يشمل الزراعه و البستان،كما يستفاد ذلك من قصّه أصحاب الجنّه فى سوره القلم،الآيه ۱۷-۳۲.

لكن تبقى هنا عدّه استفهامات مهمّه:

۱-ماذا كان أساس و معيار هذين الحكمين؟ ۲-كيف اختلف حكم داود عن حكم سليمان؟فهل كانا يحكمان على أساس الاجتهاد؟ ۳-هل المسأله هذه كانت على هيئه تشاور فى الحكم،أم أنّهما حكما بحكمين مستقلّين يختلف كلّ منهما عن الآخر؟!
و يمكن الإجابه عن السؤال الأوّل:إنّ المعيار كان جبران الخساره،فينظر

۱- ۱) -مجمع البيان،ذيل الآيات مورد البحث.

داود إلى أنّ الخساره التى أصابت الكرم تعادل قيمه الأغنام،و لذلك حكم بوجوب إعطاء الأغنام لصاحب البستان جبرا للخساره،لأنّ التقصير من جانب صاحب الأغنام.

و ينبغى الالتفات إلى أنّنا نقرأ فى بعض الرّوايات أنّ على صاحب الأغنام أن يمنع غنمه من التعدّى على زرع الآخرين فى الليل،كما أنّ من واجب صاحب الزرع حفظ زرعه فى النهار (۱) .

أمّا معيار حكم سليمان عليه السّلام فقد كان يرى أنّ خساره صاحب البستان تعادل ما سينتفع به من الأغنام لسنه كامله! بناء على هذا فإنّ الإثنين قد قضيا بالحقّ و العدل،مع فارق أنّ حكم سليمان كان أدقّ،لأنّ الخساره لا تدفع مرّه واحده فى مكان واحد،بل تؤدّى بصوره تدريجيّه بحيث لا تثقل على صاحب الغنم أيضا.و إضافه إلى ما مرّ،فقد كان هناك تناسب بين الخساره و الجبران،لأنّ جذور النباتات لم تتلف،بل ذهبت منافعها المؤقته،و لذلك فإنّ من الأعدل ألاّ تنقل أصول الأغنام إلى ملك صاحب البستان، بل تنقل منافعها فقط.

و نقول فى جواب السؤال الثّانى:لا شكّ أنّ حكم الأنبياء مستند إلى الوحى الإلهى،إلاّ أنّ هذا لا يعنى أنّ وحيا خاصّا ينزل فى كلّ مورد من موارد الحكم،بل إنّ الأنبياء يحكمون حسب القواعد الكليّه التى تلقّوها من الوحى.

بناء على هذا فإنّه لا توجد مسأله الاجتهاد النظرى بمعناها الاصطلاحى، و هو الاجتهاد الظنّى،و لكن لا مانع من أن يكون هناك طريقان لإيجاد ضابطه كليّه،و أن يكون نبيّان كلّ منهما يرى أحد الطريقين،و كلاهما صحيح فى الواقع، و كان الموضوع الذى عالجناه فى بحثنا-على سبيل الاتّفاق-من هذا القبيل كما

۱- ۱) -نقرأ فى مجمع البيان فى ذيل الآيه مورد البحث:روى عن النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أنّه قضى بحفظ المواشى على أربابها ليلا،و قضى بحفظ الحرث على أربابه نهارا. و قد نقل هذا المضمون فى تفسير الصافى نقلا عن كتاب الكافى.

بيّناه آنفا بتفصيل.و كما أشار القرآن إليه،فإنّ الطريق الذى اختاره سليمان عليه السّلام كان أقرب من الناحيه التنفيذيّه،و جمله وَ كُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً و التى ستأتى فى الآيه التاليه، شاهده على صحّه كلا القضاءين.

و نقول فى جواب السؤال الثّالث:لا يبعد أن يكون الأمر على هيئه تشاور، و هو التشاور الذى يحتمل أن يكون لتعليم سليمان و تأهيله فى أمر القضاء، و التعبير ب(حكمهم)شاهد أيضا على وحده الحكم النهائى،بالرغم من وجود حكمين مختلفين فى البدايه. (فتأمّلوا بدقّه).

و نقرأ

فى روايه عن الإمام الباقر عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه أنّه قال: «لم يحكما، إنّما كانا يتناظران» (۱) .

و يستفاد من روايه أخرى رويت فى أصول الكافى عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّ هذه القضيّه حدثت لتعيين وصيّ داود و خليفته و أن يتعلّم أولئك النفر منهما أيضا (۲) .

و على كلّ حال،فإنّ الآيه التاليه تؤيّد حكم سليمان فى هذه القصّه على هذه الشاكله: فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ و لكن هذا لا يعنى أنّ حكم داود كان اشتباها و خطأ، لأنّها تضيف مباشره وَ كُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً .

ثمّ تشير إلى إحدى المواهب و الفضائل التى كان اللّه سبحانه قد وهبها لداود عليه السّلام،فتقول: وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ فإنّ ذلك ليس شيئا مهمّا أمام قدرتنا وَ كُنّا فاعِلِينَ .

ص: ۲۱۷

۱- ۱) -من لا يحضره الفقيه،طبقا لنقل تفسير نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۴۴۳.

۲- ۲) -لمزيد الاطّلاع راجع تفسير الصافى ذيل الآيه مورد البحث.

بحث

هنـاك بحث بين المفسّـرين فى أنّه كيف كـان تجـاوب الجبـال و الطير مع داود؟ و مـا المراد من قوله تعـالى: وَ سَـخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَـبِّحْنَ ؟! ١-فاحتمـل أحيانـا أنّ هـذا كـان صوت داود الرخيم المؤثّر الجـذّاب،و الـذى كـان ينعكس فى الجبال،و كان يجذب الطيور إليه.

٢-و قـالوا حينا آخر:إنّ هـذا التسبيـح كان تسبيحا مقترنا بالإدراك و الشـعور الموجود فى باطن ذرّات العالم،لأنّ كلّ موجودات العالم لها نوع من العقل و الشـعور حسب هذه النظريه،و عند ما كانت تسـمع صوت داود فى وقت المناجاه و التسبيح كانت تردّد معه،و تمتزج بهمهمه تسبيح منها.

٣-و قال البعض:إنّ المراد هو التسبيح التكوينى الذى يوجد فى موجودات العالم بلسان حالها،لأنّ لكلّ موجود نظاما دقيقا جدّا.و هذا النظام الدقيق يحكى عن طهاره و نزاهه اللّه،و عن أنّ له صفات كمال،و بناء على هذا فإنّ نظام عالم الوجود العجيب فى كلّ زاويه منه تسبيح و حمد،ف«التسبيح»هو التنزيه عن النقائص،و«الحمد»هو الثناء على صفات الكمال (١) .

فـإنّ قيـل:إنّ التسبيـح التكـوينى لاـ يختّص بالجبـال و الطيـور،و لاـ بـداود،بـل أنّ نغمـه هـذا التسبيـح تنبعـث من كـلّ الأرجـاء و الموجودات على الدوام.

قالوا فى الجواب:صـحيح إنّ هـذا التسبيح عام،و لكن لا يدركه الجميع،فقد كانت روح داود العظيمه فى هذه الحاله منسـجمه مع باطن و داخل عالم الوجود، و كان يحسن جيدا أنّ الجبال و الطير يسبّحن معه.

و ليس لـدينا دليـل قـاطع على أى من هـذه التفاسـير،و مـا نفهمه من ظـاهر الآـيه هو أنّ الجبال و الطير كانت تردّد و تتجاوب مع داود،و كانت تسبّح اللّه،و فى الوقت

ص :٢١٨

١- ١) -لمزيد الإيضاح راجع تفسير الآيه(۴۴)من سوره الإسراء.

نفسه لا تضادّ بين هذه التفاسير الثلاثه،فالجمع بينهما ممكن.

و أشـارت الآـيه الأـخيره إلى موهبه أخرى من المواهب الـتى وهبهـا اللّه لهـذا النّبى الجليـل،فقـالت: وَ عَلَّمْنٰاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شٰاكِرُونَ .

«اللبوس»كما يقول العلاّمه الطبرسـى فى مجمع البيان-كلّ نوع من أنواع الأسـلحه الدفاعيه و الهجوميه كالدرع و السيف و الرمح (۱) .إلاّ أنّ القرائن التى فى آيات القرآن توحى بأنّ اللبوس هنا تعنى الدرع التى لها صفه الحفظ فى الحروب.

أمّا كيف ألان اللّه الحديد لداود،و علّمه صنع الدروع،فسنفصّل ذلك فى ذيل الآيات(۱۰-۱۱)من سوره سبأ إن شاء اللّه تعالى.

ص :۲۱۹

۱- ۱) -مجمع البيان،ذيل الآيات مورد البحث.

الآيتان [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٨١ الى ٨٢]

اشاره

وَ لِسُلَيْمٰانَ اَلرِّيحَ عٰاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى اَلْأَرْضِ اَلَّتِي بٰارَكْنٰا فِيهٰا وَ كُنّٰا بِكُلِّ شَيْءٍ عٰالِمِينَ (٨١) وَ مِنَ اَلشَّيٰاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذٰلِكَ وَ كُنّٰا لَهُمْ حٰافِظِينَ (٨٢)

التّفسير

اشاره

الرياح تحت إمره سليمان:

تشير هاتان الآيتان إلى جانب من المواهب التي منحها اللّه لنبي آخر من الأنبياء-أي سليمان عليه السّلام فتقول الآيه الأولى منهما: وَ لِسُلَيْمٰانَ الرِّيحَ عٰاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بٰارَكْنٰا فِيهٰا و هذا الأمر ليس عجيبا،لأنّنا عارفون به وَ كُنّٰا بِكُلِّ شَيْءٍ عٰالِمِينَ فنحن مطّلعون على أسرار عالم الوجود،و القوانين و الأنظمه الحاكمه عليه،و نعلم كيفيه السيطره عليها،و نعلم كذلك نتيجه و عاقبه هذا العمل، و على كلّ حال فإنّ كلّ شيء خاضع و مسلّم أمام علمنا و قدرتنا.

إنّ جمله وَ لِسُلَيْمٰانَ... معطوفه على جمله وَ سَخَّرْنٰا مَعَ دٰاوُدَ الْجِبٰالَ أي إنّ قدرتنا عظيمه نقدر معها على أن نسخّر الجبال لعبد من عبادنا أحيانا لتسبّح معه، و أحيانا نجعل الريح تحت إمره أحد عبادنا ليرسلها حيث شاء.

ص:٢٢٠

إنّ لفظه(العاصفه)تعنى الرياح القويّه أو الهائجه،فى حين يستفاد من بعض آيات القرآن الاخرى أنّ الرياح الهادئه أيضا كانت تحت إمره سليمان،كما تصوّر ذلک الآیه(۳۶)من سوره ص: فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِی بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ .

إنّ التصريح بالعاصفه هنا يمكن أن تكون من باب بيان الفرد الأهمّ،أى ليست الرياح الهادئه لوحدها تحت إمرته،بل حتّى العواصف الشديده كانت رهن إشارته أيضا،لأنّ الثّانيه أعجب.

ثمّ إنّ هذه الرياح القويّه التى فى مسير الأرض المباركه(الشام)حيث كان مقرّ سليمان عليه السّلام،لم تكن الوحيده،بل إنّها كانت تتحرّک حيث أراد،و إلى جميع الأمكنه حسب الآیه(۳۶)من سوره ص،و على هذا فإنّ التصريح باسم الأرض المباركه لأنّها كانت مركزا لحكومه سليمان.

أمّا كيف كانت الريح تحت إمرته و تصرّفه؟ و بأيّه سرعه كانت تتحرّک؟ و على أى شىء كان يجلس سليمان و أصحابه و يتحرّكون؟ و أى عامل كان يحفظ هؤلاء عند حركتهم من السقوط أو ضغط الهواء أو المصاعب الأخرى؟ و الخلاصه:أيّه قوّه خفيّه كانت تعطيه القدره على إمكانيه التحرّک بمثل هذه الحركه السريعه فى ذلک العصر و الزمان (۱) ؟ إنّ هذه مسائل لم تتّضح لنا جزئياتها،و الذى نعلمه هو أنّها كانت موهبه إلهيّه خارقه وضعت تحت تصرّف هذا النّبى العظيم،و ما أكثر المسائل التى نعلم بوجودها الإجمالى،و نجهل تفصيلها؟!إنّ معلوماتنا فى مقابل ما نجهله كالقطره من البحر المحيط،أو كالذرّه مقابل الجبل العظيم.

ص:۲۲۱

۱- ۱) -يظهر من الآیه ۱۲/سوره سبأ: وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ بصوره مجمله أنّهم كانوا يسيرون صباحا مسافه أمدها شهر و يسيرون عصرا مسافه أمدها شهر«بمقياس الحركه فى ذلک الزمان».

و الخلاصه:فإنّ من وجهه نظر و إعتقاد إنسان موحّد يعبد اللّه،لا يوجد شيء صعب و مستحيل أمام قدره اللّه سبحانه،فهو قادر على كلّ شيء،و عالم بكلّ شيء.

لقد كتبت حول هذه الفتره من حياه سليمان-كالفترات الأخرى من حياته العجيبه-أساطير كاذبه أو مشكوكه كثيره لا نقبلها مطلقا،فنحن نكتفي بهذا المقدار الذي بيّنه القرآن هنا.

و يلزم ذكر هذه اللطيفه أيضا،و هي أنّ بعض الكتّاب المتأخرين يعتقدون بأنّ القرآن ليس فيه شيء صريح عن حركه سليمان و البساط،بل أورد الكلام عن تسخير الرياح لسليمان فقط،فربّما كان ذلك إشاره إلى استغلال سليمان لقوّه الهواء في المسائل المرتبطه بالزراعه،و تلقيح النباتات،و تنقيه الحنطه و الشعير، و حركه السفن،خاصّه و أنّ أرض سليمان(الشام)كانت أرضا زراعيه من جهه، و من جهه أخرى.فإنّ جانبا مهمّا منها كان على سواحل البحر الأبيض المتوسط، و كان ينتفع منها في حركه الملاحه (1) .

إلاّ أنّ هذا التّفسير لا يتناسب كثيرا و آيات سوره سبأ و سوره ص و بعض الرّوايات الوارده في هذا الباب.

ثمّ تذكر الآيه التاليه أحد المواهب الخاصّه بسليمان عليه السّلام فتقول: وَ مِنَ الشَّيٰاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ لاستخراج الجواهر و الأشياء الثمينه الأخرى وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذٰلِكَ وَ كُنّٰا لَهُمْ حٰافِظِينَ من التمرّد و الطغيان على أوامر سليمان عليه السّلام.

إنّ ما ورد في الآيه آنفه الذكر باسم«الشياطين»،جاء في آيات سوره«سبأ» باسم الجن-الآيه(12 و 13)من سوره سبأ-و من الواضح أنّ هذين اللفظين

1- 1) -قصص القرآن،185،أعلام القرآن،386.

لا منافاه بينهما،لأنّا نعلم أنّ الشياطين من طائفه الجنّ.

و على كلّ حال،فقد ذكرنا أنّ الجنّ نوع من المخلوقات التى لها عقل و شعور و استعداد،و عليها تكليف،و هى محجوبه عن أنظارنا نحن البشر،و لذلك سمّيت بالجنّ،و هم-كما يستفاد من آيات سوره الجنّ-كالبشر منهم المؤمنون الصالحون،و منهم الكافرون العصاه،و لا نمتلك أى دليل على نفى مثل هذه الموجودات،و لأنّ المخبر الصادق(القرآن)قد أخبر عنها فنحن نؤمن بها.

و يستفاد من آيات سوره سبأ و سوره ص-و كذلك من الآيه محلّ البحث- جيدا أنّ هذه الجماعه من الجنّ التى سخّرت لسليمان،كانوا أفرادا أذكياء نشيطين فنّانين صنّاعا ماهرين فى مجالات مختلفه،و جمله وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذٰلِكَ تبيّن إجمالا ما جاء تفصيله فى سوره سبأ من أنّهم كانوا يَعْمَلُونَ لَهُ مٰا يَشٰاءُ مِنْ مَحٰارِيبَ وَ تَمٰاثِيلَ وَ جِفٰانٍ كَالْجَوٰابِ وَ قُدُورٍ رٰاسِيٰاتٍ .

و يستفاد من جزء من الآيات المتعلّقه بسليمان أنّ جماعه من الشياطين العصاه كانوا موجودين أيضا،و كان سليمان عليه السّلام قد أوثقهم: وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفٰادِ (۱) ،و ربّما كانت جمله وَ كُنّٰا لَهُمْ حٰافِظِينَ إشاره إلى هذا المعنى بأنّا كنّا نحفظ تلك المجموعه التى كانت تخدم سليمان من التمرّد و العصيان.و ستطالعون تفصيلا أكثر فى هذا الباب فى تفسير سوره سبأ و سوره ص إن شاء اللّه تعالى.

و نذكر مرّه أخرى أنّ هناك أساطير كاذبه أو مشكوكا فيها كثيره حول حياه سليمان و جنوده،يجب أن لا تمزج مع ما فى متن القرآن،لئلّا تكون حربه فى يد المتصيدين فى الماء العكر.

۱- ۱) -سوره ص ۳۸۰.

الآيتان [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۸۳ الى ۸۴]

اشاره

وَ أَيُّوبَ إِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ اَلضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ اَلرّٰاحِمِينَ (۸۳) فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ فَكَشَفْنٰا مٰا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْنٰاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا وَ ذِكْرىٰ لِلْعٰابِدِينَ (۸۴)

التّفسير

اشاره

أيّوب و نجاته من المصاعب:

تتحدّث الآيتان عن نبى آخر من أنبياء اللّه العظماء و قصّته الملهمه،و هو «أيّوب»و هو عاشر نبى أشير إلى جانب من حياته فى سوره الأنبياء.

إنّ لأيّوب قصّه حزينه،و هى فى نفس الوقت عظيمه ساميه،فقد كان صبره و تحمّله عجيبين،خاصّه أمام الحوادث المرّه،بحيث أنّ صبر أيّوب أصبح مضربا للمثل منذ القدم.

غير أنّ هاتين الآيتين تشيران-بصوره خاصّه-إلى مرحله نجاته و انتصاره على المصاعب، و استعاده ما فقده من المواهب،ليكون درسا لكلّ المؤمنين على مرّ الدهور ليغوصوا فى المشاكل و يخترقوها،و لا سيّما لمؤمنى مكّه الذين كانوا يعانون ضغوطا من أعدائهم عند نزول هذه الآيات،فتقول: وَ أَيُّوبَ إِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ

أَنِّی مَسَّنِیَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّٰاحِمِینَ

.

و کلمه«الضرّ».تطلق علی کلّ سوء و أذی یصیب روح الإنسان أو جسمه، و کذلک لنقص عضو،و ذهاب مال،و موت الأعزّه و انهیار الشخصیّه و أمثال ذلک، و کما سنقول فیما بعد،فإنّ أیّوب قد ابتلی بکثیر من هذه المصائب.

إنّ أیوب-کسائر الأنبیاء-یظهر أقصی حالات الأدب و الخضوع أمام اللّه عند الدعاء لرفع هذه المشاکل المضنیه المجهده،و لا یعبّر بتعبیر تشمّ منه رائحه الشکوی،بل یقول فقط:إنّی ابتلیت بهذه المصائب و أنت أرحم الراحمین،فهو حتّی لا یقول:حلّ مشکلتی،لأنّه یعلم أنّه جلیل عظیم،و هو یعرف حقّ العظمه.

و تقول الآیه التالیه: فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ فَکَشَفْنٰا مٰا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَیْنٰاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنٰا وَ ذِکْریٰ لِلْعٰابِدِینَ لیعلم المسلمون أنّ المشاکل کلّما زادت، و کلّما زادت الابتلاءات،و کلّما زاد الأعداء من ضغوطهم و ضاعفوا قواهم،فإنّها جمیعا ترفع و تحلّ بنظره و منحه من لطف اللّه،فلا تجبر الخساره و حسب،بل إنّ اللّه سبحانه یعطی الصابرین أکثر ممّا فقدوا جزاء لصبرهم و ثباتهم،و هذا درس و عبره لکلّ المسلمین،و خاصه المسلمین الذین کانوا تحت محاصره العدو الشدیده،و تحت ضغط المشاکل عند نزول هذه الآیات.

بحوث

اشاره

۱-لمحه من قصّه أیّوب

فی حدیث عن الإمام الصّادق علیه السّلام إنّ رجلا سأله عن بلیّه أیّوب لأی علّه کانت؟فأجابه بما ملخّصه.إنّ هذا الابتلاء لم یکن لکفران نعمه،بل علی العکس من ذلک،فإنّه کان لشکر نعمه حسده علیها إبلیس،فقال لربّه:یا ربّ إنّ أیّوب لم یودّ إلیک شکر هذه النعمه إلّا بما أعطیته من الدنیا،و لو حرمته دنیاه ما أدّی إلیک

شكرك،فسلّطنى على دنياه حتّى يتبيّن الأمر،فسلّطه اللّه عليه ليكون هذا الحادث سندا لكلّ سالكى طريق الحقّ.

فانحدر إبليس و أهلك أموال أيّوب و أولاده الواحد تلو الآخر،و لكن لم تزد هذه الحوادث أيّوب إلاّ ثباتا على الإيمان و خضوعا لقضاء اللّه و قدره.

فسأل الشيطان اللّه سبحانه أن يسلطه على زرعه و غنمه فسلطه، فأحرق كلّ زرعه،و أهلك كلّ غنمه،فلم يزدد أيّوب إلاّ حمدا و شكرا.

و أخيرا طلب الشيطان من اللّه أن يسلطه على بدن أيّوب ليكون سبب مرضه، و هكذا كان بحيث لم يكن قادرا على الحركه من شدّه المرض و الجراحات،لكن من دون أن يترك أدنى خلل فى عقله و إدراكه.

و الخلاصه،فقد كانت النعم تسلب من أيّوب الوحده تلو الاخرى،و لكن شكره كان يزداد فى موازاتها،حتّى جاء جمع من الرهبان لرؤيته و عيادته،فقالوا:

قل لنا أى ذنب عظيم قد اقترفت حتّى ابتليت بمثل هذا الابتلاء؟و هنا بدأت شماته هذا و ذاك،و كان هذا الأمر شديدا على أيّوب،فقال مجيبا:و عزّه ربّى انّى ما أكلت لقمه من طعام إلاّ و معى يتيم أو مسكين يأكل على مائدتى،و ما عرض لى أمران كلاهما فيه طاعه للّه إلاّ أخذت بأشدّهما علىّ.

عند ذاك كان أيّوب قد اجتاز جميع الامتحانات صابرا شاكرا متجمّلا:و هو يناجى ربّه بلسان مهذّب و دعا أن يكشف عنه ضرّه بتعبير صادق ليس فيه أدنى شكوى-و هو ما ذكرته الآيه المتقدّمه: رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِیَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِینَ -و فى هذه الأثناء فتحت أبواب الرحمه الإلهيّه،و رفع البلاء بسرعه،و انهمرت عليه النعم الإلهيّه أكثر من ذى قبل (۱) .

أجل...إنّ رجال الحقّ لا تتغير أفكارهم و أعمالهم بتغيّر النعم،فهم يتوجّهون إلى اللّه فى حريتهم و سجنهم و سلامتهم و مرضهم و قوّتهم و ضعفهم،و بكلمه واحده

۱- ۱) -تفسير القمّى،طبقا لنقل تفسير الميزان.

فی کلّ الأحوال، و لا تغیّرهم حوادث الحیاه،فإنّ أرواحهم کالمحیط العظیم لا یؤثّر فی هدوئه تلاطم الریاح العاتیه.

کما أنّهم لا ییأسون لهول الحوادث المرّه و کثرتها،بل یواجهونها و یصمدون لها حتّی تفتح أبواب الرحمه الإلهیّه،لعلمهم أنّ الحوادث و الظروف الصعبه امتحانات إلهیّه یعدّها اللّه لخاصّه عباده لیکونوا أکثر مرانا و مراسا..

۲-المعروف بین المفسّرین فی تفسیر جمله آتَیْنٰاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ أنّ اللّه سبحانه أرجع أولاده الهلکی إلی حیاتهم الأولی و رزقه أولادا آخرین.

و نقرأ فی بعض الرّوایات:إنّ اللّه قد ردّ علیه الأولاد الذین هلکوا فی هذه الحادثه،و أولاده الذین ماتوا قبلها (۱) .

و احتمل بعضهم أنّ اللّه قد وهب أیّوب أولادا و أحفادا جددا لیسدّوا مسدّ الأولاد المفقودین و یملأوا الفراغ الذی ترکوه.

۳-نقرأ فی بعض الرّوایات غیر المعتبره أنّ بدن أیّوب قد تعفّن،نتیجه المرض الشدید،إلی درجه أنّه لم یکن بمقدور الناس أن یقتربوا منه،إلاّ أنّ الرّوایات الوارده عن أهل البیت علیهم السّلام تنفی هذا المعنی بصراحه،و الدلیل العقلی یؤکّد هذا المعنی أیضا،لأنّ النّبی إذا کان فی حال منفّره،فإنّ ذلک لا یناسب منهج رسالته،فکلّ نبی ینبغی أن یکون علی حاله تمکّن الناس من الاتّصال به و ملاقاته لیسمعوا کلام الحقّ،أی إنّ للنّبی جاذبیه خاصّه.

و ستطالعون إن شاء اللّه تعالی تفصیلا أکثر حول قصّه أیّوب فی الآیه (۴۱-۴۴)سوره ص.

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۴۴۸.

الآيتان [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۸۵ الى ۸۶]

اشاره

وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا اَلْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ اَلصّٰابِرِينَ (۸۵) وَ أَدْخَلْنٰاهُمْ فِي رَحْمَتِنٰا إِنَّهُمْ مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (۸۶)

التّفسير

اشاره

إسماعيل و إدريس و ذو الكفل عليه السّلام:

تعقيبا على قصّه أيّوب عليه السّلام التربويه،و صبره و ثباته بوجه سيل الحوادث، تشير الآيتان-محلّ البحث-إلى صبر ثلاثه من أنبياء اللّه الآخرين فتقول الأولى:

وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصّٰابِرِينَ

فكلّ واحد من هؤلاء صبر طوال عمره أمام الأعداء،أو أمام مشاكل الحياه المجهده المضنيه،و لم يركع أبدا في مقابل هذه الحوادث،و كان كلّ منهم مثلا أعلى في الصبر و الاستقامه.

ثمّ تبيّن الآيه الاخرى موهبه إلهيّه لهؤلاء مقابل الصبر و الثبات،فتقول:

وَ أَدْخَلْنٰاهُمْ فِي رَحْمَتِنٰا إِنَّهُمْ مِنَ الصّٰالِحِينَ

.

ممّا يلفت النظر هنا أنّه لم يقل:وهبناهم رحمتنا،بل قال:و أدخلناهم في رحمتنا،فكأنّ كلّ أجسامهم و أرواحهم أصبحت غارقه في الرحمه الإلهيّه،بعد أن كانت غارقه في بحر المشاكل.

إدريس و ذو الكفل عليهما السّلام:

«إدريس»-نبى اللّه العظيم-و كما تقدّم-هو جدّ والد نوح عليه السّلام وفقا لما رواه أغلب المفسّرين،و اسمه فى التوراه(أخنوخ)و فى العربيه(إدريس)و يرى بعضهم أنّ إدريس مشتق من مادّه الدرس،لأنّه كان أوّل من كتب بالقلم،و كان ذا إحاطه بعلم الفلك و النجوم و الحساب و الهيأه بالإضافه إلى كونه نبيّا..و يقال أنّه أوّل من علّم الناس خياطه الثياب.

و أمّا«ذو الكفل»،فالمشهور أنّه كان من الأنبياء (۱) ،و إن كان بعضهم يعتقد أنّه كان من الصالحين.و ظاهر آيات القرآن التى ذكرته فى عداد الأنبياء يؤيّد أنّه من الأنبياء،و أغلب الظنّ أنّه كان من أنبياء بنى إسرائيل (۲) .

و هناك احتمالات عديده فى سبب تسميته بهذا الاسم،مع ملاحظه أنّ كلمه «كفل»جاءت بمعنى النصيب،و كذلك بمعنى الكفاله و الضمان و التعهّد.

فقال بعضهم:إنّ اللّه سبحانه لمّا غمره بنصيب وافر من ثوابه و رحمته فى مقابل الأعمال و العبادات الكثيره التى كان يؤدّيها سمّى ذا الكفل،أى صاحب الحظّ الأوفى.

و قال آخرون:إنّه لمّا تعهّد بأن يحيى الليل فى العباده و يصوم النهار،و أن لا يغضب عند الحكم،و أن يفى بوعده أبدا،لذلك سمّى بذى الكفل.

و يعتقد بعضهم-أيضا-أنّ«ذا الكفل»لقب«إلياس»،كما أنّ إسرائيل لقب يعقوب،و المسيح لقب عيسى،و ذا النون لقب يونس (۳) .على نبيّنا و آله و عليهم الصلاه و السلام...

۱- ۱) -التّفسير الكبير للفخر الرازى،ذيل الآيه مورد البحث.

۲- ۲) -تفسير فى ظلال القرآن،الجلد ۵،ص ۵۵۶.

۳- ۳) -تفسير الفخر الرازى،ذيل الآيه مورد البحث،و نقرأ فى التأريخ الكامل:إنّ الكفل كان أحد أولاد أيّوب،و كان اسمه الأصلى (بشر)و كان يعيش فى أرض الشام.الكامل لابن الأثير،ج ۱،ص ۱۳۶.

الآيتان [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٨٧ الى ٨٨]

اشاره

وَ ذَا اَلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنٰادىٰ فِي اَلظُّلُمٰاتِ أَنْ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنْتَ سُبْحٰانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ اَلظّٰالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ وَ نَجَّيْنٰاهُ مِنَ اَلْغَمِّ وَ كَذٰلِكَ نُنْجِي اَلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)

التّفسير

اشاره

نجاه يونس من السجن المرعب:

تبيّن هاتان الآيتان جانبا من قصّه النّبى الكبير يونس عليه السّلام،حيث تقول الأولى و اذكر يونس إذ ترك قومه المشركين غاضبا عليهم: وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰاضِباً .

كلمه«النون»في اللغه تعنى السمكه العظيمه،أو بتعبير آخر تعنى الحوت، و بناء على هذا فإنّ«ذا النون»معناه صاحب الحوت،و إختيار هذا الاسم ليونس بسبب الحادثه التى سنشير إليها فيما بعد إن شاء اللّه تعالى.

و على كلّ حال،فإنّه ذهب مغاضبا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ (١) عَلَيْهِ فقد كان يظنّ

ص: ٢٣٠

١- ١) -«نقدر»من مادّه قدر بمعنى التعسير و التضييق،لأنّ الإنسان عند التضييق يأخذ من كلّ شيء قدرا محدودا،لا على نطاق واسع و بدون حساب.

أنّه قد أدّى كلّ رسالته بين قومه العاصين،و لم يترك حتّى«الأولى»فى هذا الشأن،فلو تركهم و شأنهم فلا شىء عليه،مع أنّ الأولى هو بقاؤه بينهم و الصبر و التحمّل و التجلّد،فلعلّهم ينتبهون من غفلتهم و يتّجهون إلى اللّه سبحانه.

و أخيرا،و نتيجه تركه الأولى هذا،ضيّقنا عليه فابتلعه الحوت فَنٰادىٰ فِي الظُّلُمٰاتِ أَنْ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنْتَ سُبْحٰانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّٰالِمِينَ فقد ظلمت نفسى، و ظلمت قومى،فقد كان ينبغى أن أتقبّل و أتحمّل أكثر من هذه الشدائد و المصائب،و أواجه جميع أنواع التعذيب و الآلام منهم فلعلّهم يهتدون.

و تقول الآيه التاليه: فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ وَ نَجَّيْنٰاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ أجل لم يكن هذا الأمر خاصّا بيونس،بل هو لطف اللّه الشامل فكلّ مؤمن يعتذر من ربّه عن تقصيره و يسأله العون و المدد و الرحمه فإنّ اللّه سيستجيب له و يكشف عنه غمّه.

بحوث

اشاره

١-قصّه يونس عليه السّلام

ستأتى تفاصيل قصّه يونس فى تفسير سوره الصافات إن شاء اللّه تعالى،أمّا ملخّصها فهو:

إنّ«يونس»كان لسنين طوال مشتغلا بالدعوه و التبليغ بين قومه فى أرض نينوى بالعراق،و لكن رغم كلّ ما بذله من جهود و مساع فإنّ إرشاداته و توجيهاته لم تؤثر فى قلوبهم،فغضب و هجر تلك الأرض،و ذهب باتجاه البحر و ركب السفينه،و أثناء الطريق هاج البحر،فكاد كلّ ركّاب السفينه أن يغرقوا.

و هنا قال ربّان السفينه:إنّى أظنّ أنّ بينكم عبدا هاربا يجب أن يلقى فى البحر-أو إنّه قال:إنّ السفينه ثقيله جدّا و يجب أن نلقى فردا منّا تخرجه

القرعه-فاقترعوا عدّه مرّات،و كان اسم يونس عليه السّلام يخرج فی كلّ مرّه!فعلم أنّ فی هذا الأمر سرّا خفيّا،فسلّم للحوادث،و عند ما ألقوه فی البحر ابتلعه حوت عظيم و أبقاه اللّه فی بطنه حيّا.

و أخيرا انتبه إلی أنّه قد ترک الأولی،فتوجّه إلی اللّه و اعترف بتقصيره، فاستجاب اللّه دعوته و أنجاه من ذلک المكان الضيّق (۱) .

من الممكن أن يتصوّر استحاله هذا الحادث من الناحيه العلميه،و لكن لا شکّ أنّ هذا الأمر خارق للعاده،إلاّ أنّه ليس بمحال عقلی،كإحياء الموتی فإنّه يعدّ أمرا خارقا للعاده و ليس محالا،و بتعبير آخر:فإنّ وقوعه غير ممكن بالطرق العاديه، و لكنّه ليس صعبا مع الاستعانه بقدره اللّه غير المحدوده.

و ستقرءون تفصيلا أكثر حول هذه الحادثه فی تفسير سوره الصافات إن شاء اللّه تعالی.

۲-ما معنی الظلمات هنا؟

من الممكن أن يكون هذا التعبير إشاره إلی ظلمه البحر فی أعماق الماء، و ظلمه بطن الحوت،و ظلمه الليل،و تؤيّد ذلک الرّوايه التی رؤيت عن الإمام الباقر عليه السّلام (۲) .

۳-أی أولی تركه يونس؟

لا شکّ أنّ تعبير«مغاضبا»إشاره إلی غضب يونس علی قومه الكافرين، و كان مثل هذا الغضب فی هذه الظروف طبيعيّا تماما،إذ تحمّل هذا النّبی المشفق المشقّه و التعب سنين طويله من أجل هدايه القوم الضّالين،إلاّ إنّهم لم يلبّوا دعوته

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازی،و مجمع البيان،و نور الثقلين،ذيل الآيه محلّ البحث.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۴،ص ۳۳۶.

الخيّره...

و من جهه أخرى،فإنّ يونس لمّا كان يعلم أنّ العذاب الإلهى سينزل بهم سريعا،فإنّ ترك تلك المدينه لم يكن معصيه،و لكن كان الأولى لنبى عظيم كيونس ألّا يتركها حتّى آخر لحظه-اللحظه التى سيعقبها العذاب الإلهى-و لذلك آخذه اللّه على هذه العجله،و اعتبر عمله تركا للأولى.

و هذا هو عين ما أشرنا إليه فى قصّه آدم عليه السّلام من أنّ المعصيه ليست مطلقه،بل نسبيّه،أو بتعبير آخر هى مصداق«حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين».و لمزيد الاطّلاع راجع ما ذكرناه ذيل الآيه(١٩)و ما بعدها من سوره الأعراف.

۴-درس مصيرى

جمله كَذٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ العميقه المعنى توحى بأنّ ما أصاب يونس من البلاء و النجاه لم يكن حكما خاصّا،بل حكم عام مع حفظ تسلسل الدرجات و المراتب.

إنّ كثيرا من الحوادث المؤلمه و الابتلاءات الشديده و المصائب نتيجه لذنوبنا و معاصينا،و هى سياط لتنبيه الأرواح الغافله،أو هى مواقد لتصفيه معادن أرواح الآدميين فمتى ما تنبّه الإنسان إلى ثلاثه أمور[التى انتبه إليها يونس فى مثل هذا الظرف]

فإنّه سينجو حتما:

١-التوجّه إلى حقيقه التوحيد،و أنّه لا معبود و لا سند إلاّ اللّه.

٢-تنزيه اللّه عن كلّ عيب و نقص و ظلم و جور،و تجنّب كلّ سوء ظنّ بذاته المقدّسه.

٣-الاعتراف بذنبه و تقصيره.

و الشاهد على هذا الكلام

الحديث المروى فى الدرّ المنثور عن الرّسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم أنّه قال: «اسم اللّه الذى إذا دعى به أجاب،و إذا سئل به أعطى دعوه

يونس بن متّى» فقال رجل:يا رسول اللّه هى ليونس خاصّه أم لجماعه المسلمين؟ قال:«هى ليونس خاصّه و للمؤمنين إذا دعوا بها،ألم تسمع قول اللّه وَ كَذٰلِكَ نُنْجِی الْمُؤْمِنِينَ ؟فهو شرط من اللّه لمن دعاه» (۱) .

و لا يحتاج أن نذكر بأنّ المراد ليس قراءه الألفاظ و الكلمات فقط،بل جريان حقيقتها فى أعماق روح الإنسان،أى أن ينسجم كلّ وجوده مع معنى تلك الألفاظ حين قراءتها.

و يلزم التذكير بهذه المسأله،و هى أن العقوبات الإلهيّه على نحوين:

أحدهما:عذاب الاستيصال،أى العقوبه النهايه التى تحلّ لمحو الأفراد الذين لا يمكن إصلاحهم،إذ لا ينفعهم أى دعاء حينئذ،لأنّ أعمالهم ذاتها ستكرّر بعد هدوء عاصفه البلاء.

و الآخر:عذاب التنبيه،و الذى له صفه تربويه،و يرتفع مباشره بمجرّد أن يؤثّر أثره و يتنبّه المخطئ و يثوب إلى رشده.و من هنا يتّضح أنّ إحدى غايات الآفات و الابتلاءات و الحوادث المرّه هى التوعيه و التربيه.

إنّ حادثه يونس عليه السّلام تحذّر بصوره ضمنيّه جميع قاده الحقّ و المرشدين إليه بأن لا يتصوّروا انتهاء مهمتهم مطلقا،و لا يستصغروا أى جهد و سعى فى هذا الطريق،لأنّ مسئولياتهم ثقيله جدّا.

۱- ۱) -الدرّ المنثور،طبقا لنقل الميزان،ذيل الآيات مورد البحث.

الآيتان [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۸۹ الی ۹۰]

اشاره

وَ زَكَرِيّٰا إِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ رَبِّ لاٰ تَذَرْنِى فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ اَلْوٰارِثِينَ (۸۹) فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ وَ وَهَبْنٰا لَهُ يَحْيىٰ وَ أَصْلَحْنٰا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كٰانُوا يُسٰارِعُونَ فِى اَلْخَيْرٰاتِ وَ يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كٰانُوا لَنٰا خٰاشِعِينَ (۹۰)

التّفسير

اشاره

نجاه زكريا من الوحده:

تبيّن هاتان الآيتان جانبا من قصّه شخصيتين أخريين من أنبياء اللّه العظماء، و هما زكريا و يحيى عليهما السّلام.فتقول الأولى: وَ زَكَرِيّٰا إِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ رَبِّ لاٰ تَذَرْنِى فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوٰارِثِينَ .

لقد مرّت سنين من عمر زكريا،و اشتعل رأسه شيبا،و لم يرزق الولد حتّى ذلك الحين،ثمّ أنّ زوجته كانت عقيما،و قد كان يأمل أن يرزق ولدا يستطيع أن يكمل مناهجه الإلهيّه و أعماله التبليغيّه،و لئلّا يتسلّط المنتفعون على معبد بنى إسرائيل، فينهبوا منه أمواله و هداياه التى ينبغى إنفاقها فى سبيل اللّه.

و عندئذ توجّه إلى اللّه بكلّ وجوده و سأله ولدا صالحا...و دعا اللّه دعاء يفيض تأدّبا،فبدأ دعاءه بكلمه«ربّ»،الربّ الذى يشمل الإنسان بلطفه من أوّل لحظه.

ثمّ أكّد زكريا عليه السّلام على هذه الحقيقه،و هى أنّى إن بقيت وحيدا فسأنسى-

و لا أنسى وحدى،بل ستنسى مناهجى و سيرتى أيضا؛أكدّ كلّ ذلك بتعبير لاٰ تَذَرْنِي من مادّه(وذر)على وزن مرز بمعنى ترك الشىء لقلّه قيمته و عدم أهميّته.و أخيرا فإنّ جمله وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوٰارِثِينَ تعبّر عن حقيقه أنّه يعلم أنّ هذه الدنيا ليست دار بقاء،و نعلم أنّ اللّه خير الوارثين،و لكنّه يبحث-من جهه عالم الأسباب-عن سبب يوصله إلى هذا الهدف..

فاستجاب اللّه هذا الدعاء الخالص الملىء بعشق الحقيقه،و حقّق أمنيته و ما كان يصبوا إليه،كما تقول الآيه: فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ وَ وَهَبْنٰا لَهُ يَحْيىٰ و من أجل الوصول إلى هذا المراد أصلحنا زوجته و جعلناها قادره على الإنجاب وَ أَصْلَحْنٰا لَهُ زَوْجَهُ .

ثمّ أشار اللّه سبحانه إلى ثلاث صفات من الصفات البارزه لهذه الأسره فقال:

إِنَّهُمْ كٰانُوا يُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ وَ يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً (١) وَ كٰانُوا لَنٰا خٰاشِعِينَ

و الخشوع هو الخضوع المقرون بالاحترام و الأدب،و كذلك الخوف المشفوع بالإحساس بالمسؤوليه.

إنّ ذكر هذه الصفات الثلاث ربّما تكون إشاره إلى أنّ هؤلاء عند ما يصلون إلى النعمه فلا يبتلون بالغفله و الغرور كما فى الأشخاص الماديين من ضعفاء الإيمان،فهؤلاء لا ينسون الضعفاء المحتاجين على كلّ حال،و يسارعون فى الخيرات،و يتوجّهون إلى اللّه سبحانه فى حال الفقر و الغنى،و المرض و الصحّه، و أخيرا فإنّهم لا يبتلون بالكبر و الغرور عند إقبال النعمه،بل كانوا خاشعين خاضعين أبدا.

---

١ - ١) -«رغبا»بمعنى الرغبه و الميل و العلاقه،و«رهبا»بمعنى الخوف و الرعب،و هناك احتمالات متعدّده فى محلّها من الإعراب،فيمكن أن تكون حالا أو تمييزا أو مفعولا مطلقا،أو ظرفا أى فى حال الرغبه و فى حال الرهبه.و بالرغم من أنّ نتائج هذه الاحتمالات الخمسه تختلف مع بعضها،إلاّ أنّ هذا التفاوت فى جزئيات مفهوم الآيه،لا فى أساسها و نتيجتها.

الآیه [سوره الأنبياء (٢١): آیه ٩١]

اشاره

وَ اَلَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا فَنَفَخْنٰا فِیهٰا مِنْ رُوحِنٰا وَ جَعَلْنٰاهٰا وَ اِبْنَهٰا آیَهً لِلْعٰالَمِینَ (٩١)

التّفسیر

اشاره

مریم السیّده الطاهره:

أشیر فی هذه الآیه إلی مقام مریم و عظمتها و عظمه ابنها المسیح علیهما السّلام.

إنّ ذکر مریم فی ثنایا البحوث التی تتکلّم علی الأنبیاء الکرام؛إمّا من أجل ولدها عیسی علیه السّلام،أو لأنّ ولادته کانت تشبه ولاده یحیی بن زکریا علیهما السّلام من جهات متعدّده،و قد ذکرنا تفصیل ذلک فی ذیل آیات سوره مریم (١) .أو لیوضّح أنّ العظمه غیر مختّصه بالرجال،بل هناک نساء عظیمات یدلّ تاریخهنّ علی عظمتهنّ،و کنّ قدوه و مثلا أسمی لنساء العالم.

تقول الآیه:و اذکر مریم: وَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا فَنَفَخْنٰا فِیهٰا مِنْ رُوحِنٰا وَ جَعَلْنٰاهٰا وَ ابْنَهٰا آیَهً لِلْعٰالَمِینَ .

١- ١) -تراجع الآیات الأولی من سوره مریم.

ملاحظات

۱-«الفرج»معناه فی اللغه الفاصله و الشقّ،و استعمل کنایه عن العضو التناسلی،لا أنّه صریح فی هذا المعنی و یری البعض انّ کلّ ما ورد فی القرآن فی شأن الأمور الجنسیه له طابع کنائی و غیر صریح،من قبیل«اللمس»«الدخول» «الغشیان» (۱) «الإتیان» (۲) و غیر ذلک.

و یلزم ذکر هذه اللطیفه أیضا،و هی:إنّ ظاهر الآیه المتقدّمه یقول:إنّ مریم قد حفظت طهارتها و عفّتها من کلّ أشکال التلوّث بما ینافی العفّه.إلّا أنّ بعض المفسّرین احتمل فی معنی هذه الآیه أنّها امتنعت من الاتّصال بالرجال،سواء کان ذلک من الحلال أو الحرام (۳) ،کما تقول الآیه(۲۰)من سوره مریم: وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَکُ بَغِیًّا .

إنّ هذه الصفه فی الحقیقه مقدّمه لإثبات إعجاز ولاده عیسی و کونه آیه.

۲-إنّ المراد من«روحنا»-کما قلنا سابقا-الإشاره إلی روح عظیمه متعالیه،و یقال لمثل هذه الإضافه:«الإضافه التشریفیّه»،حیث نضیف شیئا إلی اللّه لبیان عظمته،مثل بیت اللّه،و شهر اللّه.

۳-تقول الآیه آنفه الذکر:إنّا جعلنا مریم و ابنها آیه للعالمین،و لم تقل:آیتین و علامتین،لأنّ وجود مریم و وجود ابنها امتزجا فی هذه الآیه الإلهیّه العظیمه امتزاجا لا یمکن معه تجزئه بعضهما عن بعض،فإنّ ولاده ولد بدون أب إعجاز بنفس المقدار الذی تحمل فیه امرأه بدون زوج.و کذلک معجزات عیسی علیه السّلام فی طفولته و کبره فإنّها تذکر بامّه.

إنّ هذه الأمور الخارقه للعاده،و المخالفه للأسباب الطبیعیّه العادیه،یبیّن فی

۱- ۱) -الأعراف،۱۸۹ فَلَمّٰا تَغَشّٰاهٰا .
۲- ۲) -البقره،۲۲۲ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللّٰهُ .
۳- ۳) -التّفسیر الکبیر للفخر الرازی،و تفسیر فی ظلال القرآن،ذیل الآیه محل البحث.

الجمله حقیقه أنّ وراء سلسله الأسباب قدره قادره علی تغییرها فی أی وقت شاءت.

و علی کلّ حال،فإنّ حال السیّد المسیح و امّه مریم علیهما السّلام لم یکن له نظیر علی طول تأریخ البشر،فلم یر قبله و لا بعده شبیه له و ربّما کان تنکیر کلمه(آیه)[فی قوله تعالی: وَ جَعَلْنٰاهٰا وَ ابْنَهٰا آیَهً لِلْعٰالَمِینَ]

الدالّ علی التعظیم هو إشاره إلی هذا المعنی...

ص: ٢٣٩

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٢ الى ٩٤]

اشاره

إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنٰا رٰاجِعُونَ (٩٣) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ اَلصّٰالِحٰاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلاٰ كُفْرٰانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنّٰا لَهُ كٰاتِبُونَ (٩۴)

التّفسير

اشاره

امّه واحده:

لمّا ورد فى الآيات السابقه أسماء جمع من أنبياء اللّه،و كذلك مريم،تلك المرأه التى كانت مثلا أسمى،و جانب من قصصهم،فإنّ هذه الآيات تستخلص نتيجه ممّا مرّ،فتقول: إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً فقد كان منهجهم واحدا، و هدفهم واحدا بالرغم من اختلافهم فى الزمان و المحيط و الخصائص و الأساليب و الطرائق،فهم كانوا يسيرون فى منهج واحد و يمضون جميعا فى طريق التوحيد و محاربه الشرك و دعوه الناس إلى الإيمان باللّه و الحقّ و العداله.

إنّ توحيد و وحده الخطط و الأهداف هذه تعود إلى أنّها جميعا تصدر عن مصدر واحد،عن إراده اللّه الواحد،و لهذا تقول الآيه مباشره: وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ .

ص :٢۴٠

إنّ توحيد الأنبياء الاعتقادى فى الواقع يقوم على أساس وحده منبع الوحى، و هذا الكلام يشبه

كلام الإمام على عليه السّلام فى وصيته لولده الإمام المجتبى عليه السّلام حيث يقول: «و اعلم يا بنى أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله،و لعرفت أفعاله و صفاته» (۱) .

«الامّه»-كما يقول الراغب فى مفرداته-تعنى كلّ جماعه تربطهم جهه مشتركه،الاشتراك فى الدين،أو الزمن و العصر الواحد،أو المكان المعيّن،سواء كانت هذه الوحده اختياريه أو بدون إختيار.

و اعتبر بعض المفسّرين الامّه الواحده هنا بمعنى الدين الواحد،و لكن كما قلنا أنّ هذا التّفسير لا يتناسب و الأصل اللغوى للامّه.

و قال البعض الآخر:إنّ المراد من الامّه هنا كلّ البشر و فى جميع الأعصار، أى إنّكم أيّها البشر أمّه واحده،ربّكم واحد، و هدفكم الأخير واحد.

إنّ هذا التّفسير و إن كان أكثر انسجاما من التّفسير السابق،و لكنّه لا يبدو مناسبا بملاحظه ارتباط هذه الآيه بالآيات السابقه،بل الأنسب منها جميعا أن تكون هذه الجمله إشاره إلى الأنبياء الذين مرّ ذكرهم فى الآيات السابقه.

و أشارت الآيه التاليه إلى انحراف جماعه عظيمه من الناس عن أصل التوحيد،فقالت: وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ فقد وصل بهم الأمر إلى أن يقف بعضهم ضدّ بعض،و يلعن بعضهم بعضا و يتبرّأ منه،و لم يكتفوا بذلك،بل شهروا السلاح فيما بينهم،و سفكوا الدماء الكثيره،و كانت هذه الأحداث نتيجه الانحراف عن أصل التوحيد و دين اللّه الحقّ.

جمله«تقطّعوا»-من مادّه قطع-بمعنى تفريق القطع المتّصله بموضوع واحد، و إذا لاحظنا أنّها جاءت من باب(تفعّل)الذى يأتى بمعنى القبول،فإنّ معنى

۱- ۱) -نهج البلاغه.الرساله ۳۱.

الجمله هو:إنّ أولئک قد استسلموا أمام عوامل التفرقه و النفاق،و رضوا بأن یبتعد أحدهم عن الآخر،و أنهوا اتّحادهم الفطری و التوحیدی،فمنوا-نتیجه ذلک-بکلّ تلک الهزائم و الشقاوه! و تضیف فی النهایه: کُلٌّ إِلَیْنا راجِعُونَ فإنّ هذا الاختلاف عرضی یمکن اقتلاعه،و سیسیرون فی طریق الوحده جمیعا فی یوم القیامه،و قد أکّد علی هذه المسأله فی کثیر من الآیات القرآنیه، و هی أنّ واحده من خصائص یوم القیامه زوال الاختلافات و ذوبانها و الرجوع إلی الوحده،فنقرأ فی الآیه ۴۸/سوره المائده: إِلَی اللّٰهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ .

و یلاحظ هذا المضمون فی آیات متعدّده من القرآن الکریم (۱) ،و علی هذا فإنّ خلق البشر بدأ من الوحده،و یرجع إلی الوحده.

و تبیّن الآیه الأخیره نتیجه الانسجام مع الامّه الواحده فی طریق عباده اللّه،أو الانحراف عنها و اتّخاذ طریق التفرقه،فتقول: فَمَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصّٰالِحٰاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلاٰ کُفْرٰانَ لِسَعْیِهِ و من أجل زیاده التأکید قالت: وَ إِنّٰا لَهُ کٰاتِبُونَ .

و ممّا یستحقّ الانتباه،أنّ الإیمان و العمل الصالح قد ذکرا فی هذه الآیه- ککثیر من آیات القرآن الاخری-کرکنین أساسیّین لنجاه البشر،غیر أنّ کلمه (من)التبعیضیّه تضیف إلی ذلک أنّ القیام بکلّ الأعمال الصالحه لیس شرطا،فإنّ المؤمنین إذا قاموا ببعض الأعمال الصالحه فإنّهم من أهل النجاه و السعاده.

و علی کلّ حال،فإنّ هذه الآیه ککثیر من آیات القرآن الاخری قد عدّت الإیمان شرطا لقبول الأعمال الصالحه.

ذکر جمله فَلاٰ کُفْرٰانَ لِسَعْیِهِ فی مقام بیان ثواب مثل هؤلاء الأفراد،هو

۱- ۱) -آل عمران-۵۵،و الأنعام-۱۶۴،و النحل-۹۲،و الحجّ-۶۹،و...

تعبیر مقترن بتمام اللطف و المحبّه و السماحه،لأنّ اللّه سبحانه هنا فی مقام الشکر و الثناء علی عباده،و یشکر لهؤلاء سعیهم.

و هـذا التعبیر یشـبه التعبیر الـذی ورد فی الآیه ۱۹/سوره الإسـراء: وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعی لَها سَعْیَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِکَ کانَ سَعْیُهُمْ مَشْکُوراً .

ص: ۲۴۳

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٥ الى ٩٧]

اشاره

وَ حَرٰامٌ عَلىٰ قَرْيَهٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أَنَّهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتّٰى إِذٰا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَ اِقْتَرَبَ اَلْوَعْدُ اَلْحَقُّ فَإِذٰا هِيَ شٰاخِصَهٌ أَبْصٰارُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا يٰا وَيْلَنٰا قَدْ كُنّٰا فِي غَفْلَهٍ مِنْ هٰذٰا بَلْ كُنّٰا ظٰالِمِينَ (٩٧)

التّفسير

اشاره

الكافرون على أعتاب القيامه:

كان الكلام فى آخر الآيات السابقه على المؤمنين العاملين للصالحات، و تشير الآيه الأولى من هذه الآيات إلى الأفراد فى الطرف المقابل لأولئك،و هم الذين استمرّوا فى الضلال و الفساد إلى آخر نفس،فتقول: وَ حَرٰامٌ عَلىٰ قَرْيَهٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أَنَّهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ (1) .

إنّ هؤلاء فى الحقيقه أناس ترفع الحجب عن أعينهم و أنظارهم بعد مشاهده العذاب الإلهى،أو بعد فنائهم و انتقالهم إلى عالم البرزخ،و عندها يأملون أن

١- ١) -بناء على هذا التّفسير فإنّ حَرٰامٌ خبر لمبتدأ محذوف،و جمله أَنَّهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ دليل على ذلك،و التقدير:«حرام على أهل قريه أهلكناها أن يرجعوا إلى الدنيا أنهم لا يرجعون»

يرجعوا إلى الدنيا ليصلحوا أخطاءهم و يعملون الصالحات،إلاّ أنّ القرآن يقول بصراحه:إنّ رجوع هؤلاء حرام تماما،و لم يبق طريق لجبران ما صدر منهم.

و هذا يشبه ما جاء فى الآيه(٩٩)من سوره المؤمنون: حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قٰالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ كَلاّٰ. .

و قد ذكرت فى تفسير هذه الآيه توضيحات أخرى نشير إلى بعضها فى الهامش (١) .

و على كلّ حال فإنّ هؤلاء المغفّلين فى غرور و غفله على الدوام،و تستمرّ هذه التعاسه حتّى نهايه العالم،كما يقول القرآن: حَتّٰى إِذٰا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ .

لقد بحثنا بصوره مفصّله حول«يأجوج و مأجوج»،و إنّهما من أيّه طائفه كانا؟ و أين كانا يعيشان؟و أخيرا ماذا يعملان،و ماذا سيكونان؟فى ذيل الآيه(٩۴)و ما بعدها من سوره الكهف،كما تكلّمنا على«السدّ»الذى بناه«ذو القرنين»فى مضيق جبلى ليمنع نفوذهما أيضا...

هل المراد من فتح هاتين الطائفتين تحطيم السدّ،و نفوذهما عن هذا الطريق إلى مناطق العالم الأخرى؟أم المراد نفوذهما فى الكره الأرضيه من كلّ حدب و صوب؟لم تتحدّث الآيه عن ذلك بصراحه،بل ذكرت انتشارهم و تفرّقهم فى الكره الأرضيه كعلامه لنهايه العالم و مقدّمه للبعث و القيامه، فتقول مباشره:

وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذٰا هِيَ شٰاخِصَةٌ أَبْصٰارُ الَّذِينَ كَفَرُوا

.لأنّ الرعب يسيطر

١- ١) -اعتبر البعض«الحرام»هنا بمعنى الواجب،و قالوا:إنّ هذه الكلمه قد تأتى أحيانا بهذا المعنى،فتكون(لا)زائده،و يصبح معنى الآيه:إنّ رجوع هؤلاء فى الآخره واجب. و قال البعض الآخر:إنّ الحرام هنا يعنى الحرام نفسه،إلاّ أنّ(لا)زائده،فيكون المعنى:إنّ رجوع هؤلاء إلى الدنيا حرام. و اعتقد البعض الآخر أنّ المعنى عدم التوبه و الرجوع إلى اللّه(تفسير مجمع البيان،و الفخر الرازى،ذيل الآيه مورد البحث). و قال بعض آخر:إنّ هذه الآيه من قبيل نفى النفى،فتقول:إنّ من المحال أن لا يرجع هؤلاء فى القيامه،أى إنّهم يرجعون(تفسير منهج الصادقين،ذيل الآيه مورد البحث)إلاّ أنّ ما أوردناه فى المتن هو الأنسب من الجميع.

على وجودهم إلى حدّ أنّ عيونهم تتوقّف عن الحركه و تصبح جاحظه لدى نظرهم إلى تلك الحوادث.

فى هذه الأثناء ترفع عن أبصارهم حجب الغفله و الغرور،فيرتفع صوتهم:

يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَهٍ مِنْ هٰذَا

.و لمّا كانوا لا يقدرون على تغطيه ذنبهم بهذا العذر ليبرّئوا أنفسهم،فإنّهم يقولون بصراحه: بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ .

كيف يمكن عاده مع وجود كلّ هؤلاء الأنبياء،و الكتب السماويه،و كلّ هذه الحوادث المثيره و العبر و الدروس أن يكونوا فى غفله؟إنّ ما صدر من هؤلاء تقصير و ظلم لأنفسهم و للآخرين.

معنى بعض الكلمات:

«حدب»على زنه«أدب»معناه ما ارتفع من الأرض بين منخفضاتها،و قد يطلق على ما ارتفع و برز من ظهر الإنسان أيضا.

«ينسلون»من مادّه«نسول»(على وزن فضول)،أى الخروج بسرعه.و ما قيل فى شأن يأجوج و مأجوج إنّهما يمرّان بسرعه على المرتفعات إشاره إلى نفوذهم الخارق فى الكره الأرضيه.

«شاخصه»من الشخوص،و هو فى الأصل الخروج من المنزل،أو الخروج من مدينه إلى أخرى،و لمّا كانت العين عند التعجّب و الدهشه كأنّها تريد الخروج من الحدقه،فقد قيل لذلك«شخوص»إنّ هذه هى حاله المذنبين العاصين فى القيامه يصبحون حائرين كأنّ أعينهم تريد أن تخرج من أحداقهم.

الآيات [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٨ الى ١٠٣]

اشاره

إِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهٰا وٰارِدُونَ (٩٨) لَوْ كٰانَ هٰؤُلاٰءِ آلِهَةً مٰا وَرَدُوهٰا وَ كُلٌّ فِيهٰا خٰالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ هُمْ فِيهٰا لاٰ يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ اَلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا اَلْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ (١٠١) لاٰ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهٰا وَ هُمْ فِي مَا اِشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خٰالِدُونَ (١٠٢) لاٰ يَحْزُنُهُمُ اَلْفَزَعُ اَلْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقّٰاهُمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ هٰذٰا يَوْمُكُمُ اَلَّذِی كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)

التّفسير

اشاره

حصب جهنّم!

متابعه للبحث السابق عن مصير المشركين الظّالمين،فقد وجّهت هذه الآيات الخطاب إليهم،و جسّدت مستقبلهم و مستقبل آلهتهم بهذه الصوره: إِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ! «الحصب»فى الأصل يعنى الرمى و الإلقاء،و تقال بالذات لإلقاء قطع الحطب

ص: ٢٤٧

فی التنور.

و قال بعضهم:إنّ للحطب-علی وزن سبب-فی لغات العرب ألفاظا مختلفه، فبعض القبائل یسمّیه حصبا،و البعض الآخر خضبا،و لمّا کان القرآن یسعی للتألیف بین القبائل و الطوائف و القلوب،فإنّه کان یستعمل لغات مختلفه أحیانا، و من جمله ذلک کلمه«حصب»هذه،و هی لغه أهل الیمن لکلمه حطب (۱) .

و علی کلّ حال،فإنّ الآیه محلّ البحث تقول للمشرکین،إنّکم و آلهتکم ستکوّنون حطب جهنّم،و ستلقون الواحد تلو الآخر فی نار جهنّم کقطع الحطب التی لا قیمه لها،ثمّ تضیف أَنْتُمْ لَها وٰارِدُونَ .

و هذه الجمله إمّا أن تکون تأکیدا لهذا المطلب،أو إنّها إشاره إلی نکته جدیده، و هی أنّهم یلقون آلهتکم فی النّار أوّلا،ثمّ تردون علیها،فکأنّ آلهتکم تستقبلکم و تستضیفکم بالنّار المنبعثه من وجودها (۲) .

فإذا سأل سائل ما الهدف من إلقاء الأصنام فی جهنّم؟

یقال فی الجواب:إنّ هذا بنفسه نوع من العذاب بالنسبه لعبده الأصنام حیث یرون أنّهم یحترقون فی النّار التی تتوقّد من آلهتهم.إضافه إلی أنّه تحقیر لأفکارهم حیث کانوا یلتجؤون إلی مثل هذه الموجودات العدیمه القیمه و الأهمیّه.

طبعا،هذا فی حاله کون مٰا تَعْبُدُونَ تعنی الآلهه المیته التی لا روح لها کالأصنام الحجریه و الخشبیه،کما یستفاد ذلک من(ما)لأنّها تستعمل غالبا لغیر العاقل.

۱- ۱) -تفسیر أبی الفتوح الرازی،ذیل الآیات مورد البحث.

۲- ۲) -ینبغی الالتفات إلی أنّ اللام فی(لها)بمعنی«إلی»،و ضمیر(ها)یعود إلی جهنّم فی الصوره الأولی،أمّا فی التّفسیر الثّانی فإنّ اللام تعنی«إلی»،و لکن الضمیر یعود إلی الأصنام.

أمّا إذا أخذناها بالمعنى العامّ،بحيث تشمل الشياطين الذين أصبحوا محلّ عباده،فإنّ مسأله ورود هذه الآلهه إلى جهنّم واضحه تماما،لأنّهم شركاء فى الجريمه و المعصيه.

ثمّ تقول كاستخلاص للنتيجه: لَوْ كٰانَ هٰؤُلاٰءِ آلِهَةً مٰا وَرَدُوهٰا و لكن اعلموا أنّهم لا يدخلون جهنّم و حسب،بل وَ كُلٌّ فِيهٰا خٰالِدُونَ . و ممّا يلفت النظر هنا أنّ عبّاد الأصنام سيبتلون بآلهتهم خالدين معها،تلك الآلهه التى كانوا يعبدونها دائما، و كانوا يعدّونها درعا واقيا عن البلاء،و كانوا يطلبون منها حلّ مشاكلهم و معضلاتهم! و لمزيد الإيضاح عن حال هؤلاء«العابدين الضالّين»المؤلمه المخزيه قبال «آلهتهم الحقيره»،تقول الآيه محلّ البحث: لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ .

«الزفير»فى الأصل يعنى الصراخ المقترن بإخراج النفس.و قال بعضهم:إنّ صوت الحمار و صراخه المنكسر يسمّى فى البدايه زفيرا،و فى آخره شهيقا.

و على كلّ حال فإنّه استعمل هنا إشاره إلى الصراخ أو الضجيج المنبعث من الحزن و شدّه الكرب (۱) .

كما يحتمل أنّ هذا الزفير أو الأنين المؤلم لا يكون مقتصرا على العباد فحسب،بل إنّ معبوداتهم من الشياطين أيضا يصطرخون معهم.

ثمّ تذكّر الجمله التاليه أحد العقوبات الاخرى المؤلمه لهؤلاء،و هى وَ هُمْ فِيهٰا لاٰ يَسْمَعُونَ .و هذه الجمله قد تكون إشاره إلى أنّ هؤلاء لا يسمعون الكلام الذى يسرّهم و يبهجهم،بل يسمعون أنين أهل جهنّم المؤلم المنغّص و صراخ ملائكه العذاب فقط.

و قال بعضهم:إنّ المراد هو أنّ هؤلاء يوضعون فى توابيت من نار بحيث

۱- ۱) -لمزيد الإيضاح راجع تفسير الآيه(۱۰۶)من سوره هود.

لا يسمعون صوت أى أحد أبدا،فكأنّهم لوحدهم فى العذاب،و هذا بنفسه يعتبر عقوبه أشدّ،لأنّ الإنسان إذا رأى معه بعض المسجونين فستهون عليه المصيبه،و «البليّه إذا عمّت طابت»،كما فى المثل.

ثمّ تبيّن الآيه التاليه حالات المؤمنين الحقيقيين من الرجال و النساء ليتبيّن وضع الفريقين من خلال المقارنه بينهما،فتقول أوّلا: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ و هو إشاره إلى أنّنا سنفى بكلّ الوعود التى وعدنا بها المؤمنين فى هذه الدنيا،و أحدها إبعادهم عن نار جهنّم.

و بالرغم من أنّ ظاهر الجمله يشمل كلّ المؤمنين الحقيقيين،إلاّ أنّ البعض احتمل أن تكون إشاره إلى من عبد من دون اللّه كالمسيح و مريم عليهما السّلام،الذين عبدوا دون إرادتهم،و لمّا كانت الآيات السابقه تقول:ستكونون أنتم و آلهتكم فى جهنّم، و كان من الممكن أن يشمل هذا التعبير أمثال المسيح عليه السّلام،فإنّ القرآن يبيّن هذه الجمله كاستثناء بأنّ هذه الفئه سوف لا ترد الجحيم أبدا.

و ذكر بعض المفسّرين سببا لنزول هذه الآيه،و هو يوحى بأنّ البعض قد سأل الرّسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم نفس هذا السؤال فنزلت الآيه تجيبهم.و لكن مع ذلك فلا مانع من أن تكون الآيه جوابا لهذا السؤال،و أن تكون حكما عامّا لكلّ المؤمنين الواقعيين.

و تذكر الآيتان الأخيرتان أربع نعم إلهيّه كبرى تغمر هذه الطائفه السعيده.

فالأولى:إنّهم لاٰ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهٰا و«الحسيس»-كما قال أرباب اللغه-الصوت المحسوس،و جاءت أيضا بمعنى الحركه،أو الصوت الناشئ من الحركه،و نار الجحيم المشتعله دائما لها صوت خاصّ،و هذا الصوت مرعب من جهتين:من جهه أنّه صوت النّار،و من جهه أنّه صوت حركه النّار و التهامها.و لمّا كان المؤمنون المخلصون بعيدين عن جهنّم،فسوف لا يطرق سمعهم هذا الصوت المرعب مطلقا.

و الثّانیه:إنّهم وَ هُمْ فِی مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ فلیس حالهم کما فی هـذه الـدنیا المحدوده،حیث أنّ الإنسان یأمل کثیرا من النعم دون أن ینالها،فإنّهم ینالون کلّ نعمه یریـدونها،مادیه کانت أو معنویه،و لیس ذلک علی مدی یوم أو یومین،بل علی امتداد الخلود.

و الثّالثه:إنّهم لاٰ یَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَکْبَرُ .و قـد اعتبر بعضـهم أنّ هذا الفزع الأکبر إشاره إلی أهوال یوم القیامه التی هی أکبر من کلّ هول و فزع،و عـدّه بعضـهم إشاره إلی نفخه الصور و اختلافات الأحوال و تبـدّلها عنـد انتهاء هـذه الـدنیا،و الزلزال العجیب الذی سیدکّ أرکان هذا العالم کما جاء فی الآیه(۸۷)من سوره النحل.

و لکن لمّا کان هول یوم القیامه و فزعها أهمّ و أکبر من جمیع تلک الأمور،فإنّ التّفسیر الأوّل یبدو هو الأصحّ.

و الرّابعه:من ألطاف اللّه تعالی لهؤلاء هو ما ذکرته الآیه محلّ البحث:

وَ تَتَلَقّٰاهُمُ الْمَلاٰئِکَهُ هٰذٰا یَوْمُکُمُ الَّذِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ

.

و

فی نهج البلاغه أنّ أمیر المؤمنین علیا علیه السّلام قال: «فبادروا بأعمالکم تکونوا مع جیران اللّه فی داره،رافق بهم رسله،و أزارهم ملائکته،و أکرم أسماعهم أن تسمع حسیس جهنّم أبدا» (۱) .

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۸۳.

الآیه [سوره الأنبياء (٢١): آیه ١٠۴]

اشاره

يَوْمَ نَطْوِي اَلسَّمٰاءَ كَطَيِّ اَلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنٰا إِنّٰا كُنّٰا فٰاعِلِينَ (١٠۴)

التّفسیر

اشاره

یوم تطوی السّماء!

قرأنـا فی آخر آیه من الآیـات السـابقه أنّ المؤمنین آمنون من الفزع الأکبر و همّه،و تجسّم هـذه الآیه رعب ذلک الیوم العظیم،و فی الحقیقه تبیّن و تجسّد علّه عظمه و ضخامه هذا الرعب،فتقول: يَوْمَ نَطْوِي السَّمٰاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (١) .

لقد کان الناس فی الأزمنه الغابره یستعملون أوراقا کالطومار لکتابه الرسائل و الکتب،و کانوا یطوون هذا الطومار قبل الکتابه،ثمّ أنّ الکاتب یفتح منه تدریجیّا و یکتب علیه ما یرید کتابته، ثمّ یطوی بعد الانتهاء من الکتابه و یضعونه جانبا، و لذلک فقد کانت رسائلهم و مثلها کتبهم أیضا علی هیئه الطومار،و کان هذا الطومار یسمّی سجلا،إذ کان یستفاد منه للکتابه.

و فی هذه الآیه تشبیه لطیف لطیّ سجل عالم الوجود عند انتهاء الدنیا،ففی

ص :٢٥٢

١- ١) -السـجل:الدلو العظیمه،و السّـِجلّ حجر کان یکتب فیه،ثمّ سـمّی کلّ ما یکتب فیه سـجلا-مفردات الراغب و القاموس- و ینبغی الالتفات إلی أنّه احتملت احتمالات عدیده فی تفسیر جمله كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ إلاّ أنّ أقربها أنّ«طی»مصدر للسجل الذی أضیف مفعوله،و اللام فی(للکتب)إمّا للإضافه أو لبیان العلّه.دقّقوا ذلک.

الوقت الحاضر فإنّ هذا السجل مفتوح،و تقرأ كلّ رسومه و خطوطه،و كلّ منها فی مكان معيّن،أمّا إذا صدر الأمر الإلهی بقيام القيامه فإنّ هذا السجل العظيم سيطوى بكلّ رسومه و خطوطه.

طبعا،لا يعنی طی العالم الفناء كما يتصوّر البعض،بل يعنی تحطّمه و جمعه، و بتعبير آخر:فإنّ شكل العالم و هيئته ستضطرب و يقع بعضه على بعض،لكن لا تفنی مواده،و هذه الحقيقه تستفاد من التعبيرات المختلفه فی آيات المعاد، و خاصه من آيات رجوع الإنسان من العظام النخره،و من القبور.

ثمّ تضيف كَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ و هذا التعبير يشبه التعبير الذی ورد فی الآيه(۲۹)من سوره الأعراف: كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ أو أنّه مثل تعبير وَ هُوَ الَّذِی يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ (۱) (۲) .

أمّا ما احتمله بعض المفسّرين من أنّ المراد من هذا الرجوع هو الرجوع إلى الفناء و العدم،أو التلاحم و الارتباط كما فی بدايه الخلق،فيبدو بعيدا جدّا.

و فی النهايه تقول الآيه: وَعْداً (۳) عَلَيْنٰا إِنّٰا كُنّٰا فٰاعِلِينَ (۴) .

و يستفاد من بعض الرّوايات أنّ المراد من رجوع الناس إلى الحاله الأولى، هو أنّهم يرجعون حفاه عراه مرّه أخرى كما كانوا فی بدايه الخلق.و لكن لا شكّ أنّ هذا لا يعنی انحصار معنى الآيه فی ذلك و اقتصاره عليه،بل إنّه أحد صور رجوع الخلق إلى الصوره الأولى (۵) .

۱- ۱) -سوره الروم،۲۷.

۲- ۲) -كما قلنا سابقا،فإنّه لا يوجد صعب و سهل بالنسبه إلى قدره اللّه اللامتناهيه،بل كلّ شیء متساو مقابل قدرته،و على هذا فإنّ التعبير المستعمل فی الآيه أعلاه إنّما هو بالنسبه لمحدوديه فهم البشر،دقّقوا ذلك.

۳- ۳) -«وعدا»مفعول لفعل مقدّر تقديره:وعدنا.

۴ - ۴) -هذه الجمله تتضمّن عدّه تأكيدات،فلفظه الوعد،ثمّ التعبير ب(علينا)و بعدها التأكيد ب(إنّا)ثمّ استعمال الفعل الماضی(كنّا) و كذلك كلمه(فاعلين).

۵- ۵) -مجمع البيان،ذيل الآيات مورد البحث.

الآيتان [سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۱۰۵ الی ۱۰۶]

اشاره

وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِی اَلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ اَلذِّكْرِ أَنَّ اَلْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ اَلصّالِحُونَ (۱۰۵) إِنَّ فِی هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِینَ (۱۰۶)

التّفسیر

اشاره

سیحکم الصالحون الأرض:

بعد أن أشارت الآیات السابقه إلی جانب من ثواب المؤمنین الصالحین،فقد أشارت السوره فی هاتین الآیتین إلی أحد أوضح المكافآت الدنیویّه لهؤلاء، فتقول: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُونَ .

و كلمه«الأرض»تطلق علی مجموع الكره الأرضیه،و تشمل كافّه أنحاء العالم إلاّ أن تكون هناك قرینه خاصّه فی الأمر،و مع أنّ البعض احتمل أن یكون المراد وراثه كلّ الأرض فی القیامه،إلاّ أنّ ظاهر كلمه الأرض عند ما تذكر بشكل مطلق تعنی أرض هذا العالم.

و لفظ«الإرث»-كما أشرنا إلی ذلك سابقا-یعنی انتقال الشیء إلی شخص بدون معامله و أخذ و عطاء،و قد استعملت هذه الكلمه فی القرآن أحیانا بمعنی تسلّط و انتصار قوم صالحین علی قوم طالحین،و السیطره علی مواهبهم

و إمكانياتهم،كما نقرأ فى الآيه(۳۷)من سوره الأعراف فى شأن بنى إسرائيل:

وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا .

و بالرغم من أنّ«الزبور»فى الأصل يعنى كلّ كتاب و مقال،و مع أنّ موضعين من المواضع الثلاثه التى استعملت فيها هذه الكلمه فى القرآن يشيران إلى زبور داود،فلا يستبعد أن يكون المورد الثّالث،أى ما ورد فى الآيه محلّ البحث إشاره إلى هذا المعنى أيضا.

إنّ زبور داود-أو بتعبير كتب العهد القديم(مزامير داود)-عباره عن مجموعه أدعيه النبىّ داود و مناجاته و نصائحه و مواعظه.

و احتمل بعض المفسّرين أن يكون المراد من الزبور هنا كلّ كتب الأنبياء السابقين (۱) .

و لكن يبدو على الأغلب-مع ملاحظه الدليل الذى ذكرناه-أنّ الزبور هو كتاب مزامير داود فقط،خاصه و أنّ فى المزامير الموجوده عبارات تطابق هذه الآيه تماما،و سنشير إلى ذلك فيما بعد إن شاء اللّه تعالى.

«و الذكر»فى الأصل يعنى التذكير أو ما يسبّب التذكير و التذكّر،و استعملت هذه الكلمه فى القرآن بهذا المعنى،و أطلقت أحيانا على كتاب موسى السماوى، كالآيه(۴۸)من سوره النساء: وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ .

و استعملت أحيانا فى شأن القرآن،كالآيه(۲۷)من سوره التكوير: إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ و لذلك قال البعض:إنّ المراد من الذكر-فى الآيه مورد البحث- هو القرآن،و الزبور كلّ كتب الأنبياء السابقين،أى إنّنا كتبنا فى كلّ كتب الأنبياء السابقين إضافه إلى القرآن بأنّ الصالحين سيرثون الأرض جميعا.

۱- ۱) -نقل هذا الاحتمال فى تفسير مجمع البيان،و تفسير الفخر الرازى عن عدّه من المفسّرين.

لکن ملاحظه التعبیرات التی استعملت فی الآیه توضّح أنّ المراد من الزبور کتاب داود،و الذکر بمعنی التوراه،و مع ملاحظه أنّ الزبور کان بعد التوراه،فإنّ تعبیر مِنْ بَعْدِ حقیقی،و علی هذا فإنّ معنی الآیه:إنّنا کتبنا فی الزبور بعد التوراه أنّنا سنورث العباد الصالحین الأرض.

و هنا ینقدح سؤال،و هو:لماذا ذکر هذان الکتابان من بین الکتب السماویه؟ ربّما کان هذا التعبیر بسبب أنّ داود کان أحد أکبر الأنبیاء،و استطاع أن یشکّل حکومه الحقّ و العدل،و کان بنو إسرائیل مصداقا واضحا للقوم المستضعفین الذین ثاروا بوجه المستکبرین و دمّروا دولتهم و استولوا علی حکومتهم و ورثوا أرضهم.

و السؤال الآخر الذی یثار هنا هو:من هم عباد اللّه الصالحون؟ إذا لاحظنا إضافه العباد إلی اللّه ستتّضح مسأله إیمان هؤلاء و توحیدهم، و بملاحظه کلمه الصالحین التی لها معنی واسع،فستخطر علی الذهن کلّ المؤهّلات،الأهلیّه من ناحیه التقوی،و العلم و الوعی،و من جهه القدره و القوّه، و من جانب التدبیر و التنظیم و الإدراک الاجتماعی.

عند ما یهیء العباد المؤمنون هذه المؤهّلات و الأرضیات لأنفسهم،فإنّ اللّه سبحانه یساعدهم و یعینهم لیمرغوا انوف المستکبرین فی التراب،و یقطعوا أیدیهم الملوّثه،فلا یحکمون أرضهم بعد،بل تکون للمستضعفین،فیرثونها،فبناء علی ذلک فإنّ مجرّد کونهم مستضعفین لا یدلّ علی الإنتصار علی الأعداء و حکم الأرض،بل إنّ الإیمان لازم من جهه،و اکتساب المؤهّلات من جهه أخری،و ما دام مستضعفو الأرض لم یحیوا هذین الأصلین فسوف لا یصلون إلی وراثه الأرض و حکمها. و لذلک فإنّ الآیه التالیه تقول من باب التأکید المشدّد: إِنَّ فِی هٰذٰا لَبَلاٰغاً لِقَوْمٍ عٰابِدِینَ .

لقد اعتبر بعض المفسّرین(هذا)إشاره إلی کلّ الوعود و التهدیدات التی

جاءت فی هذه السوره،أو فی کلّ القرآن،و یدخل موضوع بحثنا فی هذا المفهوم الکلیّ أیضا.إلاّ أنّ ظاهر الآیه هو أنّ(هذا)إشاره إلی الوعد الذی أعطی للعباد الصالحین فی الآیه السابقه فی شأن الحکومه فی الأرض.

بحوث

اشاره

١-روایات حول ثوره المهدی علیه السّلام

لقد فسّرت هذه الآیه فی بعض الرّوایات بأصحاب المهدی علیه السّلام،کما نری

روایه فی تفسیر مجمع البیان عن الإمام الباقر علیه السّلام فی ذیل هذه الآیه: «هم أصحاب المهدی فی آخر الزمان».

و

جاء فی تفسیر القمّی فی ذیل هذه الآیه: أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُونَ قال:«القائم و أصحابه».

لا یخفی أنّ معنی هذه الرّوایات لیس الحصر،بل هو بیان مصداق عال و واضح،و قلنا مرارا:إنّ هذه التفاسیر لا تحدّ من عمومیه مفهوم الآیه مطلقا،و بناء علی هذا ففی کلّ زمان،و فی أی مکان ینهض فیه عباد اللّه الصالحون بوجه الظلم و الفساد فإنّهم سینتصرون عاقبه الأمر،و سیکونون ورثه الأرض و حاکمیها.

و إضافه إلی الرّوایات الوارده آنفا فی تفسیر هذه الآیه،فقد رویت روایات کثیره جدّا(بلغت حدّ التواتر)عن الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلم و أئمّه أهل البیت علیهم السّلام،و عن طریق السّنه و الشیعه،فی شأن المهدی علیه السّلام،و کلّها تدلّ علی أنّ حکم الأرض سیقع فی أیدی الصالحین،و إنّ رجلا من أهل بیت النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم یقوم فیملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت ظلما و جورا.

و من جمله الرّوایات الحدیث المعروف عن النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و الذی نقلته أکثر المصادر الإسلامیه:

«لو لم یبق من الدنیا إلاّ یوم،لطوّل اللّه ذلک الیوم حتّی یبعث

رجلا(صالحا)من أهل بيتى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا».

و قد ورد هذا الحديث بهذا التعبير مع اختلاف يسير فى كثير من كتب الشيعه و أهل السنّه (1) .

و قد نوّهنا فى ذيل الآيه(۳۳)من سوره التوبه:إنّ جماعه من كبار علماء الإسلام،من أهل السنّه و الشيعه قديما و حديثا قد صرّحوا فى كتبهم بأنّ الأحاديث الوارده فى قيام المهدى عليه السّلام بلغت حدّ التواتر،و ليس لأىّ إنكارها بأى وجه،حتّى أنّ كتبا قد ألّفت فى هذا الصدد بصوره خاصه تستطيع أن تطّلع على تفصيلها فى ذيل الآيه(۳۳)من سوره التوبه.

۲-بشاره حكومه الصالحين فى مزامير داود

ممّا يلفت النظر أنّه يلاحظ فى كتاب مزامير داود-و الذى هو اليوم جزء من كتب العهد القديم-يلاحظ التعبير الذى ورد فى الآيه آنفه الذكر-نفسه أو ما يشبهه فى عدّه مواضع،و هذا يوحى بأنّه مع كلّ التحريفات التى وقعت فى هذه الكتب،فقد بقى هذا القسم مصونا من تلاعب الأيدى به.

۱-فنقرأ فى المزمور /۳۷جمله ۹:«...لأنّ عاملى الشرّ يقطعون و الذين ينتظرون الربّ هم يرثون الأرض،بعد قليل لا يكون الشرّير...».

۲-و فى مكان آخر فى نفس هذا المزمور/جمله ۱۱:«أمّا الودعاء فيرثون الأرض و يتلذّذون فى كثره السلامه».

۳-و كذلك فى نفس المزمور /۳۷جمله ۲۷،يلاحظ هذا الموضوع بتعبير آخر:«لأنّ المتبركين باللّه سيرثون الأرض،أمّا الملعونون فسينقطع أثرهم...» ۴-و جاء فى هذا المزمور/الجمله ۲۹:«إنّ الصالحين سيرثون الأرض

۱- ۱) -لمزيد الاطّلاع راجع(منتخب الأثر)و(نور الأبصار).

و سیسکنون فیها إلی الأبد».

۵-و جاء فی الجمله ۱۸ من نفس المزمور أعلاه:«إنّ اللّه یعلم أیّام الصالحین،و سیکون میراثهم أبدیّا» (۱) .

نلاحظ نلاحظ هنا بصوره جیده أنّ عنوان«الصالحین»الذی جاء فی القرآن، ورد بنفس هذا التعبیر فی مزامیر داود،إضافه إلی ورود تعابیر أخری کالصدّیقین و المتبرکین و المتوکّلین و المتواضعین أو ما هو قریب من هذه المعانی فی جمل أخری.

إنّ هذه التعبیرات دلیل علی عموم حکومه الصالحین،و تتطابق تماما مع أحادیث قیام المهدی علیه السّلام.

۳-حکم الصالحین قانون تکوینی

بالرغم من أنّه یصعب علی أولئک الذین شهدوا و عاشوا فی ظلّ حکم الطواغیت الظلمه و العتاه المتجبّرین،قبول هذه الحقیقه بسهوله،و هی أنّ کلّ هذه الحکومات علی خلاف نوامیس الخلقه،و قوانین عالم الخلقه،و أنّ ما ینسجم معها هو حکم الصالحین المؤمنین،إلاّ أنّ التحلیلات الفلسفیّه تنتهی إلی أنّ هذه حقیقه واقعیّه،و بناء علی هذا فإنّ جمله أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُونَ قبل أن تکون وعدا إلهیّا،فإنّها تعتبر قانونا تکوینیّا.

توضیح ذلک:إنّ عالم الوجود-علی حدّ علمنا-مجموعه من الأنظمه و القوانین تحکم جمیع أرجاء هذا العالم و هی بذاتها دلیل علی وحده هذا النظام و ارتباط أجزائه.

۱- ۱) -نقلنا هذه الجمل عموما عن الترجمه الفارسیه للکتب العهد العتیق المنشوره(سنه ۱۸۷۸ تحت إشراف الکنیسه المعروفه ب مجمع الکتب البریطانیه المقدّسه للخارجیین).

وجود النظم و القانون فى عالم الوجود و الخلق تعتبر من أهمّ مسائل هـذا العالم،فمثلا:إذا وجـدنا مئات العقول الالكترونيه القوّيه قـد انضمّ بعضـها إلى بعض لإعـداد الرحلات الفضائيه لروّاد الفضاء بالمحاسـبات الدقيقه،و كانت حساباتها صـحيحه تماما حيث تنزل المركبه الفضـائيه فى المكـان المقترح لها على سـطح القمر،مع أنّ كوكبى القمر و الأرض يتحرّكان كلاهما بسـرعه،فينبغى أن نعرف أنّ هذا الحدث العظيم مدين لنظام المجموعه الشمسـيه و أقمارها الدقيق،لأنّهم إذا انحرفوا عن مسـيرهم الدقيق المنتظم بمقدار ١٪من الثّانيه،لما كان معلوما مصير رجال الفضاء! و ننتقل من العالم الكبير إلى عالم أصـغر و أصـغر و صغير جدّا،فهنا-و خـاصّه فى الكائنات الحيّه-سـيتّخذ النظام معنى أكثر حيويّه،و لا محل للفوضـى فيه مطلقا، فإنّ اختلال النظام فى خليه واحـده فى دماغ الإنسان كاف لأن يبدّل نظم حياته إلى اضطراب مؤسف.

و جاء فى أخبار الصـحف:إنّ شابا جامعيا قد نسـى كل ماضيه تقريبا على أثر هزّه دماغيه شديده فى حادثه سير!مع أنّه كان سالما من حيث الجهات الاخرى، فلم يعرف أخاه و لا أخته كما كان يتضايق عند ما تحتضنه أمّه و تقبّله،و يتساءل:

مـاذا تفعـل معى هـذه المرأه الأـجنبيه؟فيـذهبون به إلى مسـقط رأسه،و إلى الغرفه التى نشأ فيها،فكان ينظر إلى أعماله اليـدويه،و لوحـاته الفنيه،إلاّـ أنّه يقول:إنّى أرى هـذه الغرفه و اللوحات لأوّل مرّه!ربّما كان يعتقـد أنّه قـد قـدم من كوكب آخر،فكلّ شـىء جديد بالنسبه له.

ربّمـا توقّفت بعض خلاياه من بين عـدّه مليارات من الخلايا المخيّه،و هى التى تربط ماضـيه بحاضـره،و لكن أى أثر مرعب تركه هذا الاختلال الجزئى؟! هل يستطيع المجتمع الإنسانى بانتخابه اللانظام و الفوضى و الظلم و الجور

و الشقاء أن يعزل نفسه عن تيار نهر عالم الخلقه العظيم،و الذی یسیر کلّه ببرنامج منظّم؟ ألا تجعلنا مشاهده الوضع العام للعالم نفکّر فی أنّ البشر أیضا یجب أن یخضعوا لنظام عالم الوجود،شاؤوا أم أبوا،و یقبلوا القوانین المنتظمه العادله، و یعودوا إلی مسیرهم الأصیل و یکونوا منسجمین و هذا النظام.

إذا ألقینا نظره علی بناء أجهزه بدن الإنسان المختلفه المعقّده،ابتداء من القلب و المخ إلی العین و الاذن و اللسان،إلی بصیله الشعر،سنراها جمیعا خاضعه لقوانین و أنظمه و حسابات دقیقه،و إذا کان الأمر کذلک فی البدن،فکیف تقدر البشریه أن تستقرّ بدون اتّباع ضوابط و مقرّرات و نظام صحیح و عادل؟ إنّنا نرید بقاء البشریه،و نسعی لذلک،غایه ما فی الأمر أنّ مستوی وعی مجتمعنا لم یصل إلی ذلک الحدّ بحیث نعلم أنّ استمرارنا فی هذا الطریق الحالی سینتهی إلی فنائنا،و لکن سنثوب إلی عقولنا تدریجیّا،و یحصل لنا هذا الإدراک و الرشد الفکری.

نحن نرید منافعنا و مصالحنا،و لکنّنا إلی الآن لا نعلم أنّ استمرار الوضع الحالی سیدمّر مصالحنا و یجعلها هباء منثورا،و لکنّا نضع نصب أعیننا الأرقام و الإحصائیات الحیّه الناطقه عن سباق التسلّح مثلا،و سنری أنّ نصف القوی الفکریه و الجسمیه للمجتمع البشری،و نصف الثروات و رؤوس الأموال الضخمه تهدر فی هذا المجال!و لا تهدر فحسب،بل إنّها تسعی إلی فناء و إتلاف النصف الثّانی! و تزامنا مع ارتفاع سطح و عینا سنری بوضوح أنّنا یجب أن نعود إلی نظام عالم الوجود العام،و نضمّ صوتنا إلیه،و نتّحد معه.

و کما أنّنا جزء من هذا الکلّ فعلا،فیجب أن نکون کذلک من الناحیه العملیه

حتّى نستطيع أن نصل إلى أهدافنا فى جميع المجالات.

و النتيجه هى:إنّ نظـام الخلقه سـيكون دليلا واضـحا على قبول نظام اجتماعى صـحيح فى المسـتقبل،فى عالم الإنسانيه،و هـذا هو الذى يستفاد من الآيه مورد البحث،و الأحاديث المرتبطه بقيام المصلح العالمى العظيم،المهدى الموعود (۱) .

ص: ۲۶۲

---

۱ – ۱) -ممّا يستحقّ الانتباه أنّ هـذا البحث قـد كتب فى ليله الخامس عشر من شعبان سنه ۱۴۰۲،و المصادف للميلاد السعيد للإمام المهدى صاحب الزمان عليه السّلام،فالحمد للّه على هذا التقارن.

الآیات [سوره الأنبیاء (۲۱): الآیات ۱۰۷ الی ۱۱۲]

اشاره

وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ رَحْمَهً لِلْعٰالَمِینَ (۱۰۷) قُلْ إِنَّمٰا یُوحیٰ إِلَیَّ أَنَّمٰا إِلٰهُکُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۰۸) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُکُمْ عَلیٰ سَوٰاءٍ وَ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ أَمْ بَعِیدٌ مٰا تُوعَدُونَ (۱۰۹) إِنَّهُ یَعْلَمُ اَلْجَهْرَ مِنَ اَلْقَوْلِ وَ یَعْلَمُ مٰا تَکْتُمُونَ (۱۱۰) وَ إِنْ أَدْرِی لَعَلَّهُ فِتْنَهٌ لَکُمْ وَ مَتٰاعٌ إِلیٰ حِینٍ (۱۱۱) قٰالَ رَبِّ اُحْکُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا اَلرَّحْمٰنُ اَلْمُسْتَعٰانُ عَلیٰ مٰا تَصِفُونَ (۱۱۲)

التّفسیر

اشاره

النّبی رحمه للعالمین:

لمّا کانت الآیات السابقه قد بشّرت العباد الصّالحین بوراثه الأرض و حکمها، و مثل هذه الحکومه أساس الرحمه لکلّ البشر،فإنّ الآیه الأولی أشارت إلی رحمه وجود النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم العامّه،فقالت: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ رَحْمَهً لِلْعٰالَمِینَ فإنّ عامّه البشر فی الدنیا،سواء الکافر منهم و المؤمن،مشمولون لرحمتک،لأنّک تکفّلت بنشر الدین الذی ینقذ الجمیع،فإذا کان جماعه قد انتفعوا به و آخرون لم ینتفعوا،فإنّ

ذلک یتعلّق بهم أنفسهم،و لا یخدش فی عمومیّه الرحمه.

و هذا یشبه تماما أن یؤسّس جماعه مستشفی مجّهزه لعلاج کلّ الأمراض، و فیها الأطباء المهره،و أنواع الأدویه،و یفتحوا أبوابها بوجه کلّ الناس بدون تمییز،أ لیست هذه المستشفی رحمه لکلّ أفراد المجتمع؟فإذا امتنع بعض المرضی العنودین من قبول هذا الفیض العام،فسوف لا یؤثّر فی کون تلک المستشفی عامّه.

و بتعبیر آخر فإنّ کون وجود النّبی رحمه للعالمین له صفه المقتضی و فاعلیه الفاعل،و من المسلّم أنّ فعلیه النتیجه لها علاقه بقابلیه القابل.

إنّ التعبیر ب«العالمین»له إطار واسع یشمل کلّ البشر و علی امتداد الأعصار و القرون،و لهذا یعتبرون هذه الآیه إشاره إلی خاتمیه نبی الإسلام،لأنّ وجوده رحمه و إمام و قدوه لکلّ الناس إلی نهایه الدنیا، حتّی أنّ هذه الرحمه تشمل الملائکه أیضا:

ففی حدیث شریف مروی عنه صلی اللّه علیه و آله و سلم یؤیّد هذه العمومیه ،إذ نلاحظ فیه إنّ هذه الآیه لمّا نزلت سأل النّبی جبرئیل فقال:«هل أصابک من هذه الرحمه شیء؟» فقال جبریل:«نعم إنّی کنت أخشی عاقبه الأمر،فآمنت بک لمّا أثنی اللّه علیّ بقوله:عند ذی العرش مکین» (1) .

و علی کلّ حال،ففی دنیا الیوم حیث ینتشر الفساد و الظلم و الاستبداد فی کلّ جانب،و نیران الحروب مستعره فی کلّ جهه،و أخذت قبضات الجبّارین العتاه بأنفاس المستضعفین المظلومین...فی الدنیا الغارقه فی الجهل و فساد الأخلاق و الخیانه و الظلم و الجور...أجل فی مثل هذه الدنیا سیتّضح أکثر فأکثر معنی کون النّبی رحمه للعالمین،و أی رحمه أسمی من أنّه أتی بدین إذا عمل به فإنّه یعنی نهایه کلّ المآسی و النکبات و الأیّام السوداء؟

1- 1) -مجمع البیان،ذیل الآیه محل البحث.

أجل،إنّه هو و أوامره،و دينه و أخلاقه كلّها رحمه،رحمه للجميع،و ستكون عاقبه استمرار هذه الرحمه حكم الصالحين المؤمنين فى كلّ أرجاء المعموره.

و لمّا كان أهمّ مظهر من مظاهر الرحمه،و أثبت دعامه لذلك هى مسأله التوحيد و تجليّاته،فإنّ الآيه التاليه تقول: قُلْ إِنَّمٰا يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمٰا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟ و هذه الآيه فى الواقع تشير إلى ثلاث نقاط مهمّه:

الأولى:إنّ التوحيد هو الدعامه الأساسيّه للرحمه،و حقّا كلّما فكّرنا أكثر فستتّضح هذه العلاقه أقوى،التوحيد فى الإعتقاد،و فى العمل،و التوحيد فى الكلمه،و توحيد الصفوف،و فى القانون و فى كلّ شيء.

الثّانيه:إنّه بمقتضى كلمه(أنّما)الدالّه على الحصر،فإنّ كلّ دعوات الأنبياء تتلخّص فى أصل التوحيد،و المطالعات الدقيقه تبيّن أيضا أنّ الأصول،بل و حتّى الفروع و الأحكام ترجع أخيرا إلى أصل التوحيد،و لذلك فإنّ التوحيد-و كما قلنا سابقا-ليس أصلا من الأصول و حسب،بل إنّه كالخيط القوى الذى يربط خرز المسبحه،أو الأصحّ أنّه كالروح الساريه فى البدن.

و النقطه الثّالثه:إنّ المشكله الأساسيّه فى جميع المجتمعات هى التلوّث بالشرك بأشكال مختلفه،لأنّ جمله فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ توحى بأنّ المشكله الأساسيّه هى الخروج من الشرك و مظاهره،و رفع اليد عن الأصنام و تحطيمها، ليس الأصنام الحجريه و الخشبيه فحسب،بل كلّ الأصنام،و فى أى شكل كانت، و خاصّه طواغيت البشر! ثمّ تقول الآيه التاليه:إنّهم إذا لم يذعنوا و يهتّموا لدعوتنا و نداءاتنا هذه فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلىٰ سَوٰاءٍ .

«آذنت»من مادّه الإيذان،أى الإعلان المقترن بالتهديد،و جاء أحيانا بمعنى إعلان الحرب،لكن لمّا كانت هذه السوره قد نزلت فى مكّه،و لم تكن هناك أرضيه

للجهاد،و لم يكن حكم الجهاد قد نزل،فيبدو من البعيد جدّا أن يكون معنى هذه الجمله هنا إعلان الحرب،و الظاهر أنّ النّبى أراد بهذا الكلام أن يعلن تنفّره و ابتعاده عن أولئك،و يبيّن بأنّه قد يئس منهم تماما.

و تعبير«على سواء»إمّا أن يكون إشاره إلى أنّى قد أنذرتكم جميعا و حذّرتكم من العذاب الإلهى على حدّ سواء،لئلّا يتصوّروا أنّ أهل مكّه أو قريشا يختلفون عن الآخرين،و أنّ لهم عند اللّه فضلا أو كرامه.أو أنّه إشاره إلى أنّ النّبى قد بلّغهم جميعا و بدون استثناء.

ثمّ يبيّن هذا التهديد بصوره أوضح،فيقول بأنّى لا-أعلم هل أنّ موعد عذابكم قريب أم بعيد: وَ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ أَمْ بَعِیدٌ مٰا تُوعَدُونَ فلا تظنّوا أنّ هذا الوعيد بعيد،فربّما كان قريبا و قريبا جدّا.

قد يكون المراد من العذاب و العقوبه هنا عذاب القيامه،أو عذاب الدنيا،أو كليهما،ففى الصوره الأولى هو مختص بعلم اللّه،و لا يعلم أى أحد تاريخ وقوع القيامه بدقّه حتّى أنبياء اللّه،و فى الصوره الثّانيه و الثّالثه يمكن أن يكون إشاره إلى جزئياته و زمانه،و أنا لا أعلم بجزئياته،لأنّ علم النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بمثل هذه الحوادث ليس له صفه فعليّه دائما،بل له صفه إراديه أحيانا،أى ما دام لم يرد فهو لا يعلم (1) .

ثمّ إنّكم لا-ينبغى أن تتوهّموا أنّ عقوبتكم إذا تأخّرت فهذا يعنى أنّ اللّه غير مطّلع على أعمالكم و أقوالكم،فهو يعلم كلّ شىء،ف إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ یَعْلَمُ مٰا تَکْتُمُونَ فإنّ الجهر و الإخفاء له معنى بالنسبه لكم حيث أنّ علمكم محدود عاده،أمّا بالنسبه لمن لا حدود لعلمه،فإنّ الغيب و الشهاده،و السرّ و العلن سواء لديه.

ص:266

1- 1) -كما ورد فى كتاب الكافى فى باب يتعلّق بهذا الشأن أيضا.

و كذلك إذا رأيتم أنّ العقوبه الإلهيّه لا تحيط بكم فورا،فلا تظنّوا أنّ اللّه سبحانه غير عالم بعملكم،فلا أعلم لعلّه إمتحان لكم: وَ إِنْ أَدْرِی لَعَلَّهُ فِتْنَهٌ لَکُمْ وَ مَتٰاعٌ إِلیٰ حِینٍ ثمّ يأخذكم أشدّ مأخذ و يعاقبكم أشدّ عقاب! لقد أوضحت الآيه فى الواقع حكمتين لتأخير العذاب الإلهى:

الأولى:مسأله الامتحان و الاختبار،فإنّ اللّه سبحانه لا يعجّل فى العذاب أبدا حتّى يمتحن الخلق بالقدر الكافى،و يتمّ الحجّه عليهم.

و الثّانيه:إنّ هناك أفرادا قد تمّ اختبارهم و حقّت عليهم كلمه العذاب حتما، إلاّ أنّ اللّه سبحانه يوسّع عليهم النعمه ليشدّد عليهم العذاب،فإذا ما غرقوا فى النعمه تماما،و غاصوا فى اللذائذ،أهوى عليهم بسوط العذاب ليكون أشدّ و آلم، و ليحسّوا جيدا بألم و عذاب المحرومين و المضطهدين.

و تتحدّث آخر آيه هنا-و هى آخر آيه من سوره الأنبياء-كالآيه الأولى من هذه السوره عن غفله الناس الجهّال،فتقول حكايه عن النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فى عباره تشبه اللعن،و تعكس معاناته صلى اللّه عليه و آله و سلم من كلّ هذا الغرور و الغفله،و تقول:إنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بعد مشاهده كلّ هذا الإعراض قٰالَ رَبِّ احْکُمْ بِالْحَقِّ (۱) .و فى الجمله الثّانيه يوجّه الخطاب إلى المخالفين و يقول: وَ رَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعٰانُ عَلیٰ مٰا تَصِفُونَ .

إنّه فى الحقيقه ينبّه هؤلاء بكلمه(ربّنا)إلى هذه الحقيقه،و هى أنّنا جميعا مربوبون و مخلوقون،و هو ربّنا و خالقنا جميعا.

و التعبير ب«الرحمن»،و الذى يشير إلى الرحمه العامّه،يعيد إلى أسماع هؤلاء أنّ الرحمه الإلهيه قد عمّت كلّ وجودنا،فلما ذا لا تفكّروا لحظه فى خالق كلّ هذه النعمه و الرحمه؟ و تعبير اَلْمُسْتَعٰانُ عَلیٰ مٰا تَصِفُونَ يحذّر هؤلاء بأن لا تظنّوا أنّا وحيدون أمام

۱- ۱) -لا شكّ أنّ حكم اللّه سبحانه بالحقّ دائما،و على هذا فإنّ ذكر كلمه(بالحقّ)هنا له صبغه التوضيح.

جمعکم و کثرته،و لا تتصوّروا أنّ کلّ اتهاماتکم و أکاذیبکم،سواء کانت علی ذات اللّه المقدّسه أو علینا،ستبقی بدون جواب و جزاء،کلاّ مطلقا،فإنّه تعالی سندنا و معتمدنا جمیعا،و هو قادر علی أن یدافع عن عباده المؤمنین أمام کلّ أشکال الکذب و الافتراء و الاتّهام.

نهایه سوره الأنبیاء

اللهمّ لا تدعنا وحدنا قبال الشرق و الغرب اللذین صمّما جمیعا علی إبادتنا، بل نسألک أن تنصرنا کما نصرت نبیّک صلی اللّه علیه و آله و سلم و أصحابه و هم قلّه و لم تدعهم و حدهم قبال کثره الأعداء.

اللهمّ إنّک قد بیّنت فی هذه السوره المبارکه رحمتک الخاصّه علی الأنبیاء فی الشدائد و الأزمات و عند تقلّبات الحیاه و مصاعبها.

اللّهم و إنّنا مبتلون فی عصرنا و زماننا بمثل تلک الشدائد و الأزمات،و انّا لنرجو رحمتک التی خصّصت بها أنبیاءک و عبادک الصالحین،فارحمنا و فرّج عنّا...

آمین ربّ العالمین

ص :۲۶۸

سوره الحجّ

اشاره

مدنیّه و عدد آیاتها ثمان و سبعون آیه

ص :۲۶۹

مضمون سوره الحجّ:

سمّيت هذه السوره ب«سوره الحجّ»لأنّ جزءا من آياتها تحدّث عن الحجّ.

و هناك اختلاف بين المفسّرين و كتّاب تأريخ القرآن حول مكّيتها أو مدنيّتها.

فالبعض يرى أنّها مكيّه باستثناء عدد من آياتها.فى الوقت الذى يرى آخرون أنّها مدنيه عدا بعض آياتها.و آخرون يرون أنّها مزيجا من الآيات المكيّه و المدنيّه.إلاّ أنّنا لو أخذنا بنظر الإعتبار استنتاجاتنا من السور المكيه و المدنيّه،أو بتعبير آخر:

أجواء هاتين المدينتين و حاجات المسلمين و كيفيه صدور تعاليم النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم إليهم فى كلّ من هاتين المنطقتين،لوجدنا أنّ آيات هذه السوره تشبه السور المدنيّه، فالتعاليم الخاصّه بالحجّ،و كذلك التعاليم الخاصه بالجهاد تناسب أوضاع المسلمين فى المدينه،مع أنّ تأكيد آيات فى هذه السوره للمبدأ و المعاد لا تستبعد ملاءمتها للسور المكيّه.

يقول مؤلّف«تأريخ القرآن»استنادا إلى«فهرست ابن النديم و نظم الدرر»:

إنّ سوره الحجّ نزلت فى المدينه،باستثناء آيات منها و التى نزلت بين مكّه و المدينه،و يضيف:إنّها السوره السادسه بعد المائه التى نزلت على النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم.

و تقع بعد سوره النور.و قبل سوره المنافقين.

و على أى حال فإنّ كون هذه السوره مدنيّه أقوى.

هذا و يمكن تقسيم مواضيعها إلى عدّه أقسام هى:

۱-تضمّنت آيات منها موضوع«المعاد»و أدلّته المنطقيه،و إنذار الغافلين عن يوم القيامه و نظائر ذلك التی تبدأ هذه السوره بها لتضمّ جزءا كبيرا منها.

۲-يتضمّن جزء ملحوظ من هذه الآيات جهاد الشرک و المشركين،و جلب انتباه الناس إلى عظمه الخالق بواسطه معاجز الخلق فی عالم الوجود.

۳-دعا جزء آخر من هذه السوره الناس إلى الإعتبار بمصير الأقوام البائده، و ما لاقت من عذاب إلهی،و من هذه الأقوام قوم نوح،و عاد و ثمود،و قوم إبراهيم و لوط،و قوم شعيب و موسی.

۴-و تناول جزء آخر منها مسأله الحجّ و تاريخه منذ عهد إبراهيم عليه السّلام، و مسأله القربان و الطواف و أمثالها.

۵-و تضمّن الجزء الآخر مقاومه الظالمين و التصدّی لأعداء الإسلام المحاربين.

۶-و احتوی قسم آخر نصائح فی مجالات الحياه المختلفه.

۷-التشجيع على أعمال الصلاه و الزكاه،و الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر،و التوكّل و التوجّه إلى اللّه(سبحانه و تعالی).

فضيله تلاوه سوره الحجّ:

جاء فی حديث للرسول الأكرم محمّد صلی اللّه عليه و آله و سلم «من قرأ سوره الحجّ اعطی من الأجر كحجّه حجّها،و عمره اعتمرها،بعدد من حجّ و اعتمر فيما مضی و فيما بقی» (۱) ! و هذا الثواب و الفضل العظيم ليس لمجرد التلاوه اللفظيّه فقط،و إنّما لتلاوه تنير الفكر،و تفكّر يتبعه عمل و تطبيق.

۱- ۱) -مجمع البيان بدايه سوره الحجّ.

و من يجعل هذه السوره و مضمونها من مبدأ و معاد و تعليمات تعبّديه أخلاقيه و مسائل خاصّه بالجهاد و مقارعه الظالمين،مصباحا لبصيرته و منهاجا لحياته، سيجد نفسه قد ارتبط بجميع المؤمنين السابقين و اللاحقين-معنويا و روحيّا- ارتباطا يشعره بأنّه شريك فى أعمالهم،و هم شركاء فى أعماله،دون أن ينقص من أجرهم.و أنّه سيكون همزه وصل بين جميع المؤمنين عبر التاريخ.

و على هذا،فلا عجب من مقدار الثواب و الأجر الذى نصّ عليه هذا الحديث.

ص :۲۷۳

الآیتان [سوره الحج (۲۲): الآیات ۱ الی ۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ اِتَّقُوا رَبَّکُمْ إِنَّ زَلْزَلَهَ اَلسّٰاعَهِ شَیْءٌ عَظِیمٌ (۱) یَوْمَ تَرَوْنَهٰا تَذْهَلُ کُلُّ مُرْضِعَهٍ عَمّٰا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ کُلُّ ذٰاتِ حَمْلٍ حَمْلَهٰا وَ تَرَی اَلنّٰاسَ سُکٰاریٰ وَ مٰا هُمْ بِسُکٰاریٰ وَ لٰکِنَّ عَذٰابَ اَللّٰهِ شَدِیدٌ (۲)

التّفسیر

اشاره

زلزله البعث العظیمه:

تبدأ هذه السوره بآیتین تشیران إلی یوم البعث و مقدّماته،و هما آیتان تبعدان الإنسان-دون إرادته-عن هذه الحیاه المادیه العابره،لیفکّر بالمستقبل المخیف الذی ینتظره المستقبل الذی سیکون جمیلا و سعیدا إن فکّرت فیه الیوم،و لکنّه مخیف حقّا إن لم تعدّ العدّه له،و الآیه المبارکه: یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمْ إِنَّ زَلْزَلَهَ السّٰاعَهِ شَیْءٌ عَظِیمٌ .خطاب للناس جمیعا بلا استثناء،فقوله تعالی: یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ دلیل واضح علی عدم التفریق بینهم من ناحیه العنصر،و اللغه،و الزمان، و الأماکن الجغرافیه،و الطوائف،و القبائل.فهو موجّه للجمیع:المؤمن و الکافر،

ص:۲۷۴

و الكبير و الصغير،و الشيخ و الشابّ،و الرجل و المرأه،على امتداد العصور.

و عباره اِتَّقُوا رَبَّكُمْ خلاصه لجميع برامج السعاده،فهى تبيّن التوحيد فى «ربّكم»من جهه و التّقوى من جهه أخرى.و بهذا جمعت البرامج الاعتقاديه و العمليّه.

و جمله إِنَّ زَلْزَلَةَ السّٰاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ التى جاءت فى عدد من الآيات القرآنيه،تكرّر هنا الحديث عنها بشكل مختصر،هو أنّ البعث يحدث ثوره و تبدّلا حادّا فى عالم الوجود،الجبال تقتلع من مكانها،و تموج البحار،و تنطبق السّماء على الأرض،ثمّ يبدأ عالم جديد و حياه جديده،و يسيطر ذعر شديد على الناس يفقدهم صوابهم.

ثمّ بيّنت الآيه التاليه فى عدّه جمل انعكاس هذا الذعر الشديد،فقالت: يَوْمَ تَرَوْنَهٰا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّٰا أَرْضَعَتْ من شدّه الوحشه و الرعب.

وَ تَضَعُ كُلُّ ذٰاتِ حَمْلٍ حَمْلَهٰا

.

و ثالث انعكاس لهذا الذعر الشديد: تَرَى النّٰاسَ سُكٰارىٰ وَ مٰا هُمْ بِسُكٰارىٰ و علّه ذلك هو شدّه العذاب فى ذلك اليوم وَ لٰكِنَّ عَذٰابَ اللّٰهِ شَدِيدٌ هذا العذاب الذى أرعب الناس و أفقدهم صوابهم.

مسائل مهمّه

۱-تحدث هذه الظواهر المذكوره آنفا بشكل يسير فى الزلازل الدنيويّه و الأحداث المرعبه،حيث تنسى الامّهات أطفالهنّ،و تسقط الحوامل حملهنّ، و ترى آخرين كالسكارى قد فقدوا صوابهم،إلاّ أنّ هذا لا يتّخذ طابعا عاما.أمّا زلزال البعث فإنّه يصيب الناس جميعا دون استثناء.

۲-قد تكون هذه الآيات إشاره إلى خاتمه العالم التى تعتبر مقدّمه للبعث، و فى هذه الحاله ستأخذ عباره«كلّ ذات حمل...و تذهل كلّ مرضعه»مفهومها

الحقیقی،إلاّ أنّه یحتمل أنّها تشیر إلی زلزال یوم البعث،بدلاله قوله سبحانه:

لٰكِنَّ عَذٰابَ اللّٰهِ شَدِیدٌ

و العبارات السابقه تکون کأمثله.أی إنّ الموقف مرعب لدرجه أنّه لو فرض وجود ذات حمل لوضعت حملها،و تغفل الامّهات عن أطفالهنّ-تماما-إن شهدن هذا الموقف.

۳-نعلم أنّ کلمه«المرضع»تطلق فی اللغه العربیه علی المرأه التی ترضع ولدها (۱) ،إلاّ أنّ مجموعه من المفسّرین و بعض اللغویین یقولون:إنّ هذه الکلمه تستخدم بصیغه مؤنثه«مرضعه»لتشیر إلی لحظه الإرضاع،أی یطلق علی المرأه التی یمکنها إرضاع طفلها کلمه المرضع،و کلمه المرضعه خاصه بالمرأه التی هی فی حاله إرضاع طفلها (۲) .

و لهذا التعبیر فی الآیه أهمیّه خاصّه،فشدّه زلزال البعث،و رعبه بدرجه کبیره، یدفعان المرضعه إلی سحب ثدیها من فم رضیعها و نسیانه دون وعی منها.

۴-إنّ عباره تَرَی النّٰاسَ سُكٰاریٰ إشاره إلی أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم هو المخاطب فیها فیقول له:ستری الناس هکذا،أمّا أنت فلست مثلهم،و یحتمل أن یکون الخطاب للمؤمنین الراسخین فی الإیمان الذین ساروا علی خطی النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلم، بأنّهم فی أمان من هذا الخوف الشدید.

۵-نقل کثیر من المفسّرین و رواه الحدیث فی خاتمه هذه الآیات حدیثا عن الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلم و هو أنّ الآیتان من بدایه السوره نزلتا لیلا فی غزاه بنی المصطلق (۳) -و هم حی من خزاعه-و الناس یسیرون،فنادی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم فحثّوا المطی حتّی کانوا حوله صلی اللّه علیه و آله و سلم فقرأها علیهم.فلم یر أکثر باکیا من تلک اللیله،فلمّا

۱- ۱) -یؤتی بعلامه التأنیث فی حاله أن یکون للکلمه تذکیر و تأنیث،إلاّ أنّ الحمل و الإرضاع خاصین بالنساء،لهذا لا حاجه لهما بتاء التأنیث و أمثالها.

۲- ۲) -یراجع قاموس اللغه،و تفسیر الکشّاف،و التّفسیر الکبیر للفخر الرازی،و تفسیر المیزان.

۳- ۳) -وقعت هذه الغزوه فی شهر شعبان فی السنه السادسه للهجره.

أصبحوا لم يحطّوا السرج عن الدواب و لم يضربوا الخيام،و الناس بين باك حزين أو جالس يتفكّر،

فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم: «أ تدرون أى يوم ذاك؟»قالوا:اللّه و رسوله أعلم.قال:«ذاك يوم يدخل الناس من كلّ ألف تسعمائه و تسعه و تسعين إلى النّار،و واحد إلى الجنّه»!فكبر ذلك على المسلمين و بكوا بشدّه!و قالوا:فمن ينجو يا رسول اللّه؟فأجابهم بأنّ المذنبين الذين يشكّلون الأكثريه هم غيركم.ثمّ قال:«إنّى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّه»فكبّروا،ثمّ قال:«إنّى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنّه»فكبّروا،ثمّ قال:«إنّى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنّه، و إنّ أهل الجنّه مائه و عشرون صفّا،ثمانون منها أمّتى» (1) .

١- ١) -بتلخيص عن تفسير مجمع البيان،و تفسير نور الثقلين،و تفاسير أخرى.

الآیتان [سوره الحج (۲۲): الآیات ۳ الی ۴]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اَللّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّبِعُ کُلَّ شَیْطانٍ مَرِیدٍ (۳) کُتِبَ عَلَیْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاّهُ فَأَنَّهُ یُضِلُّهُ وَ یَهْدِیهِ إِلی عَذابِ اَلسَّعِیرِ (۴)

التّفسیر

اشاره

أتباع الشیطان!

بعد أن أعطت الآیات السابقه صوره لرعب الناس حین وقوع زلزله القیامه، أوضحت الآیات اللاحقه حاله أولئک الذین نسوا اللّه،و کیف غفلوا عن مثل هذا الحدث العظیم،فقالت: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ .

نجد هؤلاء الناس یجادلون مرّه فی أساس التوحید و وحدانیّه الحقّ تبارک و تعالی،و فی إنکار وجود شریک له.و مرّه یجادلون فی قدره اللّه علی إحیاء الموتی،و فی البعث و النشور،و لا دلیل لهم علی ما یقولون.

قال بعض المفسّرین:إنّ هذه الآیه نزلت فی«النضر بن الحارث»الذی کان من المشرکین المعاندین،و کان یصرّ علی القول بأنّ الملائکه بنات اللّه،و أنّ القرآن مجموعه من أساطیر السلف تنسب إلی اللّه،کما کان ینکر الحیاه بعد الموت.

و البعض الآخر من المفسّرين يعتقد أنّ هذه الآيه إشاره إلى جميع المشركين الذين يجادلون فى التوحيد و فى قدره اللّه.

إلاّ أنّ سبب النّزول لا يمكنه أن يضيّق مفهوم هذه الآيه،فهذان القولان يصبّان فى معنى واحد،يشمل جميع الذين يشتركون فى جدال مع اللّه تعالى،إمّا عن تقليد أعمى،و إمّا عن عصبيه،أو لإتّباع الخرافات،أو الأهواء النفسيه.

ثمّ تضيف هذه الآيه وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطٰانٍ مَرِيدٍ فهؤلاء الأشخاص الذين لا يتّبعون منطقا أو علما،و إنّما يتّبعون كلّ شيطان عنيد و متمرّد،و لا يخضعون لشيطان واحد،بل لجميع الشياطين!شياطين الإنس و الجنّ،الذين لكلّ منهم برنامجه و أحابيله و شراكه.

و كلمه«مريد»مشقّه من«مرد»و أصلها الأرض المرتفعه التى لا نبت فيها.

و تطلق أيضا كلمه«أمرد»على الشجره الجرداء،و لهذا تطلق أيضا على كلّ صبى لم ينبت الشعر فى وجهه،و هنا يقصد ب«المريد»الشخص الذى خلا من أى خير و سعاده.و طبيعى أن يكون مثل هذا الشخص عنيدا و ظالما و عاصيا.و بهذا يتّضح مصير الإنسان الذى يتّبع الشيطان الخالى من كلّ خير!!و من هنا كانت الآيه اللاحقه كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاّٰهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلىٰ عَذٰابِ السَّعِيرِ (1) .

ملاحظات

اشاره

1-الجدال فى الحقّ و الباطل

رغم أنّ كلمه«المجادله»تعنى فى عرف الناس البحث غير المنطقى،فإنّ

1- 1) -«السعير»مشتقّه من«سعر»بمعنى لهب النّار،و تعنى هنا نار جهنّم الحارقه.التى تمتاز بأنّها أكثر حرقا من أى نار.

أصلها اللغوى ليس كذلك.بل تعنى أى نقاش كان.لهذا نرى القرآن يوصى النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بقوله: وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (۱) أى جادل مخالفيك بأفضل أسلوب.

۲-جدال الباطل سبيل الشيطان

يرى بعض كبار المفسّرين أنّ عباره يُجٰادِلُ فِي اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ إشاره إلى أقوال المشركين التى تفتقد السند و الدليل.و عباره وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطٰانٍ مَرِيدٍ إشاره إلى أفعال المشركين الخاطئه.

و يرى آخرون أنّ العباره الأولى تشير إلى اعتقاداتهم الفاسده و الخرافيه.أمّا العباره الثّانيه فتشير إلى سلوكياتهم الخاطئه و المنحرفه.

و بما أنّ الآيه السابقه و التاليه هذه الآيه،تناولتا الأسس الاعتقاديه،فلا يستبعد أن تشير هاتان الجملتان إلى حقيقه واحده،أو بتعبير آخر:تتضمّنان طرفى موضوع واحد-نفيه و إثباته-فالعباره الأولى تقول: يُجٰادِلُ فِي اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ أى يجادل فى اللّه و قدرته تقليدا لأحد،أو عصبيّه،أو هوى نفس، و العباره الثّانيه تشير إلى أن من لا يتّبع العلم و المعرفه،فمن الطبيعى أنّه يتّبع كلّ شيطان طاغ عنيد.

۳-لماذا أى شيطان كان؟

إنّه ممّا يلفت النظر أنّ القرآن لم يقل أنّ هذا الشخص يتّبع الشيطان،بل ذكر.

أنّه يتّبع أى شيطان عنيد كان،و هذا يشير إلى تعدّد مناهج و مكائد الشياطين،فكلّ منهم اختار لنفسه مكيده خاصّه،و هذه المكائد و الفخاخ متنوّعه و متكثّره إلى حدّ

۱- ۱) -النحل،۱۲۵.

یکون من العسیر تشخیصها،إلاّ المؤمنین المتوکّلین علی اللّه و المشمولین برحمته و حمایته: إِلاّ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ (۱) .

و لا بدّ من الانتباه إلی أنّ کلمه الشیطان تستبطن التمرّد و العناد و البعد عن کلّ خیر و برکه.إلاّ أنّ ذکر کلمه«مرید»(الفاقد لکلّ خیر و سعاده)بعد کلمه الشیطان مباشره،هو تأکید لتوضیح مصیر من یتّبعه.

۴-تفسیر عباره کُتِبَ عَلَیْهِ

۴-تفسیر عباره کُتِبَ عَلَیْهِ (۲) .

واضح أنّ هذه العباره تعنی«الإلزام»،سواء کانت فی عالم الخلق أم فی عالم التشریع.إلاّ أنّه یجب أن لا نتصوّر أنّها تعنی«الجبر»و أنّ الشیاطین مجبورون علی إضلال أتباعهم لیرسلوهم إلی دار البوار.بل إنّها نتیجه مؤکّده لبرنامج اختاروه بمحض إرادتهم.فإبلیس قائد الشیاطین و کبیرهم خالف أمر اللّه و عنده بملء إرادته،حتّی بلغت به الجرأه أن یعترض علی ذات اللّه.فهو ضالّ و مضلّ و کذلک سائر الشیاطین من الجنّ و الإنس.و ذلک کما نقول للمدمن علی المخدرات:کتب علی جبینه سوء الطالع و التعاسه،فهل یعنی ذلک جبرا؟!

۱- ۱) -سوره الحجر،۴۰.

۲- ۲) -قال البعض:إنّ ضمیر«علیه»یعود إلی الشیطان،و قال آخرون:إنّه یعود إلی اتّباع الشیطان.کما یستنتج ذلک من عباره «و من الناس»أیضا،إلاّ أنّ ظاهره یؤکّد أنّه یعود إلی الشیطان،لا سیّما و أنّ الضمیر المتّصل ب«من تولاّه»یعود إلی الشیطان أیضا.

الآیات [سوره الحج (۲۲): الآیات ۵ الی ۷]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلنّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ اَلْبَعْثِ فَإِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَهٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَهٍ مُخَلَّقَهٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَهٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ وَ نُقِرُّ فِی اَلْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی ثُمَّ نُخْرِجُکُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ وَ مِنْکُمْ مَنْ یُتَوَفّی وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرَدُّ إِلی أَرْذَلِ اَلْعُمُرِ لِکَیْلا یَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَیْئاً وَ تَرَی اَلْأَرْضَ هامِدَهً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا اَلْماءَ اِهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ (۵) ذلِکَ بِأَنَّ اَللّهَ هُوَ اَلْحَقُّ وَ أَنَّهُ یُحْیِ اَلْمَوْتی وَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۶) وَ أَنَّ اَلسّاعَهَ آتِیَهٌ لا رَیْبَ فِیها وَ أَنَّ اَللّهَ یَبْعَثُ مَنْ فِی اَلْقُبُورِ (۷)

التّفسیر

اشاره

دلیل المعاد فی عالم الأجنّه و النّبات:

بما أنّ البحث فی الآیات السابقه کان یدور حول تشکیک المخالفین للمبدأ و المعاد،فالآیات محل البحث طرحت دلیلین منطقیین قویّین لإثبات المعاد

ص:۲۸۲

الجسمانی:أحدهما التغیّرات التی تحدث فی مراحل تکوین الجنین،و الآخر هو التغیّرات التی تحدث فی الأرض عند خروج النبات.

و القرآن شرح صورا للمعاد ممّا یلمسه الناس فی هذه الدنیا،و یرونه بامّ أعینهم،إلاّ أنّهم لم ینتبهوا لذلک، لیعلموا أنّ الحیاه بعد الموت لیست ضربا من الخیال،بل هی حادثه فعلا مشهوده للعیان،و الخطاب القرآنی یعمّ جمیع الناس بنوره یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّٰا خَلَقْنٰاکُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَهٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَهٍ مُخَلَّقَهٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَهٍ (۱) کلّ ذلک من أجل أن نوضّح لکم حقیقه قدرتنا علی القیام بأی عمل لِنُبَیِّنَ لَکُمْ .

فتبقی الأجنّه فی الأرحام إلی مدّه معلومه نحن نحدّدها لتمرّ بمراحل تکاملها.و نسقط ما نرید منها فنخرجها من الأرحام فی وسط الطریق قبل أن تکمل وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحٰامِ مٰا نَشٰاءُ إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی ثمّ تبدأ الأجنّه مرحله تطوّر جدیده.لنخرجکم أطفالا من أرحام أمّهاتکم.

ثُمَّ نُخْرِجُکُمْ طِفْلاً

و بهذا تنتهی مرحله حیاتکم المحدّده فی بطون أمّهاتکم.

فتضعون أقدامکم فی محیط أوسع مملوء بالنور و الصفاء،و إمکانات واسعه جدّا، إلاّ أنّ تکاملکم یستمرّ فی قطع المسافات بسرعه لتبلغوا الهدف،ألا و هو الرّشد و الکمال الجسمی و العقلی. ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ .

و هنا یتبدّل الجهل إلی علم،و الضعف إلی قوّه،و التبعیّه إلی الاستقلال،لکن مسیره حیاتکم تطوی و تستمر فبعضکم یودّع الحیاه بینما یستمرّ آخرون حتّی المرحله الأخیره من الحیاه،أی مرحله الشیخوخه بعد تکاملهم: وَ مِنْکُمْ مَنْ یُتَوَفّٰی وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرَدُّ إِلیٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ .

أجل،فالمرء یصل إلی مرحله لا یتذکّر فیها شیئا،حیث یسیطر علیه النسیان،

۱- ۱) -«المضغه»مشتقه من«المضغ»و تعنی مقدارا من اللحم یمکن للإنسان مضغه فی لقمه واحده.و هذا تشبیه رائع للجنین فی المرحله التی تعقب مرحله العلقه.

و يصبح فى وضع و كأنّه طفل لِكَيْلاٰ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً و هذا الضعف و الخمول دليل على بلوغ المرء مرحله انتقاليه جديده كما نجد ضعف التحام الثمره بالشجره حين تبلغ مرحله النضج ممّا يدلّ على وصولها إلى مرحله الانفصال.

و هذه التغيّرات المدهشه المتلاحقه التى تتحدّث عن قدره اللّه تعالى غير المحدوده،توضّح أنّ إحياء الموتى يسير على اللّه جلّت عظمته.و هناك بحوث تعرض لمراحل الحياه المختلفه هذه،سنذكرها فى الملاحظات القادمه.

ثمّ تتناول الآيه بيان الدليل الثّانى أى حياه النباتات،فتبيّن ما يلى:تنظر إلى الأرض فى فصل الشتاء فتجدها جافّه و ميته،فإذا سقط المطر و حلّ الربيع،دبّت الحياه و الحركه فيها و نبتت أنواع النباتات فيها و نمت وَ تَرَى الْأَرْضَ هٰامِدَةً فَإِذٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْهَا الْمٰاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (1) .

الآيتان اللاحقتان تشرحان ما توصّلنا إليه،و ذلك باستعراض خمس

ملاحظات

1-إنّ ما استعرضته الآيات الخاصّه بالمراحل التى تسبق مراحل الحياه للإنسان و عالم النبات،من أجل أن تعلموا أنّ اللّه تعالى حقّ ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ و بما أنّه هو الحقّ،فالنظام الذى خلقه حقّ أيضا،لهذا لا يمكن أن يكون

1- 1) -«الهامده»تعنى فى الأصل النّار التى أطفئت،و يطلق على الأرض التى جفّت نباتاتها و أصبحت دون حركه«مفردات الراغب الاصفهانى»و البعض الآخر قال:إنّ كلمه«هامده»تطلق على الحدّ الفاصل بين الموت و الحياه(تفسير فى ظلال القرآن). «اهتزّت»مشتقّه من«الهزّ»و تعنى تحرّكت بشدّه. «ربت»مشتقّه من«الربو»و تعنى الزياده و النمو،كما أنّ كلمه«ربا»مشتقّه أيضا من«الربو». «بهيج»تعنى الجميل السّاحر السارّ.

هذا الخلق دون هدف،کما یذکر القرآن الکریم هذا المعنی فی مورد آخر: وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا بٰاطِلاً ذٰلِکَ ظَنُّ الَّذِینَ کَفَرُوا (۱) .

و بما أنّ هذه الحیاه لیست عبثا،و أنّ لها هدفا،و أنّنا لا نصل إلی تحقیق ذلک الهدف فی حیاتنا،إذن نعلم من ذلک وجود المعاد و البعث حتما.

۲-إنّ هذا النظام الذی یسیطر علی عالم الحیاه یقول لنا وَ أَنَّهُ یُحْیِ الْمَوْتیٰ .

إنّ الذی یلبس الأرض لباس الحیاه،و یغیّر النطفه التافهه إلی إنسان کامل،و یمنح الحیاه للأرض المیته،لقادر علی أن یمنح الحیاه للموتی،فهل یمکن التردّد فی قبول فکره المعاد مع وجود کلّ هذه التشکیلات الحیّه الدائمه للخالق جلّ و علا فی هذا العالم (۲) ؟ ۳-الهدف الآخر هو أن نعلم وَ أَنَّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ و لا یستحیل علی قدرته شیء.

هل یمکن لأحد تحویل الأرض المیته إلی نطفه؟و یطوّر هذه النطفه التافهه فی مراحل الحیاه؟و یلبسها کلّ یوم لباسا جدیدا من الحیاه!و یجعل الأرض الجافّه العدیمه الروح خضراء زاهیه تعلوها بهجه الحیاه؟!ألیس القادر علی القیام بهذه الأعمال بقادر علی أن یحیی الإنسان بعد موته؟! ۴-إنّ کلّ هذا لتعلموا أنّ ساعه نهایه هذا العالم و بدایه عالم آخر،ستحلّ بلا شکّ فیها وَ أَنَّ السّٰاعَهَ آتِیَهٌ لاٰ رَیْبَ فِیهٰا .

۵-ثمّ إنّ کلّ هذا مقدّمه لنتیجه أخیره هی وَ أَنَّ اللّٰهَ یَبْعَثُ مَنْ فِی الْقُبُورِ .

۱- ۱) -سوره ص،۲۷.

۲- ۲) -یری بعض المفسّرین فی عباره أَنَّهُ یُحْیِ الْمَوْتیٰ إشاره إلی حیاه الناس فی القیامه.مع أنّ هذا المعنی تضمّنته عباره وَ أَنَّ اللّٰهَ یَبْعَثُ مَنْ فِی الْقُبُورِ أیضا،مع فارق هو أنّ العباره الأولی إشاره إلی أصل الحیاه،و الثّانیه إشاره إلی کیفیه إحیاء الموتی. إلاّ أنّ التّفسیر الآخر الذی استندنا إلیه بصوره أکثر،هو أنّ عباره أَنَّهُ یُحْیِ الْمَوْتیٰ إشاره إلی منح اللّه الحیاه بشکل مستمر فی هذه الدنیا،لیکون دلیلا علی إمکان تحقّق ذلک یوم البعث.

و هـذه النتائـج الخمس بعضـها مقـدّمه،و بعضـها ذو المقـدّمه،البعض منها إشاره إلى الإمكان،و الآخر إشاره إلى الوقوع،و مترتّبه بعضها على بعض و كلّ يكمل صاحبه،و جميعها ينتهى إلى نقطه واحده،هى أنّ البعث ليس ممكن فحسب،بل إنّه سيقع حتما.

فالذين يشـكّون فى إمكان الحياه بعد الموت يشاهدون الصور المشابهه لها فى حياه البشر و النباتات بامّ أعينهم.و هى تتكرّر كلّ يوم و كلّ عام.

و إذا شـكّوا فى قـدره اللّه فإنّ قدره اللّه جعلتهم يشاهدون أمثله بارزه لها بأعينهم.ألم يخلق الإنسان من تراب؟ألا نشاهد كلّ عام احياء الأرض الميته؟ فهل عجيب أمر حياه الأموات ثانيه و نهوضـهم من تراب؟ و إن شـكّوا فى وقوع مثل هـذه الأمور،فعليهم أن يعلموا أنّ النظام المسـيطر على الخلق فى العالم يدلّ على وجود هدف له،و إلاّ فإنّه باطل تافه،و الحياه القصيره المملوءه بالآلام و خيبه الآمال غير جديره بأن تكون هى الهدف الأخير لعالم الخلق.

و على هذا يجب أن يكون هناك عالم آخر،وسيع،خالد،جدير بأن يعدّ هدفها للخلق.

بحوث

اشاره

۱-مراحل حياه الإنسان السبع

الآيات السابقه شرحت حركه الإنسان فى مسيره ذات مراحل سبع،لتبيّن البعث و تثبت إمكانه:

المرحله الأولى:عنـد ما كان الإنسان ترابا،و قـد يراد به التراب الذى خلق منه آدم عليه السّـلام.كما قد يكون إشاره إلى أنّ جميع البشر-من تراب،لأنّ جميع المواد

الغـذائيه التى تكوّن النطفه و غـذاءها-من بعـد-من تراب.و لاـ شكّ فى أنّ الماء يشـكّل جزءا ملحوظا من جسم الإنسان،و الجزء الآخر من الأوكسـجين و الكاربون،و ليس من التراب،إلاّ أنّ العنصـر الأساس الذى تتشكّل منه أعضاء الجسم مصدره التراب.إذن عباره خلق الإنسان من تراب صحيحه حتما.

المرحله الثّانيه:(النطفه):يتحوّل التراب،هـذا الموجود البسـيط المهمل العـديم الحسّ و الحركه،يتحوّل إلى نطفه تتألّف من أحياء مجهوله مثيره تسـمّى عند الرجل«أسپر»أو الحيمن و عند المرأه«أوول»أو البويضه و هى غايه فى الصغر حتّى أنّها تبلغ الملايين فى نطفه الرجـل! و المثير أنّ الإنسـان يواصل عقب ولادته حركه تـدريجيّه هادئه،تأخـذ فى الغالب شـكل«التكامل الكمّى»فى الوقت الذى كانت حركته فى الرحم«كيفيّه» ترافقها طفرات سريعه مغيّره.و التغيّرات المتعاقبه للجنين فى الرحم مدهشه إلى درجه يمكن تشبيهها بحشره صـغيره بسـيطه تتطوّر بعـد أشـهر قليله إلى طائره نفّاثه! و قـد تطوّرت و توسّـعت الدراسات عن«علم الأجنه»اليوم بحيث تمكّن علمـاؤه من دراسه الجنين فى مراحله المختلفه،و كشـفوا عن أسـرار هـذه الظاهره العجيبه فى عالم الوجود.و عرضوا النتائج الباهره التى توصّلوا إليها فى دراساتهم عن الجنين.

و فى المرحلـه الثّـالثه يصـبح الجنيـن علقـه،و تكـون خلايـاه كحبّـات التـوت، بشـكل قطعـه دم خـاثر متلاصـقه،يطلـق عليها علميّا«مورولا».و بعد مضـى مدّه قصـيره تظهر أخاديد التقسـيم الصـغيره كبدايه لتقسيم أجزاء الجنين،و يطلق على الجنين فى هذه المرحله اسم«لاستولا».

و فى المرحلـه الرّابعـه يتّخـذ الجنيـن شـكل قطعه لحم ممضـوغ،دون أن تتّضـح معـالم الأعضـاء فيه،و فجـأه تحـدث تغييرات فى قشره«الجنين»و تتّخذ شكلا يلائم العمل المطلوب منه القيام به،فتظهر أعضاء الجسم تدريجيّا،و يسقط كلّ جنين

لاـ يمكنه المرور بهـذه المرحله،و يمكن أن تكون عباره مُخَلَّقَهٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَهٍ إشاره إلى هـذه المرحله،أى أنّ الجنين يكون«كامل الخلقه»أو«ناقص الخلقه».

و من المثير أنّ القرآن المجيـد ذكر عباره لِنُبَيِّنَ لَكُمْ بعـد ذكر هـذه المراحل الأربع،مؤكّدا أنّ هذه التغييرات السـريعه المدهشـه التى تغيّر قطره ماء صغيره إلى إنسان كامل،لدليل واضح على أنّ اللّه قادر على كلّ شىء.

ثمّ أشار القرآن الكريم إلى مرحله الجنين الخامسه و السّادسه و السّابعه،التى تلى الولاده أى«الطفوله»و«البلوغ»و«الشّيخوخه» (١) .

و الجدير بالذكر أنّ ولاده الإنسان-من التراب-كائنا حيّا،قفزه كبيره، و مراحل الجنين المختلفه قفزات متعاقبه،و ولاده الإنسان من بطن أمّه قفزه مهمّه جدّا،و هكذا البلوغ و الشيخوخه.

و تعبير القرآن عن يوم القيامه بالبعث،قـد يكون إشاره إلى مفهوم القفزه ذاتها التى تحـدث يوم البعث أيضا.و ما أجـدرنا بالانتباه إلى أنّ القرآن تحـدّث عن مراحـل تكوّن الجنين قبل أن يظهر علم الأجنّه،و حـديثه عنها فى ذلك الزمن دليل حىّ على أنّ هـذا الكتاب العظيم إنّما هو وحى يوحى من قدره قادره هى التى أبدعت الطبيعه و ما وراءها.

٢-المعاد الجسمانى

ممّا لا شكّ فيه أنّ القرآن الكريم أينما تحدث عن البعث قصد بعث الإنسان جسـما و روحا فى العالم الأخروى،و الذين حصروا البعث فى الروح و قالوا ببقائها هى وحدها لم يفقهوا آيات القرآن قطّ.

١- ١) -الـذى يثير الانتباه أنّ تعبير القرآن ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً عن ولاده الإنسان لم يرد بصـيغه الجمع(أطفال)وفقا للقاعـده،إلاّ أنّ هـذا التعبير(طفلاـ)يمكـن أن يكـون مصـدرا يتساوى فيـه المفرد و الجمع،أو أن يكـون الهـدف بيـان النـوع.و ليس خصـائص الأطفال،فالفروق بين البشر فى هذه المرحله مخفيه تبرز فى المراحل اللاحقه.

فهـذه الآيـات المبـارکه کالآیه السابقه تصـرّح بالمعاد الجسـمانی.و إلاّ فما هو وجه التشابه بین المعاد الروحی،و مراحل الجنین و إحیاء الأرض الموات بنمو النباتات؟و یؤکّـد ذلک ختام الآیات التی نحن بصددها إذ تقول: وَ أَنَّ اللّهَ یَبْعَثُ مَنْ فِی الْقُبُورِ و القبر موضع جسم الإنسان و لیس روحه.

و أساسا فانّ تعجّب المشرکین إنّما هو من البعث الجسمانی،فهم یقولون:

کیف یمکن للإنسان أن یعود للحیاه ثانیه بعد ما صار ترابا؟و بقاء الروح لم یکن شیئا عجبا،لأنّه کان موضع قبول و رضی الأقوام الجاهلیه.

۳-ما هو«أرذل العمر»؟

«الأرذل»مشتقّه من«رذل»أی المنحطّ و غیر المرغوب فیه.و یقصـد ب«أرذل العمر»تلک المرحله من عمر الإنسان التی هی أکثر انحطاطا و غیر مرغوب فیها لما یفقـده فیها الإنسان من القوّه و الـذاکره،و لما یغلبه فیها من الضـعف و الانفعال، حتّی تراه یغتاظ من أدنی شیء،و یرضی و یفرح لا یسر شیء،و یفقد سعه صدره و صبره،و ربّما قام بحرکات طفولیه.مع فارق بینه و بین الطفل و هو أنّ النـاس لا یتوقّعون منه ذلک،لأنّه لیس طفلا،مضافا إلی أنّ الطفل یؤمل فی أن یکبر و ینضـج جسـدیّا و نفسیّا و تزول عنه هذه الحرکات الصبیانیه،لهذا یترکوا أحرارا فی ممارسـتها،و لیس کذلک فی الفرد المسنّ،أی أنّ الطفل لیس لدیه شیء لیفقده، و لکن المسنّ یفقـد رأس مـال حیاته بـذلک.و علی هـذا فإنّ وضع الشـیوخ المعمّرین یثیر الشـفقه و الأسـی عنـد مقارنته بوضـع الأطفال.

و جاء فی بعض الأحادیث أنّ أرذل العمر هو الـذی یبلغ مائه عام و أکثر (۱) و قد تعنی هذه العباره نوع الأشخاص،و إلاّ فهناک من یبلغ هذه الحاله و سنّهم أقل من

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،المجلّد الثّالث،الصفحه ۴۷۲.

مـائه عام.کمـا أنّ هناک أشـخاصا تجاوزت أعمارهم مائه عام و هم بکامل وعیهم و ذکائهم.و تنـدر مشاهـده من یصابون بهـذه الحاله بین العلماء الذین شغلتهم المعارف و البحوث.

و مـا أولانا بـدعاء اللّه تعالی أن یحفظنا من هـذه الحاله!و ما أجـدرنا أن ننهی غرورنا و غفلتنا بمجرد الفکر بهـذه العاقبه!علینا أن نفکّر ماذا کنّا و علی ماذا أصبحنا و ماذا سنکون؟

ص : ۲۹۰

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ٨ الى ١٠]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اَللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ (٨) ثانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اَللّهِ لَهُ فِى اَلدُّنْيا خِزْىٌ وَ نُذِيقُهُ يَوْمَ اَلْقِيامَهِ عَذابَ اَلْحَرِيقِ (٩) ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَ أَنَّ اَللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ (١٠)

التّفسير

اشاره

الجدال بالباطل مرّه أخرى:

تتحدّث هذه الآيات أيضا عمّن يجادلون فى المبدأ و المعاد جدالا خاويا لا أساس له،فى البدايه يقول القرآن المجيد: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ .

و عباره وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ هى ذاتها التى ذكرت فى آيه سابقه،و إعادتها تبيّن لنا أنّ العباره الأولى إشاره إلى مجموعه من الناس،و الثّانيه إلى مجموعه أخرى.و بعض المفسّرين يرى أنّ الفرق بين هاتين المجموعتين من الناس هو أنّ الآيه السابقه الذكر دالّه على وضع الأتباع الضالّين الغافلين،فى

وقت تكون فيه هذه الآيه دالّه على قاده هذه المجموعه الضالّه (۱) .

و عباره لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ تبيّن هدف هذه المجموعه،ألاّ و هو تضليل الآخرين،و هذا دليل واضح على الفرق بينهما،مثلما توضّح هذا المعنى عباره يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ فى الآيات السابقه التى تتحدّث عن اتّباع الشياطين.

و لكن ما الفرق بين«العلم»و«الهدى»و«الكتاب المنير»؟ للمفسّرين آراء فى هذا المجال أقربها إلى العقل هو أنّ«العلم»إشاره إلى الاستدلال العقلى.و«الهدى»إشاره إلى إرشاد القاده الرّبانيين.و«الكتاب المنير»إشاره إلى الكتب السماويّه،أى أنّها تعنى الأدلّه الثلاثه المعروفه«الكتاب» و«السنّه»و«الدليل العقلى».و أمّا الإجماع فإنّه يعود إلى السنّه طبقا لدراسات العلماء،و قد جمعت هذه الأدلّه الأربعه فى هذه العباره أيضا.

و يحتمل بعض المفسّرين أنّ«الهدى»إشاره إلى الإرشادات المعنويه التى يكتسبها الإنسان فى ظلّ بناء الذات و تهذيب النفس و تقواه.«و بالطبع يمكن ضمّ هذا المعنى إلى ما تقدّم آنفا».

و يمكن أن يكون الجدال العلمى مثمرا إذا استند إلى أحد الأدلّه:العقل،أو الكتاب،أو السنّه.

ثمّ يتطرّق القرآن المجيد فى جمله قصيره عميقه المعنى إلى أحد أسباب ضلال هؤلاء القاده،فيقول: ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ إنّهم يريدون أن يضلّوا الناس عن سبيل اللّه بغرورهم و عدم اهتمامهم بكلام اللّه و بالأدلّه العقليّه الواضحه.

«ثانى»مشتقّه من«ثنى»بمعنى التواء و«عطف»تعنى«جانب»فالجمله تعنى ثنى الجانب،أى الإعراض عن الشىء و عدم الاهتمام به.

۱- ۱) -تفسير الميزان،و التّفسير الكبير للفخر الرازى،فى تفسير الآيات موضع البحث.

و يمكن أن تكون عباره«ليضلّ»هدف هذا الإعراض،أى إنّهم(قاده الضلال)يستخفّون بآيات اللّه و الهدايه الإلهيّه لتضليل الناس.و يمكن أن تكون نتيجه لذلك.أى أنّ محصّله الإعراض و عدم الاهتمام هو صدّ الناس عن سبيل الحقّ.و يعقب القرآن ذلك ببيان عقابهم الشديد فى الدنيا و الآخره بهذه الصوره:

لَهُ فِی الدُّنْیا خِزْیٌ وَ نُذِیقُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ عَذابَ الْحَرِیقِ

.

و نقول له: ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ یَداکَ و أَنَّ اللّهَ لَیسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِیدِ لا يعاقب اللّه أحدا بلا ذنب،و لا يضاعف عقاب أحد دون سبب، فهو العدل المطلق سبحانه (۱) .

و هذه الآيه من الآيات التى تنفى مذهب الجبريّه،و تثبت مبدأ العداله فى أفعال اللّه تعالى.(للمزيد من التفصيل راجع تفسير الآيه(۱۸۲)من سوره آل عمران).

۱- ۱) -«ظلاّم»صيغه مبالغه تعنى كثير الظلم.و طبيعى أنّ اللّه لا يظلم أبدا لا كثيرا و لا قليلا،و يمكن أن يكون استخدام هذا التعبير هنا إشاره إلى أنّ العقاب دون مبرّر من قبل اللّه تعالى-جلّ عن ذلك و علا علوّا كبيرا-مصداق ظلم كبير.

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ١١ الى ١۴]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اَللّٰهَ عَلىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصٰابَهُ خَيْرٌ اِطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصٰابَتْهُ فِتْنَةٌ اِنْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ اَلدُّنْيٰا وَ اَلْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ اَلْخُسْرٰانُ اَلْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لاٰ يَضُرُّهُ وَ مٰا لاٰ يَنْفَعُهُ ذٰلِكَ هُوَ اَلضَّلاٰلُ اَلْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ اَلْمَوْلىٰ وَ لَبِئْسَ اَلْعَشِيرُ (١٣) إِنَّ اَللّٰهَ يُدْخِلُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ إِنَّ اَللّٰهَ يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ (١۴)

التّفسير

اشاره

الواقف على حافّه وادى الكفر

تحدّثت الآيات السابقه عن مجموعتين:الأتباع الضالّين،و القاده المضلّين.

أمّا هذه الآيات،فتتحدّث عن مجموعه ثالثه هم ضعاف الإيمان.قال القرآن المجيد عن هذه المجموعه: وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلىٰ حَرْفٍ أى إنّ بعض الناس يعبد اللّه بلقلقه لسان،و إنّ إيمانه ضعيف جدّا.و لم يدخل الإيمان إلى قلبه.

و عباره«على حرف»ربّما تكون إشاره إلى أنّ إيمانهم باللسان فقط،و أنّ قلوبهم لم تر بصيصا من نوره إلاّ قليلا،و قد تكون إشاره إلى أنّ هـذه المجموعه تحيـا على هـامش الإيمـان و الإسـلام و ليس فى عمقه،فأحـد معـانى«الحرف»هو حـافّه الجبـل و الأشـياء الاخرى.و الـذى يقف على الحافّه لا يمكنه أن يسـتقرّ.فهو قلق فى موقفه هـذا،يمكن أن يقع بهزّه خفيفه،و هكذا ضـعاف الإيمان الذين يفقدون إيمانهم بأدنى سبب.

ثمّ تنـاول القرآن الكريم عـدم ثبـات الإيمان لـدى هؤلاء الأشـخاص فَإِنْ أَصٰابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصٰابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ (١) إنّهم يطمئنون إذا ضحكت لهم الدنيا و غمرتهم بخيراتها!و يعتبرون ذلك دليلا على أحقّيه الإسلام.

إلاّـ أنّهم يتغيّرون و يتّجهـون إلى الكفر إن امتحنـوا بالمشاكـل و القلق و الفقر،فالـدين و الإيمـان لـديهم وسـيله للحصول على ما يبتغون فى هذه الدنيا،فإن تمّ ما يبغونه كان الدين حقّا،و إلاّ فلا.

و ذكر«ابن عبّاس»و مفسّـرون قدماء سـبب نزول هذه الآيه:«أنّها نزلت فى أعراب كانوا يقدمون على النّبى صـلى اللّه عليه و آله و سلم بالمدينه مهاجرين من باديتهم،فكان أحدهم إذا صحّ بها جسمه و نتجت فرسه مهرا حسنا.و ولدت امرأته غلاما و كثر ماله و ماشـيته،رضـى به و اطمأنّ إليه،و إن أصابه وجع و ولـدت امرأته أنثى أو أجهضت فرسه أو ذهب ماله أو تأخّرت عنه الصدقه،أتاه الشيطان و قال له:ما جاءتك هذه الشور إلاّ بسبب هذا الدين.فينقلب عن دينه» (٢) .

و ممّا يلفت النظر أنّ القرآن الكريم يعبّر عن إقبال الدنيا على هؤلاء الأشـخاص بالخير.و عن إدبارها بالفتنه(وسـيله الامتحان)و لم يطلق عليها كلمه

١- ١) -كلمه«انقلب»فى جمله«انقلب على وجهه»تعنى التراجع.و يمكن أن تكون إشاره إلى ترك الإيمان تماما،حتّى إنّه لا يعود إليه.فهو غريب عن الإيمان دوما.

٢- ٢) -تفسير الفخر الرازى،المجلّد الثّالث و العشرون،ص ١٣،و تفسير القرطبى،المجلّد السادس،ص ۴۴٠٩.

الشّر،إشاره إلى أنّ هذه الأحداث غير المرتقبه ليست شرّا و لا سوءا و إنّما هى وسيله للامتحان.

و يضيف القرآن المجيد فى الختام- خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَهَ و ذٰلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ مؤكّدا أنّ أفدح الضرر و أفظع الخسران،هو أن يفقد الإنسان دينه و دنياه.و هؤلاء الأشخاص الذين يقيسون الحقّ بإقبال الدنيا عليهم ينظرون إلى الدين وفق مصالحهم الخاصّه،و هذه الفئه موجوده بكثره فى كلّ مجتمع،و إيمانها مزيج بالشرک و عباده الأصنام،إلاّ أنّ أصنامهم هى و أزواجهم و أبناؤهم و أموالهم و مواشيهم،و مثل هذا الإيمان أضعف من بيت العنكبوت! و هناك مفسّرون يرون أنّ هذه الآيه تشير إلى المنافقين،لكن إذا اعتبرنا أنّ المنافق هو من لا يملك ذرّه من الإيمان،فإنّ ذلک يخالف ظاهر هذه الآيه،فعباره «يعبد اللّه»و«اطمأنّ به»و«انقلب على وجهه»تبيّن أنّه ذو إيمان ضعيف قبل هذا.

أمّا إذا قصد بالمنافق من يملك قليلا من الإيمان،فلا يعارض ما قلناه،و يمكن قبوله.

و تشير الآيه التاليه إلى إعتقاد هذه الفئه الخليط بالشرک،خاصه بعد الانحراف عن صراط التوحيد و الإيمان باللّه،فتقول: يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَ ما لا يَنْفَعُهُ أى إذا كان هذا الإنسان يسعى إلى تحقيق مصالحه الماديّه و الابتعاد عن الخسائر و يرى صحّه الدين فى إقبال الدنيا عليه،و بطلانه فى إدبارها عنه.فلما ذا يتوجّه إلى أصنام لا يؤمّل منها خير،و لا يخاف منها ضرر.

فهى أشياء لا فائده فيها،و لا أثر لها فى مصير البشر؟!أجل ذٰلِکَ هُوَ الضَّلاٰلُ الْبَعِيدُ .إنّ هؤلاء ليبتعدون عن الصراط المستقيم بعدا حتّى لا ترجى عودتهم إلى الحقّ إلاّ رجاء ضعيفا جدّا.

و يوسّع القرآن الكريم هذا المعنى فيقول: يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ .

لأنّ هذا المعبود المختلق ينزل بفكرهم إلى الحضيض فى هذه الدنيا،و يدفعهم

نحو الخرافات و الجهل،و يدعهم فى الآخره فى نار جهنّم،بل هم كما تقول الآيه ۹۸ من سوره الأنبياء: إِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ .

و تضيف الآيه فى الختام لَبِئْسَ الْمَوْلىٰ وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ فما أسوأه ناصرا و معينا،و ما أسوأه مؤنسا و معاشرا.

و هنا يثار سؤال،فالآيه السابقه تنفى كلّ فائده و نفع من هذه الأصنام و كلّ ضرر،و هذه الآيه تقول إنّ ضررها أقرب من نفعها!فكيف ينسجم الحكمان؟ فى الجواب عن ذلك نقول:إنّ ذلك أمر اعتيادى فى المخاطبه،ففى مرحله لا يعتبرون لشيء فائده و تأثير يذكر ثمّ يترقّى إلى الحال فى مرحله أخرى فيعدّونه مصدر الضرر.كأن نقول:لا تصادق فلانا،فلا نفع فيه لدينك و لا لدنياك.

و بعدها نتقدّم فنقول إنّما هو:(أى هذا الصديق)سبب لتعاستك و افتضاحك.و هنا تجد إضافه إلى كون الأصنام لا ضرر فيها لأعداء المشركين،لأنّها غير قادره على الإضرار بأعدائهم كما يتوقّعون منها،و لكنّها تتضمّن ضررا حتميّا لأتباعها.

كما أنّ صيغه«أفعل التفضيل»فى كلمه«أقرب»كما قلنا سابقا:تعنى عدم اتّصاف طرفى المقارنه بصفه معيّنه.و قد يكون الطرف الأضعف فاقدا لأيّه صفه، كأن نقول:ساعه صبر عن الذنب خير من نار جهنّم(و ليس معنى ذلك أنّ نار جهنّم فيها خير، إلاّ أنّ الصبر أفضل منها،) و قد اختار هذا الرأى عدد من كبار المفسّرين كالشيخ الطوسى فى«التبيان» و الطبرسى فى«مجمع البيان».

و احتمل البعض كالفخر الرازى فى تفسير الآيه بأنّ كلّ واحده من هاتين الآيتين إشاره إلى مجموعه من الأصنام،فالآيه الأولى تخصّ الأصنام الحجريه و الخشبيه،و أمّا الآيه الثّانيه فتخصّ الطواغيت و البشر المتعالين أشباه الأصنام.

فالمجموعه الأولى لا تضرّ و لا تنفع،بل هى بالتأكيد خاليه من أيّه صفه.أمّا المجموعه الثّانيه«أئمّه الضلال»فإنّهم يضرّون و لا ينفعون.و إذا كان فيهم خير

قلیل فضرّهم کبیر جدّا،و عباره لَبِئْسَ الْمَوْلیٰ وَ لَبِئْسَ الْعَشِیرُ تؤکّد ذلک،و علیه فلا تناقض بین الآیتین (۱) .

و ختام الآیه المبارکه نلحظ مقارنه بین الخیر و الشرّ کما هو دأب القرآن الکریم لتّتضح النتائج بشکل أکبر،فتقول الآیه: إِنَّ اللّٰهَ یُدْخِلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ .فعاقبتهم معلومه و منهج تفکیر هم و سلوکهم واضح فمولاهم هو اللّه تعالی،و رفاقهم و جلساؤهم فی الآخره هم الأنبیاء و الصالحون و الملائکه،و أنّ اللّه سبحانه یثیب المؤمنین العاملین للصالحات،جنّات تجری من تحتها الأنهار،لینعموا بالسعاده و السرور جزاء استقامتهم علی الحقّ و استجابتهم له فی الحیاه الدنیا إِنَّ اللّٰهَ یَفْعَلُ مٰا یُرِیدُ .

و ثوابهم یسیر علیه-جلّ و علا- یسر عقاب الذین ظلموا أنفسهم بإیثار الباطل علی الحقّ،و بعبادتهم الأصنام من دون اللّه سبحانه.

و فی هذه المقارنه نلاحظ طائفه من الناس لم یؤمنوا إلاّ بلسانهم،فهم علی جانب من الدین و ینحرفون بأدنی وسوسه،و لیس لهم عمل صالح،أمّا المؤمنون الحقیقیّون فإیمانهم راسخ و لا تزعزعه العواطف و مثمر هذا من جهه..و من جهه أخری فلئن کان مولی الخاسرین لا ینفع و لا یضرّ،فإنّ مولی الصالحین علی کلّ شیء قدیر.و لئن خسر الظالمون کلّ شیء،فقد ربح المهتدون خیر الدنیا و سعاده الآخره.

۱- ۱) -بعض المفسّرین الأفاضل کمفسّر المیزان فسّر عباره«یدعو»بمعنی«یقول»إلاّ أنّ ذلک لا یطابق ظاهر الآیه.

الآيات [سوره الحج (۲۲): الآيات ۱۵ الی ۱۷]

اشاره

مَنْ كٰانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اَللّٰهُ فِي اَلدُّنْيٰا وَ اَلْآخِرَهِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى اَلسَّمٰاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مٰا يَغِيظُ (۱۵) وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ وَ أَنَّ اَللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (۱۶) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَلَّذِينَ هٰادُوا وَ اَلصّٰابِئِينَ وَ اَلنَّصٰارىٰ وَ اَلْمَجُوسَ وَ اَلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اَللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۱۷)

سبب النّزول

روی بعض المفسّرین حول سبب نزول الآیه الأولی من هذه الآیات،أنّها نزلت فی نفر من أسد و غطفان قالوا:نخاف أنّ اللّه لا ینصر محمّدا،فینقطع الذی بیننا و بین حلفائنا من الیهود فلا یمیروننا.فحذّرتهم هذه الآیه و وبّختهم بشدّه.

و قال آخرون:إنّها نزلت فی قوم من المسلمین لشدّه غیظهم و حنقهم علی المشرکین،یستبطئون ما وعد اللّه رسوله من النصر،فنزلت هذه الآیه (۱) تلومهم

۱- ۱) -أبو الفتوح الرازی،و کذلک الفخر الرازی فی تفسیر هما الآیات موضع البحث.

على عدم صبرهم.

التّفسير

اشاره

البعث نهايه جميع الخلافات:

بما أنّ الآيات السابقه كانت تتحدّث عن ضعفاء الإيمان،فإنّ الآيات مورد البحث ترسم لنا صوره أخرى عن هؤلاء فتقول: مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ فَلْیَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَی السَّماءِ ثُمَّ لْیَقْطَعْ فَلْیَنْظُرْ هَلْ یُذْهِبَنَّ کَیْدُهُ ما یَغِیظُ .

أی من یظنّ أنّ اللّه لا ینصر نبیّه فی الدنیا و الآخره،و هو غارق فی غضبه،فلیعمل ما یشاء،و لیشدّ هذا الشخص حبلا من سقف منزله و یعلّق نفسه حتّی ینقطع نفسه و یبلغ حافّه الموت،فهل ینتهی غضبه؟! لقد اختار هذا التّفسیر عدد کبیر من المفسّرین،أو ذکروه کاحتمال یستحقّ الاهتمام به (۱) .

الضمیر فی قوله سبحانه: لَنْ یَنْصُرَهُ اللّهُ بحسب هذا التّفسیر یعود إلی النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم و«السّماء»تعنی سقف المنزل(لأنّ کلّ شیء فوقنا یطلق علیه سماء).أمّا عباره«لیقطع»فتعنی قطع النفس و الوصول إلی حافّه الموت.

و احتمل البعض احتمالات أخری فی تفسیر هذه الآیه لا حاجه لذکرها،ما عدا تفسیرین منها یستحقّان الاهتمام،و هما:

۱-إنّ السّماء یقصد بها السّماء الحقیقیّه،و بناء علی هذا الرأی:فإنّ الأشخاص الذین یظنّون أنّ اللّه لا ینصر نبیّه،لیذهبوا إلی السّماء و لیشدّوا بها حبلا و یعلّقوا أنفسهم بینها و بین الأرض حتّی تنقطع أنفسهم.(أو یقطعوا الحبل الذی تعلّقوا به کی یسقطوا)و لینظروا إلی أنفسهم هل انتهی غضبهم؟!

---

۱ - ۱) -تراجع تفاسیر«مجمع البیان»و«التبیان»و«المیزان»و«الفخر الرازی»و«أبو الفتوح الرازی»و«تفسیر الصافی»و «القرطبی»فی تفسیر الآیه التی یدور حولها البحث.

۲-إنّ عود الضمير المذكور إلى هؤلاء الأشخاص(ليس إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)أى أنّ الذين يظنّون عدم نصر اللّه لهم،و أنّه يقطع رزقهم،عليهم أن يعملوا ما شاءوا، و ليذهبوا إلى السّماء و يعلّقوا أنفسهم بحبل،ثمّ ليقطعوا هذا الحبل حتّى يقعوا على الأرض،فهل ينهى غضبهم؟ و جميع هذه التفاسير تركّز على ملاحظه نفسيّه تخصّ الأشخاص الحادّى المزاج.و الضعيفى الإيمان الذين يصابون بالهلع و يرتكبون أعمالا جنونيه كلّما بلغت أمورهم طريقا مسدودا فى الظاهر،فيضربون الأبواب و الحيطان تاره، و أخرى يودّون أن تبتلعهم الأرض.و قد يصمّمون على الانتحار لإخماد نيران غضبهم.فى وقت لا تحلّ فيه هذه الأعمال الجنونيه مشاكلهم،و لو تريّثوا قليلا، و التزموا بالصبر وسعه الصدر،و نهضوا بعد التوكّل على اللّه و الاعتماد على النفس فى مواجهه مشاكلهم،لأصبح حلّها مؤكّدا.

و أشارت الآيه التاليه إلى خلاصه الآيات السابقه،فقالت: وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ .

لقد أوضحت الآيات السابقه أدلّه المعاد و البعث،كالمراحل التى يمرّ بها الجنين الإنسانى و نموّ النباتات و إحياء الأرض بعد موتها،و أدلّه أخرى على عدم نفع الأصنام و ضرّها،و عرضت أعمال الذين يجعلون الدين وسيله لبلوغ المنافع التافهه.و لكن هذه الأدلّه الواضحه و البراهين الدامغه لا تكفى لتقبّل الحقّ،بل لا بدّ من استعداد ذاتى لذلك.و لهذا يقول القرآن المجيد فى نهايه الآيه: وَ أَنَّ اللّٰهَ يَهْدِى مَنْ يُرِيدُ .

و قد قلنا مرارا:إنّ إراده اللّه ليست بلا حساب،فهو المدبّر الحكيم يهدى من يشاء بآياته البيّنات،خاصّه أولئك المجاهدين فى سبيله،و هم يرجون هدايته

ص:۳۰۱

بكلّ مشاعرهم (١) .

و أشارت آخر الآيه هنا إلى ستّ فئات،إحداها مسلمه مؤمنه،و خمس منها غير مسلمه إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ أليس يوم الفصل من أسماء يوم القيامه! حيث يفصل اللّه سبحانه و تعالى،فيه بين الحقّ و الباطل،يوم تبلى فيه السرائر، و تنتهى فيه الخلافات، إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

بحوث

اشاره

١-ارتباط الآيات

ترتبط هذه الآيه بالآيات التى سبقتها،حيث تناولت الآيه التى قبلها الهدايه الربّانيه لمن كان قابلا للهدايه،و لكن بما أنّ قلوب الناس ليست على نمط واحد، بسبب وجود التعقّب و العناد و التقليد الأعمى لا يسمح للقلوب بالاهتداء،لذا يبقى التحزّب و الخلاف إلى يوم القيامه الذى يكشف فيه عن الأسرار و يتجلّى الحقّ للجميع.

مضافا إلى أنّ الآيات السابقه تحدّثت عن ثلاث فئات:أولاهما تجادل فى اللّه و فى يوم البعث بغير دليل،و ثانيها تضلّل الناس، و ثالثها ضعاف الإيمان الذين يميلون كلّ مرّه إلى جهه.لذا فقد أشارت هذه الآيه إلى نماذج من هذه الفئات التى تجابه المؤمنين.

ثمّ أنّ الآيات السابقه تضمّنت سؤالا هو:ما الهدف من المعاد؟و قد بيّنت الآيه-موضع البحث-أحد أهداف المعاد،و هو إنهاء الخلافات و العوده إلى الوحده.

---

١ - ١) -المبتدأ محذوف فى قوله تعالى: أَنَّ اللّهَ يَهْدِى مَنْ يُرِيدُ و تقديره«الأمر أنّ اللّه يهدى من يريد»،و يحتمل أيضا أنّ حرف(أنّ)بالفتح بمعنى(إنّ)بالكسر فلا محذوف فى البين حينئذ.

۲-من هم المجوس؟

جاءت كلمه«المجوس»مرّه واحده فى هذه الآيات بجانب الأديان السماويه الاخرى و فى مقابل المشركين،و هذا دليل على أنّ لهم دينا و نبيّا و كتابا.

و تطلق كلمه«المجوس»اليوم على أتباع«زرادشت»أو أنّ أتباع زرادشت يشكّلون جزءا مهمّا منهم،و حياه«زرادشت»ليست واضحه تماما،فقد قيل:إنّه ظهر فى القرآن الحادى عشر قبل الميلاد،و قيل:فى القرن السادس أو السابع (۱) .

و هذا الاختلاف بخمسه قرون أمر عجيب!يدلّ على الغموض الذى يحيط بتاريخ زرادشت.و المعروف أنّ له كتابا اسمه«أفستا»تلف إبّان حمله الإسكندر المقدونى على بلاد فارس.ثمّ أعيدت كتابته على عهد أحد ملوك الساسانيين (۲) .

و ليس لدينا معلومات كافيه عن عقيده زرادشت،إلاّ ما اشتهر من اعتقاده بمبدإ الخير و الشرّ و النور و الظلام،فإله الخير و النور عنده«أهورامزدا»و إله الشرّ و الظلام«أهريمن»و يحترم فكره العناصر الأربعه و خاصّه«النّار»حتّى أعتبر أتباعه عبده للنار.و أينما كانوا وجد معهم معبد للنار صغير أو كبير.

و يرى البعض أنّ كلمه«مجوس»مشتقّه من«مغ»التى كانت تطلق على قاده و روحانيى هذا الدين.كما أنّ كلمه«مؤبّد»التى تطلق حاليا على روحانيى هذا الدين،مشتقّه فى الأصل من«مغود».

و روى أنّهم من أتباع أحد أنبياء الحقّ(إلاّ أنّهم انحرفوا بعد توحيدهم اللّه، فأصبحوا على عقيده يخالطها الشرك).

و جاء فى روايه أنّ مشركى مكّه طالبوا النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأخذ الجزيه من أتباع زرادشت مقابل السماح لهم بالتزام ما يعتقدون به،فبيّن لهم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه لا يأخذ الجزيه إلاّ من أهل الكتاب،فقالوا:كيف هذا و قد أخذت الجزيه من مجوس

۱- ۱) -أعلام القرآن ص ۵۵.

۲- ۲) -تفسير الميزان المجلّد الرّابع عشر صفحه ۳۹۲.

منطقه«هجر»؟!أجاب صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«إنّ المجوس كان لهم نبی فقتلوه،و كتاب أحرقوه» (1) .

و

جاء فی حديث آخر عن«الأصبغ»بن نباته» أنّ عليا قال على المنبر:

سلونی قبل أن تفقدونی،فقام إليه الأشعث«المنافق المعروف)،فقال:

يا أمير المؤمنين كيف تؤخذ الجزيه من المجوس و لم ينزل عليهم كتاب و لم يبعث إليهم نبیّ؟فقال عليه السّلام:«بلى يا أشعث قد أنزل اللّه عليهم كتابا و بعث إليهم نبيّا».الحديث (2) .

و

فی حديث عن الإمام علی بن الحسين عليه السّلام قال:«إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:

سنّوا بهم سنّه أهل الكتاب يعنی المجوس» (3) .

و«المجوس»جمع مفرده«مجوسی».

۳-من هم الصابئه؟

يستفاد من الآيه السابقه،و لا سيّما من ذكر الصابئه بين اليهود و النصارى،أنّ الصابئه أصحاب دين سماوی.و قيل:إنّهم أتباع يحيى بن زكريا عليه السّلام الذی يسمّيه المسيحيون«يحيى المعمدان»و قيل:إنّ الصابئه مزجوا بين العقيدتين اليهوديه و النصرانيه،فعقيدتهم وسط بين أولئك و هؤلاء.

يهتمّ الصابئه بالماء كثيرا،و لهذا ترى معظمهم يعيشون على ضفاف الأنهر الكبيره،و ذكر أنّهم يقدّسون بعض النجوم،و لهذا اتّهموا بعباده النجوم.رغم أنّ الآيه السابقه لم تضعهم فی صفّ المشركين(إيضاحا لذلك يراجع التّفسير الأمثل فی تفسير الآيه ۶۲ من سوره البقره).

۱- ۱) -وسائل الشيعه المجلّد الحادی عشر-أبواب جهاد العدو-الباب ۴۹ صفحه ۹۶.

۲- ۲) -وسائل الشّيعه،المجلد الحادی عشر،ص ۹۸،أبواب جهاد العدو الباب ۴۹،الحديث ۷.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴-مجموعه المنحرفین عن التوحید

أشارت الآیات السابقه إلی خمس فئات منحرفه،یحتمل أن یکون ترتیبها هنا بحسب درجه انحرافها عن أصل التوحید،فالیهود أقل انحرافا من الآخرین بشأن التوحید،و الصابئه وسط بین الیهود و النصاری،و یلیهم النصاری لقولهم بالتثلیث أی تألیههم عیسی و أمّه مریم علیهما السّلام أیضا،و بذلک إزداد انحرافهم.أمّا المجوس فهم فی مرحله رابعه لتقسیمهم العالم قسمین:الخیر و الشرّ،و قولهم بوجود مبدأین منذ الخلیقه.أمّا المشرکون و عبده الأصنام فهم فی آخر مرحله، لانحرافهم عن التوحید أکثر من الآخرین.

ص: ۳۰۵

الآیه [سوره الحج (٢٢): آیه ١٨]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ وَ اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ وَ اَلنُّجُومُ وَ اَلْجِبٰالُ وَ اَلشَّجَرُ وَ اَلدَّوَابُّ وَ کَثِیرٌ مِنَ اَلنّٰاسِ وَ کَثِیرٌ حَقَّ عَلَیْهِ اَلْعَذٰابُ وَ مَنْ یُهِنِ اَللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ مُکْرِمٍ إِنَّ اَللّٰهَ یَفْعَلُ مٰا یَشٰاءُ (١٨)

التّفسیر

اشاره

الوجود کلّه یسجد للّه:

بما أنّ الحدیث فی الآیات السابقه کان عن المبدأ و المعاد،فإنّ الآیه-موضع البحث-بطرحها مسأله التوحید،قد أکملت دائره المبدأ و المعاد،و تخاطب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فتقول أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ یَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبٰالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ و کَثِیرٌ مِنَ النّٰاسِ وَ کَثِیرٌ حَقَّ عَلَیْهِ الْعَذٰابُ ثمّ تضیف و هؤلاء لیست لهم قیمه عند اللّه تعالی،و من کان کذلک فهو مهان: وَ مَنْ یُهِنِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ مُکْرِمٍ .

أی إنّ من یهینه اللّه لا یکرمه أحد،و لیست له سعاده و لا أجر،حقّا إِنَّ اللّٰهَ یَفْعَلُ مٰا یَشٰاءُ فهو یکرم المؤمنین به،و یذلّ المنکرین له.

ص:٣٠۶

بحثان

اشاره

۱-فی کیفیه السجود العام!

جاء فی القرآن المجید ذکر«السجود العامّ»لجمیع المخلوقات فی العالم، و کذا«التسبیح»و«الحمد»و«الصلاه»،و أکّد القرآن الکریم علی أنّ هذه العبادات الأربع،لا تختص بالبشر وحدهم،بل یشارکهم فیها حتّی الموجودات التی تبدو عدیمه الشعور.و علی الرغم من أنّنا بحثنا فی ختام الآیه الرّابعه و الأربعین من سوره الإسراء عن حمد الموجودات و تسبیحها بحثا مسهبا،و تناولنا سجود المخلوقات العامّ للّه فی تفسیر الآیه الخامسه عشره من سوره الرعد،نجد الإشاره إلی هذا الحمد و التسبیح الکونی العامّ ضروریه.

إنّ للموجودات مع ملاحظه ما ورد فی الآیه-موضع البحث-شکلین من السجود«سجود تکوینی»و«سجود تشریعی».

فالسجود التکوینی هو الخضوع و التسلیم لإراده اللّه و نوامیس الخلق و النظام المسیطر علی هذا العالم دون قید أو شرط،و هو یشمل ذرّات المخلوقات کلّها، حتّی أنّه یشمل خلایا أدمغه الفراعنه و المنکرین العنودین و ذرّات أجسامهم فالجمیع یسجدون للّه تعالی تکوینا.

و حسبما یقوله عدد من الباحثین،فإنّ ذرّات العالم کلّها لها نوع من الإدراک و الشعور، و لذا یسبّحون اللّه و یحمدونه و یسجدون له و یصلّون له بلسانهم الخاص (شرحنا ذلک فی تفسیر الآیه الرّابعه و الأربعین من سوره الإسراء)و إذا رفضنا هذا النوع من الإدراک و الشعور،فلا مجال لإنکار تسلیم الکائنات جمیعا للقوانین الحاکمه علی نظام الوجود کلّه.

أمّا«السجود التشریعی»فهو غایه الخضوع من العقلاء المدرکین العارفین للّه سبحانه.و هنا یثار سؤال،و هو أنّه إذا کان السجود العامّ یشمل المخلوقات و جمیع البشر،فلما ذا خصّصته الآیه المذکوره أعلاه ببعض البشر لا کلّهم؟

لو دقّقنا فى مفهوم السجود فى هذه الآيه لرأيناه يجمع بين المفهومين التشريعى و التكوينى،فتتيسّر الإجابه عن هذا السؤال،لأنّ سجود الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الأشجار و الأحياء تكوينى،و سجود البشر تشريعى يؤدّيه ناس و يأباه آخرون،فصدق فيهم القول: كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذٰابُ .و استخدام لفظ واحد بمفهوم شامل عامّ مع الاحتفاظ بمصاديقه لا يضرّه شيئا،حتّى عند الذين لا يجيزون استخدام كلمه واحده لعدّه معان.فكيف بنا و نحن نجيز استعمال كلمه واحده فى معان عديده؟

٢-هل سجود الملائكه تشريعى؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ عباره يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ تضمّ الملائكه، و سجودهم تشريعى،لأنّهم عقلاء ذوو أحاسيس و علم و إراده،أى أنّ سجودهم عباده و خضوع على وفق إرادتهم و وعيهم،بدلاله ما قاله القرآن الكريم عنهم:

لاٰ يَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ

(۱)

.

أجوبه عن استفسارات

۱-لماذا جاءت عباره كَثِيرٌ مِنَ النّٰاسِ بعد وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ التى تضمّ البشر كلّهم؟ يمكن القول أنّ هذه العباره إيضاح لعباره مَنْ فِي الْأَرْضِ أى أنّ أهل الأرض فئتان:الأولى مؤمنه خاضعه للّه،و الأخرى كافره متمرّده عنيده.

و قال بعض المفسّرين:إنّ تعبير مَنْ فِي الْأَرْضِ بصيغه العامّه إشاره إلى السجود التكوينى،الذى يشترك فيه جميع الناس بما فيهم الكفره،حيث تشارك

۱- ۱) -التحريم،۶.

أجزاء أبدانهم فى هذا السجود،و إنّ عباره كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ وَ... إشاره إلى السجود التشريعى الذى يختلف فيه الناس.كما يحتمل أنّ عباره مَنْ فِي الْأَرْضِ إشاره إلى الملائكه الساكنين فى الأرض كعباره مَنْ فِي السَّمٰاءِ التى تشير إلى الملائكه الساكنين فى السّماء،فى وقت تتحدّث فيه العباره التى تليها عن البشر الساكنين فى الأرض.

٢-لماذا تحدّثت هذه الآيه عن أهل السّماء و الأرض،و ليس عن السّماء و الأرض ذاتهما! فى الجواب نقول:السموات داخله فى كلمه«النجوم»،مثلما يقصد«بالجبال» التى تشكّل جزءا مهمّا من الكره الأرضيه،الأرض ذاتها.

٣-و أخيرا:لماذا قال سبحانه و تعالى: أَ لَمْ تَرَ ،أى:ألم تشاهد بعينيك، رغم أنّ السجود العام من قبل المخلوقات للّه تعالى لا يمكن رؤيته؟ و مع ملاحظه أنّ كلمه«رؤيه»فى العربيه تعنى أحيانا العلم،يتّضح الجواب.

و إضافه إلى ذلك نعبّر أحيانا عن الواضحات جدّا بكلمه الرؤيه،فنقول:ألم تر فلانا حسودا بخيلا؟أو:ألم تر فلانا عالما و عادلا؟ (رغم أنّ هذه الصفات ليست حسّيه)و إنّما نقصد بذلك تأكيد الإدراك و العلم بهذه الصفات.

ص:٣٠٩

الآيات [سوره الحج (۲۲): الآيات ۱۹ الى ۲۴]

اشاره

هٰذانِ خَصْمانِ اِخْتَصَمُوا فِی رَبِّهِمْ فَالَّذِینَ کَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیابٌ مِنْ نارٍ یُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ اَلْحَمِیمُ (۱۹) یُصْهَرُ بِهِ ما فِی
بُطُونِهِمْ وَ اَلْجُلُودُ (۲۰) وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِیدٍ (۲۱) کُلَّما أَرادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِیدُوا فِیها وَ ذُوقُوا عَذابَ اَلْحَرِیقِ (۲۲)
إِنَّ اَللّٰهَ یُدْخِلُ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ یُحَلَّوْنَ فِیها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ
فِیها حَرِیرٌ (۲۳) وَ هُدُوا إِلَی اَلطَّیِّبِ مِنَ اَلْقَوْلِ وَ هُدُوا إِلیٰ صِراطِ اَلْحَمِیدِ (۲۴)

سبب النّزول

ذكر عدد من المفسّرين من الشيعه و السنّه روايات فى سبب نزول أوّل آيه من الآيات السالفه الذكر نلخّصها بتركيز:«نزل إلى ساحه الحرب يوم معركه بدر ثلاثه من المسلمين هم(على عليه السّلام و حمزه و عبيده بن الحارث بن عبد المطّلب)،

ص: ۳۱۰

فقتلوا بحسب ترتيبهم«الوليد بن عتبه»و«عتبه بن ربيعه»و«شيبه بن ربيعه» فنزلت هذه الآيه لتبيّن مصير الذين اشتركوا فى هذه المبارزه.

كما روى أنّ أبا ذر أقسم بأنّ هذه الآيه نزلت بحقّ هؤلاء الرجال (۱) ،إلّا أنّنا نكرّر قولنا ثانيه بأنّ سبب النّزول الخاصّ بشخص أو جماعه معيّنه لا يمنع أن يكون مضمون الآيه عامّا يشمل الجميع.

التّفسير

اشاره

خصمان متقابلان!

أشارت الآيه السابقه إلى المؤمنين و طوائف مختلفه من الكفّار، و حدّدتهم بستّ فئات.أمّا هنا فتقول: هٰذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ (۲) أى أنّ الخصام بين مجموعتين،هما:طوائف الكفّار الخمس من جهه،و المؤمنون الحقيقيّون من جهه أخرى.و إذا تفحصنا الأمر وجدنا أساس الخلاف بين الأديان فى ذات اللّه تعالى و صفاته،و هو يمتدّ إلى الخلاف فى النبوّه و المعاد.لهذا لا ضروره إلى القول بأنّ الناس مختلفين فى دين اللّه.إذ أنّ أساس الخلاف و جذوره يعود إلى الخلاف فى توحيده تعالى فقط.فجميع الأديان قد حرّفت،و الباطل منها قد اختلط بنوع من الشرك،و بدت دلائله فى جميع اعتقادات أصحاب هذه الأديان.

ثمّ تبيّن الآيه أربعه أنواع من عقاب الكافرين المنكرين للّه تعالى بوعى منهم، و العقاب الأوّل حول لباسهم،فتقول الآيه: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ و يمكن أن تكون هذه العباره إشاره إلى لباسهم الذى أعدّ لهم من قطع من نار،أو كنايه عن إحاطه نار جهنّم بهم من كلّ جانب.

ص: ۳۱۱

---

۱ – ۱) –ذكر ذلك الطبرسى فى«مجمع البيان»و الفخر الرازى فى«التّفسير الكبير»و الألوسى فى«روح المعانى»و السيوطى فى «أسباب النّزول»و القرطبى فى تفسيره.

۲ – ۲) –كلمه«خصمان»مثنّى أمّا فعلها«اختصموا»فجاء بصيغه جمع،و السبب يكمن فى أنّ هذين ليسا شخصين،بل فئتين، إضافه إلى كون الفئتين ليس فى صفّين و إنّما فى صفوف مختلفه،و تنهض كلّ مجموعه لمبارزه الآخرين.

ثمّ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ (۱) أى يصبّ على رؤوسهم سائل حارق هو حميم النّار، و هذا الماء الحارق الفوّار ينفذ إلى داخل أبدانهم ليذيب باطنها و ظاهرها يُصْهَرُ بِهِ مٰا فِی بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ (۲) .

و ثالث نوع من العقاب هو وَ لَهُمْ مَقٰامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (۳) أى أعدّت لهم أسواط من الحديد المحرق.

و الرابع: كُلَّمٰا أَرٰادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهٰا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهٰا وَ ذُوقُوا عَذٰابَ الْحَرِيقِ أى كلّما أرادوا الخروج من جهنّم و الخلاص من آلامها و همومها أعيدوا إليها،و قيل لهم ذوقوا عذاب الحريق.

و أوضحت الآيات التاليه وضع المؤمنين الصالحين،مستخدمه أسلوب المقارنه،لتكشف بها عن وضع هاتين المجموعتين،و هنا تستعرض هذه الآيات خمسه أنواع من المكافئات للمؤمنين: إِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ .

فخلافا للمجموعه الأولى الذين يتقلّبون فى نار جهنّم،نجد أنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات يتمتّعون بنعيم رياض الجنّه على ضفاف الأنهر و هذه هى المكافأه الأولى،و أمّا لباسهم و زينتهم فتقول الآيه:و يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِبٰاسُهُمْ فِيهٰا حَرِيرٌ (۴) .

و هاتان مكافئتان يمنّ اللّه بهما كذلك على عباده العالمين فى الجنّه،يهبهم أفخر الملابس التى حرموا منها فى الدنيا،و يجمّلهم بزينه الأساور التى منعوا عنها فى الحياه الأولى،لأنّها كانت تؤدّى إلى إصابتهم بالغرور و الغفله،و تكون سببا لحرمان الآخرين و فقرهم.أمّا فى الجنّه فينتهى هذا المنع و يباح للمؤمنين لباس

۱- ۱) -الحميم:الماء الخارق.

۲- ۲) -«يصهر»مشتقّه من«صهر»على وزن«قهر»و تعنى تذويب الشحم.أمّا«الصهر»على وزن«فكر»فتعنى النسيب.

۳- ۳) -«المقامع»جمع«مقمع»على وزن«منبر»و تعنى السوط أو العمود الحديدى يضرب به المذنب عقابا له.

۴- ۴) -«أساور»جمع«أسوره»على وزن«مشوره»و هى بدورها جمع لكلمه«سوار»على وزن«كتاب»و تعنى المعضد.

الحرير و الحلی و غیرها.و بالطبع ستکون للحیاه الاخرویه مفاهیم أسمی ممّا نفکّر به فی هذه الدنیا الدنیّه،لأنّ مبادئ الحیاه و مدلولها یختلفان فی الدنیا عمّا هی فی الآخره(فتأمّلوا جیدا).

و أخیرا الهبه الرّابعه و الخامسه التی یهبها اللّه للمؤمنین الصالحین ذات سمه روحانیه وَ هُدُوا إِلَی الطَّیِّبِ مِنَ الْقَوْلِ حدیث ینمی الروح.و ألفاظ تثیر حیویه الإنسان،و کلمات ملؤها النقاء و الصفاء التی تبلغ بالروح درجه الکمال و تملأ القلب بهجه و سرورا، وَ هُدُوا إِلیٰ صِرٰاطِ الْحَمِیدِ (۱) هکذا یهدون إلی طریق اللّه الحمید،الجدیر بالثناء،طریق معرفه اللّه و التقرّب المعنوی و الروحی إلیه،سبیل العشق و العرفان.

حقّا إنّ اللّه یهدی المؤمنین إلی هذا الطریق الذی ینتهی إلی أعلی درجات اللذّه الروحیّه.

و نقرأ فی حدیث رواه علی بن إبراهیم(المفسّر المعروف)فی تفسیره،أنّ القصد من«الطیب من القول»التوحید و الإخلاص و یعنی«الصراط الحمید» الولایه و الإقرار بولایه القاده الربانیین(و بالطبع هذا أحد البراهین الواضحه للآیه).

کما یستنتج من التعابیر المختلفه الوارده فی الآیات السابقه و فی سبب نزولها أنّ هناک عذابا عسیرا صعبا ینتظر مجموعه خاصّه من الکفّار الذین یعاندون اللّه و یحاولون تضلیل الآخرین.إنّهم أفراد من قاده الکفر کالذین تقدّموا فی معرکه بدر لمبارزه علی علیه السّلام و حمزه بن عبد المطلّب و عبیده بن الحارث.

---

۱ – ۱) -کلمه«الحمید»تعنی المحمود،و تطلق علی من یستحقّ الثناء،و هنا یقصد بها اللّه تعالی،و علی هذا فإنّ«الصراط الحمید» یعنی السبیل إلی مقام مقرّب من اللّه تعالی.کما قال البعض بأنّ«الحمید»وصف للصراط یشبه الإضافه البیانیّه،و علی هذا یکون المعنی:إنّ هؤلاء یرشدون،إلی سبیل جدیر بالثناء کلّه.(الآلوسی فی روح البیان)،إلاّ أنّ المعنی الأوّل یبدو أصحّ.

الآیه [سوره الحج (۲۲): آیه ۲۵]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ اَلَّذِی جَعَلْنٰاهُ لِلنّٰاسِ سَوٰاءً اَلْعٰاکِفُ فِیهِ وَ اَلْبٰادِ وَ مَنْ یُرِدْ فِیهِ بِإِلْحٰادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذٰابٍ أَلِیمٍ (۲۵)

التّفسیر

اشاره

الذین یصدّون عن بیت اللّه الحرام!

تحدّثت الآیات السابقه عن عامّه الکفّار،و هذه الآیه تشیر إلی مجموعه خاصه منهم بائت بمخالفات و ذنوب عظیمه،ذات علاقه بالمسجد الحرام و مراسم الحجّ العظیم.

تبدأ هذه الآیه ب إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ و کذلک یصدّون و یمنعون المؤمنین عن مرکز التوحید العظیم: وَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ الَّذِی جَعَلْنٰاهُ لِلنّٰاسِ سَوٰاءً الْعٰاکِفُ فِیهِ وَ الْبٰادِ أی سواء المقیمون فیه و الذین یقصدونه من مکان بعید.

وَ مَنْ یُرِدْ فِیهِ بِإِلْحٰادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذٰابٍ أَلِیمٍ

أی کلّ من أراد الانحراف فی هذه الأرض المقدّسه عن الحقّ و مارس الظلم و الجور أذقناه عذابا ألیما.

و هذه الفئه من الکفّار ترتکب ثلاث جرائم کبیره،إضافه إلی إنکارها الحقّ،

و جرائمها هی:

۱-صدّ الناس عن سبیل اللّه و الإیمان به و الطاعه له.

۲-صدّهم عن حجّ بیت اللّه الحرام،و توهم أنّ لهم امتیازا عن الآخرین.

۳-ممارستهم للظلم و ارتکابهم الإثم فی هذه الأرض المقدّسه،و اللّه یعاقب هؤلاء بعذاب ألیم.

ملاحظات

اشاره

۱-جاء«کفر»هؤلاء فی هذه الآیه بصیغه الفعل الماضی،و جاء«الصدّ»عن سبیل اللّه بصیغه الفعل المضارع،إشاره إلی کونهم کفّارا من قبل.و إلی أنّ تضلیلهم الناس هو عملهم الدائم.و بتعبیر آخر:تشیر العباره الأولی إلی اعتقادهم الباطل، و هو أمر ثابت،بینما تشیر العباره الثّانیه إلی عملهم الدائم و هو الصدّ عن سبیل اللّه.

۲-یقصد بالصدّ عن سبیل اللّه کلّ عمل یحول دون إیمان الناس و دون قیامهم بالأعمال الصالحه،و هذا المفهوم الواسع یشمل البرامج الإعلامیه و العملیه التی تتوخّی التضلیل عن السبیل السوی و الأعمال الصالحه.

۳-إنّ جمیع الناس فی هذا المکان العبادی سواء.

و قد وردت لعباره سَوَاءً الْعَاکِفُ فِیهِ وَ الْبَادِ عند المفسّرین معان مختلفه، فذهب بعضهم أنّ المراد هو أنّ الناس سواسیه فی هذا المکان الذی یوحّد فیه اللّه، و لیس لأحد الحقّ أن یعرقل حجّ الناس و عبادتهم بجوار بیت اللّه الحرام.

و أعطی آخرون لهذه العباره معنی أوسع،و هو أنّ الناس لیسوا سواسیه فقط فی أداء الشعائر و إنّما هم کذلک فی الاستفاده من الأرض و البیوت المحیطه بالکعبه لاستراحتهم و سائر حاجاتهم الاخری،لهذا حرّم بعض الفقهاء بیع و شراء

و إيجار البيوت فى مكّه المكرمه،و يتّخذون الآيه السابقه دليلا على ما يرون.

كما ذكرت الأحاديث الإسلاميه عدم جواز الحيلوله دون سكنى حجّاج بيت اللّه الحرام فى منازل مكّه،حتّى حرّمه قوم،و رآه آخرون مكروها.

جاء فى رساله بعث بها الإمام على عليه السّلام إلى قثم بن العبّاس والى مكّه آنذاك:

«و أمر أهل مكّه أن لا يأخذوا من ساكن أجرا،فإنّ اللّه سبحانه يقول: سَوٰاءً الْعٰاكِفُ فِيهِ وَ الْبٰادِ فالعاكف المقيم به،و البادى الذى يحجّ إليه من غير أهله» (۱) .

و

جاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه: كانت مكّه ليست على شىء منها باب،و كان أوّل من علّق على بابه المصراعين،معاويه بن أبى سفيان،و ليس ينبغى لأحد أن يمنع الحاج شيئا من الدور و منازلها».

و ذكرت أحاديث أنّ الحجّاج بيت اللّه الحقّ فى استخدام البيوت المحيطه بالكعبه،و يرتبط هذا الحكم بشكل كبير ببحثنا المقبل،و هو:هل يقصد بالمسجد الحرام فى هذه الآيه المسجد ذاته أو يشمل مكّه كلّها؟ فإذا سلّمنا بالرأى الأوّل فإنّ الآيه السابقه لا تشمل منازل مكّه،و على فرض شمولها فإنّ قضيّه حرمه بيع و شراء و إيجار منازل مكّه بالنسبه للحجّاج تكون مطروحه للبحث،إلاّ أنّ هذه القضيّه ليست مؤكّده فى المصادر الفقهيّه و الأحاديث و التفاسير،فإنّ الحكم بحرمتها أمر صعب.و ما أجدر أهل مكّه بأن يقدّموا جميع التسهيلات الممكنه لحجّاج بيت اللّه الحرام!و ألاّ يضعوا لأنفسهم امتيازات على الحجّاج حتّى بالنسبه لمنازلهم،و يبدو أنّ الأحاديث التى وردت فى نهج البلاغه و غيره تشير إلى هذه المسأله.

و القول بالتحريم لا يحظى بتأييد واسع من فقهاء الشيعه و السنّه(للاطّلاع أوسع بهذا الصدد يراجع المجلّد العشرين من جواهر الكلام الصفحه الثامنه

ص: ۳۱۶

۱- ۱) -نهج البلاغه،الرساله السابعه و الستّين.

و الأربعين و ما بعدها فی أحكام منی).

و لا یحقّ لأحد باعتبار كونه حامی حرم اللّه-أو أیّه صفه أخری-مضایقه حجّاج بیت اللّه،أو اتّخاذ الحجّ و البیت قاعده لإعلامه و تنفیذ مآربه.

۴-ما الذی تعنیه هذه الآیه بالمسجد الحرام؟

قال بعض:تعنی الكعبه و جمیع أجزاء المسجد الحرام.و قال غیره:تشیر إلی جمیع أنحاء مكّه،بدلاله الآیه الأولی من سوره الإسراء التی تخصّ معراج النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و مضمون هذه الآیه أنّ بدایه المعراج كانت من المسجد الحرام،فی الوقت الذی ذكر المؤرّخون أنّ المعراج بدأ من منزل خدیجه أو شعب أبی طالب أو من منزل أم هانئ،و علی هذا فإنّ المقصود من المسجد الحرام مكّه كلّها (۱) .

و لكن بدایه معراج النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیست بالتأكید من خارج المسجد الحرام، و یحتمل أن تكون من المسجد ذاته،فلا دلیل لدینا للإعراض عن ظاهر الآیه، و علیه فهذه الآیه تقصد المسجد الحرام ذاته.

و إذا توصّلنا من مطالعه الأحادیث السابقه إلی أنّها تستدلّ بهذه الآیه علی مساواه الناس فی منازل مكّه،لأنّ ذلك الحكم استحبابی،فلا مانع من توسعه موضوعه علی ما یناسبه(فتأمّلوا جیدا).

۵-ماذا تعنی عباره(إلحاد بظلم).

تعنی كلمه«الإلحاد»فی اللغه الانحراف عن حدّ الاعتدال،و لهذا أطلقت علی الحفره المجاوره للقبر التی تقع خارج حدّ الوسط كلمه«لحد».

و علی هذا فإنّ عباره(إلحاد بظلم)تعنی الخارجین عن حدّ الاعتدال بممارسه الظلم،فیرتكبون المخالفات فی تلك الأرض المقدّسه،و قد حصر البعض

۱- ۱) -كنز العرفان،المجلّد الأوّل،الصفحه ۳۳۵.

مفهوم الظلم هنا بالشرك،و قال آخرون:إنّه يعنى إباحه المحرّمات، و قال غيرهم:

إنّ الظلم هنا ذو مدلول واسع يشمل كلّ ذنب و عمل حرام،فيدخل فيه حتّى السبّ للأدنى منه،و قالوا:إنّ ارتكاب أى ذنب فى هذه الأرض المقدّسه له عقاب أشدّ.

و

جاء فى حديث للإمام الصادق عليه السّلام جوابا على سؤال لأحد أصحابه حول هذه الآيه:«كلّ ظلم يظلم الرجل نفسه بمكّه من سرقه أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإنّى أراه إلحادا،و لذلک كان ينهى أن يسكن الحرم» (۱) .

و قد رويت أحاديث أخرى تتضمّن هذا المعنى،و تنسجم مع ظاهر الآيه.

و على هذا يرى بعض الفقهاء-بالنسبه لمن يرتكب الذنب فى الحرم المكّى-وجوب التعزير أو عقاب آخر إضافه إلى الحدّ الذى نصّ عليه الشارع، و يستدلّون على ذلک بعباره نُذِقْهُ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ (۲) .

و يتّضح بذلک أنّ حصر هذه الآيه بالنهى عن الاحتكار،أو عدم الدخول إلى منطقه الحرم دون إحرام،لم تكن غايتهم إلاّ بيان مصداق واضح لهذه الآيه فقط، و إلاّ فلا دليل لدينا على حصر مفهوم هذه الآيه ذات الدلالات الواسعه.

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،المجلّد الثّالث،صفحه ۴۸۲ تفسير الآيه.

۲- ۲) -كنز العرفان،المجلّد الأوّل،صفحه ۳۳۵.

الآيات [سوره الحج (٢٢)]: الآيات ٢۶ الى ٢٨

اشاره

وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ اَلْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِى شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطّائِفِينَ وَ اَلْقائِمِينَ وَ اَلرُّكَّعِ اَلسُّجُودِ (٢۶) وَ أَذِّنْ فِى اَلنّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اِسْمَ اَللّهِ فِى أَيّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَهِ اَلْأَنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا اَلْبائِسَ اَلْفَقِيرَ (٢٨)

التّفسير

اشاره

الدّعوه العامّه للحجّ!

تناولت الآيه السابقه قضيّه المسجد الحرام و حجّاج بيت اللّه،أمّا هذه الآيات فتستعرض بناء الكعبه على يد إبراهيم الخليل عليه السّلام،و وجوب الحجّ و فلسفته، و بعض أحكام هذه العباده الجليله.و بتعبير آخر:كانت الآيه السابقه مقدّمه للأبحاث المختلفه التى تناولتها الآيات اللاحقه،إذ بدأت بقصّه تجديد بناء الكعبه:

وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ

أى تذكّر كيف أعددنا لإبراهيم مكان الكعبه

ليقوم ببنائها.

و كلمه«بوّأ»مشتقه من بواء،أى الأرض المسطّحه،ثمّ أطلقت على إعداد المكان مطلقا.

و تقصد هذه الآيه حسبما يراه المفسّرون أنّ اللّه هدى إبراهيم عليه السّلام إلى مكان الكعبه بعد أن هدمت بطوفان نوح و خفيت معالمها.إذ حدثت عاصفه فأزالت التراب و كشفت عن أسس البيت،أو بعث اللّه سحابه ظلّلت مكان البيت،أو بأىّ أسلوب آخر كشف اللّه لإبراهيم عليه السّلام أسّس الكعبه،فقام هو و ابنه إسماعيل عليهما السّلام بتجديد بناء بيت اللّه الحرام (۱) .

و تضيف الآيه الكريمه أنّه عند ما تمّ بناء البيت خوطب إبراهيم عليه السّلام: أَنْ لاٰ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطّٰائِفِينَ وَ الْقٰائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (۲) .

فمهمّه إبراهيم عليه السّلام كانت تطهير البيت و ما حوله من أى نجس ظاهر أو باطن، و من أى صنم أو مظهر للشرك،من أجل أن يوجّه عباد الرحمن قلوبهم و أبصارهم إليه تعالى وحده فى هذا المكان الطاهر،و ليقوموا بأهمّ العبادات فى هذه البقعه المباركه،ألا و هو الطواف و الصلاه فى محيط إيمانىّ لا يخالطه شرك.

و أشارت الآيه أيضا إلى ثلاثه من الأركان الأساسيّه فى الصلاه:القيام، و الركوع،و السجود،بالترتيب،لأنّ الأركان الباقيه تستظلّ بها،على الرغم من قول بعض المفسّرين:إنّ«القائمين»تعنى هنا المقيمين بمكّه،و مع ملاحظه مسأله الطواف و الركوع و السجود التى جاءت قبل كلمه القائمين و بعدها يتّضح لنا أنّ القيام هنا يعنى قيام الصلاه و قد اختار هذا المعنى عدد كبير من مفسّرى الشيعه

ص:۳۲۰

۱- ۱) -يراجع للاطلاع على كيفيه بناء الكعبه تفسير الآيه(۱۲۷)من سوره البقره.كما تناولنا ذلك بشرح مسهب فى تفسير الآيه (۹۶)من سوره آل عمران.

۲- ۲) -فى هذه الآيه جمله محذوفه تقديرها«أوحينا»و قد أشار إلى ذلك عدد كبير من المفسّرين.

و السنّه أو نقلوه باعتباره تفسير لها (۱) .

و كلمتا«ركّع»و هی جمع للراكع،و«السجود»و هی جمع ساجد،لم يرد بينهما واو العطف،بل ذكرتا وصفا لتقارب هاتان العبادتان.

و بعد إعداد البيت للعباده،أمر اللّه تعالى إبراهيم عليه السّلام: وَ أَذِّنْ فِی النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .

كلمه«أذّن»مشتقه من«الأذان»أی«الإعلان».و«رجال»جمع«راجل»أی «ماشی».و«الضامر»تعنی الحيوان الضعيف.و«الفجّ»فی الأصل تعنی المسافه بين جبلين،ثمّ أطلقت على الطرق الواسعه و«العميق»تعنی هنا«البعيد».

جاء فی حديث رواه علی بن إبراهيم فی تفسيره: عند ما تسلّم إبراهيم عليه السّلام هذا الأمر الربّانی قال:إنّ أذانی لا يصل إلى أسماع الناس،فأجابه سبحانه و تعالى (عليك الأذان و علیّ البلاغ)!فصعد إبراهيم عليه السّلام موضع المقام و وضع إصبعيه فی أذنيه و قال:يا أيّها الناس كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم.و أبلغ اللّه عزّ و جلّ نداءه أسماع جميع الناس حتّى الذين فی أصلاب آبائهم و أرحام أمّهاتهم،فردّوا:لبيّك اللهمّ لبّيك!و إنّ جميع الذين يشاركون فی مراسم الحجّ منذ ذلك اليوم و حتّى يوم القيامه،هم من الذين لبّوا دعوه إبراهيم عليه السّلام (۲) .

و قد ذكرت الآيه هنا الحجّاج المشاه أوّلا،ثمّ الراكبين،لأنّهم أفضل منزله عند اللّه،بسبب ما يتحمّلون من صعاب السفر أكثر من غيرهم،و لهذا السبب

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «للحاج الراكب بكلّ خطوه تخطوها راحلته سبعون حسنه، و للحاج الماشی بكلّ خطوه يخطوها سبعمائه حسنه» (۳) .

۱- ۱) -يراجع تفسير الآيه موضع البحث فی تفاسير الميزان،و فی ظلال القرآن،و التبيان،و مجمع البيان،و التّفسير الكبير للفخر الرازی.

۲- ۲) -بتلخيص،عن تفسير علی بن إبراهيم حسبما نقله تفسير نور الثقلين،المجلّد الثّالث،۴۸۸. و الآلوسی فی روح المعانی،و الفخر الرازی،فی التّفسير الكبير فی تفسير الآيه موضع البحث مع بعض الفارق.

۳- ۳) -تفسير«روح المعانی»،و«مجمع البيان»،و«الفخر الرازی».

أو أنّ هذه المنزله جاءت لتحديد أهميّه حجّ بيت اللّه الحرام،الذی یجب أن یتمّ بأی أسلوب و بأیّه إمکانات.و أن لا ینتظر الحاج مرکبا له.

أمّا عباره«ضامر»فتعنی الحیوان الضعیف،إشاره إلی أنّ هذا الطریق یجعل الحیوان هزیلا،لأنّه یجتاز صحاری جافه محرقه لا زرع فیها و لا ماء،و استعدادا لتحمل الصعاب فی هذا الطریق.

أو یکون المراد أنّ علی الحاج إختیار جواد قوی سریع صابر،رشیق ضامر، متدرّب علی السیر فی مثل هذه الطرق،و لا فائده ترجی من الحیوان المنعم فی هذا الطریق.(مثلما لا یمکن للرجال المترفین اجتیاز هذا الطریق).

أمّا عباره مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ فهی إشاره إلی توجّه الحجاج إلی الکعبه،لیس فقط من الأماکن القریبه،بل یشمل ذلک الحجّاج من الأماکن البعیده أیضا.کلمه «کلّ»لا تعنی هنا الاستغراق و الشمول،بل الکثره.

و یذکر المفسّر المشهور أبو الفتوح الرازی فی تفسیره لهذه الآیه حیاه مثیره لرجل یدعی«أبو القاسم بشر بن محمّد»فیقول:رأیت حین الطواف شیخا هزیلا بدت علیه آثار السفر،و رسم التعب علائمه علی جبینه.تقدّمت إلیه و سألته من أین أنت؟ أجاب:من فجّ عمیق طال قطعه خمسه أعوام!فأصبحت شیخا هزیلا من شدّه تعب السفر و آلامه،فقلت:و اللّه لهی مشقّه،إلاّ أنّها طاعه خالصه و حبّ عمیق للّه تعالی.

فسّره ذلک ثمّ أنشد:

زر من هویت و إن شطّت بک الدار

و حال من دونه حجب و أستار!

لا یمنعنّک بعد من زیارته

إنّ المحبّ لمن یهواه زوّار!

حقّا إنّ جاذبیه بیت اللّه هی بدرجه تجعل القلوب الطافحه بالإیمان تهوی

إليه من جميع الأنحاء،قربت أم بعدت،تجذب الشاب و الشيخ و الصغير و الكبير، من كلّ أمّه و مكان،بعيدا أم قريبا،الكل يلبّون اللّه يأتونه عشّاقا ليروا مظاهر ذات اللّه الطاهره فى تلك الأرض المقدّسه بأعينهم،و يشعروا برحمته التى لا حدود لها من أعماق وجودهم (۱) .

و تناولت الآيه التاليه فلسفه الحجّ فى عباره موجزه ذات دلالات عديده فقالت: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ .أى أنّ على الناس الحجّ إلى هذه الأرض المقدّسه، ليروا منافع لهم بأم أعينهم.

و قد ذكر المفسّرون لكلمه المنافع الوارده فى الآيه عدّه معان،إلّا أنّه لا تحديد لمعناها كما يبدو من ظاهر الآيه،فهى تشمل جميع المنافع و البركات المعنويه و المكاسب الماديه،و كلّ عائد فردى و اجتماعى و فلسفه سياسيّه و اقتصاديه و أخلاقيه.فما أحرى المسلمين أن يتوجّهوا من أنحاء العالم إلى مكّه ليشهدوا هذه المنافع!إنّها لعباره جميله!ما أولاهم أن يجعلهم اللّه شهودا على منافعهم!ليروا بأعينهم ما سمعوه بآذانهم! و على هذا ذكر

فى كتاب الكافى حديثا عن الإمام الصادق عليه السّلام فى الردّ على استفسار ربيع بن خيثم عن كلمه المنافع...،منافع الدنيا أو منافع الآخره؟فقال:

«الكل» (۲) .

و سنتناول بإسهاب شرح هذه المنافع فى ملاحظاتنا على هذه الآيه إن شاء اللّه.

ثمّ تضيف الآيه: وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ فِى أَيّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَهِ الْأَنْعامِ

ص:۳۲۳

۱- ۱) -يقول العالم الفاضل العلامه الشعرانى رضى الله عنه:إن ذلك ليس عجيبا بالنسبه للذين يأتون إلى مكه من الأندلس أو المغرب أو من أنحاء نائيه فى الصين أو من استراليه.حيث يستغرق سفرهم زمنا طويلا يصل إلى عده أشهر نظرا لوسائط النقل التى كانت تستعمل آنذاك و افتقاد الطرق للأمن(إضافه إلى ذلك كان البعض من المتولهين ببيت الله يتعرضون إلى السرقه فى الطريق فيضطرون إلى العمل من أجل إعداد مؤنه باقى الطريق إلى بيت الله الحرام).

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،المجلد الثالث،الصفحه ۴۸۸ نقلا عن كتاب الكافى.

أی أنّه علی المسلمین أن یحجّوا إلی البیت و یقدّموا القرابین من المواشی التی رزقهم اللّه،و أن یذکروا اسم اللّه علیها حین الذبح فی أیّام محدّده معروفه.و بما أنّ الاهتمام الأساس فی مراسم الحجّ،ینصب علی الحالات التی یرتبط فیها الإنسان بربّه لیعکس جوهر هذه العباده العظیمه،تقیّد الآیه المذکوره تقدیم القربان بذکر اسم اللّه علی الاضحیه فقط،و هو أحد الشروط لقبولها من لدن العلی القدیر.و هذا الذکر إشاره إلی توجّه الحاج إلی اللّه کلّ التوجّه عند تقدیم الأضحیه،و همّه کسب رضی اللّه و قبوله القربان،کما أنّ الاستفاده من لحم الضحیه تقع ضمن هذا التوجّه.

و فی الحقیقه یعتبر تقدیم الأضاحی رمزا لإعلان الحاج استعداده للتضحیه بنفسه فی سبیل اللّه،علی نحو ما ذکر من قصّه إبراهیم علیه السّلام و محاوله التضحیه بابنه إسماعیل علیه السّلام. إنّ الحجّاج بعملهم هذا یعلنون استعدادهم للإیثار و التضحیه فی سبیل اللّه حتّی بأنفسهم.

و علی کلّ حال فإنّ القرآن بهذا الکلام ینفی أسلوب المشرکین الذین کانوا یذکرون أسماء الأصنام التی یعبدونها علی أضاحیهم،لیحیلوا هذه المراسم التوحیدیّه إلی شرک باللّه.و جاء فی ختام الآیه: فَکُلُوا مِنْهٰا وَ أَطْعِمُوا الْبٰائِسَ الْفَقِیرَ .

کما یمکن أنّ تفسیر هذه الآیه بأنّ القصد من ذکر اسم اللّه فی أَیّٰامٍ مَعْلُومٰاتٍ هو التکبیر و الحمد للّه ربّ العالمین لما أنعم علینا من نعم لا تعدّ و لا تحصی.

خاصه بما رزقنا من بهیمه الأنعام التی نستفید فی حیاتنا من جمیع أجزاء أبدانها (۱) .

ص: ۳۲۴

۱- ۱) -فی التّفسیر الأوّل(أی ذکر اسم اللّه علی الأضحیه)تکون«علی»هنا للاستعلاء،أمّا فی التّفسیر الثّانی(أی الذکر المطلق لاسم اللّه تعالی فی هذه الأیّام)فإنّ«علی»تعنی«من أجل»فالفرق بین هذین التّفسیرین کبیر،سنشیر إلیه فی الملاحظات.

بحوث

اشاره

۱-ما هی الأیّام المعلومات؟

یأمرنا اللّه سبحانه و تعالی-فی الآیات السابقه-أن نذکره فی أَیّامٍ مَعْلُوماتٍ .و جاء ذلک أیضا فی سوره البقره الآیه(۲۰۳)بشکل آخر وَ اذْکُرُوا اللّٰهَ فِی أَیّامٍ مَعْدُوداتٍ .فما هی الأیّام المعلومات؟و هل تطابق فی معناها الأیّام المعدودات،أمّ لا؟ اختلف المفسّرون فی هذه الأیّام،کما اختلفت الرّوایات التی ذکرت بهذا الصدد: حیث یری بعض المفسّرین-و یستندون إلی بعض الأحادیث الإسلامیه- أنّه یقصد ب«الأیّام المعلومات»الأیّام العشره الأولی من ذی الحجّه،و أمّا«الأیّام المعدودات»فهی«أیّام التشریق»أی الیوم الحادی عشر و الثّانی عشر و الثّالث عشر من ذی الحجّه.الأیّام التی تشرق فیها القلوب.

أمّا المجموعه الثّانیه من المفسّرین فقد استندوا إلی أحادیث أخری فقالوا:

إنّ العبارتین تشیران إلی أیّام التشریق التی تعتبر هی الأیّام الثلاثه ذاتها،و أحیانا یضاف إلیها الیوم العاشر أی عید الأضحی.

و عباره فَمَنْ تَعَجَّلَ فِی یَوْمَیْنِ فَلاٰ إِثْمَ عَلَیْهِ التی جاءت فی سوره البقره،تدلّ علی أنّ أیّام التشریق لیست أکثر من ثلاثه أیّام،لأنّ التعجیل فیها یحدث نقصا فی أیّامها فتصبح یومین.

و مع ملاحظه أنّ التضحیه جاءت فی الآیات-موضع البحث-بعد ذکر الأیّام المعلومات.و نعلم أنّ تقدیم الأضاحی یتمّ فی الیوم العاشر من ذی الحجّه،فإنّ ذلک یؤکّد أنّ الأیّام المعلومات هی الأیّام العشره الأولی من ذی الحجّه التی تنتهی بیوم الأضحی.و علی هذا یقوی دلیل التّفسیر الأوّل القائل باختلاف معنی الأیّام المعلومات و الأیّام المعدودات.

ص: ۳۲۵

و مع الأخذ بوحده المعانی التی تضـمنّتها الآیتان،یبدو أنّ الأرجح فی هذه القضـیّه القول بأنّ الآیتین تشیران إلی موضوع واحد،و هدفهما الاهتمام بذکر اللّه فی أیّام معیّنه تبدأ من العاشـر من ذی الحجّه و تنتهی بالثّالث عشـر منه.و من الطبیعی أن تکون إحدی الحالات التی یجب ذکر اسم اللّه فیها،هی حین تقدیم الأضاحی (۱) .

۲-ذکر اللّه فی أرض«منی»

جاء فی روایات عدیده أنّ ذکر اللّه فی هذه الأیّام تکبیر خاص یذکر بعد إتمام صـلاه ظهر یوم عید الأضـحی،و یسـتمر ذکر هذا التکبیر فی خمس عشره صلاه(أی ینتهی بعد صلاه صبح الیوم الثّالث عشر)و هو کما یلی:

«اللّه أکـبر،اللّه أکبر،لاـ إله إلاّـ اللّه و اللّه أکبر،اللّه أکبر،و للّه الحمـد،اللّه أکبر علی مـا هـدانا،و اللّه أکبر علی مـا رزقنـا من بهیمه الأنعام» (۲) .

کمـا نصّت بعض الأحادیث علی أنّ التکبیر فی المرّات الخمسه عشـر خاص بالـذین هم بأرض«منی»فی أیّام الحـجّ،أمّا من کانوا فی المناطق الاخری فعلیهم ذکر هـذا التکبیر عقب عشر صـلوات(یبدأ من بعد صـلاه الظهر من یوم العید، و ینتهی بصـلاه صـبح الیوم الثّانی عشـر) (۳) و الأحـادیث الخـاصّه بـالتکبیر دلیـل آخر علی أنّ الـذکر فی الآیـات السـابقه عامّ و لیس محـدّدا بتقـدیم الأضاحی.رغم أنّ هذا المفهوم الکلّی یشمل هذا المصداق أیضا.

۱- ۱) -و علیه یزول الخلاف بین هاتین المجموعتین من المفسّرین فی تفسیر عباره«و یذکر اسم اللّه»حیث خصّصت أولاها ذکر اسم اللّه بتقدیم الأضاحی،و الأخری جعلت مفهومه عامّا،و بهذا یکون التّفسیر الأوّل مصداقا للتفسیر الثّانی،و یکون التّفسیر الثّانی ذا مفهوم واسع و عام.

۲- ۲) -ورد الحدیث السابق عن الإمام موسی بن جعفر علیه السّلام و قد ذکر فی بحار الأنوار،المجلّد ۹۹،صفحه ۳۰۶.

۳- ۳) -بحار الأنوار،المجلّد ۹۹،صفحه ۳۰۷.

۳-فلسفه الحجّ و أسراره العميقه!

اشاره

إنّ لشعائر الحجّ-كما هو الحال بالنسبه للعبادات الاخرى-بركات كثيره جدّا فى نفسيّه الفرد و المجتمع الإسلامى.و يمكنها-إن أجريت وفق أسلوب صحيح-أن تحدث فى المجتمعات الإسلاميه تبدّلا جديدا كلّ عام.

و تمتاز هذه المناسک بأربعه أبعاد مهمّه:

۱-البعد الأخلاقى للحج:

أهمّ جانب فى فلسفه الحجّ التغيّر الأخلاقى نحو الأحسن الذى يحصل عند الناس،فمراسم الإحرام تبعد الإنسان بشكل تامّ عن الأمور الماديه و الامتيازات الظاهريه و الألبسه الفاخره،و مع تحريم الملذّات، و بناء الذات الذى يعتبر من واجبات المحرم يبتعد الفرد عن عالم المادّه،و يدخل إلى عالم النور و الصفاء و التسامى الروحى.و ترى الإنسان قد ارتاح فجأه من عبء الامتيازات الموهومه،و الدرجات و الرتب و النياشين.

ثمّ تلى عمليّه الإحرام مراسم الحجّ الاخرى تباعا،و فيها تتوطّد علاقه الإنسان الروحيّه مع خالقه-لحظه بعد أخرى-و تتوثّق.فينقطع عن ماضيه الأسود المملوء آثاما و ذنوبا،و يتّصل بمستقبل واضح كلّه نور و صفاء.خاصّه أنّ مراسم الحجّ تثير فى الإنسان اهتماما كبيرا-فى كلّ خطوه يخطوها-بإبراهيم عليه السّلام محطّم الأصنام،و إسماعيل عليه السّلام ذبيح اللّه.و أمّه هاجر عليها السّلام.و يتجلّى للحجّاج جهادهم و تضحياتهم،إضافه إلى كون أرض مكّه عامّه،و المسجد الحرام و بيت الكعبه و محلّ الطواف حولها خاصّه،تذكر الحاجّ بالرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قاده الإسلام العظام و جهاد المسلمين فى صدر الإسلام،فيتعمّق أثر هذه الثوره الأخلاقيه بدرجه يشاهد فيها الحاج فى كلّ زاويه من زوايا المسجد الحرام و أرض مكّه المقدّسه وجه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و على عليه السّلام،و سائر قاده المسلمين،و يسمع قعقعه سيوفهم و صهيل خيولهم.

أجل،إنّ هذه الأمور كلّها تتّحد و تتضامن لتمهّد لثوره أخلاقيه فى القلوب

المستعدّه.و بشكل لا يمكن وصفه تفتح فى حياه الفرد صفحه جديده.و لهذا نصّت الأحاديث الإسلاميه على أنّ الذى يؤدّى الحجّ تامّا صحيحا

«يخرج من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمّه» (۱) ! فالحجّ ولاده ثانيه للمسلم.يستهلّ بها حياه إنسانيه جديده،و لا حاجه هناك لإعاده القول بأنّ هذه البركات و تأثيرها و ما نشير إليه بعد هذا ليست نصيب من اقتنع من مكاسب الحجّ بقشرته و رمى اللب جانبا.كما أنّها ليست نصيب من يعتبر الحجّ سياحه للتنفيس عن الخاطر،أو للتظاهر و الرياء،أو طريقا للحصول على متاع شخصى دنيوى،و هو فى الحقيقه لم يتوصّل إلى معنى الحج الحقيقى،فكان نصيبه ما يستحقّه!

۲-البعد السياسى للحجّ

ذكر أحد كبار فقهاء المسلمين أنّ مراسم الحجّ فى الوقت الذى تستبطن أخلص و أعمق العبادات،هى أكثر الوسائل أثرا فى التقدّم نحو الأهداف السياسيّه الإسلاميه.فجوهر العباده التوجّه إلى اللّه،و جوهر السياسه التوجّه إلى خلق اللّه، و هذان الأمران امتزجا فى الحجّ بدرجه أصبحا كنسيج واحد.

إنّ الحجّ عامل مؤثّر فى وحده صفوف المسلمين.

الحجّ عامل مهمّ فى مكافحه التعصّب القومى و العنصرى و التقوقع فى حدود جغرافيه.

و الحجّ وسيله لتحطيم الرقابه التى تفرضها الأنظمه الظالمه،و تدمير هذه الأنظمه المتسلّطه على رقاب الشعوب الإسلاميه.

و الحجّ وسيله لنقل الأنباء السياسيه للبلدان الإسلاميه من نقطه إلى أخرى.

۱- ۱) -بحار الأنوار،المجلّد ۹۹،الصفحه ۲۶.

و أخيرا الحجّ عامل مؤثّر فی تحطیم قیود العبودیه و الاستعمار و تحریر المسلمین.

و لهذا السبب کان موسم الحجّ زمن الجبابره کبنی أمیّه و بنی العبّاس الذین کانوا یسیطرون علی الأراضی الإسلامیه المقدّسه،و یراقبون کلّ تحرّک تحرّری إسلامی لیقمعوه بقوّه،کان الموسم متنفّسا للحریه و لاتّصال فئات المجتمع الإسلامی الکبیر بعضها مع بعض،لطرح القضایا السیاسیّه المختلفه التی تهمّ کلّ مسلم.

و علی هذا الأساس قال أمیر المؤمنین علی علیه السّلام فی معرض حدیثه عن فلسفه الفرائض و العبادات

«الحجّ تقویه للدّین» (۱) .

کما أنّ أحد السیاسیین الأجانب المشهورین قال:«الویل للمسلمین إن لم یعرفوا معنی الحجّ،و الویل لأعدائهم إذا أدرک المسلمون معنی الحجّ»! و اعتبرت الأحادیث الإسلامیه الحجّ جهاد الضعفاء،إذ یمکن للشیوخ و النساء الضعیفات المشارکه فی الحجّ لیظهروا عظمه الامّه الإسلامیه.و لیدخلوا الرعب فی قلوب أعداء الإسلام بمشارکتهم فی صفوف المصلّین المتراصّه فی دوائر تحیط ببیت اللّه الحرام.و هی توحّد اللّه و تکبّره.

۳-البعد الثقافی للحجّ

یمکن أن یؤدّی التقاء المسلمین أیّام الحجّ دورا فعّالا-فی التبادل الثقافی فی المجتمع الإسلامی،خاصّه إذا لا حظنا أنّ اجتماع الحجّ العظیم یمثّل بشکل حقیقی فئات المسلمین من أنحاء العالم،حیث لا تصنّع فی المشارکه فی حجّ بیت اللّه الحرام،فالحجّاج جاؤوا من شتّی المجموعات و العناصر و القومیات،و قد اجتمعوا رغم اختلاف ألسنتهم.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الکلمات القصار،رقم ۲۵۲.

لهذا ذكرت الأحاديث الإسلاميه أنّ من فوائد الحجّ نشر أخبار آثار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى أنحاء العالم الإسلامى،

يقول«هشام بن الحكم»أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام المخلصين نقلا عن هذا الإمام العظيم عليه السّلام أنّه قال حول فلسفه الحجّ و الطواف حول الكعبه: «إنّ اللّه خلق الخلق...و أمرهم بما يكون من أمر الطاعه فى الدين،و مصلحتهم من أمر دنياهم،فجعل فيه الاجتماع من الشرق و الغرب، و ليتعارفوا و لينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلى بلد...،و لتعرف آثار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و تعرف أخباره و يذكر لا ينسى» (۱) .

و لهذا السبب كان المسلمون يجدون فى الحجّ متنفّسا من جور الخلفاء و السلاطين الظلمه الذين منعوا المسلمين من نشر هذه الأحكام،لحلّ مشاكلهم بالاجتماع بأئمّه الهدى عليهم السّلام فى المدينه المنوّره و مكّه المكرّمه،و بكبار علماء المسلمين،لينهلوا من مناهل القرآن النقيّه و السنّه النبويّه الشريفه.

و من جهه ثانيه يمكن أن يكون الحجّ مؤتمرا ثقافيا إسلاميا يحضره مفكّرو العالم الإسلامى فى أيّام الحجّ فى مكّه المكرّمه،ليتحاوروا فيما بينهم و يعرضوا نظرياتهم و أفكارهم على الآخرين.

و قد أصبحت الحدود بين البلدان الإسلاميه-الآن-سببا لتشتّت ثقافتهم الأصيله،و اقتصار تفكير مسلمى كلّ بلد بأنفسهم فقط،حتّى تقطّعت أواصر المجتمع الإسلامى الموحّد.بينما يستطيع الحجّ أن يغيّر هذا الوضع.

و ما أجمل ما

قاله الإمام الصادق عليه السّلام فى ختام الحديث السابق الذى رواه هشام بن الحكم: «و لو كان كلّ قوم إنّما يتكلّمون على بلادهم و ما فيها هلكوا، و خربت البلاد،و سقطت الجلب و الأرباح،و عميت الأخبار» (۲) .

۱- ۱) -وسائل الشيعه،المجلّد الثامن،الصفحه ۹.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۴-البعد الاقتصادی للحجّ

خلافا لما یراه البعض،فإنّ مؤتمر الحجّ العظیم یمکن أن یستفاد منه فی تقویه أسس الإقتصاد فی البلدان الإسلامیه. بل إنّه وفق أحادیث إسلامیه معتبره یشکّل البعد الاقتصادی جزءا مهمّا من فلسفه الحجّ.

فما المانع من وضع أسس سوق مشترکه إسلامیه خلال اجتماع الحجّ العظیم، لیوسّع المسلمون مجال التبادل التجاری فیما بینهم بشکل تعود منافعهم إلیهم لا إلی أعدائهم.و من أجل تحریر اقتصادهم من التبعیه الأجنبیه،و هذا العمل عباده و جهاد فی سبیل اللّه،و لا یمکن أن یکون حبّا للدنیا و طمعا فیها.

و لذا أشار الإمام الصادق علیه السّلام فی الحدیث السابق خلال شرحه فلسفه الحجّ، إلی هذا الموضوع بصراحه باعتبار أنّ أحد أهداف الحجّ،تقویه العلاقات التجاریه بین المسلمین.

و جاء فی حدیث آخر للإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه(۱۹۸)من سوره البقره لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّکُمْ .

قال علیه السّلام: «فإذا أحلّ الرجل من إحرامه و قضی فلیشتر و لیبیع فی الموسم» (۱) .

و کما یبدو فإنّ هذا العمل لا إشکال فیه،بل فیه ثواب و أجر.

و بهذا المعنی

جاء فی نهایه حدیث عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام لبیان فلسفه الحجّ بشکل مسهب:(لیشهدوا منافع لهم) (۲) إشاره إلی المنافع المعنویه و المادیّه.و الأخیره علی رأی بعضهم معنویه أیضا.

فالحجّ باختصار عباده عظیمه لو أستفید منها بشکل صحیح فی تشکیل مؤتمرات متعدّده سیاسیّه و ثقافیه و اقتصادیه،لحلّ مشاکل العالم الإسلامی، و مفتاحا لحلّ معضلات المسلمین،و قد یکون هو المراد من

حدیث الإمام الصادق

۱- ۱) -تفسیر العیاشی،حسبما جاء فی تفسیر المیزان،المجلّد الثّانی،ص ۸۶.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۹۹،ص ۳۲.

عليه السّلام حيث قال: «لا يزال الدين قائما ما قامت الكعبه» (۱) .

كما

قال الإمام على عليه السّلام «اللّه اللّه فى بيت ربّكم،لا تخلوه ما بقيتم فإنّه إن ترک لم تناظروا» (۲) أى لا يمهلكم اللّه إن تركتم بيت ربّكم خاليا.

و لأهميّه هذا الموضوع الذى خصّص له باب فى الأحاديث الإسلاميه تحت عنوان«وجوب إجبار الوالى الناس على الحجّ»فإذا أراد المسلمون تعطيل الحجّ فى عام من الأعوام،فعلى الحكومات الإسلاميه أن ترسلهم بالقوّه إلى مكّه (۳) .

۴-ما هو مصير لحوم الأضاحى فى عصرنا؟

يستفاد من الآيه السالفه الذكر أنّ الهدف من تقديم الأضحيه،إضافه إلى الجوانب المعنويه و الروحيه و التقرّب إلى اللّه تعالى،يشمل الاستفاده من لحومها و منح قسم منها إلى الفقراء و المحتاجين.

و تحريم الإسراف فى الإسلام ليس خافيا على أحد،فقد أكدّه القرآن و الحديث و الدليل العقلى.و من هذا كلّه نستنتج عدم جواز ترک اللحوم على الأرض فى«منى»و لا يجوز دفنها،إذ أنّ وجوب تقديم الأضاحى لا يقصد به هذه الأعمال فيجب نقل لحومها إلى مناطق أخرى بحاجه إليها إن لم نجد محتاجين فى«منى»ليستفاد منها على أفضل وجه،و هذا هو مقتضى الجمع بين الأدلّه و البراهين.

و لكنّنا نجد-و مع الأسف-أنّ الكثير من المسلمين عملوا بالحكم الأوّل، و نسوا العمل بالحكم الثّانى،و لذا نشهد فى كلّ عام تلف الآلاف المؤلّفه من لحوم الأضاحى التى بإمكانها أن تكون منبع غذائى مهمّ لشرائح المحرومين فى

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۸ص ۱۴.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الوصيّه،۴۷.

۳- ۳) -وسائل الشيعه،ج ۸ص ۱۵.

المجتمعات الإسلاميه،و لكنّها تترک فی تلک الأرض المقدّسه بحاله سلبیه و مزعجه جدّا.و قد تحدّث لحدّ الآن الکثیر من المفکّرین و علماء المسلمین حول هذا الموضوع مع المسؤولین فی المملکه العربیه السعودیه،و حتّی أنّهم تبرّعوا بتکالیف حفظها و نقلها إلی المؤسّسات المختصّه،و لکن جمود و تحجّر رجال الدین الوهّابیین من جهه،و عدم اهتمام المسؤولین فی الحکومه السعودیه من جهه أخری کانت مانعا لتنفیذ هذا المشروع.

و مع غضّ النظر عن مسأله حرمه الإسراف التی هی من الثوابت فی التفکیر الإسلامی،فإنّ منظر المذابح یوم عید الأضحی فی الحجّ حالیا بشع و غیر منطقی إلی درجه یثیر علامات الاستفهام لدی کلّ ضعیف الإیمان حول شعیره الحجّ بالکامل،و یعطی للأعداء مبرّرا قویّا للطعن و التقبیح غافلین عن أنّ هذه المسأله هی نتیجه جهل و إهمال رجال الدین الوهّابیین و السلطات السعودیه،فعلی هذا، فإنّ عظمه الإسلام و أصاله مناسک الحجّ توجب علی المسلمین من جمیع مناطق العالم أن یمارسوا الضغط علی المسؤولین فی تلک الدوله لإنهاء هذه الحاله الموحشه،و تنفیذ الحکم الإسلامی فی هذه المسأله.

و إذا وردت أحادیث إسلامیه فی حرمه إخراج لحوم الأضاحی من أرض «منی»أو من«حرم مکّه»فإنّ ذلک یعود إلی زمن کان فیه فی مکّه المکرّمه عدد کاف من المستهلکین و المستحقّین.

و لهذا

ورد فی حدیث صحیح الإسناد عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّ أحد أصحابه سأله عن هذا الموضوع،فأجاب:«کنّا نقول لا یخرج منها بشیء لحاجه الناس إلیه،فأمّا الیوم فقد کثر الناس فلا بأس بإخراجه» (۱) .

۱- ۱) -وسائل الشیعه،المجلّد العاشر،الصفحه ۱۵۰(أبواب الذبح الباب ۴۲ الحدیث ۵).

الآیتان [سوره الحج (٢٢): الآیات ٢٩ الی ٣٠]

اشاره

ثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْیُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْیَطَّوَّفُوا بِالْبَیْتِ اَلْعَتِیقِ (٢٩) ذٰلِکَ وَ مَنْ یُعَظِّمْ حُرُمٰاتِ اَللّٰهِ فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ أُحِلَّتْ لَکُمُ اَلْأَنْعٰامُ إِلاّٰ مٰا یُتْلیٰ عَلَیْکُمْ فَاجْتَنِبُوا اَلرِّجْسَ مِنَ اَلْأَوْثٰانِ وَ اِجْتَنِبُوا قَوْلَ اَلزُّورِ (٣٠)

التّفسیر

اشاره

تتابع هذه الآیات البحث السابق عن مناسک الحجّ مشیره إلی جانب آخر من هذه المناسک،فتقول أوّلا: ثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْیُوفُوا نُذُورَهُمْ أی لیطّهروا أجسامهم من الأوساخ و التلوّث،ثمّ لیوفوا ما علیهم من نذور. و لْیَطَّوَّفُوا بِالْبَیْتِ الْعَتِیقِ أی یطوفوا بذلک البیت الذی صانه اللّه عن المصائب و الکوارث و حرّره.

و کلمه«تفث»تعنی-کما قال کبار اللغویین و المفسّرین-القذاره و ما یلتصق بالجسم و زوائده کالأظافر و الشعر.و یقول البعض:إنّ أصلها یعنی القذاره التی تحت الأظافر و أمثالها (١) .و رغم إنکار بعض اللغویین لوجود مثل هذا الاشتقاق

ص: ٣٣۴

١- ١) -عن قاموس اللغه،و مفردات الراغب الاصفهانی،و کنز العرفان،و تفسیر مجمع البیان،و تفاسیر أخری.

فی اللغه العربیه،إلاّ أنّ الراغب الاصفهانی نقل کلام بدویّ قاله بحقّ أحد الأشخاص القذرین:«ما أتفثک و أدرنک»دلیلا علی عربیه هذه الکلمه و وجود اشتقاق لها فی اللغه العربیه.

و قد فسّرت لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ فی الأحادیث الإسلامیه بتقلیم الأظافر و تطهیر البدن و نزع الإحرام.و بتعبیر آخر:تشیر هذه العباره إلی برنامج«التقصیر»الذی یعدّ من مناسک الحجّ.و جاء فی أحادیث إسلامیه أخری بمعنی حلاقه الرأس التی تعتبر أحد أسالیب«التقصیر».

کما جاء فی«کنز العرفان»حدیث رواه ابن عبّاس فی تفسیر هذه الآیه:

«القصد إنجاز مشاعر الحجّ کلّها» (۱) إلاّ أنّه لا سند لدینا لحدیث ابن عبّاس هذا.

و الذی یلفت النظر فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه فسّر عباره لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ بلقاء الإمام،و عند ما سأله الراوی عبد اللّه بن سنان عن توضیح لهذه المسأله

قال: «إنّ للقرآن ظاهرا و باطنا» (۲) .

و هذا الحدیث ربّما کان إشاره إلی ملاحظه تستحقّ الاهتمام.و هی أنّ حجّاج بیت اللّه الحرام یتطهّرون عقب مناسک الحجّ لیزیلوا الأوساخ عن أبدانهم،فعلیهم أن یطهّروا أرواحهم أیضا بلقاء الإمام علیه السّلام،خاصّه و أنّ الخلفاء الجبابره کانوا یمنعون لقاء المسلمین لإمامهم فی الظروف العادیه.لهذا تکون أیّام الحجّ خیر فرصه للقاء الإمام،و بهذا المعنی نقرأ

حدیثا للإمام الباقر علیه السّلام قال فیه: «تمام الحجّ لقاء الإمام» (۳) .

و کلاهما-فی الحقیقه-تطهیر،أحدهما تطهیر لظاهر البدن من القذاره و الأوساخ،و الآخر تطهیر باطنی من الجهل و المفاسد الأخلاقیه.

۱- ۱) -کنز العرفان،المجلّد الأوّل،ص ۲۷۰.

۲- ۲) -نور الثقلین،المجلّد الثّالث،صفحه ۴۹۲.

۳- ۳) -وسائل الشیعه المجلّد،العاشر،الصفحه ۲۵۵(أبواب المزار الباب الثّانی الحدیث الثّانی عشر).

أمّا«الوفاء بالنـذر»فيعنى أنّ كثيرا من الناس ينـذرون تقـديم أضاحى إضافيّه فى الحـجّ،أو التصـدّق بمال،أو القيام بعمل خيرى فى أيّام الحـجّ،و لكنّهم ينسون و يغفلون عن كلّ ذلك عند وصولهم إلى مكّه،لهذا أكّد القرآن عليهم الوفاء بالنذور، و إلاّ يقصّروا فى ذلك (۱) .

أمّا لماذا سمّيت الكعبه بالبيت العتيق؟ «العتيق»مشتقّه من«العتق»أى التحرّر من قيود العبوديه،و ربّما كان ذلك لأنّ الكعبه تحرّرت من قيود ملكيه عباد اللّه،و لم يكن لها مالك إلاّ اللّه،كما حرّرت من قيد سيطره الجبابره كأبرهه.

و من معانى«العتيق»أيضا الشيء الكريم الثمين،و هذا المعنى يتجسّد فى الكعبه بوضوح.و من المعانى الاخرى للعتيق«القديم»يقول الراغب الاصفهانى:

العتيق المتقدّم فى الزمان أو المكان أو الرتبه.و هذا المعنى أيضا واضح بالنسبه للكعبه،فهى أقدم مكان يوحّد فيه اللّه.و بحسب ما جاء فى القرآن إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّٰاسِ (۲) و على كـلّ حـال فلا مانع من إطلاق العتيق على بيت اللّه بعـد ملاحظه ما تتضـمّنه هذه الكلمه من معان،أشار كلّ مفسّر إلى جانب منها.أو ذكرت الأحاديث المختلفه جوانب أخرى من معانيها.

أمّا المراد من«الطواف»الوارد فى آخر الآيه المـذكور أعلاه فهناك بحث بين المفسّرين(هناك طوفان-بعد مراسم عيد الأضحى فى منى-على الحجّاج أن يقوموا بهما،الطواف الأوّل يدعى«طواف الزياره»،و الثّانى«طواف النساء»).

يرى بعض الفقهاء و المفسّرين أنّ مفهوم الطواف عام هنا،لأنّ الآيه لم تتضمّن

۱- ۱) -احتمل بعض المفسّرين القصـد من النـذور القيام بمشاعر الحـجّ،إلاّ أنّه بمراجعه حالات اسـتعمال كلمه النذر فى القرآن المجيـد،يتّضـح لنا أنّه يقصـد المعنى المتـداول من كلمه النـذر،لهـذا فإنّ اسـتخدامها فى مناسك الحـجّ دون دليل،خلافا لمعناها الظاهر.

۲- ۲) -آل عمران،۹۶.

قیودا أو شرطا ما،فهی تضمّ طواف الحجّ و طواف النساء،حتّی أنّها تشمل طواف العمره أیضا (۱) .

فی وقت یری مفسّرون آخرون أنّ الآیه تقصد طواف الزیاره فقط،الذی یجب علی الحاج بعد إحلاله من إحرام الحجّ (۲) .

إلّا أنّ الأحادیث الوارده عن أهل البیت علیهم السّلام تفید أنّ القصد هنا طواف النساء،

ففی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر وَ لْیُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْیَطَّوَّفُوا بِالْبَیْتِ الْعَتِیقِ قال:«طواف النساء» (۳) .

کما روی عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام حدیث بهذا المعنی (۴) .

و هذا الطواف یسمّی عند أهل السنّه طواف الوداع.

و مع ملاحظه هذه الأحادیث یبدو التّفسیر الأخیر هو الأقوی،خاصّه إذا عبّر بهذا المعنی أیضا فی تفسیر ثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ .حیث یجب إضافه إلی تطهیر البدن من القذاره و الشعر الزائد،استعمال العطر أیضا.و من المعلوم أنّه لا یجوز استعمال العطور فی الحجّ إلّا بعد إتمام الطواف و السعی،أو عند ما لا یکون طواف بذمّه الحاج إلّا طواف النساء.

و أشارت الآیه الأخیره إلی خلاصه ما بحثته الآیات السالفه الذکر،حیث تبدأ بکلمه«ذلک»التی لها جمله محذوفه تقدیرها«کذلک أمر الحجّ و المناسک»ثمّ تضیف تأکیدا لأهمیّه الواجبات التی شرحت وَ مَنْ یُعَظِّمْ حُرُماتِ اللّٰهِ فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ .

و المقصود هنا ب«الحرمات»-طبعا-أعمال و مناسک الحجّ،و یمکن أن

۱- ۱) -کنز العرفان،المجلّد الأوّل،الصفحه ۲۷۱.

۲- ۲) -مجمع البیان نقلها فی تفسیر الآیه-موضع البحث-عن بعض المفسّرین لم یذکر أسماءهم.

۳- ۳) -وسائل الشیعه المجلّد التاسع الصفحه ۳۹۰ أبواب الطواف الباب الثّانی.

۴- ۴) -المصدر السابق.

يضاف إليها احترام الكعبه خاصه و الحرم المكّى عامّه.و على هذا فإنّ تفسير هذه الآيه باختصاصها بالمحرّمات-أى كلّ ما نهى اللّه عنه-أو جميع الواجبات، مخالف لظاهر الآيه. كما يجب الانتباه إلى أنّ«حرمات»جمع«حرمه»و هى فى الأصل الشىء الذى يجب أن تحفظ حرمته،و ألاّ تنتهك هذه الحرمه أبدا.

ثمّ تشير هذه الآيه و تناسبا مع أحكام الإحرام إلى حليّه المواشى،حيث تقول: وَ أُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلاّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ .

عباره إِلاّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ يمكن أن تكون إشاره إلى تحريم الصيد على المحرم الذى شرع فى سوره المائده الآيه(٩٥)حيث تقول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ .

كما قد تكون إشاره إلى عباره جاءت فى نهايه الآيه-موضع البحث-تخصّ تحريم الأضحيه التى تذبح للأصنام التى كانت متداوله زمن الجاهليه.لأنّ تذكيه الحيوان يشترط فيها ذكر اسم اللّه عليه عند الذبح،و لا يجوز ذكر اسم الصنم أو أى اسم آخر عليه.

و فى ختام هذه الآيه ورد أمران يخصّان مراسم الحجّ و مكافحه العادات الجاهليه:

الأوّل يقول: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ و«الأوثان»جمع«وثن»على و كن«كفن»و تعنى الأحجار التى كانت تعبد زمن الجاهليه،و هنا جاءت كلمه الأوثان إيضاحا لكلمه«رجس»التى ذكرت فى الآيه،حيث تقول: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ .ثمّ تليها عباره مِنَ الْأَوْثانِ أى الرجس هو ذاته الأوثان.

كما تجب ملاحظه أنّ عبده الأوثان زمن الجاهليه كانوا يلطّخونها بدماء الأضاحى، فيحصل مشهد تقشّر الأبدان من بشاعته،و قد يكون التعبير السابق إشاره إلى هذا المعنى أيضا.

ص :٣٣٨

و الأمر الثّانی هو وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ أی الکلام الباطل الذی لا أساس له من الصحّه.

مسأله:ما معنی قَوْلَ الزُّورِ ؟

یری بعض المفسّرین أنّه إشاره إلی کیفیّه تلبیه المشرکین فی مراسم الحجّ فی زمن الجاهلیه،لأنّهم یلبّون بشکل یتضمّن الشرک بعینه،و یبعدونه من صورته التوحیدیّه،فقد کانوا یردّدون:«لبّیک لا شریک لک،إلاّ شریکا هو لک!تملکه و ما ملک!».

حقّا إنّه کلام باطل و دلیل علی قَوْلَ الزُّورِ الذی یعنی فی الأصل:الکلام الکاذب،و الباطل،و البعید عن حدود الاعتدال.

و مع هذا فإنّ اهتمام الآیه المذکوره بأعمال المشرکین فی مراسم الحجّ علی زمن الجاهلیه،لا یمنع من تعمیمها علی بطلان أیّه عباده للأصنام بأیّه صوره کانت،و اجتناب أی قول باطل مهما کانت صورته.

و لهذا فسّرت بعض الأحادیث الأوثان بلعبه الشطرنج،و قول الزور بالغناء، و الشهاده بالباطل.و فی الحقیقه فإنّ ذلک بیان لبعض أفراد ذلک الکلّی،و لیس القصد منه حصر معنی الآیه بهذه المصادیق فقط.و

جاء فی حدیث للرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی خطبه ألقاها علی المسلمین«أیّها الناس،عدلت شهاده الزور بالشرک باللّه،ثمّ قرأ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ .

إنّ هذا الحدیث أیضا إشاره إلی سعه مفهوم هذه الآیه.

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ٣١ الى ٣٣]

اشاره

حُنَفٰاءَ لِلّٰهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَأَنَّمٰا خَرَّ مِنَ اَلسَّمٰاءِ فَتَخْطَفُهُ اَلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ اَلرِّيحُ فِي مَكٰانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذٰلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعٰائِرَ اَللّٰهِ فَإِنَّهٰا مِنْ تَقْوَى اَلْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهٰا مَنٰافِعُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهٰا إِلَى اَلْبَيْتِ اَلْعَتِيقِ (٣٣)

التّفسير

اشاره

تعظيم شعائر اللّه دليل على تقوى القلوب:

عقّبت الآيات هنا المسأله التى أكـدّها آخر الآيات السابقه،و هى مسأله التوحيـد،و اجتناب أى صنم و عباده الأوثان.حيث تقول حُنَفٰاءَ لِلّٰهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ (١) أى أقيموا مراسم الحجّ و التلبيه فى حاله تخلصون فيها النيّه للّه وحده لا يخالطها أى شرك أبدا.

«حنفاء»جمع«حنيف»أى الذى استقام و ابتعد عن الضلال و الانحراف،أو

١- ١) -«حنفاء»و«غير مشركين».كلاهما حال لضمير«فاجتنبوا»،و«اجتنبوا»فى الآيه السابقه.

بتعبير آخر:هو الذى سار على الصراط المستقيم،لأنّ«حنف»على وزن«صدف» تعنى الرغبه،و من رغب عن كلّ انحراف فقد سار على الصراط المستقيم.

و على هذا فإنّ الآيه السابقه اعتبرت الإخلاص و قصد القربه إلى اللّه محرّكا أساسيّا فى الحجّ و العبادات الاخرى،حيث ذكرت ذلك بشكل عام،فالإخلاص أصل العباده.و المراد به الإخلاص الذى لا يخالطه أى نوع من الشرك و عباده غير اللّه.

جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام أجاب فيه مبيّنا معنى كلمه حنيف:«هى الفطره التى فطر الناس عليها،لا تبديل لخلق اللّه،قال:فطرهم اللّه على المعرفه» (١) .

إنّ التّفسير الذى تضمّنه هذا الحديث،هو فى الواقع إشاره إلى أساس الإخلاص،أى:الفطره التوحيديّه التى تكون مصدرا لقصد القربه إلى اللّه، و تحريكا ذاتيا من اللّه.

ثمّ ترسم الآيه-موضع البحث-صوره حيّه ناطقه عن حال المشركين و سقوطهم و سوء طالعهم،حيث تقول: وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَأَنَّمٰا خَرَّ مِنَ السَّمٰاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكٰانٍ سَحِيقٍ (٢) .

«السّماء»هنا كنايه عن التوحيد،و«الشرك»هو السبب فى السقوط من السّماء هذه.

و من الطبيعى أن تكون فى هذه السّماء نجوما زاهره و شمسا ساطعه و قمرا منيرا فطوبى لمن يكون شمسا أو قمرا أو فى الأقل نجما متلألئا،و لكن الإنسان عند ما يسقط من هذا المكان العالى يبتلى بأحد أمرين:فإنّما يصبح طعاما للطيور الجوارح أثناء سقوطه و قبل وصوله إلى الأرض،و بعباره أخرى:يبتلى بفقدانه هذا

١- ١) -توحيد الصدوق،حسبما نقله تفسير الصافى.

٢- ٢) -«تخطفه»مشتقّه من«الخطف»على وزن فعل،بمعنى الإمساك بالشىء،أثناء تحرّكه بسرعه و«سحيق»تعنى«البعيد» و تطلق على النخله العاليه كلمه«سحوق».

المكان السامی بأهوائه النفسیّه المعانده.حیث تأکل هذه الأهواء جانبا من وجوده.

و إذا نجا بسلام منها،ابتلی بعاصفه هو جاء تدلّه فی إحدی زوایا الأرض بقوّه تفقده سلامته و حیاته،و یتناثر بدنه قطعا صغیره فی أنحاء المعموره،و هذه العاصفه الهوجاء قد تکون کنایه عن الشیطان الذی نصب شراکه للإنسان! و ممّا لا شکّ فیه أنّ الذی یسقط من السّماء یفقد کلّ قدره علی اتّخاذ قرار ما.

و تزداد سرعه سقوطه لحظه بعد أخری نحو العدم،و یصبح نسیا منسیا.

حقّا أنّ الذی یفقد قاعده السّماء التوحیدیّه.یفقد القدره علی تقریر مصیره بنفسه.و کلّما سار فی هذا الاتّجاه إزداد سرعه نحو الهاویه،و فقد کلّ ما لدیه.

و لا نجد تشبیها للشرک یضاهی فی هذا التشبیه الرائع.

کما تجب ملاحظه ما تأکّد فی هذا الزمان من حاله انعدام الوزن فی السقوط الحرّ.و لهذا تجری اختبارات علی الفضائیین للاستفاده من هذه الحاله لیعدّوا أنفسهم للسفر إلی الفضاء.لأنّ مسأله انعدام الوزن هی التی تؤدّی بالإنسان إلی اضطرابه بشکل خارق أثناء السقوط الحرّ.

و الذی ینتقل من الإیمان إلی الشرک و یفقد قاعدته المطمئنه و أرضه الثابته تبتلی روحه بمثل حاله انعدام الوزن،و یسیطر علیه اضطراب خارق للعاده.

و أوجزت الآیه التالیه مسائل الحجّ و تعظیم شعائر اللّه ثانیه فتقول ذٰلِکَ أیّ إنّ الموضوع کما قلناه،و تضیف وَ مَنْ یُعَظِّمْ شَعٰائِرَ اللّٰهِ فَإِنَّهٰا مِنْ تَقْوَی الْقُلُوبِ .

«الشعائر»جمع«شعیره»بمعنی العلامه و الدلیل،و علی هذا فالشعائر تعنی علامات اللّه و أدلّته،و هی تضمّ عناوین لأحکامه و تعالیمه العامّه،و أوّل ما یلفت النظر فی هذه المراسم مناسک الحجّ التی تذکّرنا باللّه سبحانه و تعالی.

و من البدیهی کون مناسک الحجّ من الشعائر التی قصدتها هذه الآیه.خاصّه

مسأله الأضحيه التی اعتبرتها الآیه(۳۶)من نفس السوره-و بصراحه-من شعائر اللّه،إلاّ أنّ من الواضح مع کلّ هذا احتفاظ الآیه بمفهوم شمولی لجمیع الشعائر الإسلامیه،و لا دلیل علی اختصاصها-فقط-بالأضاحی،أو جمیع مناسک الحجّ.

خاصّه أنّ القرآن یستعمل«من»التی یستفاد منها التفریق فی مسأله أضحیه الحجّ، و هذا دلیل علی أنّ الأضحیه من شعائر اللّه کالصفا و المروه التی تؤکّد الآیه(۱۵۸) من سوره البقره علی أنّهما من شعائر اللّه إِنَّ الصَّفٰا وَ الْمَرْوَهَ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ .

و یمکن القول:إنّ شعائر اللّه تشمل جمیع الأعمال الدینیّه التّی تذکّر الإنسان باللّه سبحانه و تعالی و عظمته،و إنّ إقامه هذه الأعمال دلیل علی تقوی القلوب.

کما تجب ملاحظه أنّ المراد من عباره یُعَظِّمْ لیس کما قاله بعض المفسّرین من عظمه جثّه الأضحیه و أمثالها،بل حقیقه التعظیم تعنی تسامی مکانه هذه الشعائر فی عقول الناس و بواطنهم،و أن یؤدّوا ما تستحقّه هذه الشعائر من تعظیم و احترام.

کما أنّ العلاقه بین هذا العمل و تقوی القلب واضحه أیضا،فالتعظیم رغم أنّه من عناوین القصد و النّیه،یحدث کثیرا أن یقوم المنافقون بالتظاهر فی تعظیم شعائر اللّه.إلاّ أنّ ذلک لا قیمه له،لأنّه لا ینبع من تقوی القلوب.إنّما تجده حقیقه لدی أتقیاء القلوب.و نعلم أنّ مرکز التقوی و جوهر اجتناب المعاصی و الشعور بالمسؤولیه إزاء التعالیم الإلهیّه فی قلب الإنسان و روحه،و منه ینفذ إلی الجسد.

لهذا نقول:إنّ تعظیم الشعائر الإلهیّه من علامات التقوی القلبیّه (۱) .

و

قد جاء فی حدیث عن الرّسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال و هو یشیر إلی صدره

۱- ۱) -بما أنّ هناک ارتباطا بین الشرط و الجزاء،و کلاهما یخصّان موضوعا واحدا،نجد فی الآیه السالفه الذکر محذوفا تقدیره (و من یعظّم شعائر اللّه فإنّ تعظیمها من تقوی القلوب).و یمکن أن یکون الجزاء محذوفا فتکون عباره«فإنّها من تقوی القلوب»علّه نابت عن معلول تقدیره:«و من یعظّم شعائر اللّه فهو خیر له فإنّ تعظیمها من تقوی القلوب».

المبارک:«التقوی هاهنا» (۱) .

و یستدلّ من بعض الأحادیث أنّ مجموعه من المسلمین کانوا یعتقدون بعدم جواز الرکوب علی الأضحیه(الناقه أو ما شابهها)حین جلبها من موطنهم إلی منی للذبح،کما یرون عدم جواز حلبها أو الاستفاده منها بأی شکل کان،و لکن القرآن نفی هذه العقیده الخرافیه حیث قال: لَکُمْ فِیهٰا مَنٰافِعُ إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی .

و

جاء فی حدیث نبوی أنّ الرّسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم مرّ برجل یسوق بدنه و هو فی جهد،فقال علیه السّلام:«ارکبها» فقال:یا رسول اللّه إنّها هدی.فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم«ارکبها ویلک» (۲) .

کما أکّدت أحادیث عدیده وردتنا عن أهل البیت علیهم السّلام هذا الموضوع و منها

حدیث رواه أبو بصیر عن الإمام الصادق علیه السّلام فی قوله عزّ و جلّ: لَکُمْ فِیهٰا مَنٰافِعُ إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی قال:«إن احتاج إلی ظهرها رکبها من غیر عنف علیها،و إن کان لها لبن حلبها حلابا لا ینهکها» (۳) .

و الحقیقه أنّ الحکم أعلاه معتدل و حدّ وسط بین عملین یتّصفان بالإفراط و بعیدین عن المنطق.

فمن جهه کان البعض لا یحتفظ بالأضاحی أبدا حیث یذبحها قبل الوصول إلی«منی»و یستفید من لحومها.و قد نهی القرآن عن ذلک کما جاء فی الآیه الثّانیه من سوره البقره لاٰ تُحِلُّوا شَعٰائِرَ اللّٰهِ وَ لاَ الشَّهْرَ الْحَرٰامَ وَ لاَ الْهَدْیَ وَ لاَ الْقَلاٰئِدَ .

و من جهه أخری کان آخرون یفرطون إلی درجه عدم الاستفاده من الانعام بمجرّد تخصیصها للأضحیه،فلا یحلبونها و لا یرکبون علیها إن کانت ممّا یرکب و إن بعدت المسافه بین موطنهم و مکّه،و قد أجازت الآیه موضع البحث ذلک.

ص:۳۴۴

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،المجلّد السابع،الصفحه ۴۴۸.

۲- ۲) -التّفسیر الکبیر للخفر الرازی،المجلّد الثّالث و العشرین،الصفحه ۳۳.

۳- ۳) -نور الثقلین،المجلّد الرّابع،الصفحه ۴۹۷.

و النقد الوحيد الذى يمكن أن يوجّه إلى التّفسير السالف الذكر،هو أنّ الآيات السابقه،لم تتطرّق إلى الأضاحى،فكيف يعود ضمير الآيه اللاحقه إليها؟ و لكن مع ملاحظه كون حيوان الأضاحى من مصاديق«شعائر اللّه»التى أشير إليها فى الآيه السابقه،و سيأتى ذكرها أيضا بعد هذا،يتّضح بذلك الجواب عن هذا الاستفسار (۱) .

و على كلّ حال تذكر الآيه فى ختامها نهايه مسار الأضحيه: ثُمَّ مَحِلُّهٰا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ .

و على هذا يمكن الاستفاده من الانعام المخصّصه للأضحيه ما دامت فى الطريق إلى موضع الذبح،و بعد الوصول يجرى ما يلزم و بالطبع فإنّ المفسّرين يقولون بأنّ الذبح يجب أن يتمّ فى منى إن كانت الأضحيه تخصّ الحجّ.أمّا إذا كانت لعمره مفرده ففى أرض مكّه.و بما أنّ الآيات المذكوره تبحث فى مراسم الحجّ،فيجب أن يكون للبيت العتيق(الكعبه)مفهوم واسع ليشمل بذلك أطراف مكّه(أى منى)أيضا.

ص: ۳۴۵

۱- ۱) -ما ذكر أعلاه هو تفسير واضح للآيه موضع البحث،و هنا نذكر تفسيرين آخرين: الأوّل:إنّ ضمير«فيها»يعود إلى المناسک الحجّ جميعا،و هنا يكون تفسيرها«لكم منافع فى جميع مناسک الحجّ حتّى الزمن المحدّد بانتهاء الحجّ أو نهايه العالم،و من ثمّ تقع آخر مراسم الحجّ حيث يخلع الحاج إحرامه و يصبح مجاورا للكعبه ليؤدّى طوافى الحجّ و النساء»و بهذا تكون هذه الآيه شبيهه بالآيه التى فسّرناها سابقا لِيَشْهَدُوا مَنٰافِعَ لَهُمْ . و التّفسير الثّانى:أن يعود ضمير«فيها»إلى الشعائر الإلهيّه كلّها،إضافه إلى التعاليم الإسلاميه العظيمه،و عندها يكون معنى الآيه«لكم جزاء جميل و منافع كبيره فى مجموع التعاليم الإسلاميه و الشعائر الإلهيّه حتّى نهايه العالم،و من ثمّ يجزيكم خالق البيت العتيق».إلاّ أنّ التّفسير الذى ذكرناه فى متن الكتاب أكثر ملاءمه و أقرب معنى إلى سائر الآيات القرآنيه و الأحاديث الإسلاميه و أكثر انسجاما معها.

الآیتان [سوره الحج (۲۲): الآیات ۳۴ الی ۳۵]

اشاره

وَ لِكُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اِسْمَ اَللّٰهِ عَلىٰ مٰا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَهِ اَلْأَنْعٰامِ فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ اَلْمُخْبِتِينَ (۳۴) اَلَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اَللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ اَلصّٰابِرِينَ عَلىٰ مٰا أَصٰابَهُمْ وَ اَلْمُقِيمِي اَلصَّلاٰهِ وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ (۳۵)

التّفسير

اشاره

بشرّ المخبتين:

يمكن أن يتساءل الناس عن الآيات السابقه.و منها التعليمات الوارده بخصوص الاضحيه،كيف شرّع الإسلام تقديم القرابين لكسب رضى اللّه؟و هل اللّه سبحانه بحاجه إلى قربان؟و هل كان ذلك متّبعا في الأديان الاخرى،أو يخصّ المشركين وحدهم؟ تقول أوّل آيه-من الآيات موضع البحث-لإيضاح هذا الموضوع أنّ هذا الأمر لا يختصّ بكم،بل إنّ كلّ أمّه لها قرابين: وَ لِكُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنٰا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلىٰ مٰا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَهِ الْأَنْعٰامِ .

يقول الراغب الاصفهانى فى مفرداته:«النسک»يعنى العباده،و الناسک هو العابد،و مناسک الحجّ تعنى المواقف التى تؤدّى فيها هذه العباده،أو إنّها عباره عن الأعمال نفسها.

إلاّ أنّ العلاّمه الطبرسى يقول فى«مجمع البيان»و أبو الفتوح الرازى فى «روح الجنان»:«المنسک»(على وزن منصب)يمكن أن يعنى-على وجه التخصيص-الأضحيه،بين عبادات الحجّ الاخرى (1) .

و لهذا خصّ المنسک-رغم مفهومه العام و شموله أنواع العبادات فى مراسم الحجّ-هنا بتقديم الأضحيه بدلاله لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ .

و على كلّ حال فإنّ مسأله الأضحيه كانت دوما مثار سؤال،لامتزاج التعبّد بها بخرافات المشركين الذين يتقرّبون بها إلى أوثانهم على نهج خاصّ بهم.

ذبح حيوان باسم اللّه و لكسب رضاه يبيّن استعداد الإنسان للتضحيه بنفسه فى سبيل اللّه،و الاستفاده من لحم الأضحيه و توزيعه على الفقراء أمر منطقى.

و لذا يذكر القرآن فى نهايه هذه الآيه فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ و بما أنّه إله واحد فَلَهُ أَسْلِمُوا و بشّر الذين يتواضعون لأحكامه الربّانيه و بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (2) .

ثمّ يوضّح القرآن المجيد فى الآيه التاليه صفات المخبتين(المتواضعين) و هى أربع:اثنتان منها ذات طابع معنوى،و اثنتان ذات طابع جسمانى.

يقول فى الأوّل: اَلَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ لا يخافون فى غضبه دون سبب و لا يشكّون فى رحمته،بل إنّ خوفهم ناتج عن عظمه المسؤوليات التى بذمّتهم،و احتمال تقصيرهم فى أدائها،و ليقينهم بجلال اللّه سبحانه يقفون بين يديه

۱- ۱) -و لهذا السبب يقال:نسكت الشاه،أى ذبحتها.

۲- ۲) -«المخبتين»مشتقّه من«الإخبات»و أصلها«خبت»و هى الأرض المستويه الواسعه التى يمشى الإنسان فيها بكلّ سهوله. كما جاءت بمعنى الاطمئنان و الخضوع،لأنّ السير فى هذه الأرض يلازمه الاطمئنان،و لهذا تكون خاضعه مستسلمه للسائرين عليها.

بكلّ خشوع (۱) .

و الثّانى: وَ الصّٰابِرِينَ عَلىٰ مٰا أَصٰابَهُمْ فهؤلاء يصبرون على ما يكابدونه فى حياتهم من مصائب و آلام،و لا يرضخون للمصائب مهما عظمت و إزداد بلاؤها، و يحافظون على اتّزانهم و لا يفرّون من ساحه الامتحان،و لا يصابون باليأس و الخيبه،و لا يكفرون بأنعم اللّه أبدا.و بإيجاز نقول:يستقيمون و ينتصرون.

و الثّالث و الرابع: وَ الْمُقِيمِي الصَّلاٰةِ وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ فمن جهه توطّدت علاقتهم ببارئ الخلق و ازدادوا تقربا إليه،و من جهه أخرى اشتدّ ارتباطهم بالخلق بالإنفاق.

و بهذا يتّضح جليّا أنّ الإخبات و التسليم و التواضع التى هى من صفات المؤمنين ليست ذات طابع باطنى فقط،بل تظهر و تبرز فى جميع أعمال المؤمنين.

ص: ۳۴۸

۱- ۱) -بحثنا فى تفسير الآيه الثّانيه من سوره الأنفال بإسهاب دوافع الخوف من اللّه.

الآیات [سوره الحج (۲۲): الآیات ۳۶ الی ۳۸]

اشاره

وَ اَلْبُدْنَ جَعَلْنٰاهٰا لَكُمْ مِنْ شَعٰائِرِ اَللّٰهِ لَكُمْ فِيهٰا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اِسْمَ اَللّٰهِ عَلَيْهٰا صَوٰافَّ فَإِذٰا وَجَبَتْ جُنُوبُهٰا فَكُلُوا مِنْهٰا وَ أَطْعِمُوا اَلْقٰانِعَ وَ
اَلْمُعْتَرَّ كَذٰلِكَ سَخَّرْنٰاهٰا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۳۶) لَنْ يَنٰالَ اَللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ اَلتَّقْوىٰ مِنْكُمْ كَذٰلِكَ سَخَّرَهٰا
لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اَللّٰهَ عَلىٰ مٰا هَدٰاكُمْ وَ بَشِّرِ اَلْمُحْسِنِينَ (۳۷) إِنَّ اَللّٰهَ يُدٰافِعُ عَنِ اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ كُلَّ خَوّٰانٍ كَفُورٍ (۳۸)

التّفسیر

اشاره

لماذا الأضحیه؟

عاد الحدیث عن مراسم الحجّ و شعائره الإلهیّه و الأضحیه ثانیه،لیقول أوّلا:

وَ الْبُدْنَ جَعَلْنٰاهٰا لَكُمْ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ

إنّ«البدن»و هی الإبل البدینه تعلّقت بکم من جهه،و من جهه أخری هی من شعائر اللّه و علائمه فی هذه العباده العظیمه.

فالاضحیه فی الحجّ من المظاهر الجلیّه لهذه العباده التی أشرنا إلی فلسفتها من

ص :۳۴۹

قبل.

«البدن»على وزن«القدس»جمع ل«البدنه»على وزن«عجله»و هى الناقه الكبيره و السمينه.و قد أكّدها لأنّها تناسب إقامه وليمه لإطعام الفقراء و المحتاجين فى مراسم الأضحيه،و من المعلوم أنّ سمن الحيوان ليس من الشروط الإلزاميه فى الأضحيه.و كلّ ما يلزم هو أن لا يكون ضعيفا.

ثمّ تضيف الآيه: لَكُمْ فِيهٰا خَيْرٌ فمن جهه تستفيدون من لحومها و تطعمون الآخرين،و من جهه أخرى تستفيدون من آثارها المعنويه بإيثاركم و سماحكم و عبادتكم اللّه، و بهذا تتقرّبون إليه سبحانه و تعالى.

ثمّ تبيّن الآيه-بعباره موجزه-كيفيه ذبح الحيوان فَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهٰا صَوٰافَّ أى اذكروا اسم اللّه حين ذبح الحيوان و فى حاله وقوفه مع نظائره فى صفوف.

و ليس لذكر اللّه حين ذبح الحيوان أو نحر الناقه صيغه خاصّه.بل يكفى ذكر اسم من أسماء اللّه عليها،كما يبدو و من ظاهر الآيه،إلاّ أنّ بعض الرّوايات ذكرت صيغه محدّده،و هى فى الواقع من أعمال الإنسان الكامل،حيث روى عن ابن عبّاس أنّه قال:اللّه أكبر،لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر،اللهم منك و لك (1) .

إلاّ أنّه ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام عبارات أكثر وضوحا فبعد شراء الأضحيه توجّهها إلى القبله و تقول حين الذبح:

«وجّهت وجهى للذى فطر السموات و الأرض حنيفا مسلما و ما أنا من المشركين،إنّ صلاتى و نسكى و محياى و مماتى للّه ربّ العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و أنا من المسلمين، اللهمّ منك و لك بسم اللّه و باللّه و اللّه أكبر،اللهمّ تقبّل منّى» (2) .

كلمه«صوافّ»جمع«صافّه»بمعنى الحيوان الواقف فى صفّ.و كما ورد فى

1- 1) -مجمع البيان فى تفسير ختام الآيه،و روح المعانى فى تفسير هذه الآيه باختلاف يسير.
2- 2) -وسائل الشيعه،المجلّد العاشر،صفحه 138-أبواب الذبح الباب(37).

الأحاديث فإنّ القصد من ذلك عقل رجلى الناقه الأماميتين معا حين وقوفها من أجل منعها من الحركه الواسعه حين النحر.و طبيعى أنّ أرجل الناقه تضعف حين تنزف مقدارا من الدم، فتتمدّد على الأرض،و يقول القرآن المجيد هنا فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ أى عند ما تستقر و يهدأ جانبها (كنايه عن لفظ الأنفاس الأخيره).فكلوا منها و أطعموا الفقير القانع و السائل المعتر.

الفرق بين«القانع»و«المعتر»هو أنّ القانع يطلق على من يقنع بما يعطى و تبدو عليه علائم الرضى و الارتياح و لا يعترض أو يغضب،أمّا المعترّ فهو الفقير السائل الذى يطالبك بالمعونه و لا يقنع بما تعطيه،بل يحتجّ أيضا.

كلمه«القانع»فمشتقّه من«القناعه»،و«المعترّ»مشتقّه من«عرّ»على وزن (شرّ)و هى فى الأصل تعنى الجرب،و هو مرض عارض تظهر علاماته على جلد الإنسان.ثمّ أطلقت كلمه«المعترّ»على السائل الذى يطلب العون و لكن بلسان معترض.و تقديم القانع على المعترّ إشاره إلى ضروره الاهتمام أكثر بالمحرومين المتّصفين بالعفّه و عزّه النفس.

و ينبغى الالتفات إلى أنّ عباره فَكُلُوا مِنْها توجب أن يأكل الحجّاج من أضاحيهم،و لعلّها ترمى إلى مراعاه المساواه بين الحجّاج و الفقراء.

و تنتهى الآيه بالقول: كَذٰلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .و إنّه لمن العجب أن يستسلم حيوان عظيم الجثّه هائل القوّه لطفل يعقل يديه معا ثمّ ينحره.

(و طريقه النحر تتمّ بطعنه سكّين حادّه فى لبّه الناقه،لتنزف دمها،و ليلفظ هذا الحيوان أنفاسه بسرعه).

و لإيضاح أهميّه تسلّط الإنسان على الحيوان فى الذبح،فإنّ اللّه جلّ و علا يسلب أحيانا طاعه هذا الحيوان و انقياده للإنسان،حيث نشاهد هياج البعير و تبدله إلى موجود خطر لا يستطيع كبح جماحه عدّه رجال أقوياء بعد ما كان

مسخّر حتّی لصبی صغیر!! و هناک ثمّه أسئله،و هی:ما هی حاجه اللّه تعالی للأضحیه؟ و ما هی فلسفه الاضحیه؟ و هل لهذا العمل فائده تعود إلی اللّه سبحانه؟ تجیب الآیه التالیه عن هذه الأسئله لَنْ یَنٰالَ اللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا .إنّ اللّه لیس بحاجه إلی لحوم الأضاحی،فما هو بجسم،و لا هو بحاجه إلی شیء،و إنّما هو موجد کلّ وجود و موجود.إنّ الغایه من الاضحیه کما تقول الآیه: وَ لٰکِنْ یَنٰالُهُ التَّقْویٰ مِنْکُمْ فالهدف هو أن یجتاز المسلمون مراحل التقوی لیبلغوا الکمال و یتقرّبوا إلی اللّه.

إنّ جمیع العبادات دروس فی التربیه الإسلامیه،فتقدیم الاضحیه-مثلا-فیه درس الإیثار و التضحیه و السماح و الاستعداد للشهاده فی سبیل اللّه،و فیه درس مساعده الفقراء و المحتاجین.و عباره لَنْ یَنٰالَ اللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا مع أنّ دماءها غیر قابله للاستفاده،ربّما تشیر إلی الأعمال القبیحه التی کان یمارسها أعراب الجاهلیه،الذین کانوا یلطّخون أصنامهم و أحیانا علی الکعبه بدماء هذه القرابین.

و قد أتّبعهم فی ممارسه هذا العمل الخرافی مسلمون جاهلون،حتّی نهتهم هذه الآیه المبارکه (۱) و ممّا یؤسف له وجود هذه العادات الجاهلیه فی بعض المناطق حیث یرشّون دماء الأضحیه علی باب و جدران منزلهم الجدید،حتّی أنّهم یمارسون هذا العمل القبیح الخرافی فی المساجد الجدیده العمران أیضا.

و لذا یجب علی المسلمین الواعین الوقوف بقوّه ضدّ هذا العمل.

۱- ۱) -کنز العرفان،المجلّد الأوّل،صفحه ۳۱۴.

ثمّ تشیر الآیه ثانیه إلی نعمه تسخیر الحیوان قائله: کَذٰلِکَ سَخَّرَهٰا لَکُمْ لِتُکَبِّرُوا اللّٰهَ عَلیٰ مٰا هَدٰاکُمْ .

إنّ الهدف الأخیر هو التعرّف علی عظمه الخالق جلّ و علا الذی هداکم بمنهجه التشریعی و التکوینی إلی تعلّم مناسک الحجّ و التعالیم الخاصّه بطاعته و التعبّد له،هذا من جهه.

و من جهه أخری جعل هذه الحیوانات الضخمه القویّه طیّعه لکم تقدّمونها أضاحی استجابه للّه تعالی،و تعملون عملا طیّبا یساعد المحتاجین،و تستفیدون من لحومها فی تأمین حیاتکم.لهذا تقول الآیه فی الختام: وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِینَ أولئک الذین استفادوا من هذه النعم الإلهیّه فی طاعه اللّه،و أنجزوا واجباتهم علی خیر وجه،و لم یقصّروا فی الإنفاق فی سبیل اللّه أبدا.و فاعلو الخیر هؤلاء لم یحسنوا للآخرین فقط،بل شمل إحسانهم أنفسهم علی أفضل وجه أیضا.

و قد تؤدّی مقاومه خرافات المشرکین التی أشارت إلیها الآیات السابقه إلی إثاره غضب المتعصّبین المعاندین،و وقوع اشتباکات محدوده أو واسعه،لهذا طمأن اللّه سبحانه و تعالی المؤمنین بنصره إِنَّ اللّٰهَ یُدٰافِعُ عَنِ الَّذِینَ آمَنُوا .

لتتّحد قبائل عرب الجاهلیه مع الیهود و النصاری و المشرکین فی شبه الجزیره العربیه للضغط علی المؤمنین کما یحلو لهم،فلن یتمکّنوا من بلوغ ما یطمحون إلیه، لأنّ اللّه وعد المؤمنین بالدفاع عنهم وعدا تجلّی صدقه فی دوام الإسلام حتّی یوم القیامه،و لا یختّص الدفاع الإلهی عن المؤمنین فی الصدر الأوّل للإسلام و حسب، بل هو ساری المفعول أبد الدهر،فإن کنّا علی نهج الذین آمنوا.فالدفاع الإلهی عنّا أکید.و من ذا الذی لا یلتمس دفاع اللّه سبحانه عن عباده الصالحین؟ و فی الختام توضّح هذه الآیه موقف المشرکین و أتباعهم بین یدی اللّه بهذه

العباره الصريحه إِنَّ اللّهَ لاٰ يُحِبُّ كُلَّ خَوّٰانٍ كَفُورٍ أولئك الـذين أشـركوا باللّه حتّى أنّهم ذكروا أسـماء أوثانهم عن التلبيه.فثبتت عليهم الخيانه و الكفر لأنعم اللّه حيث يسـمّون أوثانهم عنـد تقـديم الأضاحى،و لا يـذكرون اسم اللّه عليها،فكيف يحبّ اللّه قوما كهؤلاء الخونه الكفره؟!

ص: ۳۵۴

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ٣٩ الی ۴١]

اشاره

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّٰ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ وَ لَوْ لاٰ دَفْعُ اَللّٰهِ اَلنّٰاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوٰامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوٰاتٌ وَ مَسٰاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اِسْمُ اَللّٰهِ كَثِيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اَللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اَللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (۴٠) اَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنّٰاهُمْ فِي اَلْأَرْضِ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتَوُا اَلزَّكٰاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَ لِلّٰهِ عٰاقِبَةُ اَلْأُمُورِ (۴١)

التّفسير

اشاره

أوّل حكم بالجهاد:

ذكرت روايات أنّ المسلمين عند ما كانوا فى مكّه،كانوا يتعرّضون كثيرا لأذى المشركين،فجاء المسلمون إلى رسول اللّه ما بين مشجوج و مضروب يشكون إليه ما يعانون من قهر و أذى،فكان صلوات اللّه عليه و آله يقول لهم:

«اصبروا فانّى لم أؤمر بالقتال»حتّى هاجر،فأنزل اللّه عليه هذه الآيه بالمدينه،

و هی أوّل آیه نزلت فی القتال (۱) .

هناک اختلاف بین المفسّرین فی کونها أوّل آیه نزلت بالجهاد،فهناک من یؤیّد ذلک،و هناک من یری أنّ أوّل آیه نزلت فی الجهاد هی آیه قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ الَّذِینَ یُقاتِلُونَکُمْ.. (۲) و عدّ البعض آیه إِنَّ اللّهَ اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ... (۳) هی الأولی (۴) .

إلاّ أنّ أسلوب الآیه یناسب هذا الموضوع بشکل أفضل لأنّ تعبیر«أذن» جاء بصراحه واضحه فیها،و لم یرد فی الآیتین الأخریین،و بتعبیر آخر:إنّ الإذن بالجهاد منحصر فی هذه الآیه.

و لمّا وعد اللّه المؤمنین بالدفاع عنهم فی الآیه السابقه یتّضح جیدا الارتباط بین هذه الآیات..تقول الآیه:إنّ اللّه تعالی أذن لمن یتعرّض لقتال الأعداء و عدوانهم بالجهاد،و ذلک بسبب أنّهم ظلموا: أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ثمّ أردفت بنصره اللّه القادر للمؤمنین وَ إِنَّ اللّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ .

إنّ وعد اللّه بالنصر جاء مقرونا ب«قدره اللّه».و هذا قد یکون إشاره إلی القدره الإلهیّه التی تنجد الناس حینما ینهضون بأنفسهم للدفاع عن الإسلام،لا أن یجلسوا فی بیوتهم بأمل مساعده اللّه تعالی لهم،أو بتعبیر آخر:علیکم بالجدّ و العمل بکلّ ما تستطیعون من قدره،و عند ما تستحقّون النصر بإخلاصکم ینجدکم اللّه و ینصرکم علی أعدائه،و هذا ما حدث للرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی جمیع حروبه التی کانت تتکلّل بالنصر.

ثمّ توضّح هذه الآیات للمظلومین-الذین أذن لهم بالدفاع عن

ص:۳۵۶

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان،و تفسیر الفخر الرازی للآیه موضع البحث.

۲- ۲) -البقره،۱۹۰.

۳- ۳) -التوبه،۱۱۱.

۴- ۴) -المیزان،المجلّد الرّابع عشر،صفحه ۴۱۹.

أنفسهم-بواعث هذا الدفاع،و منطق الإسلام فى هذا القسم من الجهاد فتقول:

اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ

و ذنبهم الوحيد أنّهم موحّدون: إِلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّهُ .

و من البديهى أنّ توحيد اللّه موضع فخر للمرء و ليس ذنبا يبيح للمشركين إخراج المسلمين من بيوتهم و إجبارهم على الهجره من مكّه إلى المدينه،و تعبير الآيه جاء لطيفا-يجلّى إدانه الخصم،فنحن على سبيل المثال نقول لناكر الجميل:

لقد أذنبنا عند ما خدمناك،و هذه كنايه عن جهل المخاطب الذى يجازى الخير شرّا (۱) .

ثمّ تستعرض الآيه واحدا من جوانب فلسفه تشريع الجهاد فتقول: وَ لَوْ لاَ دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوٰاتٌ وَ مَسٰاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً أى إنّ اللّه إن لم يدافع عن المؤمنين،و يدفع بعض الناس ببعضهم عن طريق الإذن بالجهاد،لهدّمت أديره و صوامع و معابد اليهود و النصارى و المساجد التى يذكر فيها اسم اللّه كثيرا.

و لو تكاسل المؤمنون و غضّوا الطرف عن فساد الطواغيت و المستكبرين و منحوهم الطاعه،لما أبقى هؤلاء أثرا لمراكز عباده اللّه،لأنّهم سيجدون الساحه خاليه من العوائق،فيعملون على تخريب المعابد،لأنّها تبثّ الوعى فى الناس، و تعبّئ طاقتهم فى مجابهه الظلم و الكفر.و كلّ دعوه لعباده اللّه و توحيده مضادّه للجبابره الذين يريدون أن يعبدهم الناس تشبّها منهم باللّه تعالى،لهذا يهدّمون أماكن توحيد اللّه و عبادته، و هذا من أهداف تشريع الجهاد و الإذن بمقاتله الأعداء.

۱- ۱) -و بهذا يتّضح أنّ الاستثناء فى الآيه المذكوره متّصل غايه الأمر إنّه كنائى مع ذكر فرد ادّعائى.(فتأمّل).

و قد أورد المفسّرون معانى متفاوته ل«الصوامع»و«البيع»و«الصلوات»و «المساجد»و الفرق بينها،و ما يبدو صحيحا منها هو أنّ:

«الصوامع»جمع«صومعه»و هى عاده مكان خارج المدينه بعيد عن أعين الناس مخصّص لمن ترك الدنيا من الزّهاد و العبّاد.(و يجب ملاحظه أنّ«الصومعه» فى الأصل تعنى البناء المربّع المسقوف،و يبدو أنّها تطلق على المآذن المربّعه القواعد المخصّصه للرهبان.

و«البيع»جمع بيعه بمعنى معبد النصارى،و يطلق عليها كنيسه أيضا.

و«الصلوات»جمع صلاه،بمعنى معبد اليهود،و يرى البعض أنّها معرّبه لكلمه «صلوتا»العبريه،التى تعنى المكان المخصّص بالصلاه.

و أمّا«المساجد»فجمع مسجد،و هو موضع عباده المسلمين.

و الصوامع و البيع رغم أنّها تخصّ النصارى،إلاّ أنّ إحداهما معبد عامّ و الاخرى لمن ترك الدنيا،و يرى البعض أنّ«البيع»لفظ مشترك يطلق على معابد اليهود و المسيحيين.

و عباره يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً وصف خاص بمساجد المسلمين حسب الظاهر،لأنّها أكثر ازدحاما من جميع مراكز العباده الاخرى فى العالم،حيث تجرى فيها الصلوات الخمس فى أيّام السنه كلّها،فى وقت نجد فيه المعابد الاخرى لا تفتح أبوابها للمصلّين إلاّ فى يوم واحد من الأسبوع،أو أيّام معدودات فى السنه.

و فى الختام أكّدت هذه الآيه ثانيه وعد اللّه بالنصر وَ لَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ و لا شكّ فى إنجاز هذا الوعد،لأنّه من ربّ العزّه القائل: إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ .من أجل ألاّ يتصوّر المدافعون عن خطّ التوحيد أنّهم و حيدون فى ساحه قتال الحقّ للباطل،و مواجهه جموع كثيره من الأعداء الأقوياء.

و بنور من هذا الوعد الإلهى انتصر المدافعون عن سبيل اللّه على أعدائهم فى

ص :۳۵۸

معارک ضاریه خاضوها بضاله عدد وعدّه،ذلک النصر الذی لا یمکن أن یقع إلّا بإمداد إلهی.

و آخر آیه تفسّر المراد من أنصار اللّه الذین وعدهم بنصره فی الآیه السابقه، و تقول: اَلَّذِینَ إِنْ مَکَّنّاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّکاهَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْکَرِ .

إنّهم فئه لا تلهو و لا تلعب کالجبابره بعد انتصارها،و لا یأخذها الکبر و الغرور،إنّما تری النصر سلّما لارتقاء الفرد و الجماعه.إنّها لن تتحوّل إلی طاغوت جدید بعد وصولها إلی السلطه،لارتباطها القویّ باللّه،و الصلاه رمز هذا الارتباط بالخالق،و الزکاه رمز للالتحام مع الخلق،و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر دعامتان قویتان لبناء مجتمع سلیم.و هذه الصفات الأربع تکفی لتعریف هؤلاء الأفراد، ففی ظلّها تتمّ ممارسه سائر العبادات و الأعمال الصالحه،و ترسم بذلک خصائص المجتمع المؤمن المتطور (۱) .

کلمه«مکّنا»مشتقه من«التمکین»الذی یعنی إعداد الأجهزه و المعدّات الخاصّه بالعمل،من عدد و آلات ضروریه و علم و وعی کاف و قدره جسمیه و ذهنیه.

و تطلق کلمه«المعروف»علی الأعمال الجیده و الحقّه،و«المنکر»یعنی العمل القبیح،لأنّ الکلمه الأولی تطلق علی الأعمال المعروفه بالفطره،و الکلمه الثّانیه علی الأعمال المجهوله و المنکره.أو بتعبیر آخر:الأولی تعنی الانسجام مع الفطره الإنسانیه،و الثّانیه تعنی عدم الانسجام.

و تقول الآیه فی ختامها وَ لِلّهِ عاقِبَهُ الْأُمُورِ و تعنی أنّ بدایه أی قدره و نصر من اللّه تعالی،و تعود کلّها فی الأخیر إلیه ثانیه إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ .

۱- ۱) -تناولنا أهمیّه الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و مسائل هذین الواجبین الإسلامیین،و الجواب عن استفسارات فی هذا المجال ببحث مسهب فی تفسیر الآیه(۱۰۴)من سوره آل عمران.

بحوث

اشاره

۱-فلسفه تشريع الجهاد

رغم أنّنا بحثنا مسأله الجهاد بحثا واسعا (۱) قبل هذا،إلاّ أنّه مع ملاحظه احتمال أن تكون الآيات-موضع البحث-أولى الآيات التى أجازت للمسلمين الجهاد،و احتوت إشاره إلى فلسفه هذا الحكم، وجدنا ضروره تناولها بإيجاز.

و قد أشارت هذه الآيات إلى أمرين مهمّين فى فلسفه الجهاد:

أوّلهما:جهاد المظلوم للظالم،و هو من حقوقه المؤكّده و الطبيعيّه،التى يؤكّدها عقل الإنسان و فطرته.و ليس له أن يستسلم للظلم،بل عليه أن ينهض و يصرخ و يتسلّح ليقطع دابر الظالم و يدفعه.

و ثانيهما:جهاد الطواغيت الذين ينوون محو ذكر اللّه من القلوب بتهديم المعابد التى هى مراكز لبثّ الوعى و إيقاظ الناس،فيجب مناهضه هؤلاء لمنعهم من محو ذكر اللّه بتخديرهم،ثمّ جعلهم عبيدا لها.

و ممّا يلفت النظر أنّ تخريب المعابد و المساجد لا يعنى تخريبها مادّيا فقط، بل قد يكون بأساليب غير مباشره كثيره،كإشاعه برامج التسليه و الترفيه المقصوده،و بثّ الدعايات المسمومه،و الإعلام المضادّ لحرف الناس عن المساجد،فتحوّل أماكن العباده إلى خرائب مهجوره.

و فى هذا جواب لمن يسأل:لماذا أجيز للمسلمين استخدام القوّه و خوض الحرب لتحقيق أهدافهم؟و لماذا لا يتمّ تحقيق الأهداف الإسلاميه باللجوء إلى التعقّل و المنطق؟ و هل يفيد المنطق ذلك الظالم الذى يهجّر المسلمين من ديارهم لا لذنب اقترفوه سوى اعتقادهم بتوحيد اللّه.فتراه يستولى على منازلهم و أموالهم،

۱- ۱) -تناولنا فلسفه الجهاد بالبحث فى تفسير الآيه ۱۹۳ من سوره البقره.

و لا- يلتزم بأى قانون و منطق تجاههم؟! فهل يمكن ردع هؤلاء المجانين بغير لغه السلاح و القوّه؟! و هذا ينطبق على من يقول لنا:لماذا لا تساومون الكيان الصهيونى و تفاوضونه؟ الكيان الصهيونى الذى انتهك جميع القوانين الدوليه و قرارات المنظمات الدوليه التى أقرّتها شعوب العالم،و سحق و يسحق جميع القوانين البشريه و التعاليم السماويه،هل يعترف بالمنطق؟! الكيان الصهيونى الذى قصف المدارس و المستشفيات بالقنابل المحرقه، فقتل آلاف الأطفال و النساء و الشيوخ الآمنين الأبرياء و جعلهم إربا إربا!كيف يخاطب بالمنطق؟ و هكذا الأمر بالنسبه للذين يرون فى المعبد و المسجد الذى يبثّ الوعى بين الناس و يقود حركه الجماهير،منافسا لمصالحه غير المشروعه؟!و يعملون بما لديهم من قوّه لهدمه!فهل يمكن التفاوض سلميّا معهم؟!و إذا نظرنا إلى المجتمع الإنسانى نظره واقعيه و وضعنا القضايا الفكريه جانبا،فلا نجد مفرّا من اللجوء إلى القوّه و السلاح؟! و ليس هذا عجزا فى منطقنا،بل لعدم استعداد الجبابره لقبول المنطق السليم، و متى وجدنا المنطق فاعلا لجأنا إليه.

٢-من هم الذين وعدهم اللّه بالنصر؟

إنّه لمن الخطأ الإعتقاد بأنّ نصر اللّه المؤمنين و وعدهم بالدفاع عنهم-الذى جاء فى الآيات السابقه و من آيات قرآنيه أخرى- بعيد عن سنّه اللّه فى خلقه و قوانين الحياه! ليس الأمر هكذا،فاللّه يعدّ بنصره الذين يعبئون جميع طاقاتهم ليدخلوا

ميدان القتال بكلّ قوّه،و لهذا نطالع فى الآيات السالفه: لَوْ لاٰ دَفْعُ اللّهِ النّٰاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ .فلا يدفع اللّه الظالمين بإمداداته الغيبيّه و بقـدره الصواعق و الزلازل التى يبعثهـا إلاّ فى حالات استثنائيه،إنّما يـدفع شـرّهم عن المؤمنين بمن يـدافع عنهم،أى المؤمنين الحقيقيين.

و عليه فلا يعنى الوعـد الإلهى بالنصر رفع المسؤوليه و التكاسل و التواكل بالاعتماد على ما وعد اللّه للمؤمنين،بل يجب التحرّك الواسع لضمان النصر الإلهى و تهيئه مستلزماته.

و الجدير بالذكر أنّ هذه المجموعه من المؤمنين لا يتوجّهون إلى اللّه قبل النصر فقط،بل بعد النصر أيضا،فهم اَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنّٰاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقٰامُوا الصَّلاٰهَ... يوطّدون علاقتهم مع اللّه.و النصر لديهم وسيله لنشر الحقّ و العدل و مكارم الأخلاق.

و خصّصت بعض الرّوايات الآيه السابقه بالمهدى(عجّل اللّه فرجه)و أصحابه أو بآل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم بشكل عامّ،

فقد جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام حين تفسير الآيه اَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنّٰاهُمْ فِي الْأَرْضِ... قال:إنّ هذه الآيه اَلَّذِينَ إِنْ...

نزلت فى آل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم و المهدى(عج)و أصحابه«يملّكهم اللّه مشارق الأرض و مغاربها،و يظهر الدين و يميت اللّه به و بأصحابه البدع و الباطل،كما أمات الشقاه الحقّ،حتّى لا يرى أين الظلم،و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر» (1) .

و قد وردت أحاديث أخرى فى هذا المجال، و هى عباره عن مصاديق بارزه للآيه و لا تمنع عموم الآيه،لا يمكنها منع،فمفهوم الآيه الواسع يشمل جميع المؤمنين و المجاهدين فى سبيل اللّه.

1- 1) -تفسير على بن إبراهيم(حسبما نقله تفسير نور الثقلين،المجلّد الثّالث،ص 506).

۳-«المحسنين»، «المخبتين»، «أنصار اللّه».

و تأمر الآيات المذكوره أعلاه و التى قبلها أحيانا بتبشير«المحسنين»،ثمّ تعرفّهم أنّهم من المؤمنين،و ليسوا من الخونه الكفّار..

و أحيانا أخرى تتكلّم حول«المخبتين»(المتواضعين)و تصفهم بأنّهم خشّع فى الصلاه،صابرون على المصائب منفقون ممّا و هبهم اللّه.

و تعدّد هذه الآيات كذلك ميزات«أنصار اللّه»الذين لا يطغون عند انتصارهم،بل يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر.

و خلاصه هذه الآيات تكشف لنا أنّ المؤمنين الصادقين لهم جميع هذه الخصائص،فهم من جهه أقوياء فى عقيدتهم و التزامهم المسؤوليه،و من جهه ثانيه برهنوا على أنّهم أقوياء و مستقيمون فى علاقتهم مع الخالق و الخلق و فى مكافحه الفساد.

الآیات [سوره الحج (۲۲): الآیات ۴۲ الی ۴۵]

اشاره

وَ إِنْ یُکَذِّبُوکَ فَقَدْ کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عٰادٌ وَ ثَمُودُ (۴۲) وَ قَوْمُ إِبْرٰاهِیمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ (۴۳) وَ أَصْحٰابُ مَدْیَنَ وَ کُذِّبَ مُوسیٰ فَأَمْلَیْتُ لِلْکٰافِرِینَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کٰانَ نَکِیرِ (۴۴) فَکَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَهٍ أَهْلَکْنٰاهٰا وَ هِیَ ظٰالِمَهٌ فَهِیَ خٰاوِیَهٌ عَلیٰ عُرُوشِهٰا وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ وَ قَصْرٍ مَشِیدٍ (۴۵)

التّفسیر

اشاره

بئر معطّله و قصر مشید!

لقد صدر أمر الجهاد للمسلمین بعد أن ذاقوا-کما ذکرت الآیات السابقه- مراره المحنه التی فرضها علیهم أعداء الإسلام الذین آذوهم و طردوهم من منازلهم لا لذنب ارتکبوه،بل لتوحیدهم اللّه سبحانه و تعالی.

و قد طمأنت الآیات-موضع البحث-الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و المؤمنین و خفّفت عنهم من جهه،و بیّنت لهم أنّ العاقبه السیّئه تنتظر الکفره من جهه أخری،فقالت: وَ إِنْ یُکَذِّبُوکَ فَقَدْ کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عٰادٌ وَ ثَمُودُ .

أی إذا کذّبک هؤلاء القوم فلا تبتئس و لا تحزن،فالأقوام السابقه قد کذّبت

رسلها أيضا، و أضافت: وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ .

و كذلك كذّب أهالى مدينه«مدين»نبيّهم«شعيب»،و كذّب فرعون و قومه نبيّهم«موسى» وَ أَصْحابُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسى .

و إنّ هذه المعارضه و التكذيب لن تؤثّر فى روحك الطاهره و نفسك المطمئنه، مثلما لم تؤثّر فى أنبياء كبار قبلك و لم تعق مسيرتهم التوحيديّه و دعوتهم إلى الحقّ و العدل قطّ.

إلاّ أنّ هؤلاء الكفره الأغبياء يتصوّرون إمكانيه مواصله هذه الأساليب المخزيه. فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ أجل،أمهل اللّه الكافرين ليؤدّوا امتحانهم و ليتمّ الحجّه عليهم فأغرقهم بنعمته،ثمّ حاسبهم حسابا عسيرا. فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (۱) و رأيت كيف أنكرت عليهم أعمالهم،و بيّنت لهم أعمالهم القبيحه، لقد سلبت منهم نعمتى و جعلتهم على أسوأ حال...سلبتهم سعادتهم الدنيويه و عوّضتهم بالموت.

آخر الآيه موضع البحث يبيّن اللّه تعالى كيفيّه عقاب الكفّار بجمله موجزه ذات دلاله واسعه فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَهٍ أَهْلَكْناها وَ هِيَ ظالِمَهٌ و أضافت الآيه أنّ سقف بيوتها قد باتت أسفل البناء: فَهِيَ خاوِيَهٌ عَلى عُرُوشِها .

أى إنّ الواقعه كانت شديده حتّى أنّ السقوف انهارت أوّلا ثمّ الجدران على السقوف وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ فما أكثر الآبار الرويّه بمياهها العذبه،و لكنّها غارت فى الأرض بعد هلاك أصحابها فأصبحت معطّله لا نفع فيها.

وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ

(۲)

أجل ما أكثر القصور المشيده التى ارتفعت شاهقه و زينت،

ص: ۳۶۵

۱- ۱) -النكير تعنى الإنكار و هنا تعنى فرض العقاب.

۲ - ۲) -«المشيد»مشتقّه من«شيد»على وزن«عيد»ذات معنيين:أوّلهما الارتفاع،و الثّانى الجصّ،فتعنى لفظه«قصر مشيد» القصر المرتفع. و المعنى الثّانى القصر الذى بنى على أسس ثابته قويّه ليصان من حوادث الزمان،و بما أنّ معظم منازل ذلك العصر تبنى من اللبن، فإنّ المنزل الذى يبنى بالجصّ يكون أقوى من هذه البيوت و يكون متميّزا عنها.

إلاّ أنّها أضحت خرائب بعد أن هلك أصحابها، و النتيجه إنّهم تركوا مساكنهم و قصورهم المجلّله،و أهملوا مياههم و عيونهم التى كانت مصدر حياتهم و عمران أراضيهم و ذهبوا.و كذلك الآبار الغنيّه بالماء أصبحت معطّله لا ماء فيها.

ملاحظه

ممّا يلفت النظر التّفسير الذى ورد عن أهل البيت عليهم السّلام حيث فسّروا وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ بالعلماء الذين لا يستفيد منهم المجتمع،فبقيت علومهم معطّله.

فقد روى عن الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام فى تفسير عباره وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ قوله:

«البئر المعطّله الإمام الصامت،و القصر المشيد الإمام الناطق» و بهذا المعنى روى أيضا عن الإمام الصادق عليه السّلام (۱) .

و هذا التّفسير نوع من التشبيه(مثلما يشبه المهدى(عج)ناشر العدل فى العالم بالماء المعيّن)أى إنّ الإمام عند ما يستقرّ فى دست الحكم يكون كالقصر المشيد، يجلب انتباه الدانى و البعيد و يكون ملجأ للجميع.و إذا أبعد عن الحكم و تخلّى الناس عنه،احتلّ مكانه من لا يستحقّه فيكون عندها كبئر امتلأت ماء،إلاّ أنّها معطّله لا يستفاد منها فلا تروى عطشانا و لا تسقى زرعا.

ما أحسن ما أنشد الشاعر العربى:

بئر معطّله و قصر مشرف

مثل لآل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم مستطرف

فالقصر مجدهم الذى لا يرتقى

و البئر علمهم الذى لا ينزف (۲)

۱- ۱) -تفسير البرهان،المجلّد الثّالث،صفحه-۳۰.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الحج (۲۲): الآيات ۴۶ الی ۴۸]

اشاره

أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَتَکُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ یَعْقِلُونَ بِهٰا أَوْ آذٰانٌ یَسْمَعُونَ بِهٰا فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَی اَلْأَبْصٰارُ وَ لٰکِنْ تَعْمَی اَلْقُلُوبُ اَلَّتِی فِی اَلصُّدُورِ (۴۶) وَ یَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذٰابِ وَ لَنْ یُخْلِفَ اَللّٰهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَهٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ (۴۷) وَ کَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَهٍ أَمْلَیْتُ لَهٰا وَ هِیَ ظٰالِمَهٌ ثُمَّ أَخَذْتُهٰا وَ إِلَیَّ اَلْمَصِیرُ (۴۸)

التّفسیر

اشاره

السیر فی الأرض و العبره:

تحدّثت الآیات السابقه عن الأقوام الظالمه التی عاقبها اللّه علی ما اقترفت أیدیهم فدمّر أحیاءهم،و أکّدت الآیه الأولی هذه القضیّه فقالت: أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَتَکُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ یَعْقِلُونَ بِهٰا أَوْ آذٰانٌ یَسْمَعُونَ بِهٰا .

أجل،تحدّثنا عن خرائب قصور الظلمه،و منازل الجبابره المهدّمه،و عبده الدنیا،فلکلّ واحد منها ألف لسان یحکی لنا بسکونه المسیطر علیه ما حدث فی

زواياه من ظلم و فسق و جور،و يحدّثنا عن ألف حادثه و حادثه.

إنّ هذه الخرائب كتب ناطقه تتحدّث عن ماضـى هؤلاء الأقوام،و نتائج أعمالهم و سلوكهم فى الحياه،و عن أعمالهم المشؤومه،و أخيرا عن العقاب الذى صبّه اللّه عليهم! إنّ آثار قصور الجبابره تبعث فى روح الإنسان التفكّر و الاتّعاظ،حيث يعوّضنا أحيانا عن مطالعه كتاب ضخم،و مع أنّ أصل التاريخ يعيد نفسه،فانّ هذه الآثار تجسّد للإنسان مستقبله أمام عينيه.أجل،إنّ دراسه آثار القدماء تجعل آذاننا صاغيه و أنظارنا ثاقبه.و لهذا السبب يحثّ القرآن المجيد-فى كثير من آياته-المؤمنين على السياحه،سياحه إلهيّه أخلاقيه فيها عبره لأنفسنا و عظه نحصّلها من دراسه إيوان المدائن و قصور الفراعنه.فمرّه نمرّ عبر دجله إلى المدائن،و قد نسكب الدمع بغزاره دجله على أرض المدائن،لنسمع نصائح جديده من شقوق خرائب القصور التى كان عمّارها الملوك الجبابره، و لنأخذ منها الدروس و العبر (۱) .

و لإيضاح حقيقه هذا الكلام بشكل أفضل قال القرآن المجيد: فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَى الْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ .

إنّ الذين يفقدون بصرهم لا يفقدون بصيرتهم،بل تراهم أحيانا أكثر وعيا من الآخرين.أمّا العمى فهم الذين تعمى قلوبهم،فلا يدركون الحقيقه أبدا!لهذا

يقول الرّسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم: «شرّ العمى،عمى القلب!و أعمى العمى عمى القلب» (۲) .

و نطالح

حديثا للرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى كتاب غوالى اللآلى «إذا أراد اللّه بعبد خيرا فتح عين قلبه فيشاهد بها ما كان غائبا عنه» (۳) .

۱- ۱) -شرحنا فى تفسير الآيه(۱۳۷)من سوره آل عمران بإسهاب دراسه تاريخ القدماء عن طريق السياحه و السير فى الأرض.

۲- ۲) -نور الثقلين،المجلّد الثّالث،ص ۵۰۸.

۳- ۳) -المصدر السابق،ص ۵۰۹.

و هنا يثار سؤال:كيف يقال أنّ القلوب التى فى الصدور تدرك الحقائق،فى وقت نعلم فيه أنّ القلب مضخّه للدم ليس إلاّ؟! و قد أجبنا عن هذا فى تفسير الآيه السابقه من سوره البقره،و خلاصته أنّ أحد معانى القلب هو العقل،و من معانى الصدر ذات الإنسان.

إضافه إلى أنّ القلب مظهر العواطف،و كلّما تأثّرت العواطف و الإدراكات الروحيّه فى الإنسان،فإنّ أوّل أثرها ينعكس على القلب فتزداد نبضاته و يسرع الدم فى جريانه،و يمنح الجسم نشاطا و حيويه جديده،فتنسب الظواهر الروحيه إلى القلب،لأنّه أوّل من يتأثّر بها فى جسم الإنسان.(فتأمّلوا جيدا).

و ممّا يلفت النظر أنّ الآيه المذكوره أعلاه نسبت سبل إدراك الإنسان إلى القلب(العقل)و الأذنين،إشاره إلى أنّه لا سبيل ثالث لإدراك الأشياء و الحقائق.

فإمّا أن يتفاعل مع الحدث فى أعماق روحه و يسعى لتحليل المسائل بنفسه فيصل إلى النتيجه المتوخّاه،و إمّا أن يسمع النصيحه من المشفقين الهداه و أنبياء اللّه و أهل الحقّ،أو يصل إلى الحقائق عن طريق هذين السبيلين (۱) .

و ترسم الآيه الثّانيه-موضع البحث-صوره أخرى لجهل الأغبياء و عديمى الإيمان فتقول: وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ فردّ عليهم ألاّ تعجلوا وَ لَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ وَعْدَهُ . و«العجول»هو من يخشى فوات الفرصه من يده،و انتهاء إمكاناتها.

أمّا اللّه القادر على كلّ شىء منذ الأزل،فلا حاجه له بالعجله،فهو قادر دوما على الوفاء بما عد،فلا فرق عنده بين الساعه و اليوم و السنه: وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَهٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ .

و سواء أ كان حقّا أم باطلا تكرارهم القول:لماذا لم ينزل اللّه علينا البلاء.

فليعلموا أنّ العذاب يترقّبهم و سينزل عليهم قريبا.فإن أمهلهم اللّه،فإنّ ذلك ليعيدوا

۱- ۱) -عن تفسير الميزان،المجلّد الرّابع عشر،صفحه ۴۲۶.

النظر فی أعمالهم،و سیغلق باب التوبه بعد نزول العذاب و لا سبیل للنجاه حینذاک.

و هناک تفاسیر أخری لعباره وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَهٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ غیر ما ذکرنا(و هو تساوی الیوم الواحد و الألف سنه بالنسبه إلی قدرته تعالی)منها:

قد یلزم ألف عام لإنجازک عملا ما،و اللّه تعالی ینجزه فی یوم أو بعض یوم،لهذا فإنّ عقابه لا یحتاج إلی مقدّمات کثیره.

و تفسیر آخر یقول:إنّ یوما من أیّام الآخره کألف عام فی الدنیا،و إنّ جزاء ربّک و عقابه یزداد بهذه النسبه،لهذا نقرأ

فی الحدیث التالی:«إنّ الفقراء یدخلون الجنّه قبل الأغنیاء بنصف یوم،خمسمائه عام» (۱) .

و فی آخر آیه نجد تأکیدا علی ما سبق أن ذکرته الآیات الآنفه الذکر من إنذار الکفّار المعاندین بأنّه ما أکثر القری و البلاد التی أمهلناها و لم ننزل العذاب علیها لیفیقوا من غفلتهم،و لمّا لم یفیقوا و ینتبهوا أمهلناهم مرّه أخری لیغرقوا فی النعیم و الرفاهیه،و فجأه نزل علیهم العذاب: وَ کَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَهٍ أَمْلَیْتُ لَهٰا وَ هِیَ ظٰالِمَهٌ ثُمَّ أَخَذْتُهٰا .

إنّ أولئک الأقوام کانوا مثلکم یشکّون من تأخّر العذاب علیهم،و یسخرون من وعید الأنبیاء،و لا یرونه إلاّ باطلا،إلاّ أنّهم ابتلوا بالعذاب أخیرا و لم ینفعهم صراخهم أبدا وَ إِلَیَّ الْمَصِیرُ أجل کلّ الأمور تعود إلی اللّه،و تبقی جمیع الثروات فیکون اللّه وارثها.

۱- ۱) -مجمع البیان،فی تفسیر هذه الآیه.

الآیات [سوره الحج (۲۲): الآیات ۴۹ الی ۵۱]

اشاره

قُلْ يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۴۹) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۵۰) وَ اَلَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ اَلْجَحِيمِ (۵۱)

التّفسیر

اشاره

الرزق الکریم:

تحدّثت الآیات السابق عن تعجیل الکفر و العذاب الإلهی،و إنّ ذلک لیس من شأن النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم و إنّما یرتبط بمشیئه اللّه تعالی،فأوّل آیه من الآیات أعلاه تقول:

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ

.

یخاطب سبحانه و تعالی الرّسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم فیأمره أن ینذر الناس بعذاب اللّه إن تخلّفوا عن طاعته.

و ممّا لا شکّ فیه أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم نذیر بشیر،و تأکید الآیه هنا لصفه النذیر جاء لملاءمه ذلک مع الخاطبین الکفّار المعاندین الذین یستهزئون بعقاب اللّه.

و ترسم الآیتان التالیتان صوره للبشری و أخری للإنذار،لأنّ رحمه اللّه واسعه،فتقدّم علی عقاب اللّه.تتحدّث أوّلا عن البشری فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا

الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ

يتطهّرون بماء المغفره الإلهيّه أوّلا،فتطمئن ضمائرهم،ثمّ تشملهم نعم اللّه و رحمته.

عباره«رزق كريم»(مع ملاحظه أنّ كلمه«كريم»تطلق على أى موجود شريف و ثمين)ذات مفهوم واسع يضمّ جميع الأنعم الماديه و المعنويه.

أجل،إنّ اللّه الكريم يمنّ على عباده المؤمنين الصالحين بأنواع من الرزق الكريم فى تلك المنازل الكريمه،يقول الراغب الاصفهانى فى مفرداته:لا يقال الكرم إلاّ فى المحاسن،كمن ينفق مالا فى تجهيز جيش فى سبيل اللّه،أو تحمّل حماله ترقئ دماء قوم.فعلى هذا لا يطلق الكرم على الإحسان الجزئى.

و فسّر البعض الرزق الكريم بالرزق الدائم الذى لا عيب و لا نقص فيه.

و قال آخرون:إنّه الرزق الذى يليق بالمؤمنين الصالحين،و لا يخفى أنّ المراد من ذلك شامل و يضمّ جميع هذه المعانى. و أضافت الآيه السابقه وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيٰاتِنٰا مُعٰاجِزِينَ أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ أى إنّ الذين حاولوا تخريب الآيات الإلهيّه و محوها،و كانوا يعتقدون بأنّ لهم القدره على مغالبه إراده اللّه المطلقه،فهم أصحاب الجحيم (1) .

«جحيم»من مادّه«جحم»بمعنى شدّه توقّد النّار،و تقال كذلك لشدّه الغضب، فعلى هذا تطلق كلمه(الجحيم)على المكان المشتعل بالنيران،و هى هنا تشير إلى نار الآخره.

---

1 - 1) -«سعوا»مشتقّه من«السعى»و تعنى فى الأساس الهروله،و هنا المحاوله فى تخريب الآيات الإلهيه و محوها.أمّا «المعاجزون»فمتشقّه من«العجز»و تعنى هنا الذى يحاول الغلبه على قدره اللّه غير المحدوده. و تصوّر بعض المفسّرين أنّ هذا الاحتمال لا يمكنه أن يكون لأى أحد يريد تعجيز اللّه و قهر إرادته،و على هذا فإنّ كلمه «المعاجزين»نسبوها إلى النّبى و المؤمنين.فى الوقت الذى استخدم هذا التعبير فى آيات قرآنيه أخرى للّه،سوره الجن الآيات (12)و التوبه الآيه(2 و 3)و تعنى عمل شخص يتظاهر بقدرته ليس إلاّ.

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ۵٢ الی ۵۴]

اشاره

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لاٰ نَبِیٍّ إِلاّٰ إِذٰا تَمَنّٰی أَلْقَی اَلشَّیْطٰانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اَللّٰهُ مٰا یُلْقِی اَلشَّیْطٰانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اَللّٰهُ آیٰاتِهِ وَ
اَللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۵٢) لِیَجْعَلَ مٰا یُلْقِی اَلشَّیْطٰانُ فِتْنَهً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ اَلْقٰاسِیَهِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اَلظّٰالِمِینَ لَفِی شِقٰاقٍ بَعِیدٍ (۵٣)
وَ لِیَعْلَمَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَیُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَهٰادِ اَلَّذِینَ آمَنُوا إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۵۴)

التّفسیر

اشاره

وساوس الشّیاطین فی مساعی الأنبیاء:

تناولت الآیات السابقه محاولات المشرکین و الکفره لمحو التعالیم الإلهیّه و الاستهزاء بها،أمّا الآیات موضع البحث فقد تضمّنت تحذیرا مهمّا حیث قالت:

إنّ هذه المؤامرات لیست جدیده،فالشیاطین دأبوا منذ البدایه علی إلقاء وساوسهم ضدّ الأنبیاء.

ص: ٣٧٣

فی البدایه تقول الآیه: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لاٰ نَبِیٍّ إِلاّٰ إِذٰا تَمَنّٰی أمرا لصالح الدین و المجتمع و فکّر فی خطّه لتطویر العمل أَلْقَی الشَّیْطٰانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ إلاّ أنّ اللّه لم یترک نبیّه وحده إزاء إلقاءات الشیاطین فَیَنْسَخُ اللّٰهُ مٰا یُلْقِی الشَّیْطٰانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللّٰهُ آیٰاتِهِ .

إنّ هذا العمل یسیر علی اللّه تعالی،لأنّه علیم بجمیع هذه المؤامرات الدنیئه، و یعرف کیف یحبطها وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ .

إلاّـ أنّ المؤامرات الشیطانیه التی کان یحیکها المشرکون و الکفره،کانت تشکّل ساحه لامتحان المؤمنین و المتآمرین فی آن واحد،إذ تضیف الآیه لِیَجْعَلَ مٰا یُلْقِی الشَّیْطٰانُ فِتْنَهً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقٰاسِیَهِ قُلُوبُهُمْ .

وَ إِنَّ الظّٰالِمِینَ لَفِی شِقٰاقٍ بَعِیدٍ

فهم بعیدون عن الحقّ لشدّه عداوتهم و عنادهم.

و کذلک الهدف من هذا البرنامج: وَ لِیَعْلَمَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَیُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ .و طبیعی أنّ اللّه لا یترک المؤمنین الواعین المطالبین بحقوقهم و المدافعین عن الحقّ وحدهم فی هذا الطریق الوعر وَ إِنَّ اللّٰهَ لَهٰادِ الَّذِینَ آمَنُوا إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ .

بحوث

اشاره

۱-المراد من إلقاءات الشیطان

ما ذکرناه فی تفسیر الآیات المذکوره أعلاه کان تنسیقا مع آراء بعض الباحثین،إلاّـ أنّ هناک احتمالات أخری فی تفسیر الآیه،منها أنّ عباره«تمنّی»و «أمنیه»تعنی التلاوه و القراءه،کما جاءت فی أشعار العرب بهذا المعنی.لهذا فإنّ تفسیر آیه وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ... کان الشیاطین(خاصّه شیاطین

الإنس)يلقون بكلمات خلال قراءه كلام اللّه على الناس لتشويش الأفكار، و لإبطال أثر القرآن فى الهدايه و النجاه.إلاّ أنّ اللّه عزّ و جلّ كان يمحو أثر هذه الإلقاءات و يثبت آياته.و ينسجم هذا التّفسير مع عباره ثُمَّ يُحْكِمُ اللّهُ آيَاتِهِ و كذلك يساير(وفقا لبعض التبريرات)أسطوره الغرانيق التى سيرد ذكرها.

و لم تستعمل«تمنّى،و أمنيه»بمعنى التلاوه إلاّ نادرا،و لم ترد فى القرآن بهذا المعنى قطّ.«تمنّى»مشتقه من«منى»على وزن«مشى»و أصلها تعنى التقدير و الفرض.و سمّيت نطفه الرجل ب«المنى»لأنّ تقدير كيان الفرد يفرض فيها.و يقال للموت«منيّه»لأنّه يحلّ فيه الأجل المقدّر للإنسان،و لهذا تستعمل كلمه«تمنّى» لما يصوّره الإنسان فى مخيّلته و التى يطمح إلى تحقّقها.و خلاصه القول:إنّ أصل هذه الكلمه هى التقدير و الفرض و التصوّر،أينما استخدمت.

و يمكن ربط معنى التلاوه بهذه الكلمه،فيقال:التلاوه تشمل التقدير و التصوّر للكلمات،إلاّ أنّها رابطه بعيده لا أثر لها فى كلمات العرب.

أمّا المعنى الذى ذكرناه لتفسير الآيه(برامج الأنبياء و مخطّطاتهم للوصول إلى الأهداف الإلهيّه)فإنّه يناسب المعنى الأصلى للكلمه«تمنّى».

و ثالث احتمال فى تفسير الآيه أعلاه هو ما ذكره بعض المفسّرين و رأى فيه أنّه إشاره إلى بعض الأخطار و الوساوس الشيطانيه التى تلقى فى لحظه عابره فى أذهان الأنبياء الطاهره النيّره.

و بما أنّهم معصومون و منصورون بقوّه غيبيّه و إمدادات إلهيّه، فإنّ اللّه يمحو أثر هذه الإلقاءات من أفكارهم و يهديهم إلى الصراط المستقيم.

إلاّ أنّ هذا التّفسير لا ينسجم مع الآيتين الثّانيه و الثّالثه ممّا نحن بصدده، و القرآن اعتبر هذه الإلقاءات الشيطانيه وسيله إمتحان للكفره و المؤمنين الواعين على السواء،و لا أثر لها فى قلوب الأنبياء لما يمحو اللّه عنها من إلقاءات الشياطين.

و بهذا تتّضح ملاءمه التّفسير الأوّل أكثر من غيره،و هى إشاره إلى نشاط الشياطين و ما يلقونه على الأنبياء لتعويق عملهم البنّاء،غير أنّ اللّه يبطل ما يفعلون و يمحو ما يلقون.

٢-اسطوره الغرانيق المختلفه!

جاء فى بعض كتب السنّه روايه عجيبه تنسب إلى ابن عبّاس،مفادها أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان مشغولا بتلاوه سوره«النجم»فى مكّه المكرّمه،و عند ما بلغ الآيات التى جاء فيها ذكر أسماء أصنام المشركين أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّى وَ مَناةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرى ألقى الشيطان على النّبى هاتين الجملتين و جعلهما على لسانه:(تلك الغرانيق العلى و إنّ شفاعتهنّ لترتجى!)أى إنّهن طيور جميله ذات منزله رفيعه و منها ترتجى الشفاعه (١) ! و قد فرح المشركون بذلك،و قالوا:إنّ محمّدا لم يذكر آلهتنا بخير حتّى الآن.

فسجد محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم و سجدوا هم أيضا،فنزل جبرائيل عليه السّلام على الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم محذّرا من أنّه لم ينزل هاتين الآيتين و أنّهما من إلقاءات الشيطان.و هنا أنزل عليه الآيات موضع البحث وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ... محذّرا الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و المؤمنين (٢) .و رغم أنّ عددا من أعداء الإسلام نقلوا هذا الحديث و أضافوا عليه ما يحلو لهم للمساس برساله النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و القرآن،إلاّ أنّه مختلق يبغى النيل من القرآن و أحاديث الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

و هناك أدلّه دامغه عديده تؤكّد اختلاق شياطين الإنس لهذا الحديث:

أوّلا:ذكر الباحثون ضعف رواته و عدم الثقه بهم،و لا دليل على أنّه من روايه

ص: ٣٧٦

١- ١) -«الغرانيق»جمع غرنوق،على وزن بهلول،طائر يعيش فى الماء أبيض أو أسود اللون،كما جاء بمعان أخرى«قاموس اللغه».

٢- ٢) -جاء ذكر هذا الحديث نقلا عن جماعه من حفّاظ أهل السنّه فى تفسير الميزان.

ابن عبّاس.و قد صنّف محمّد بن إسحاق كتابا أكّد فيه اختلاق الزنادقه لهذا الحديث (۱) .

ثانیا:ذکرت الکتب الإسلامیه أحادیث عدیده عن نزول سوره النجم و سجود النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم و المسلمین،و لم تذکر شیئا عن هذا الحدیث المختلق.و هذا یدلّ علی إضافه هذه الجمله إلیه فیما بعد (۲) .

ثالثا:تنفی آیات مطلع سوره النجم بصراحه هذه الخرافه وَ مٰا یَنْطِقُ عَنِ الْهَویٰ إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْیٌ یُوحیٰ .

کیف تنسجم هذه الاسطوره مع هذه الآیه التی نزّهت و عصمت الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم؟ رابعا:استنکرت الآیات التالیه للآیه التی سمّت أوثان المشرکین و الأصنام، و بیّنت قبحها و سخفها،فقد ذکرت بصراحه إِنْ هِیَ إِلاّٰ أَسْمٰاءٌ سَمَّیْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُکُمْ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَی الْأَنْفُسُ و قد جاءهم من ربّهم الهدی،و مع کلّ هذا الذّم للأصنام،کیف یمکن مدحها؟!إضافه إلی أنّ القرآن المجید ذکر بصراحه أنّ اللّه یحفظه من کلّ تحریف إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ (۳) .

خامسا:إنّ جهاد النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم للأصنام جهاد مستمر طوال حیاته و لم یقبل المساومه قطّ.

و قد رفض الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم الأوثان،و برهنت سیرته المطهّره علی استنکارها و التصدّی لها،حتّی فی أصعب الظروف،فکیف ینطق بمثل هذه الکلمات؟! سادسا:إنّ الکثیر من غیر المسلمین الذین لا یعتقدون بأنّ النّبی محمّدا صلی اللّه علیه و آله و سلّم

۱- ۱) -التّفسیر الکبیر للفخر الرازی،المجلّد الثّالث و العشرون،صفحه ۵۰.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -سوره الحجر،۹.

مرسل من اللّه،يعترفون بأنّه إنسان مفكّر واع حقّق أعظم الانتصارات.فهل يمكن لمن شعاره الأساس«لا ـ إله إلاّ ـ اللّه»،و جهاده الرافض لأىّ نوع من أنواع الشرك و الوثنيّه.و حياته برهان على الإباء و رفض الأصنام،يترك فجأه سيرته تلك ليشيد بالأوثان؟!
و من كلّ هذا نستنتج أنّ اسطوره الغرانيق من وضع أعداء سذّج و مخالفين لا يخافون اللّه،اختلقوا هذا الحديث لإضعاف منزله القرآن و الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم،لهذا نفى جميع الباحثين الإسلاميين من السنّه و الشيعه هذا الحديث بقوّه و اعتبروه مختلقا (١) .

و ذكر بعض المفسّرين تبريرا لهذه الإضافه بالقول:على فرض صحّه الحديث،إلاّ أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان يتلو سوره النجم و بلغ أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّى وَ مَناةَ الثّالِثَهَ الْأُخْرى استغلّ بعض المشركين المعاندين هذه الفرصه،فنادى بلحن خاص«تلك الغرانيق العلى و إنّ شفاعتهن لترتجى»فأشكلوا على الناس بالتشويش على كلام الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم.إلاّ أنّ الآيات اللاحقه ردّتهم بإدانتها الشديده لعباده الأصنام (٢) .

و يتّضح أنّ بعضهم وجد فى اسطوره الغرانيق نوعا من الرغبه لدى الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى كسب الوثنيين إلى صفوف المسلمين،إلاّ أنّ هذا القول يعنى ارتكاب هؤلاء المفسّرين خطأ كبيرا،و يدلّ على أنّ هؤلاء المسوّغين للوثنيه لم يدركوا موقف الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم إزاءها،رغم أنّ المشهود تاريخيّا هو رفض الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم العطاء السخىّ من المشركين مقابل العدول عن رسالته الإسلاميه...

أو أنّ هؤلاء المبرّرين يتجاهلون ذلك متعمّدين.

---

١ - ١) -مجمع البيان،تفسير الفخر الرازى،القرطبى،فى ظلال القرآن،تفسير الصافى،روح المعانى،و الميزان،و تفاسير أخرى للآيات موضع البحث.

٢- ٢) -تفسير القرطبى،المجلّد السابع،صفحه ۴۴۷-و المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان ذكره أيضا كأمر محتمل.

۳-الفرق بين الرّسول و النبى!

هنـاك أقوال كثيره فى الفرق بين«الرسول»و«النبى»،و أكثرهـا قبولاـ أنّ كلمه الرّسول تطلق على أنبيـاء لهم رسالات من اللّه أمروا بنشرها بين الناس،و ألاّ يألوا أى جهد فى هذا الطريق،و أن يتحمّلوا الصعاب و لا يبالوا بالتضحيه بأرواحهم من أجل رسالتهم.

أمّا كلمه«النبى»فقـد اشـتّقت من«نبّأ»و هو الـذى ينبأ بالوحى الإلهى رغم أنّه لم يكلّف بإبلاغه بشـكل واسع.فهو كالطبيب يراجعه المرضى للعلاج و طلب الدواء،و لكلّ نبى مهمّه تختلف عن مهمه الآخر،و ذلك بمقتضى الأحوال و البيئه التى يعيشها كلّ واحد منهم (۱) .

ص :۳۷۹

۱- ۱) -تحدّثنا فى هذا أيضا فى تفسير الآيه(۱۲۴)من سوره البقره.

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ۵۵ الی ۵۹]

اشاره

وَ لاٰ يَزٰالُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ اَلسّٰاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (۵۵) اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ فِي جَنّٰاتِ اَلنَّعِيمِ (۵۶) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا فَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ (۵۷) وَ اَلَّذِينَ هٰاجَرُوا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مٰاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اَللّٰهُ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ اَلرّٰازِقِينَ (۵۸) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (۵۹)

التّفسير

اشاره

الرّزق الحسن:

تحدّثت الآيات السابقه عن محاولات المخالفين فى محو الآيات الإلهيّه، أمّا الآيات التى نقف فى ضوئها،فأشارت إلى هذه المحاولات من قبل أشخاص متعصّبين قساه.

تقول الآيه الأولى: وَ لاٰ يَزٰالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ السّٰاعَةُ

بَغْتَهً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ

بديهى أنّ الآيه هنا قصدت فئه من الكفّار لا الكفّار كلّهم،لأنّ الكثير منهم أسلموا و التحقوا بالنّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و بصفوف المسلمين.

قصدت الآيه زعماء الكفّار و المعاندين و المتعصّبين بقوّه و الحاقدين الذين لم يؤمنوا قطّ،و استمرّوا فى عرقله المسيره الإسلاميه.

و تعنى كلمه«مريه»الشكّ و الترديد،و تبيّن لنا الآيه أنّ هؤلاء الكفره لم يكونوا يوما على يقين ببطلان الإسلام و دعوه النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم بالرغم من إظهارهم لذلك فى كلماتهم،بل كانوا فى شكّ من القرآن و الإسلام،إلاّ أنّ تعصّبهم كان يحول دون توصّلهم إلى الحقيقه.

أمّا«الساعه»فقد ذهب البعض إلى أنّها تعنى الموت و نظيره،إلاّ أنّ الآيات اللاحقه بيّنت أنّ القصد ختام العالم و عشيّه يوم القيامه،و التى رافقت كلمه«بغته».

و يقصد ب عَذٰابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ عقاب يوم القيامه،و قد وصف يوم القيامه بالعقم لأنّه لا يوم يليه لينهض المرء للقيام بأعمال خيّره تعوّض عمّا فاته و تؤثّر فى مصيره.

ثمّ أشارت الآيه التاليه إلى السياده المطلقه لربّ العالمين يوم القيامه اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ و هذا أمر ملازم للّه الحاكم الدائم و المالك المطلق،و ليس ليوم القيامه فقط،بل هو على مدى الزمان،و بما أنّ فى الدنيا مالكين و حكّاما آخرين رغم محدوديه ملكياتهم و سلطانهم و رغم أنّها ملكيه ظاهريه و سلطان شكلى،إلاّ أنّه قد يولد تصوّرا بأنّ هناك حكّاما ملاّكا غير اللّه.و لكنّ كلّ هذا يزول و تتّضح حقيقه وحدانيه المالك و الحاكم يومئذ.

و بتعبير آخر:هناك نوعان من السياده و الملكيه:السياده الحقيقيّه،و هى للخالق على المخلوق،و السياده الاعتباريه الناتجه عن اتّفاق بين الناس،و يوجد كلا هذا النوعان فى الدنيا،و لكن تزول الحكومات الاعتباريه كلّها يوم القيامه،

و تبقی السیاده الحقیقیّه لخالق العالم (۱) .

و علی أی حال،فإنّ اللّه هو المالک الحقیقی،فهو إذن الحاکم الحقیقی،و تعمّ حکومته علی المؤمنین و الکافرین علی السواء،و نتیجه ذلک کما یقول القرآن المجید: فَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فِی جَنّاتِ النَّعِیمِ الجنّات التّی تتوفّر فیها جمیع المواهب و کلّ الخیرات و البرکات.

و یضیف القرآن الکریم وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا فَأُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ ما أجمل هذا التعبیر!عذاب یذلّ الکفره و الذین کذّبوا بآیات اللّه،أولئک الذین عاندوا اللّه و استکبروا علی خلقه یهینهم اللّه.و قد وصف القرآن العذاب ب«الألیم»و«العظیم»و«المهین»فی آیات مختلفه،لیلائم کلّ واحد منه الذنب الذی اقترفه المعاندون!.

و ممّا یلفت النظر أنّ القرآن المجید أشار فی حدیثه عن المؤمنین إلی أمرین «الإیمان»و«العمل الصالح»،و فی المقابل أشار فی حدیثه عن الکافرین إلی «الکفر»و«التکذیب بآیات اللّه»،و هذا یعنی أنّ کلّ منهما مترکّب من إعتقاد داخلی و أثر خارجی یبرز فی عمل الإنسان،حیث إنّ لکلّ عمل إنسانی أساسا فکریا.

و بما أنّ الآیات السابقه تناولت المهاجرین من الذین طردوا من دیارهم و سلبت أموالهم،لأنّهم قالوا:ربّنا اللّه،و دافعوا عن شریعته،فقد اعتبرتهم الآیه التالیه مجموعه ممتازه جدیره بالرزق الحسن و قالت: وَ الَّذِینَ هاجَرُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَیَرْزُقَنَّهُمُ اللّهُ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اللّهَ لَهُوَ خَیْرُ الرّازِقِینَ .

قال بعض المفسّرین:إنّ«الرزق الحسن»هو النعم التی تشدّ نظر الإنسان إلیها عند مشاهدته لها فلا یدیر طرفه عنها،و إنّ اللّه وحده هو القادر علی أن یمنّ

۱- ۱) -المیزان،المجلّد الرّابع عشر،ص ۴۳۳.

على الإنسان بهذا النوع من الرزق...

ذكر بعض المفسّرين سببا لنزول هذه الآيه خلاصته:«لمّا مات عثمان بن مظعون و أبو سلمه بن عبد الأسد،قال بعض الناس:من قتل فى سبيل اللّه أفضل ممّن مات حتف أنفه،فنزلت هذه الآيه مسوّيه بينهم،و إنّ اللّه يرزق جميعهم رزقا حسنا،و ظاهر الشريعه يدلّ على أنّ المقتول أفضل.و قد قال بعض أهل العلم:إنّ المقتول فى سبيل اللّه و الميّت فى سبيل اللّه شهيد» (۱) .

و عرضت الآيه الأخيره صوره من هذا الرزق الحسن «لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ» فإذا طردوا من منازلهم فى هذه الدنيا و لاقوا الصعاب،فإنّ اللّه يأويهم فى منازل طيّبه فى الآخره ترضيهم من جميع الجهات،و تعوّضهم-على أفضل وجه-عمّا ضحّوا به فى سبيل اللّه.

و تنتهى هذه الآيه بعباره وَ إِنَّ اللّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ أجل،إنّ اللّه عالم بما يقوم به عباده،و هو فى نفس الوقت حليم لا يستعجل فى عقابهم،من أجل تربيه المؤمنين فى ساحه الامتحان هذه،و ليخرجوا منها و قد صلب عودهم و ازدادوا تقرّبا إلى اللّه.

ص :۳۸۳

۱- ۱) -«الجامع لأحكام القرآن»لأبى عبد اللّه محمّد بن أحمد الأنصارى القرطبى،المجلّد ۱۱-۱۲،ص ۸۸.

الآيات [سوره الحج (۲۲): الآيات ۶۰ الی ۶۲]

اشاره

ذٰلِكَ وَ مَنْ عٰاقَبَ بِمِثْلِ مٰا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اَللّٰهُ إِنَّ اَللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (۶۰) ذٰلِكَ بِأَنَّ اَللّٰهَ يُولِجُ اَللَّيْلَ فِي اَلنَّهٰارِ وَ يُولِجُ اَلنَّهٰارَ فِي اَللَّيْلِ وَ أَنَّ اَللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (۶۱) ذٰلِكَ بِأَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْحَقُّ وَ أَنَّ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ اَلْبٰاطِلُ وَ أَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْكَبِيرُ (۶۲)

سبب النّزول

روی أنّ عددا من المشرکین من أهل مکّه واجهوا المسلمین و لم یبق لانتهاء شهر المحرّم إلّا یومان.قال المشرکون بعضهم لبعض:إنّ أصحاب محمّد صلی اللّه علیه و آله و سلّم لا یحاربون فی شهر المحرّم. و لهذا بدأوا بمهاجمه المسلمین،و رغم إلحاح المسلمین علیهم بإیقاف القتال،لم یعطوا أذنا صاغیه لهذا الطلب،فاضطرّ المسلمون إلی قتالهم ببطوله فریده فنصرهم اللّه،و هنا نزلت أوّل آیه من الآیات المذکوره آنفا (۱) .

ص: ۳۸۴

۱- ۱) -«مجمع البیان»و«الدرّ المنثور»فی تفسیر الآیات موضع البحث.

التّفسیر

اشاره

من هم المنتصرون؟

حدّثتنا الآیات السابقه عن المهاجرین فی سبیل اللّه،و ما وعدهم اللّه من رزق حسن یوم القیامه.و من أجل ألّا یتصورّ المرء أنّ الوعد الإلهی یختصّ بالآخره فحسب،تحدّثت الآیه-موضع البحث-فی مطلعها عن انتصارهم فی ظلّ الرحمه الإلهیّه فی هذا العالم: ذٰلِکَ وَ مَنْ عٰاقَبَ بِمِثْلِ مٰا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِیَ عَلَیْهِ لَیَنْصُرَنَّهُ اللّٰهُ إشاره إلی أنّ الدفاع عن النفس و مجابهه الظلم حقّ طبیعی لکلّ إنسان.

و عباره«بمثل»تأکید لحقیقه أنّ الدفاع لا یجوز له أن یتعدّی حدوده.

عباره ثُمَّ بُغِیَ عَلَیْهِ هی أیضا إشاره إلی وعد اللّه بالانتصار لمن یظلم خلال الدفاع عن نفسه،و علی هذا فالساکت عن الحقّ و الذی یقبل الظلم و یرضخ له،لم یعده اللّه بالنصر، فوعد اللّه بالنصر یخصّ الذین یدافعون عن أنفسهم و یجابهون الظالمین و الجائرین،فهم یستعدّون بکلّ ما لدیهم من قوّه لمجابهه هذا الظلم.

و یجب أن تمتزج الرحمه و السماح بالقصاص و العقاب لتکسب النادمین و التائبین إلی اللّه،حیث تنتهی الآیه ب إِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ .

و تطابق هذه الآیه آیه القصاص حیث منحت ولی القتیل حقّ القصاص من جهه و أفهمته أنّ العفو فضیله(للجدیرین بها)من جهه أخری.

و بما أنّ الوعد بالنصر الذی یقوی القلب لا بدّ و أن یصدر من مقتدر علی ذلک.

لهذا تستعرض الآیه قدره اللّه فی عالم الوجود التی لا تنتهی،فتقول: ذٰلِکَ بِأَنَّ اللّٰهَ یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهٰارِ وَ یُولِجُ النَّهٰارَ فِی اللَّیْلِ فما أن یقل من أحدهما حتّی یزداد فی الآخر وفق نظام مدروس.

کلمه«یولج»مشتقّه من«الإیلاج»و هو فی الأصل من الولوج أی الدخول.

و هذه العباره-کما قلنا-تشیر إلی التغییرات التدریجیّه المنظّمه تنظیما تامّا،

كمسأله الليل و النهار،فما يقلّ أحدهما إلّا ليزداد الآخر على مدى فصول السنه.

و ربّما تكون إشاره إلى شروق الشمس و غروبها الذى لا يحدث فجأه بسبب الظروف الجويّه الخاصّه(بالهواء المحيط بالأرض)حيث تمتدّ أشعّه الشمس فى البدايه نحو طبقات الهواء العليا،ثمّ تنتقل إلى الطبقات السفلى.و كأنّ النهار يلج فى الليل و يطرد جيش قوى الظلام.

و عكس ذلك ما يقع حين الغروب،حيث تلملم أشعّه الشمس خيوطها من الطبقات السفلى للأرض،فيسودها الظلام تدريجيّا حتّى ينتهى آخر خيط من أشعّه الشمس و يسيطر جيش الظلام على الجميع.و لو لا هذه الظاهره،فسيكون الشروق و الغروب على حين غرّه،فيلحق الأذى بالإنسان جسما و روحا، و يحدث هذا التغيير السريع أيضا مشاكل كثيره فى النظام الاجتماعى.

و لا مانع من إشاره الآيه السالفه الذكر إلى هذين التّفسيرين.

و تنتهى الآيه ب وَ أَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ أجل،إنّ اللّه يلبّى حاجه المؤمنين، و يطّلع على حالهم و أعمالهم،و يعينهم برحمته عند اللزوم.مثلما يطّلع على أعمال و مقاصد أعداء الحقّ.

و آخر آيه من الآيات السالفه الذكر فى الواقع دليل على ما مضى حيث تقول:

ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبٰاطِلُ وَ أَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

.

إن شاهدتم انتصار الحقّ و هزيمه الباطل،فإنّ ذلك بلطف اللّه الذى ينجد المؤمنين و يترك الكافرين لوحدهم.

إنّ المؤمنين ينسجمون مع قوانين الوجود العامّه،بعكس الكافرين الذين يكون مآلهم إلى الفناء و العدم بمخالفتهم تلك القوانين.و اللّه حقّ و غيره باطل.

و جميع البشر و المخلوقات التى ترتبط بشكل ما باللّه تعالى هى حقّ أيضا.أمّا

غيرها فباطل بمقدار ابتعادها عنه عزّ و جلّ (۱) .

و كلمه«علىّ»مشتقّه من«العلو»بمعنى ذى المنزله الرفيعه،و تطلق أيضا على القادر و القاهر الذى لا تقف أمامه قدره.

أمّـا كلمه«الكبير»فهى إشـاره إلى سـعه علم اللّه و قـدرته،و طبيعى أنّ من يملك هـذه الصـفات بإمكانه مساعـده أحبّائه و تـدمير أعدائه،إذن فليطمئن المؤمنون إلى ما وعدهم اللّه تعالى.

۱- ۱) -نقرأ فى«الميزان»أنّ إطلاـق الحقّ على اللّه و الباطـل على غيره،لأـنّ الحقّ الـذى لم يختلـط بباطل أبـدا هو اللّه سـبحانه و تعالى، أو لكونه عزّ و جلّ مستقلا فى حقّانيته و الآخرون تابعين له.

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ٦٣ الی ٦٦]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَتُصْبِحُ اَلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اَللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَهُوَ اَلْغَنِيُّ اَلْحَمِيدُ (٦٤) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ اَلْفُلْكَ تَجْرِی فِی اَلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمْسِكُ اَلسَّمٰاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَی اَلْأَرْضِ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ إِنَّ اَللّٰهَ بِالنّٰاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (٦٥) وَ هُوَ اَلَّذِی أَحْيٰاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لَكَفُورٌ (٦٦)

التّفسير

اشاره

دلائل اللّه فی ساحه الوجود:

تحدّثت الآيات السابقه عن قدره اللّه غير المحدوده و أنّه الحقّ المطلق، و بيّنت هذه الآيات الأدلّه المختلفه على هذه القدره الواسعه و الحقّ المطلق و تقول أوّلا: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً .

لقد اخضّرت الأرض المرتديه رداء الحزن-من أثر الجفاف-بعد ما نزل

المطر عليها.فأصبحت تسرّ الناظرين.أجل إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ .و كلمه«لطيف» مشتقّه من«اللطف»بمعنى العمل الجميل الذى يمتاز برقّته.و لهذا يطلق على الرحمه الإلهيّه الخاصّه لفظ«اللطف».و كلمه«الخبير»تعنى المطّلع على الأمور الدقيقه.

و بلطف اللّه تنمو البذره تحت الأرض، ثمّ ترتفع خلافا لقانون جاذبيه الأرض،و ترى الشمس و تشمّ نسيم الهواء حتّى تصبح نباتا مثمرا أو شجره باسقه.

و هو الذى أنزل المطر فمنح التربه الجافّه لطفا و رقه لتسمح للبذره بالحركه و النمو.و هو خبير بجميع الاحتياجات و المراحل التى تمرّ بها هذه البذره حتّى ترتفع نحو السّماء.يرسل اللّه المطر بقدره و بخبره منه،فإن زاده صار سيلا،و إن نقصه كثيرا ساد الجفاف فى الأرض،و تقول الآيه الثامنه عشره من سوره المؤمنين: وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّٰاهُ فِي الْأَرْضِ (1) .

الآيه التاليه تعرض علامه أخرى على قدره اللّه غير المتناهيه،و هو قوله سبحانه و تعالى: لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ .

فهو سبحانه خالق الجميع و مالكهم،و بهذا الدليل يكون قادرا عليهم،لذا فهم يحتاجون إليه جميعا،و لا يحتاج هو إلى شىء أو إلى أحد.

و يزداد هذا المعنى إشراقا فى قوله سبحانه: وَ إِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ و التحام صفتى الغنى و الحمد جاء فى غايه الإحكام:

أوّلا-لأنّ عددا كبيرا من الناس أغنياء،إلاّ أنّهم بخلاء يستغلّون الآخرين و يعملون لذاتهم فقط،و قد غرقوا فى الغفله و الغرور.و تغلّب على أصحاب الثروه الطائله هذه الصفات.أمّا غنى اللّه سبحانه فهو مزيج من اللطف و السماء و الجود و الكرم،لذا استحقّ الحمد و الثناء من عباده.

ص: ۳۸۹

۱- ۱) -بحثنا فى تفسير الآيه(۱۰۳)من سوره الأنعام حول لطف اللّه.فعلى الراغب مراجعته.

ثانیا:إنّ الأغنیاء غیّر اللّه تعالی غناهم ظاهری،و إذا کانوا کرماء فإنّ کرمهم فی الواقع لیس منهم،بل من لطف اللّه سبحانه و قدیم إحسانه،فکلّ إمکاناتهم إنّما هی من أنعم اللّه.فاللّه وحده هو الغنی بذاته و الجدیر بکلّ حمد و ثناء.

ثالثا:لأنّ الأغنیاء یعملون ما یفیدهم أو یتوخّون فائدته،أمّا ربّ العالمین سبحانه و تعالی،فیجود و یرحم و یعفو دون حساب،و لا ابتغاء فائده،و لا سدّ حاجه،و إنّما یفعل ذلک کرما منه و رحمه،فهو أهل الحمد و الثناء بلا شریک.

و تشیر الآیه التالیه إلی نموذج آخر من تسخیر اللّه تعالی الوجود للإنسان أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَکُمْ مٰا فِی الْأَرْضِ و جعل تحت اختیارکم جمیع المواهب و الإمکانات فیها لتستفیدوا منها بأی صوره تریدون،و کذلک جعل السفن و البواخر التی تتحرّک و تمخر عباب البحار بأمره نحو مقاصدها. اَلْفُلْکَ تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ إضافه إلی وَ یُمْسِکُ السَّمٰاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ فالکواکب و النجوم تسیر فی مدارات محدّده بأمر اللّه سبحانه و تعالی،کلّ ذلک لتسیر فی فاصله محدّده لها عن الکواکب الاخری،و تمنع اصطدام بعضها ببعض.

و خلق اللّه طبقات جویّه حول الأرض لتحول دون وصول الأحجار السائبه فی الفضاء إلی الأرض و إلحاق الضرر بالبشر.

و ذلک من رحمه اللّه لعباده و لطفه بهم،فقد خلق الأرض آمنه لعباده،فلا تصل إلیهم الأحجار السائبه فی الفضاء،و لا تصطدم الأجرام الأخری بالأرض.و هذا ما نلمسه فی ختام الآیه المبارکه إِنَّ اللّٰهَ بِالنّٰاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ .

و تتناول الآیه الأخیره أهمّ قضیّه فی الوجود،أی قضیّه الحیاه و الموت فتقول:

وَ هُوَ الَّذِی أَحْیٰاکُمْ

أی کنتم ترابا لا حیاه فیه فألبسکم لباس الحیاه ثُمَّ یُمِیتُکُمْ و بعد انقضاء دوره حیاتکم یمیتکم ثُمَّ یُحْیِیکُمْ أی یمنحکم حیاه جدیده یوم البعث.

و تبیّن الآیه میل الإنسان إلی نکران نعم اللّه علیه قائله: إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَکَفُورٌ

فرغم كلّ ما أغدق اللّه على الإنسان من أنعم فى الأرض و السّماء،فى الجسم و الروح،لا يحمده و لا يشكره عليها،بل يكفر بكلّ هذه النعم.و مع أنّه يرى كلّ الدلائل الواضحه و البراهين المؤكده لوجود اللّه تبارك و تعالى،و الشاهده بفضله عليه و إحسانه إليه ينكر ذلك.فما أظلمه و أجهله!

ملاحظات

اشاره

١-الصفات الخاصّه باللّه:

بيّنت الآيات السالفه الذكر و الآيتان اللتان سبقتها،أربع عشره صفه من صفات اللّه(فى نهايه كلّ آيه جاء ذكر صفتين من صفات اللّه)العليم و الحليم- العفو و الغفور-السميع و البصير-العلى و الكبير-اللطيف و الخبير-الغنى و الحميد-الرؤوف و الرحيم.و كلّ صفه تكمل ما يقترن بها.و تنسجم معها و تتناسب مع البحث الذى تناولته الآيه،كما مرّ سابقا.

٢-الآيات تدلّ على توحيد اللّه و على المعاد

إنّ الآيات السابقه،مثلما هى دليل على قدره اللّه تعالى و تأكيد لما وعد من نصر لعباده المؤمنين،و شاهد على حقّانيته المقدّسه التى استندت الآيات السالفه الذكر إليها،فهى دليل على توحيد اللّه و على المعاد،فإحياء الأرض بالمطر بعد موتها،و نموّ النبات فيها،و كذلك حياه الإنسان و موته شاهد على البعث و النشور.

و معظم الآيات عرضت هذه الأدله فى البرهنه على حقيقه المعاد يوم القيامه.

و قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَكَفُورٌ تأكيد على إصرار المعاندين على الكفر، ففى صيغه المبالغه«كفور» دلاله على هذا العناد،فهذا الإنسان منكر لفضل ربّه مع مشاهدته لآياته العظيمه،و مصرّ على الانحراف عن هداه و نور رحمته الواسعه.

۳–تسخیر الأرض و السّماء للإنسان:

لقد سخّر اللّه هذه الموجودات للإنسان و ذلّلها لمصالحه.(و قد بیّنا هذا الموضوع مفصّلا فی تفسیر الآیه(۱۲)إلی(۱۴)من سوره النحل،و فی تفسیر الآیه الثّانیه من سوره الرعد).

و جاء ذکر السفن فی البحار و المحیطات بین النعم،لأنّها کانت أهمّ وسیله للنقل و التجاره،و لم تحلّ محلّها أیّه وسیله أرخص منها حتّی الآن.و لو توقّفت هذه السفن یوما لا ختلّت منافع البشر،فالطرق البریّه لا تسدّ حاجه الإنسان إلی النقل و الانتقال،خاصّه فی العصر الحاضر الزاخر بالاحتیاج إلی النفط المحمول فی السن التی لا تفتر عن الحرکه،لتدیر عجله الصناعه فی العالم.و لقد تجلّت هذه النعمه الیوم أکثر،فما تعدل عشرات الآلاف من الصهاریج السیّاره فی البرّ ناقله نفط عملاقه،و نقل النفط بواسطه الأنابیب النفطیّه لا یستوعب إلاّ مناطق محدوده من العالم.

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ۶٧ الى ٧٠]

اشاره

لِكُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ فَلا يُنازِعُنَّكَ فِی اَلْأَمْرِ وَ اُدْعُ إِلی رَبِّکَ إِنَّکَ لَعَلی هُدیً مُسْتَقِیمٍ (۶٧) وَ إِنْ جادَلُوکَ فَقُلِ اَللّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (۶٨) اَللّهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ فِیما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ (۶٩) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّهَ یَعْلَمُ ما فِی اَلسَّماءِ وَ اَلْأَرْضِ إِنَّ ذلِکَ فِی کِتابٍ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اَللّهِ یَسِیرٌ (٧٠)

التّفسير

اشاره

لكلّ أمّه عباده:

تناولت البحوث السابقه المشركين خاصّه، و مخالفی الإسلام عامّه،ممّن جادلوا فيما أشرق به الإسلام من مبادئ نسخت بعض تعاليم الأديان السابقه.

و كانوا يرون من ذلک ضعفا فی الشريعه الإسلاميه،و قوّه فی أديانهم،فی حين أنّ ذلک لا يشكل ضعفا إطلاقا،بل هو نقطه قوّه و منهج لتكامل الأديان و لذا جاء الفصل الربّانی جلّيا لِكُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ (١) .

١- ١) -يرى بعض المفسّرين أنّ هذه الآيات تشير إلى ردّ لما أثاره المشركون من اعتراض قائلين:لماذا لا تأكلون الميته التی قتلها

«المناسک»-کما قلنا سابقا-جمع«منسک»أی مطلق العبادات،و من الممکن أن تشمل جمیع التعالیم الإلهیّه.لهذا فإنّ الآیه تبیّن أنّ لکلّ امّه شرعه و منهاجا یفی بمتطلّباتها بحسب الأحوال التی تعیشها،لکنّ ارتقاءها یستوجب تعالیم جدیده تلبّی مطامحها المترقّیه،و هذا ما صدعت به الآیه المبارکه و أنارته قائله: فَلاٰ یُنٰازِعُنَّکَ فِی الْأَمْرِ .فبما تقدّم لا ینبغی لهم منازعتک فی هذا الأمر.

وَ ادْعُ إِلیٰ رَبِّکَ إِنَّکَ لَعَلیٰ هُدیً مُسْتَقِیمٍ

.تخاطب الآیه النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم أن یا أیّها النّبی لا یؤثّر هؤلاء فی دعوتک الراشده باعتراضاتهم الضّاله، فالمهتدی إلی الصراط المستقیم أقوی من الضارب فی التیه.

فوصف«الهدی»بالاستقامه،إمّا تأکیدا لها،و إمّا إشاره إلی أنّها یمکن أن تتحقّق بطرق مختلفه،قریبها و بعیدها،مستقیمها و ملتویها،إلاّ أنّ الهدایه الإلهیّه أقربها و أکثرها استقامه.

ثمّ أضافت الآیه وَ إِنْ جٰادَلُوکَ فَقُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا تَعْمَلُونَ فلو استمرّوا فی جدالهم و منازعتهم معک،و لم یؤثّر فیهم کلامک. فقل لهم:انّ اللّه أعلم بأعمالکم، و ستحشرون إلیه فی یوم یعود الناس فیه إلی التوحید،و تحلّ جمیع الاختلافات لظهور الحقائق لجمیع الناس: اَللّٰهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ(یَوْمَ الْقِیٰامَهِ)فِیمٰا کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ (۱) .

و بما أنّ القضاء بین العباد یوم القیامه بحاجه إلی علم واسع بهم و اطّلاع دقیق بأعمالهم،ختمت الآیات هاهنا بقوله تعالی: أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا فِی السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ و إِنَّ ذٰلِکَ فِی کِتٰابٍ .

(۱)

اللّه،فی وقت تأکلون فیه المیته التی قتلتموها أنتم؟!فنزلت هذه الآیات لتردّ علیهم. إلاّ أنّه یستبعد أن تتضمّن هذه الآیات ذلک.لأنّ أکل المیته لم تسمح به شریعه-فی الظاهر-لما فیه من ضرر،حتّی یأتی القرآن لیؤیّد ذلک و یقول:لکلّ شریعه تعالیمها.

ص: ۳۹۴

---

۱ - ۱) -هذه الآیه قد تخاطب المخالفین للإسلام و النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و علی هذا فإنّ عباره اَللّٰهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ... قول اللّه علی لسان نبیّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و یمکن أن تخاطب جمیع المسلمین و المخالفین،و علی هذا تکون هذه الآیه ذات بیان خاص موجّه من اللّه إلی الجمیع.

أجل،إنّ جميع ذلك قد ثبت فى كتاب علم اللّه الذى لا حدود له،كتاب عالم الوجود و عالم العلّه و المعلول،عالم لا يضيع فيه شىء،فهو فى تغيير دائم،حتّى لو خرجت أمواج صوت ضعيف من حنجره إنسان قبل ألفى عام فانّها لا تنعدم،بل تبقى فى هذا الكتاب الجامع لكلّ شىء بدقّه.أى إنّ كلّ ما يجرى فى هذا الكون مسجّل فى لوح محفوظ هو لوح العلم الإلهى،و كلّ هذه الموجودات حاضره بين يدى اللّه سبحانه بجميع صفاتها و خصائصها.و هذا من معانى القدره الإلهيّه التى نلمسها فى قوله تعالى: إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ .

الآيات [سوره الحج (٢٢): الآيات ٧١ الى ٧۴]

اشاره

وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰاناً وَ مٰا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ مٰا لِلظّٰالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَ إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا اَلْمُنْكَرَ يَكٰادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ اَلنّٰارُ وَعَدَهَا اَللّٰهُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ (٧٢) يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ اَلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبٰاباً وَ لَوِ اِجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ اَلذُّبٰابُ شَيْئاً لاٰ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ اَلطّٰالِبُ وَ اَلْمَطْلُوبُ (٧٣) مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اَللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧۴)

التّفسير

اشاره

معبودات أضعف من ذبابه!

تابعت هذه الآيات الأبحاث السابقه عن التوحيد و الشرك،فتحدّثت ثانيه عن المشركين و أفعالهم الخاطئه،فتقول الآيه الأولى: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لَمْ

يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً

و هذا يبيّن بطلان عقيده الوثنيين الذين كانوا يرون أنّ اللّه سمح لهم بعباده الأوثان و أنّها تشفع لهم عند اللّه.و تضيف الآيه وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ أى يعبدون عباده لا يملكون دليلا على صحّتها لا من طريق الوحى الإلهى،و لا من طريق الاستدلال العقلى،و من لا يعمل بدليل يظلم نفسه و غيره،و لا أحد يدافع عنه يوم الحساب،لهذا تقول الآيه فى ختامها: وَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ .

قال بعض المفسّرين:إنّ النصير هنا الدليل و البرهان،لأنّ المعيّن الحقيقى هو الدليل ذاته (۱) .

كما يحتمل أن يكون النصير مرشدا و مكمّلا للبحث السابق،أى أنّ المشركين لا يدعمهم دليل إلهى و لا عقلى،و ليس لهم قائد و لا مرشد و لا معلّم يهديهم و يسدّدهم للحقّ الذى فقدوا حمايته و الاستناره به،بظلمهم أنفسهم،و لا خلاف بين هذه التفاسير الثلاثه التى يبدو أنّ أوّلها أكثر وضوحا من غيره.

و تشير الآيه الثّانيه موضع البحث إلى عناد الوثنيين و استكبارهم عن الاستجابه لآيات اللّه تعالى،فى جمله وجيزه لكنّها ذات دلالات كبيره: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ (۲) .

و هنا يسفر التناقض بين المنطق القرآنى القويم و تعصّب الجاهليه الذى لا يرضخ للحقّ و لا يفتح قلبه لندائه الرحيم،فما تليت عليهم آيات ربّهم إلاّ ظهرت علائم الاستكبار عنها فى وجوههم حتّى إنّهم يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا أى كأنّهم يريدون مهاجمه الذين يتلون عليهم آيات اللّه- عزّ و جلّ-و ضربهم بقبضات أيديهم،تنفيسا عن التكبّر البغيض فى قراره أنفسهم.

كلمه«يسطون»مشتقّه من«السطوه»أى رفع اليد و مهاجمه الطرف الآخر، و هى فى الأصل-كما قال الراغب الاصفهانى فى مفرداته-قيام الفرس على

ص: ۳۹۷

۱- ۱) -الميزان،و تفسير الفخر الرازى،فى تفسير الآيه موضع البحث.

۲- ۲) -«المنكر»مصدر ميمى يعنى الإنكار،و بما أنّ الإنكار أمر باطنى لا يمكن مشاهدته،فالمراد هنا علائمه و نتائجه.

رجليه و رفع يديه،ثمّ استعملت بالمعنى الذى ذكرناه.

و لو فكّر الإنسان منطقيّا لما أغضبه حديث لا يرضاه،و لما ثار مقطّبا متهيّئا للهجوم على محدّثه مهما خالفه.بل يحاول ردّه ببيان منطقى.

و انفعال المشركين على النحو المتقدّم دليل على انهيار تفكيرهم و غلبه الجهل و الباطل عليهم.

و عباره يَكادُونَ يَسْطُونَ التى تتألّف من فعلين مضارعين،دليل على استمرار حاله الهجوم و السباب فى ذات المشركين و تأصّلها فيهم،فتاره يفعلونه، و أخرى تبدو علائمه على وجوههم حين لا تسمح به الأحوال.

و قد أمر القرآن المجيد الرّسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم أن يجبه هؤلاء المتغطرسين هاتفا قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ النّٰارُ (1) .

أى إن زعمتم أنّ هذه الآيات البيّنات شرّ،لأنّها لا تنسجم مع أفكاركم المنحرفه،فإنّنى أخبركم بما هو شرّ منها،ألا و هو عقاب اللّه الأليم،النّار التى أعدّها اللّه جزاء وَعَدَهَا اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ .أجل،إنّ النّار المحرقه لأسوإ مكان للمتشدّدين الحادّى المزاج الذين أحرقت نار عصبيّتهم و لجاجهم قلوبهم،لأنّ العقاب الإلهى يتناسب دائما مع كيفيه الذنب و العصيان.

و ترسم الآيه الآتيه صوره معبّره لما كان عليه الوثنيون،و ما يعبدونه من أشياء ضعيفه هزيله تكشف عن بطلان آراء المشركين و عقيدتهم،مخاطبه للناس جميعا خطابا هاديا أن يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ و تدبّروا فيه جيدا إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبٰاباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ .

أجل،لو اجتمعت الأوثان كلّها،و حتّى العلماء و المفكّرين و المخترعين

ص:398

1- 1) -إنّ«النّار»هنا خبر لمبتدأ محذوف تقديره:هى النّار،و احتمل البعض أنّ النّار مبتدأ و جمله«وعدها اللّه»خبر لها،إلاّ أنّ القول الأوّل هو الأصوب. و فعل«وعد»أخذ هنا مفعولين،الأوّل«الذين كفروا»الذى تأخّر و الثّانى«الهاء»التى تقدّمت ذلك للتخصيص.

جمیعا،لما استطاعوا خلق ذبابه.فکیف تجعلون أوثانکم شرکاء لخالق السموات و الأرض و ما فیهنّ من آلاف مؤلّفه من أنواع المخلوقات فی البرّ و البحر،فی الصحاری و الغابات،و فی أعماق الأرض؟اللّه الذی خلق الحیاه فی أشکال مختلفه و صور بدیعه و متنوّعه بحیث أنّ کلّ مخلوق من المخلوقات یثیر فی الإنسان کلّ الإعجاب و التقدیر،فأین هذه الآلهه الضعیفه من اللّه الخالق القادر الحکیم المتعال؟ و تستکمل الآیه البیان عن ضعف الأوثان و عجزها المطلق و أنّها لیست غیر قادره علی خلق ذبابه فحسب،بل وَ إِنْ یَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَیْئاً لا یَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ کأنّ الآیه تهتف فیهم:ما الدافع لجعل موجود ضعیف تهزمه الذبابه حاکما علیکم و حلاّلا لمشاکلکم؟! و یعلو صدی الحقّ فی تقریر ضعف الوثن و عبدته فی قوله تعالی: ضَعُفَ الطّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ .

و قد ورد فی الرّوایات أنّ الوثنیین من قریش نصبوا أوثانهم حول الکعبه، و أغرقوها بالمسک و العنبر و أحیانا بالزعفران و العسل،و طافوا حولها و هم یردّدون(لبّیک اللهمّ لبّیک،لبّیک لا شریک لک،إلاّ شریک هو لک تملکه و ما ملک)! و الانحیاز عن التوحید واضح فی هذه التلبیه،و الشرک مؤکّد فیها،فقد جعلوا هذه الموجودات التافهه شرکاء للّه الواحد الأحد،و هم یرون الذّباب یحوم علیها و یسرق منها العسل و الزعفران و المسک دون أن تستطیع إعاده ما سلب منها! و قد عرض القرآن المجید هذه الصوره لیکشف عن ضعف هذه الأوثان، و تفاهه منطق المشرکین فی تسویغ عبادتهم لهذه الأوثان،و ذکرّهم بعجز آلهتهم عن استعاده ما سرقه الذباب منها و عدم قدرتها علی الدفاع عن نفسها لعلّهم ینتبهون علی تفاهه ما یعبدون من دون اللّه تعالی.

أمّا ما المراد من«الطالب»و«المطلوب»؟

الصحيح هو ما سبق أن قلناه من أنّ الطالب هو عبده الأوثان،و المطلوب هو الأوثان ذاتها،و كلاهما لا يقدر على شيء.

و قال البعض:إنّ الطالب هو الذّباب،و المطلوب الأصنام(لأنّ الذباب يجتمع عليها ليسلب منها غذاءه).

و قال الآخرون:الطالب هو الأصنام،و المطلوب هو الذباب(لأنّه لو فكّرت الأصنام فى خلق ذبابه واحده لما استطاعت ذلك)و أصحّ هذه التفاسير هو الأوّل.

و بعد أن عرض القرآن الكريم هذه المثال الواضح الدافع،قرّر حقيقه مهمّه، و هى مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ .

فالمشركون لو كانوا على أدنى معرفه باللّه تعالى لما أنزلوا قدره إلى مستوى هذه الآلهه الضعيفه العاجزه و لما جعلوا مصنوعاتهم شركاء له،تعالى عمّا يفعلون علوّا كبيرا،و لو كان لديهم أدنى معرفه بقدره اللّه لضحكوا من أنفسهم و سخروا من أفكارهم.و تقول الآيه فى النهايه: إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ .

أجل،إنّ اللّه قادر على كلّ شيء و لا مثيل لقدرته و لا حدّ،فهو ليس كآلهه المشركين التى لو اجتمعت لما تمكّنت من خلق ذبابه،بل ليس لها القدره على إعاده ما سلبه الذباب منها.

بحث

اشاره

مثال واضح لبيان نقاط الضعف:

يرى عدد من المفسّرين أنّ القرآن جاء بمثل فى آياته المذكوره آنفا،إلّا أنّه لم يبيّن المثل بصراحه،بل أشار إلى مواضع أخرى فى القرآن،أو أنّ المثل هنا جاء لإثبات أمر عجيب،و ليس بمعنى المثل المعروف.

و لا شكّ فى أنّ هذا خطأ،لأنّ القرآن دعا عامّه الناس إلى التفكّر فى هذا

المثل.و هذا المثل هو ضعف الذبابه من ناحيه،و قدرتها على سلب ما لدى الأوثان،و عجز هذه الأوثان عن استرداد ما سلبه الذباب منها،و هذا المثل ضرب للمشركين من العرب،لكنّه يعنى الناس جميعا و لا يخصّ الأصنام،بل يعمّ جميع ما دون اللّه تعالى،من فراعنه و نمارده،و مطامع و أهواء،و جاه و ثروه.فكلّها ينطبق عليها المثل،فلو تكاتفوا و جمعوا عساكرهم و ما يملكون من وسائل و طاقات،لما تمكّنوا من خلق ذبابه،و لا من استعاده ما سلب الذباب منهم.

سؤال و جواب:

قد يقال:إنّ اختراعات العصر الحديث قد تجاوزت أهمّيه خلق ذبابه بمراتب كبيره! فوسائل النقل السريعه التى تسبق الريح و تقطع المسافات الشاسعه فى طرفه عين،و الأدمغه الألكترونيه و أدقّ الأجهزه الحديثه بإمكانها حلّ المعضلات الرياضيه بأسرع وقت ممكن،لا تدع قيمه لهذا المثل فى نظر إنسان العصر.

و جواب ذلك هو أنّ صنع هذه الأجهزه-بلا شكّ-يبهر العقول،و هو دليل على تقدّم الصناعه البشريه تقدّما مدهشا،و لكنّه يهون مقابل خلق كائن حى مهما كان صغيرا،فلو درسنا حياه حشره كالذبابه و نشاطها البايولوجى بدقّه،لرأينا أنّ بناء مخّ الذبابه و شبكه أعصابها و جهاز هضمها أعلى بدرجات من أعقد الطائرات، و أكثر تجهيزا منها،و لا يمكن مقارنتها بها.

و ما زال فى قضيّه الحياه و إحساس و حركه المخلوقات أسرار غامضه على العلماء،و هذه المخلوقات و تركيبها البايولوجى،هى نفسها غوامض لم تحل بعد.

و قد ذكر علماء الطبيعه أنّ عينى هذه المخلوقات الصغيره جدّا،كالحشرات- مثلا-تتركّب من مئات العيون!فالعينان اللتان تبدوان لنا إثنتين لا أكثر،هما مؤلّفتان من مئات العيون الدقيقه جدّا،و يطلق على مجموعها العين المركبه،فلو

فرضـنا أنّ الإنسـان صـنع موادّ من أجزاء الخليّه التى لا ـ حيـاه فيهـا،فكيف يتمكّن من صـنع مئـات العيون الصـغيره التى لكلّ منها ناظورهـا الـدقيق،و قـد رصّت طبقاتها بعضـها إلى بعض،و ربطت أعصابها بمـخّ الحشـره لتنقل المعلومات إليها، و لتقوم بردّ فعل مناسب لما يحدث حولها؟ لن يستطيع الإنسان خلق مثل هذا الكائن الذى يبدو تافها مع أنّه عالم مفعم بالأسرار البالغه الغموض.و لو فرضـنا أنّ الإنسان بلغ ذلك،فلا يسـمّى إنجازه المفترض خلقا،لأنّه لم يتعـدّ التجميع لأجهزه متوفّره فى هـذا العالم.فمن يركّب قطع السيّاره لا يسمّى مخترعا.

ص :۴۰۲

الآیات [سوره الحج (۲۲): الآیات ۷۵ الی ۷۸]

اشاره

اَللّٰهُ یَصْطَفِی مِنَ اَلْمَلاٰئِکَهِ رُسُلاً وَ مِنَ اَلنّٰاسِ إِنَّ اَللّٰهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (۷۵) یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ إِلَی اَللّٰهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۷۶) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِرْکَعُوا وَ اُسْجُدُوا وَ اُعْبُدُوا رَبَّکُمْ وَ اِفْعَلُوا اَلْخَیْرَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۷۷) وَ جٰاهِدُوا فِی اَللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هُوَ اِجْتَبٰاکُمْ وَ مٰا جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی اَلدِّینِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّهَ أَبِیکُمْ إِبْرٰاهِیمَ هُوَ سَمّٰاکُمُ اَلْمُسْلِمِینَ مِنْ قَبْلُ وَ فِی هٰذٰا لِیَکُونَ اَلرَّسُولُ شَهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَی اَلنّٰاسِ فَأَقِیمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ آتُوا اَلزَّکٰاهَ وَ اِعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ هُوَ مَوْلاٰکُمْ فَنِعْمَ اَلْمَوْلیٰ وَ نِعْمَ اَلنَّصِیرُ (۷۸)

سبب النّزول

ذکر بعض المفسّرین أنّ المشرکین و علی رأسهم«الولید بن المغیره»،کانوا عند ما بعث اللّه الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم،یقولون مستنکرین:«أ أنزل علیه الذکر من بیننا»؟! فنزلت الآیه الأولی من الآیات أعلاه لتردّ علیهم اَللّٰهُ یَصْطَفِی مِنَ اَلْمَلاٰئِکَهِ رُسُلاً

ص:۴۰۳

وَ مِنَ النّٰاسِ إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

(١)

.

التّفسير

اشاره

خمسه تعاليم بنّاءه و مهمّه:

بما أنّ الآيات السابقه تناولت بحث التوحيد و الشرك و آلهه المشركين الوهميّه. و بما أنّ بعض الناس قد اتّخذوا الملائكه أو بعض الأنبياء آلهه للعباده، فانّ أوّل الآيات موضع البحث تقول بأنّ جميع الرسل هم عباد اللّه و تابعون لأمره:

اَللّٰهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاٰئِكَهِ رُسُلاً وَ مِنَ النّٰاسِ

.

أجل،اختار اللّه من الملائكه رسلا كجبرئيل،و من البشر رسلا كأنبياء اللّه الكبار.و«من»هنا للتبعيض،و تدلّ على أنّ جميع ملائكه اللّه لم يكونوا رسلا إلى البشر،و لا يناقض هذا التعبير الآيه الأولى من سوره فاطر،و هى جٰاعِلِ الْمَلاٰئِكَهِ رُسُلاً لأنّ غايه هذه الآيه بيان الجنس لا العموم و الشموليه.

و ختام الآيه إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ أى إنّ اللّه ليس كالبشر،لا يعلمون أخبار رسلهم فى غيابهم،بل إنّه على علم بأخبار رسله لحظه بعد أخرى،يسمع كلامهم و يرى أعمالهم.

و تشير الآيه الثّانيه إلى مسئوليه الأنبياء فى إبلاغ رسالهِ اللّه من جهه،و مراقبه اللّه لأعمالهم من جهه أخرى،فتقول: يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ إنّه يعلم ماضيهم و مستقبلهم وَ إِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فالجميع مسئولون فى ساحه قدسه.

ليعلم الناس أنّ ملائكه اللّه سبحانه و أنبياءه عليهم السّلام عباد مطيعون له مسئولون بين يديه،لا يملكون إلّا ما وهبهم من لطفه،و قوله تعالى: يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إشاره إلى واجب و مسئوليه رسل اللّه و مراقبته سبحانه لأعمالهم،كما جاء فى

١- ١) -تفاسير القرطبى،و أبو الفتوح الرازى،و الفخر الرازى،و روح المعانى.

الآیتین(۲۷)و ۲۸)من سوره الجن فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسٰالاٰتِ رَبِّهِمْ وَ أَحٰاطَ بِمٰا لَدَیْهِمْ (۱) .

و قد اتّضح بهذا أنّ القصد من عباره مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ هو الأحداث المستقبله و مٰا خَلْفَهُمْ الأحداث الماضیه.

الآیتـان التالیتـان همـا آخر آیـات سوره الحـجّ حیث تخاطبـان المؤمنین و تبیّنان مجموعه من التعالیم الشامله التی تحفظ دینهم و دنیاهم و انتصارهم فی جمیع المیادین،و بهذه الروعه و الجمال تختتم سوره الحجّ.

فی البدایه تشیر الآیه إلی أربعه تعلیمات یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ارْکَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّکُمْ وَ افْعَلُوا الْخَیْرَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ و قد بیّنت الآیه رکنین من أرکان الصلاه،الرکوع و السجود لأهمیتهما الاستثنائیه فی هذه العباده العظیمه.

و الأمر بعباده اللّه-بعد الأمر بالرکوع و السجود-یشمل جمیع العبادات.

و لفظ«ربّکم»إشاره إلی لیاقته للعباده و عدم لیاقه غیره لها،لأنّه سبحانه و تعالی مالک عبیده و جمیع مخلوقاته و مربّیهم.

و الأمر بفعل الخیر یشـمل أعمال الخیر دون قیـد أو شـرط،و ما نقل عن ابن عبّاس من أنّ هـذه الآیه تتناول صـله الرحـم و مکارم الأخلاق هو بیان مصداق بارز لمفهوم الآیه العامّ.

ثمّ یصدر اللّه أمره الخاص بالجهاد بالمعنی الشامل للکلمه،فیقول عزّ من قائل: وَ جٰاهِدُوا فِی اللّٰهِ .

و معظم المفسّـرین لم یخصّوا هـذه الآـیه بالجهاد المسـلّح لأعـداء اللّه،بل فسّـروها بما هی علیه من معنی لغوی عامّ،بکلّ نوع من الجهاد فی سبیل اللّه

ص:۴۰۵

۱- ۱) -العلاّمه الطباطبائی فی تفسـیر المیزان ذیل الآیات موضع البحث،یعتبر جمله یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ إشاره إلی عصـمه الأنبیاء و حمایه اللّه لهم،و مع ملاحظه ما ذکرناه أعلاه فإنّ هذا التّفسیر یبدو بعیدا نوعا ما.

و الاستجابه له و ممارسه أعمال البرّ و الجهاد مع النفس(الجهاد الأكبر)و جهاد الأعداء و الظلمه(الجهاد الأصغر).

نقل العلاّمه الطبرسی رحمه اللّه فی«مجمع البیان»عن معظم المفسّرین قولهم:إنّ القصد من«حق الجهاد»الإخلاص فی النیّه و القیام بالأعمال للّه خالصه.و لا شکّ فی أنّ حقّ الجهاد له معنی واسع یشمل الکیف و النوع و المکان و الزمان و سواها، و لکن مرحله«الإخلاص فی النیّه»هی أصعب مرحله فی جهاد النفس،لهذا أکّدتها الآیه،لأنّ عباد اللّه المخلصین فقط هم الذین لا تنفذ إلی قلوبهم و أعمالهم الوساوس الشیطانیه،رغم قوّه نفاذها و خفائها.

و القرآن المجید یبدأ تعلیماته الخمسه من الخاصّ إلی العامّ،فبدأ بالرکوع فالسجود،و انتهی بالعباده بمعناها العامّ الذی یشمل أعمال الخیر و الطاعات و العبادات و غیرها.و فی آخر مرحله تحدّث عن الجهاد و المساعی الفردیّه و الجماعیه باطنا و ظاهرا،فی القول و العمل،و فی الأخلاق و النیّه.

و الاستجابه لهذه التعلیمات الربّانیه مدعاه للفلاح.

و لکن قد یثار سؤال هو:کیف یتحمّل الجسم النحیف هذه الأعمال من المسؤولیات و التعلیمات الشامله الوسعه؟و لهذا تجیب بقیّد الآیه الشریفه ضمنا عن هذه الاستفهامات،و انّ هذه التعلیمات دلیل الألطاف الإلهیّه التی منّها سبحانه و تعالی علی المؤمنین لتدلّ علی منزلتهم العظیمه عنده سبحانه.فتقول الآیه أوّلا:

هُوَ اجْتَبٰاکُمْ

.

أی حمّلکم هذه المسؤولیات باختیارکم من بین خلقه.

و العباره الاخری قوله جلّ و علا: وَ مٰا جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی الدِّینِ مِنْ حَرَجٍ أی إذا دقّقتم جیدا لم تجدوا صعوبه فی التکالیف الربّانیه لانسجامها مع فطرتکم التی فطرکم اللّه علیها،و هی الطریق إلی تکاملکم، و هی ألذّ من الشهد،لأنّ کلّ واحده منها له غایه و منافع تعود علیکم.

و ثالث عباره مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْرٰاهِيمَ إنّ إطلاق كلمه«الأب»على «إبراهيم»عليه السّلام،إمّا بسبب كون العرب و المسلمين آنذاك من نسل إسماعيل عليه السّلام غالبا،و إمّا لكون إبراهيم عليه السّلام هو الأب الروحى للموحّدين جميعا على الرغم من خلط المشركين دينه الحنيف بأنواع من الخرافات الجاهليه آنذاك.

و يليها تعبير هُوَ سَمّٰاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هٰذٰا أى هو سمّاكم المسلمين فى الكتب السماويه السابقه،و فى هذا الكتاب السماوى أيضا(القرآن)،و إنّ المسلم ليفتخر بأنّه قد أسلم نفسه للّه فى جميع أوامره و نواهيه.

و قد اختلف المفسّرون لمن يعود ضمير(هو)فى العباره السابقه،فقال البعض منهم:إنّه يعود إلى اللّه تعالى،أى إنّ اللّه سمّاكم فى الكتب السماويه السابقه و القرآن بهذا الاسم الذى هو موضع فخركم،و يرى آخرون أنّ ضمير(هو)يعود إلى إبراهيم عليه السّلام و يستدلّون بالآيه(١٢٨)من سوره البقره حيث نادى إبراهيم عليه السّلام ربّه بعد إتمامه بناء الكعبه قائلا: رَبَّنٰا وَ اجْعَلْنٰا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَكَ .

و نحن نرى أنّ التّفسير الأوّل أصوب،لأنّه ينسجم مع آخر الآيه ذاتها حيث يقول: هُوَ سَمّٰاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هٰذٰا أى هو سمّاكم المسلمين فى الكتب السماويه السابقه و القرآن المجيد،و هذا القول يناسب اللّه عزّ و جلّ و لا يناسب إبراهيم عليه السّلام .(١)

و خامس عباره خصّ بها المسلمين و جعلهم قدوه للأمم الاخرى،هى قوله المبارك: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ .

و«الشهيد»هو الشاهد،و هى كلمه مشتقّه من شهود،بمعنى اطلاع المرء على

١- ١) -إنّ هذا الدين سمّاه القرآن المجيد بصراحه واضحه(الإسلام)كما جاء فى الآيه الثّالثه من سوره المائده وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاٰمَ دِيناً .كما ذكرت آيات عديده الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم باعتباره أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ الأنعام، ١٤.الزمر، ١٢.

أمر أو حدث شهده بنفسه.و كون الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم شاهدا على جميع المسلمين يعنى اطلاعه على أعمال أمّته،و ينسجم هذا المفهوم مع حديث(عرض الأعمال)و بعض الآيات القرآنيه التى أشارت إلى ذلك،حيث تعرض أعمال أمّه محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم عليه فى نهايه كل أسبوع فتطلع روحه الطاهره عليها جميعا،فهو شاهد على أمّته.

و ذكرت بعض الأحاديث أنّ معصومى هذه الامّه الأئمّه الطاهرين عليهم السّلام هم أيضا شهود على أعمال الناس،نقرأ

فى حديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام قوله: «نحن حجج اللّه فى خلقه و نحن شهداء اللّه و أعلامه فى بريته» (1)

.

فى الحقيقه إنّ المخاطب فى عباره«لتكونوا»و حسب ظاهر الكلمه هو الامّه جميعا،و قد يكون المراد قاده هذه الامّه،فمخاطبه الكلّ و إراده الجزء أمر متعارف فى المحادثه اليوميه.و مثال ذلك ما جاء فى الآيه(٢٠)من سوره المائده وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً .حيث نعلم أنّ عددا قليلا منهم أصبحوا ملوكا.

و هناك معنى آخر لكلمه شهود،هى«الشهاده العمليّه»أى كون أعمال الفرد أنموذجا للآخرين و قدوه لهم،و هكذا يكون جميع المسلمين الحقيقيين شهودا، لأنّهم أمّه تقتدى بهم الأمم بما لديهم من دين يمكنهم أن يكونوا مقياسا للسمو و الفضل بين جميع الأمم.

و

جاء فى حديث عن الرّسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم: «إذا بعث اللّه نبيّا جعله شهيدا على قومه،و إنّ اللّه تبارك و تعالى جعل أمّتى شهداء على الخلق،حيث يقول:

ليكون الرّسول شهيدا عليكم،و تكونوا شهداء على الناس» (2) .

أى كما يكون النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم قدوه و أسوه حسنه لامّته،تكونون أنتم أيضا أسوه و قدوه للناس،و هذا التّفسير لا يناقض الحديث السابق فجميع الامّه شهداء،

---

۱ – ۱) –كتاب«إكمال الدين»للشيخ الصدوق حسبما نقل عنه تفسير نور الثقلين،المجلّد الثّالث،صفحه ۵۲۶.كما أكّدت ذلك أحاديث أخرى فى هذا المجال.

۲– ۲) –تفسير البرهان،المجلّد الثّالث،صفحه ۱۰۵.

و الأئمّه الطاهرين شهود ممتازون على هذه الامّه (۱) .

و إعاده الآيه فى ختامها بشكل مركّز الواجبات الخمسه فى ثلاث جمل هى فَأَقِيمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّكٰاهَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ فانّ اللّه هو قائدكم و ناصركم و معينكم: هُوَ مَوْلاٰكُمْ و فَنِعْمَ الْمَوْلىٰ وَ نِعْمَ النَّصِيرُ .

و الحقيقه أنّ جمله فَنِعْمَ الْمَوْلىٰ وَ نِعْمَ النَّصِيرُ دليل على عباره وَ اعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ هُوَ مَوْلاٰكُمْ أى إنّ اللّه أمركم بالاعتصام به لكونه خير الموالى و أجدر الأعوان.

ربّنا:تفضّل علينا بالتوفيق للاعتصام بذاتک المقدّسه،و لنكون أسوه فى الارتباط بالخالق و الخلق،و قدوه و شاهدا على الآخرين،و وفّقنا لإكمال هذا التّفسير الجامع و النموذجى لكتابک المنزل.

ربّنا:كما دعوتنا فى قرآنک الكريم و فى كتبک السماويه الاخرى بالمسلمين، فوفّقنا للتسليم لأمرک،و أمحض لنا طاعتک.

ربّنا:انصرنا على أعدائک و أعداء دينک الذين أرادوا بالإسلام و القرآن كيدا، فأنت نعم المولى و نعم النصير.

نهايه سوره الحجّ

ص:۴۰۹

۱- ۱) -شرحنا ذلک بإسهاب فى آخر الآيه(۱۴۳)من سوره البقره،و كذلک فى تفسير الآيه(۴۱)من سوره النساء.

سوره المؤمنين

اشاره

مكيّه و عدد آياتها مائه و ثمانى عشره آيه

ص: ۴۱۱

فضيله سوره المؤمنون:

ذكرت أحاديث مرويه عن الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أئمّه أهل البيت عليهم السّلام فضائل لهذه السوره.

فعن النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم «من قرأ سوره المؤمنين،بشّرته الملائكه يوم القيامه بالروح و الريحان و ما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت» (۱) .

و

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام «من قرأ سوره المؤمنين ختم اللّه له بالسعاده إذا كان يدمن قراءتها فى كلّ جمعه،و كان منزله فى الفردوس الأعلى مع النبيّين و المرسلين» (۲) .

و نؤكّد أنّ فضيله السوره،ليست فقط فى تلاوتها،و إنّما يجب أن يرافق ذلك التمعّن فى معانيها و العمل بما أوجبته،لأنّ هذا الكتاب يبنى الذات الإنسانيه و يربّيها،فهو برنامج عملى لتكامل الإنسان،و لو طابق المرء برنامجه العملى مع محتوى هذه السوره-حتّى إن طابق مع آياتها الأولى التى تبيّن صفات المؤمنين -لنال النصيب الأوفر من لدن العلى القدير.

لهذا ذكر

فى روايه عن الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال حين نزلت الآيات الأولى من هذه السوره: «لقد أنزل إلىّ عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنّه» (۳) .

ص: ۴۱۳

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان،المجلّد السابع،صفحه ۹۸.

۲- ۲) -روح المعانى،المجلّد الثامن عشر،صفحه ۲.

۳- ۳) -روح المعانى،المجلّد الثامن عشر،صفحه ۲.

عباره«أقام»التی ذکرت مکان«قرء»تعبّر عن الحقیقه التی ذکرناها أعلاه، فالهدف تطبیق ما تضمّنته هذه الآیات و لیس تلاوتها فقط.

مضمون سوره المؤمنین:

القسم المهمّ من هذه السوره-کما یبدو من اسمها-تحدّث عن صفات المؤمنین البارزه،ثمّ تناولت السوره العقیده و العمل بها،و هی تتمّه لتلک الصفات.

و یمکن إجمالا تقسیم مواضیع هذه السوره إلی الأقسام التالیه:

القسم الأوّل:یبدأ بالآیه قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ و ینتهی بعدد من الآیات التی تذکر صفات هی مدعاه لفلاح المؤمنین،و هذه الصفات دقیقه و شامله تغطّی جوانب الحیاه المختلفه للفرد و المجتمع.

و بما أنّ أساسها الإیمان و التوحید،فقد أشار القسم الثّانی من هذه المواضیع إلی علائم أخری للمؤمنین،التوحید و آیات عظمه اللّه و جلاله فی عالم الوجود، فعدّدت نماذج لذلک العالم العجیب فی خلق السّماء و الأرض و الإنسان و الحیوان و النبات.

و لإتمام الجوانب العملیّه،شرح القسم الثّالث ما حدث لعدد من کبار الأنبیاء، کنوح و هود و موسی و عیسی علیهم السّلام،و بیّن شرائح من تأریخ حیاتهم للعبره و الموعظه.

و فی القسم الرّابع وجّه الخطاب سبحانه و تعالی إلی المستکبرین یحذّرهم ببراهین منطقیّه تاره،و أخری بتعابیر دافعه عنیفه،لیعید القلوب إلی طریق الصواب بالعوده إلیه عزّ و جلّ.

و بیّن القسم الخامس-فی بحث مرکّز-المعاد.

و تناول القسم السادس سیاده اللّه علی عالم الوجود،و إطاعه العالم و لأوامره.

ص :۴۱۴

و أخيرا تناول القسم السابع حساب يوم القيامه،و جزاء الخير للمحسنين، و عقاب المذنبين.و ينهى السوره ببيان الغايه من خلق الإنسان.

فالسوره مجموعه من دروس العقيده و العمل،و قضايا التوعيه و شرح لنهج المؤمنين من البدايه حتّى النهايه.

إنّ هذه السوره-كما سبق أن ذكرنا-نزلت فى مكّه،إلاّ أنّ بعض المفسّرين ذكروا أنّ عددا من آياتها نزل فى المدينه،و كان الدافع لذلك وجود آيه الزكاه فيها،لأنّ الزكاه شرّعت لأوّل مرّه فى المدينه اثر نزول الآيه خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً التوبه(١٠٣)،حيث أمر الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم بجمع الزكاه من المسلمين.

إلاّ أنّه يجب الانتباه إلى أنّ للزكاه مفهوما واسعا يشمل الواجب و المستحبّ، و لا يتحدّد معناه بالزكاه الواجبه فقط،لهذا نقرأ فى الأحاديث أنّ الصلاه و الزكاه مترادفتان (١) .

و إضافه إلى ذلك فإنّ بعض المفسّرين يرون أنّ الزكاه كانت واجبه فى مكّه أيضا،غير أنّها كانت بصوره مجمله أوجبت على كلّ مسلم مساعده المحتاجين بمقدار من ماله،ثمّ أصبحت وفق برنامج محدّد و دقيق بعد تشكيل الحكم الإسلامى فى المدينه،حيث حدّد نصابها،و عيّن العاملين عليها،و بعثهم الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم إلى المناطق الإسلاميه لجمع الزكاه (٢) .

١- ١) -جاء فى حديث عن الإمام الباقر و الإمام الصادق عليهما السّلام:«فرض اللّه الزكاه مع الصلاه».

٢- ٢) -تفسير روح المعانى،المجلّد الثامن عشر،صفحه ٢.

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١ الى ١١]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ اَلْمُؤْمِنُونَ (١) اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ (٢) وَ اَلَّذِينَ هُمْ عَنِ اَللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَ اَلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكٰاةِ فٰاعِلُونَ (٤) وَ اَلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حٰافِظُونَ (٥) إِلاّٰ عَلىٰ أَزْوٰاجِهِمْ أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ اِبْتَغىٰ وَرٰاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْعٰادُونَ (٧) وَ اَلَّذِينَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ (٨) وَ اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوٰاتِهِمْ يُحٰافِظُونَ (٩) أُولٰئِكَ هُمُ اَلْوٰارِثُونَ (١٠) اَلَّذِينَ يَرِثُونَ اَلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (١١)

التّفسير

اشاره

صفات المؤمنين البارزه:

إختيار اسم المؤمنين لهذه السوره-كما تقدّم-لأنّه جاء فى بدايتها آيات شرحت بعبارات وجيزه معبّره صفات المؤمنين،و ممّا يلفت النظر أنّها أشارت إلى مستقبل المؤمنين السعيد قبل بيان صفاتهم،استناره للشوق فى قلوب المسلمين

ص:۴۱۶

للوصول إلى هذا الفخر العظيم باكتساب صفه المؤمنين.تقول الآيه قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ .

كلمه«أفلح»مشتقّه من الفلح و الفلاح،و تعنى فى الأصل الحرث و الشقّ،ثمّ أطلقت على أى نوع من النصر و الوصول إلى الهدف و السعاده بشكل عام، و الحقيقه أنّ المنتصرين يزيلون من طريقهم كلّ الموانع و الحواجز لينالوا الفلاح و السعاده، و يشقّون طريقهم لتحقيق أهدافهم فى الحياه.و لكلمه الفلاح معنى واسعا بضمّ الفلاح المادّى و المعنوى،و يكون الاثنان للمؤمنين.

فالفلاح الدنيوى أن يحيا الإنسان حرّا مرفوع الرّسول عزيز النفس غير محتاج،و لا يمكن تحقيق كلّ ذلك إلاّ فى ظلال الإيمان و التمسّك باللّه و برحمته.

أمّا فلاح الآخره فهو الحياه فى نعيم خالد إلى جانب أصدقاء جديرين طاهرين، حياه العزّ و الرفعه.

و يلخّص الراغب الاصفهانى خلال شرحه هذه المفرده بأنّ الفلاح الدنيوى فى ثلاثه أشياء:البقاء و الغنى و العزّ،و أمّا الفلاح الاخروى ففى أربعه أشياء:بقاء بلا فناء،و غناء بلا فقر،و عزّ بلا ذلّ،و علم بلا جهل.

ثمّ تشرح الآيه هذه الصفات فتؤكّد قبل كلّ شىء على الصلاه فتقول: اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ .

«خاشعون»مشتقّه من خشوع،بمعنى التواضع و حاله التأدّب يتخذها الإنسان جسما و روحا بين يدى شخصيّه كبيره،أو حقيقه مهمّه تظهر فى الإنسان و تبدو علاماتها على ظاهر جسمه.

و القرآن اعتبر الخشوع صفه المؤمنين،و ليس إقامه الصلاه،إشاره منه إلى أنّ الصلاه ليست مجرّد ألفاظ و حركات لا روح فيها و لا معنى،و إنّما تظهر فى المؤمن حين إقامه الصلاه حاله توجّه إلى اللّه تفصله عن الغير و تلحقه بالخالق،و يغوص فى ارتباط مع اللّه،و يدعوه بتضرّع فى حاله تسود جسمه كلّه،فيرى نفسه ذرّه إزاء

الوجود المطلق لذات اللّه،و قطره فی محیط لا نهایه له.

لحظات هذه الصلاه درسا للمؤمن فی بناء ذاته و تربیتها،و وسیله لتهذیب نفسه و سمو روحه.

و

قد جاء فی حدیث عن الرّسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم حین شاهد رجلا یلهو بلحیته و هو یصلّی قوله:«أمّا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» (۱) .

إشاره منه صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلی أنّ الخشوع الباطنی یؤثّر فی ظاهر الإنسان.و کان کبار قاده المسلمین یؤدّون صلاتهم بخشوع حتّی تحسبهم فی عالم آخر،یذوبون فی اللّه،حیث نقرأ عنهم

فی حدیث عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم «إنّه کان یرفع بصره إلی السّماء فی صلاته،فلمّا نزلت الآیه طأطأ رأسه و رمی ببصره إلی الأرض» (۲) .

و ثانی صفه للمؤمنین بعد الخشوع ممّا تذکره الآیه وَ الَّذِینَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ حقّا نری جمیع حرکات و سکنات المؤمنین تتجّه لهدف واحد مفید و بنّاء،لأنّ«اللغو»یعنی الأعمال التافهه غیر المفیده،و کما قال بعض المفسّرین فإنّ اللغو کلّ قول أو عمل لا فائده فیه،و إذا فسّر البعض اللغو بالباطل.

و بعض فسّره بالمعاصی کلّها.

و آخر بمعنی الکذب.

و آخر:السباب أو السباب المتقابل.

و البعض الآخر قال:إنّه یعنی الغناء و اللهو و اللعب.

و آخر:إنّه الشرک.فإنّ هذه المعانی مصادیق ذلک المفهوم العام.

و طبیعی أنّ اللغو لا یشمل الأفعال و الکلام التافه فقط،و إنّما یعنی الآراء التافهه التی لا أساس لها،التی تنسی العبد ربّه و تشغله بها دون الأمور المفیده،إذن فاللغو یتضمّن کلّ هذا،و الحقیقه أنّ المؤمنین لم یخلقوا من أجل الانشغال بآراء

۱- ۱) -تفسیر الصافی،و تفسیر مجمع البیان،فی تفسیر الآیه موضع البحث.

۲- ۲) -تفسیر مجمع البیان،و تفسیر الفخر الرازی،للآیه موضع البحث.

باطله أو كلام تافه،بل هم معرضون عنها،كما قال القرآن الكريم.

و تشير الآيه الثّالثه إلى ثالث صفه من صفات المؤمنين الحقيقيين،و هى ذات جانب اجتماعى و مالى حيث تقول: وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاهِ فاعِلُونَ (۱) .

ربّما تكون السوره مكّيه،كما قلنا سابقا،نزلت فى وقت لم تشرّع فيه الزكاه بعد بمعناها المعروف،لذلك نجد اختلافا بين المفسّرين فى تفسير هذه الآيه، و لكن الذى يبدو أصوب هو أنّ الزكاه لا تنحصر بالزكاه الواجبه الأداء،و إنّما هناك أنواع كثيره منها مستحبّه،فالزكاه الواجبه شرعت فى المدينه،إلاّ أنّ الزكاه المستحبّه كانت موجوده قبل هذا.

و ذهب مفسّرون آخرون إلى احتمال أن تكون الزكاه واجبه كحكم شرعى فى مكّه لكن دون تحديد،حيث كان الواجب على كلّ مسلم مساعده المحتاجين بما يتمكّن،إلاّ أنّه أصبح للزكاه أسلوبها الخاص عقب تشكيل الحكم الإسلامى و تأسيس بيت مال المسلمين،حيث تحدّدت أنصبتها من كلّ محصول و مال.

و أصبح لها جباه يجبونها من المسلمين بأمر من الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

أمّا ما يراه بعض المفسّرين أمثال الفخر الرازى و الآلوسى فى«روح المعانى»و الراغب الاصفهانى فى مفرداته من أنّ الزكاه هنا تعنى عمل الخير أو تزكيه المال أو تطهير الروح،فبعيد،لأنّ القرآن المجيد كلّما ذكر الصلاه مع الزكاه يقصد بالزكاه الإنفاق المالى،و لو فسّرناه بغير هذا،فذلك يحتاج إلى قرينه واضحه لا توجد فى هذه الآيات.

و رابع صفه من صفات المؤمنين هى الطهاره و العفّه بشكل تامّ،و اجتناب أى معصيه جنسيه،حيث تقول الآيه: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (۲) يحفظونها

ص:۴۱۹

۱- ۱) -الزكاه تعنى هنا أنّ لها مصدرا،و لهذا استعملت عباره«فاعلون»بعدها.و قال مفسّرون آخرون:إنّه يمكن أن تعنى الزكاه ذلك المعنى المعروف عنها،أى مقدار من المال،و لهذا تكون(فاعلون)بمعنى مؤدّون.

۲- ۲) -«الفروج»جمع فرج،و هو كنايه عن الجهاز التناسلى.

ممّا يخالف العفّه إِلاّ عَلىٰ أَزْوٰاجِهِمْ أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ .

بمـا أنّ الغريزه الجنسـيه أقـوى الغرائز عنـد الإنسـان تمرّدا،و لضـبط النفس عنهـا يحتـاج المرء إلى التقوى و الإيمـان القوى،لهـذا أكدّت الآيه التاليه على هذه المسأله فَمَنِ ابْتَغىٰ وَرٰاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْعٰادُونَ .

إنّ عباره المحافظه على«الفروج»قـد تكون إشاره إلى أنّ فقـدان المراقبه المسـتمره فى هذا المجال تؤدّى بالفرد إلى خطر التلوث بالانحرافات الكثيره.

أمّـا عبـاره أَزْوٰاجِهِمْ فهى تشـمل الزوجين الـذكر و الأنثى،رغم أنّ بعض مفسّـرى أهل السـنّه وقعوا فى خطأ فى تفسـير هـذه الآيه سنشير إليه لا حقا.

و يمكن أن تكون عباره غَيْرُ مَلُومِينَ إشاره إلى الرأى الخاطئ عند المسـيحيين الذى أصـبح يشـكّل انحرافا فى عقيدتهم،و هو أنّ أى اتّصال جنسـى يعتبر فعلا غير لائق بالإنسان و تركه فضـيله له،حتّى نرى القساوسه الكاثوليك- نساء و رجالا-ممّن طلّق الـدنيا يحيون عزّابـا و يتصوّرون الزواج بأى شـكل كان خلافا لمنزله الإنسان الروحيه و هـذه القضـيّه شـكليه فحسب،حيث يختار هؤلاء لإشباع غرائزهم سبلا خفيّه متعدّده.ذكرتها كتبهم) (۱) .

و على كلّ حال فإنّ اللّه لم يخلق فى الإنسان غريزه كجزء من مكوّناته المثلى،ثمّ يعتبرها تناقض منزله الإنسان عنده.

و كون الزوجـات حلاّ للأزواج فى علاقتهنّ الجنسـيّه باسـتثناء أيّام العاده الشـهريه و أمثالها،لا تحتاج إلى شـرح. و كـذلك كون الجوارى حلالا عند ما يكنّ على وفق شروط ذكرتها الكتب الفقهيّه و ليس كما يتصوّر البعض أنّ كلّ واحده منهنّ و دون شرط حلّ لمالكها،و فى الحقيقه لهنّ شروط الزوجه فى حالات كثيره.

۱- ۱) -يراجع بهذا المورد قصّه الحضاره لويل ديورانت.

و أشارت الآيه الثامنه-موضع البحث-إلى الصفتين الخامسه و السادسه من صفات المؤمنين البارزه،حيث تقول: وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ إنّ المحافظه على«الأمانه»بالمعنى الواسع للكلمه،و كذلك الالتزام بالعهد و الميثاق بين يدى الخالق و الخلق من صفات المؤمنين البارزه.و تعنى الأمانه بمفهومها الواسع أمانه اللّه و رسوله إضافه إلى أمانات الناس،و كذلك ما أنعم اللّه على خلقه.

و تضمّ أيضا أمانه اللّه الدين الحقّ و الكتب السماويه و تعاليم الأنبياء القدماء، و كذلك الأموال و الأبناء و المناصب جميعها أمانات اللّه سبحانه و تعالى بيد البشر، يسعى المؤمنون فى المحافظه عليها و أداء حقّها.و يحرسونها ما داموا أحياء.

و يرثها أبناؤهم الذين تربّوا على أداء الأمانات و الحفاظ عليها.

و الدليل على عموميّه مفهوم الأمانه هنا،إضافه إلى سعه المفهوم اللغوى لهذه الكلمه،هو أحاديث عديده وردت فى تفسير الأمانه بأنّها(أمانه الأئمّه المعصومين)أى:ينقلها كلّ إمام إلى وارثه (1) .

و أحيانا تفسير الأمانه بأنّها الولايه بشكل عامّ.

و ممّا يلفت النظر روايه زراره أحد تلاميذ الإمام الباقر عليه السّلام و الإمام الصادق عليه السّلام عن قوله تعالى أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا (2) «أدّوا الولايه إلى أهلها...» (3) .

و هكذا يكشف عن أنّ الحكومه وديعه إلهيّه مهمّه جدّا يجب إيداعها بيد من هو أهلها.

و هناك تعابير قرآنيه عديده تدلّ على عموميه و شموليه العهد،منها: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ إِذٰا عٰاهَدْتُمْ (4) .

ص:421

1- 1) -تفسير البرهان،المجلّد الأوّل،صفحه 380.

2- 2) -سوره النساء،58.

3- 3) -المصدر السابق.

4- 4) -النحل،91.

و الجدير بالملاحظه أنّ بعض آيات القرآن عبّرت عن ذلك العهد بأداء الأمانه و عدم خيانتها و المحافظه عليها،و«رعايه الأمانه»التى استعملت فى الآيه السابقه تضمّ معنى الأداء و المحافظه.

فعلى هذا فانّ التفسير فى المحافظه على الأمانه و الذى يؤدّى إلى وقوع ضرر أو تعرّضها للخطر،يوجب على الأمين إصلاحها(و بهذا تترتّب ثلاثه واجبات على الأمين:الأداء،و المحافظه،و الإصلاح)فلا بدّ أن يكون الالتزام بما تعهّد به المرء و المحافظه عليه.

و أداء الأمانه من أهمّ القواعد فى النظام الاجتماعى،و دون ذلك يسود التخبّط فى المجتمع.و لهذا السبب نرى شعوبا لا تتمسّك عامّتها بالدين،إلاّ أنّها- سعيا منها لمنع الاضطراب-تفرض على نفسها رعايه العهد و الأمانه،و تعتبر نفسها مسئوله أمام هذين المبدأين-فى أقلّ تقدير-فى القضايا الاجتماعيه العامّه(و قد بيّنا بإسهاب أهميّه الأمانه فى تفسير الآيه(۵۸)من سوره النساء.و فى تفسير الآيه(۲۷)من سوره الأنفال،و شرحنا الوفاء بالعهد فى تفسير الآيه الأولى من سوره المائده و فى تفسير الآيه(۹۱)من سوره النحل).

و بيّنت الآيه التاسعه من الآيات موضع البحث آخر صفه من صفات المؤمنين حيث تقول: وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوٰاتِهِمْ يُحٰافِظُونَ .

و ممّا يلفت النظر أنّ أوّل صفه للمؤمنين كانت الخشوع فى الصلاه،و آخرها المحافظه عليها،بدأت بالصلاه و انتهت به.لماذا؟لأنّ الصلاه أهمّ رابطه بين الخالق و المخلوق،و أغنى مدرسه للتربيه الإنسانيه.

الصلاه وسيله ليقظه الإنسان و خير وقايه من الذنوب.

و الخلاصه،إنّ الصلاه إن أقيمت على وفق آدابها اللازمه،أصبحت أرضيه أمينه لأعمال الخير جميعا.

و جدير بالذكر إلى أنّ الآيتين الأولى و الأخيره تضمنّت كلّ واحده منها

موضوعا یختلف عن الآخر،فالآیه الأولی تضمّنت الصلاه بصوره مفرده، و الأخیره بصوره جماعیه.الأولی تضمّنت الخشوع و التوجّه الباطنی إلی اللّه.هذا الخشوع الذی یعتبر جوهر الصلاه،لأنّ له تأثیرا فی جمیع أعضاء جسم الإنسان، و الآیه الأخیره أشارت إلی آداب و شروط صحّه الصلاه من حیث الزمان و المکان و العدد،فأوضحت للمؤمنین الحقیقیین ضروره مراعاه هذه الآداب و الشروط فی صلاتهم.

و قد شرحنا أهمیّه الصلاه فی المجلّدات المختلفه لهذا التّفسیر.فلیراجع تفسیر الآیه(۱۱۴)من سوره هود و کذلک تفسیر الآیه(۱۰۳)من سوره النساء و فی تفسیر الآیه(۱۴)من سوره طه.

بعد بیان هذه الصفات الحمیده،بیّنت الآیه التالیه حصیله هذه الصفات فقالت:

أُولٰئِکَ هُمُ الْوٰارِثُونَ

.

أولئک الذین یرثون الفردوس و منازل عالیه و حیاه خالده اَلَّذِینَ یَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ .

«الفردوس»-علی قول-هی مفرده رومیه.و ذهب آخرون إلی أنّها عربیه، و قیل فارسیه بمعنی«البستان».أو بستان خاص اجتمعت فیه جمیع تسمیتها بالجنّه العالیه،و أفضل البساتین.

و یمکن أن تکون عباره«یرثون»إشاره إلی نیل المؤمنین لها دون تعب مثلما یحصل الوارث الإرث دون تعب.و صحیح أنّ الإنسان یبذل جهودا واسعه و یضحی بوقته و یسلب راحته فی بناء ذاته و التقرّب إلی اللّه،إلاّ أنّ هذا الجزاء الجمیل أکثر بکثیر من قدر هذه الأعمال البسیطه،و کأنّ المؤمن ینال الفردوس دون تعب و مشقّه.

کما یجب ملاحظه حدیث

روی عن النّبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم «ما منکم من أحد إلاّ و له منزلان:منزل فی الجنّه،و منزل فی النّار،فإن مات و دخل النّار ورث أهل

الجنّه منزله».

كما يمكن أن تكون عباره«يرثون»فى الآيه السابقه إشاره إلى حصيله عمل المؤمنين،فهى كالميراث يرثونه فى الختام،و على كلّ حال فإنّ هذه المنزله العاليه -حسب ظاهر الآيات المذكوره أعلاه-خاصّه بالمؤمنين الذين لهم هذه الصفات، و نجد أهل الجنّه الآخرين فى منازل أقلّ أهميّه من هؤلاء المؤمنين.

ملاحظات

اشاره

١-إختيار الفعل الماضى«أفلح»لنجاح المؤمنين،تأكيد أقوى

أى إنّ نجاحهم طبيعى و كأنّه تحقّق من قبل.و جاءت كلمه(قد)أيضا لتأكيد هذا الموضوع ثانيه.و جاءت عبارات(خاشعون)و(معرضون)و(راعون)و (يحافظون)بصيغه اسم فاعل أو فعل مضارع دليلا على أنّ هذه الصفات البارزه ليست مؤقته فى المؤمنين الحقيقيين،بل هى دائمه فيهم.

٢-الزوجه الدائمه و المؤقته

يستفاد من الآيات المذكوره أعلاه على أنّ هناك نوعين من النساء يجوز الدخول بهما:الأولى الزوجات،و الثّانيه الجوارى(بشروط خاصّه)،لهذا استندت الكتب الفقهيّه على هذه الآيه فى مواضيع عديده خلال بحث النكاح.

و لكن بعض المفسّرين و الفقهاء من أهل السنّه حاولوا الاستفاده من هذه الآيه فى إثبات حرمه الزواج المؤقت.

و مع ملاحظه هذه الحقيقه،و هى أنّ من الثابت المسلّم به هو أنّ الزواج المؤقت(المتعه)كان حلالا على عهد الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و لم ينكره أحد من المسلمين، إلاّ أنّ البعض يرى أنّه كان فى صدر الإسلام و عمل به الكثير من الصحابه،إلاّ أنّه

نسخ،و قال آخرون:إنّ عمر بن الخطاب منعه.

و مفهوم كلام هذه المجموعه من المفسّرين السنّه-بعد ملاحظه هذه الحقائق- هو أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم(و العياذ باللّه)أجاز الزنا فى أقلّ تقدير لفتره محدّده،و هذا غير صحيح أبدا.

إضافه إلى أنّ«المتعه»خلافا لتصوّر هؤلاء،هى نوع من الزواج المؤقت بعظم شروط الزواج الدائم،و على هذا فإنّ عباره: إِلاّ عَلىٰ أَزْوٰاجِهِمْ هى بالتأكيد تتضمنّه.و لهذا السبب تستخدم صيغ الزواج الدائم(أنكحت و زوّجت)مع ذكر مدّه الزواج عند قراءه صيغه الزواج المؤقت،و هذا خير دليل على كون المتعه زواجا.

و قد بيّنا بالتفصيل الأمور المتعلّقه بالزواج المؤقت و أدلّته الشرعيّه فى الإسلام،و عدم نسخ هذا الحكم الإلهى،و كذلك فلسفته الاجتماعيه،فى تفسير الآيه(۲۴)من سوره النساء.

۳-الخشوع روح الصلاه

إذا اعتبر الركوع و السجود و القراءه و التسبيح جسم الصلاه،فالتوجّه الباطنى إلى حقيقه الصلاه،و إلى من يناجيه المصلّى،هو روح الصلاه.و الخشوع ما هو إلاّ توجّه باطنى مع تواضع.و على هذا يتبيّن أنّ المؤمنين لا ينظرون إلى الصلاه كجسم بلا روح،بل إنّ جميع توجّههم إلى حقيقه الصلاه و باطنها.

و هناك عدد كبير من الناس يودّ بشوق بالغ أن يكون خاشعا فى صلاته،إلاّ أنّه لا يتمكّن من تحقيق ذلك.

و لتحقيق الخشوع و التوجّه التامّ إلى اللّه فى الصلاه و فى سائر العبادات، أوصى بما يلى:

۱-نيل معرفه تجعل الدنيا فى عين المرء صغيره تافهه،و تجعل اللّه كبيرا

عظیما،حتّی لا تشغله الدنیا بما فیها عن الذوبان فی اللّه عند مناجاته و عبادته.

۲-الاهتمـام بالأمور المختلفه یمنع الإنسان من ترکیز أفکاره و حواسّه، و کلّما تمکّن الإنسان من التخلّص من مشاغله حصل علی توجّه إلی اللّه فی العباده.

۳-إختیـار مکـان الصـلاه و سائر العبادات له أثر کبیر فی هـذه المسأله،لهـذا فإنّ الصـلاه مع انشـغال البال بغیرها تعـدّ مکروهه،و کـذلک فی موضع مرور الناس أو قبال المرآه و الصوره،و لهذا الأسـباب تکون المساجد الإسـلامیه أفضل إن کانت أبسط بناء و أقلّ زخرفه و أبّهه،لیکون التوجّه کلّه للّه فاطر السموات و الأرض.

۴-اجتناب المعاصی عامل مؤثّر فی التوجّه إلی اللّه،لأنّ المعصیه و الذنب تبعد الشقّه بین قلب المسلم و خالقه.

۵-معرفه معنی الصلاه و فلسفه حرکاتها و الذکر عامل مؤثّر کبیر علی ذلک.

۶-و یساعد علی ذلک أداء المستحبّات،سواء کانت قبل الدخول فی الصلاه أو فی أثنائها.

۷-و علی کلّ حال فإنّ هـذا العمل هو کبقیّه الأعمال الأخری یحتاج إلی تمرین متواصل،و یحدث کثیرا أن یحصل الإنسان علی قـدره الترکیز الفکری فی لحظه من لحظـات الصـلاه،و بمواصـله هـذا العمـل و متابعته یحصل علی قـدره ذاتیه یمکنه بها إغلاق أبواب فکره فی أثناء الصلاه إلّا علی خالقه(فتأمّلوا جیدا).

ص :۴۲۶

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٢ الى ١۶]

اشاره

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَهً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا اَلنُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا اَلْعَلَقَهَ مُضْغَهً فَخَلَقْنَا اَلْمُضْغَهَ عِظاماً فَکَسَوْنَا اَلْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اَللّهُ أَحْسَنُ اَلْخالِقِینَ (١۴) ثُمَّ إِنَّکُمْ بَعْدَ ذٰلِکَ لَمَیِّتُونَ (١۵) ثُمَّ إِنَّکُمْ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ تُبْعَثُونَ (١۶)

التّفسير

اشاره

مراحل تكامل الجنين فى الرحم:

إنّ ذكر الآيات السابقه أوصاف المؤمنين الحقيقيين،و ما يمنحهم اللّه من جزاء عظيم يبعث فى القلوب الشوق للالتحاق بصفوفهم،لكن بأى طريق؟ تبيّن الآيات موضع البحث-و قسم من الآيات التاليه لها-السبيل لكسب الإيمان و المعرفه،حيث يمسك القرآن بيد الإنسان ليأخذه إلى«عالم النفس» و ليكشف له أسرار باطنه و هو«السير الأنفسى»،و تثير الآيات التاليه لها انتباه الإنسان إلى عالم الظاهر و المخلوقات المدهشه فى عالم الوجود و سبر عالم الآفاق،و هو«السير الآفاقى».

تقول الآيات أوّلا: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ (۱) .

أجل،إنّ هذه الخطوه الأولى التى خلق اللّه فيها الإنسان بكلّ عظمته و استعداده و جدارته و الذى يعتبر أفضل مخلوقاته من تراب مهين لا قدر و لا قيمه له،و هكذا تجلّت قدرته سبحانه و تعالى فى هذا الخلق البديع.

و تضيف الآيه التاليه ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِی قَرارٍ مَكِينٍ .

و فى الواقع فانّ الآيه الأولى تشير إلى بدايه وجود جمع البشر من آدم و أبنائه و أنّهم خلقوا جميعا من التراب،إلّا أنّ الآيه التاليه تشير إلى تداوم و استمراريه نسل الإنسان بواسطه تركيب نطفه الذكر ببويضه الأنثى فى الرحم.

و هذا البحث يشبه ما جاء فى الآيتين السابعه و الثامنه من سوره السجده وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ .

و التعبير عن الرحم ب«قرار مكين»،أى القرار الآمن،إشاره إلى أهميّه الرحم فى الجسم،حيث يقع فى مكان أمين محفوظ من جميع الجهات،يحفظه العمود الفقرى من جهه،و عظم الحوض القوى من جهه أخرى،و أغشيه البطن العديده من جهه ثالثه،و دفاع اليدين يشكّل حرزا رابعا له.و كلّ ذلك شواهد على موضع الرحم الآمن.

ثمّ تشير الآيه الثّالثه إلى المراحل المدهشه و المثيره لتدرّج النطفه فى مراحلها المختلفه،و اتّخاذها شكلا معيّنا فى كلّ منها فى ذلك القرار المكين،حيث تقول:إنّنا جعلنا من تلك النطفه على شكل قطعه دم متخثّر(علقه)ثمّ بدّلناها على شكل قطعه لحم ممضوغ(مضغه)،ثمّ جعلنا من هذه المضغه عظاما،و أخيرا ألبسنا هذه العظام لحما: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً .

ص :۴۲۸

---

۱ – ۱) -«السلاله»على وزن«عصاره»تعنى الشىء الذى يستخلص من شىء آخر،و هى فى الحقيقه خلاصه و نتيجه منه(مجمع البيان حول الآيه موضع البحث).

هـذه المراحـل الأربعه المختلفه مضافا إلى مرحله النطفه تشـكّل خمس مراحل،كلّ منها عالم عجيب بـذاته ملى بالعجائب بحثت بـدقّه فی علی الجنين، و ألّفت بصـددها كتب و بحوث عميقه فی عصـرنا،إلاّ أنّ القرآن تكلّم عن هـذه المراحل المختلفه لجنين الإنسان،و بيّن عجائبه يوم لم يولد هذا العلم و لا يكن له أثر.

و فی الختام أشارت الآيه إلی آخر مرحله و التی تعتبر-فی الحقيقه-أهمّ مرحله فی خلق البشـر،بعباره عميقه و ذات معنی كبير ثُمَّ أَنْشَأْنٰاهُ خَلْقاً آخَرَ و فَتَبٰارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخٰالِقِينَ .

مرحبا بهذه القدره الفريده،التی خلقت فی ظلمات الرحم هذه الصوره البديعه،و صاغت من قطره ماء كلّ هذه الأمور المدهشه.

طوبی لهـذا العلم و الحكمه و التـدبير،الـذی خلق فی هـذا الموجود البسـيط كلّ هـذه القابليات و الجـداره.تعالی اللّه فقـد تجلّت قدرته فيما خلق.

و جـدير بالذكر أنّ كلمه«الخالق»مشـتقّه من«الخلق»و تعنی بالأصل التقدير (۱) ،حيث تطلق هـذه الكلمه عنـد ما يراد تقطيع قطعه من الجلـد فينبغی علی الشـخص أن يقيس أبعـاد القطعه المطلوبه ثمّ يقطعها،فيسـتخدم لفظ«الخلق» بمعنی التقـدير،لأهميّه تقـدير أبعاد الشیء،قبل قطعه.

أمّا عبـاره أَحْسَنُ الْخٰالِقِينَ فتثير هـذا التسـاؤل:هل يوجـد خالق غير اللّه؟! وضع بعض المفسّـرين تبريرات لهـذه الآيه فی وقت لا حاجه فيه لهـذه التبريرات،لأنّ كلمه«الخلق»بمعنی التقـدير و الصـنع،و يصحّ ذلك بالنسـبه لغير اللّه، إلاّ أنّ هناك اختلافا جوهريا بين الخلقين...

يخلق اللّه المواد و صورها،بينما يصنع الإنسان أشياءه ممّا خلق اللّه،فهو يغيّر

۱- ۱) -مختار الصحاح.

صورها.کمن یبنی دارا حیث یستخدم موادا أوّلیه کالجصّ و الآجر،أو یصنع من الحدید سیاره أو ماکنه.

و من جهه أخری لا حدود لخلق اللّه اَللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ سوره الرعد الآیه (۱۶)فی وقت نجد ما صنعه الإنسان محدودا جدّا،و فی کثیر من الأحیان یجد الإنسان فیما خلقه هو نقصا یجب سدّه فیما بعد،إلاّ أنّ اللّه یبدع الخلق دون أی نقص أو عیب.

ثمّ إنّ قدره الإنسان علی صنع الأشیاء جاءت بإذن من اللّه،حیث کلّ شیء فی العالم یتحرّک بإذن اللّه،حتّی الورق علی الشجر،کما نقرأ فی سوره المائده الآیه(۱۱۰)عن المسیح علیه السّلام وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی .

و تنتقل الآیه التالیه من تناول مسأله التوحید و معرفه المبدأ-بشکل دقیق و جمیل-إلی مسأله المعاد حیث تقول: ثُمَّ إِنَّکُمْ بَعْدَ ذٰلِکَ لَمَیِّتُونَ .

و من أجل أن لا یعتقد المرء بأنّ الموت نهایه کلّ شیء،تقول الآیه: ثُمَّ إِنَّکُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ تُبْعَثُونَ أی إنّ خلقکم بهذه الصوره المدهشه لم یکن عبثا أو لتعیشوا أیّاما معدودات،فتضیف الآیه أنّکم ستبعثون یوم القیامه فی مستوی أعلی و فی عالم أوسع.

بحوث

اشاره

۱-اتّباع المبدأ و المعاد بدلیل واحد

استخدمت الآیات المذکوره أعلاه لإثبات وجود اللّه و قدرته و عظمته نفس الدلیل الذی استخدمته سوره الحجّ لإثبات المعاد،و هو مسأله المراحل المختلفه لخلق الإنسان فی علام الجنین.

كما انتقلت آخر هذه الآيات إلى بحث مسأله المعاد (۱) .

أجل،يمكن أن تعرف عظمه اللّه فى خلق الإنسان فى ظلمات الرحم، و اتّخاذه فى كلّ مرحله صوره جديده مدهشه،و كأنّ عشرات الأشخاص من رسّامين و صنّاع مبدعين التفّوا حول هذه القطره من الماء،و عملوا ليل نهار ليخرجوها بهذه الصوره البديعه،و لتمرّ من صوره إلى أخرى أبدع،حتّى تمرّ فى مختلف مراحل الحياه.

و إذا تمكّنا من تصوير مراحل نمو الجنين بشكل كامل فى فيلم سينمائى، و عرضناها لفهمنا مدى العجائب التى تكمن فى هذا العمل.و بتقدّم علم الجنين فى عصرنا و دراسات العلماء و تجاربهم المختبريه على هذا الأمر،اتّضحت الكثير من الغوامض التى عند ما يطّلع عليها المرء يصرخ دون إرادته فَتَبارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخٰالِقِينَ هذا من جهه.

و من جهه ثانيه نلاحظ الخلق المتعاقب و اتّخاذه صوره جديده فى كلّ مرحله،و بالتالى ظهور إنسان للوجود كامل الخلق من تلك القطره الصغيره من الماء...كلّ ذلك يدلّ على قدره اللّه على بعث الإنسان ثانيه إلى الحياه.و بهذا يمكن البرهنه بدليل واحد على مسألتين (۲) .

۲-آخر مرحله فى تكامل جنين الإنسان فى الرحم

ممّا يلفت النظر استخدام الآيات السابقه لمراحل الجنين الخمسه تعبير «الخلق»،فى حين استخدمت كلمه«الإنشاء»لآخر مرحله،و كما ذكر اللغويون فإنّ كلمه«الإنشاء»تعنى(خلق الشىء مع تربيته)و هذا التعبير يدلّ على اختلاف

۱- ۱) -تناولنا فى بدايه سوره الحجّ خلال البحث الآيتين الخامسه و السابعه أدلّه المعاد و منها استعراض مراحل الجنين فى الرحم.

۲- ۲) -شرحنا مراحل الجنين و عظمه الخلق فيها فى تفسير الآيه السادسه من سوره آل عمران هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ(فِى الْأَرْحٰامِ كَيْفَ يَشٰاءُ .

هـذه المرحله عن المراحـل السابقه(مرحله النطفه و العلقه و المضـغه و اللحم و العظم) اختلافا بيّنا.مرحله ذكرها القرآن فى عباره مؤجزه ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ و يعقّب ذلك مباشره بالقول: فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ .

ما هـذه المرحله التى تمتاز بهذه الأهميّه؟ إنّها مرحله يدخل فيها الجنين مرحله الحياه الإنسانيّه،يكون له إحساس و حركه،و بتعبير الأحاديث الإسلاميه«نفخ الروح».

هنـا يترك الإنسان حياته النباتيه بقفزه واحـده ليـدخل عالم الحيوان،و منه إلى عالم الإنسانيه،و تتباعـد الشـقّه مع المرحله السابقه بـدرجه اسـتخدمت الآيه لها عباره(ثمّ أنشأنا)لأنّ عباره(ثمّ خلقنا)لم تعدّ كافيه.حيث يتّخذ الإنسان فى هذه المرحله شـكلا خاصـا يرفعه عن المخلوقـات الأـخرى،ليكون جـديرا بخلافه اللّه فى الأرض،و ليحمل الأمانه التى تخلّت عنها الجبال و السـموات،لعـدم استطاعتها حملها.

و هنا انطوى«العالم الكبير»فى«الجرم الصغير»بكلّ عجائبه،فيكون جديرا حقّا بعباره فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ .

٣-كساء اللحم فوق العظام

ذكر مفسّـر(فى ضـلال القرآن)عند تفسـير هذه الآيه جمله مدهشه هى أنّ الجنين بعد قطعه مرحله«العلقه»و«المضغه»تتبدّل خلاياه إلى خلايا عظميّه،ثمّ تكتسى بالتدريج بالعضلات و اللحم.لهذا فإنّ عباره فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً معجزه علميه تكشف سرّا لم يكن يعلم به أى شـخص حتّى ذلـك الزمن.لأـنّ القرآن لم يقـل:أبـدلنا المضـغه عظمـا و لحمـا،بل قال: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً أى تبدّلت المضغه إلى عظام أوّلا،ثمّ اكتست باللحم.

۴-اللباس صيانه للعظام!

إنّ استخدام اللباس للتعبير عن العضلات و اللحم يكشف لنا حقيقه قباحه شكل الإنسان إن فقد هذا اللباس الذى يكسوا العظام(فيصبح هيكلا عظميا مرعبا كما شاهدناه جميعا أو شاهدنا صورته)إضافه إلى ذلك فإنّ اللباس يحمى الجسم، و هكذا اللحم و العضلات تحمى العظام،و بفقدانها تتلقّى العظام ضربات تؤدّى إلى كسرها،و يؤدّى اللحم وظيفه اللباس بالنسبه للعظام فى المحافظه عليها من الحرّ و البرد.و هذا كلّه يبيّن لنا قوّه التعبير القرآنى و دقّته.

ص :۴۳۳

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٧ الى ٢٢]

اشاره

وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وَ ما كُنّا عَنِ اَلْخَلْقِ غافِلِينَ (١٧) وَ أَنْزَلْنا مِنَ اَلسَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّاهُ فِي اَلْأَرْضِ وَ إِنّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (١٩) وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢٠) وَ إِنَّ لَكُمْ فِي اَلْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِها وَ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (٢١) وَ عَلَيْها وَ عَلَى اَلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)

التّفسير

اشاره

مرّه أخرى مع علائم التوحيد:

قلنا:إنّ القرآن تناول سبل كسب الإيمان بعد ذكر صفات المؤمنين،كما تحدّثت الآيات السابقه عن الآيات اللّه العظيمه فی وجودنا،و تناولت هذه الآيات بعدها عالم الظاهر و آفاق الكون،و عظمه خلق الأرض و السموات،حيث قالت

ص:۴۳۴

الآيه الأولى: وَ لَقَدْ خَلَقْنٰا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرٰائِقَ .

و«الطرائق»جمع«طريقه»بمعنى سبيل أو طبقه،و لو أجزنا المعنى الأوّل للطرائق،يصبح معنى الآيه،أنّنا خلقنا فوقكم سبلا سبعه،و يمكن أن تفسّر بأنّها سبل مرور الملائكه،كما يمكن أن تكون مدارات لنجوم السّماء، و بحسب المعنى الثّانى للطرائق،فإنّ الآيه تعنى طبقات السّماء السبع.

و قد تحدّثنا عن السماوات السبع قبل هذا كثيرا،و إذا كان القصد من العدد «سبعه»الكثره،فيكون معنى الآيه أنّنا خلقنا فوقكم عوالم كثيره من النجوم و الكواكب و السيارات،و عباره الطبقه لا تعنى نظريه«بطلميوس»الذى صوّرها و كأنّها قشره بصل الواحده فوق الأخرى.فإنّ القرآن لم يقصد هذا المعنى أبدا،بل يقصد بالطرائق و الطبقات العوالم التى تحيط بالأرض بفواصل محدّده،و هى بالنسبه لنا الواحده فوق الاخرى،بعضها قريب و البعض الآخر بعيد عنّا.و إذا كان العدد«سبعه»قد استخدم فى الآيه للتعداد،فتعنى الآيه أنّنا خلقنا ستّه عوالم فوقكم إضافه إلى عالمكم الذى ترونه(مجموعه الثوابت و السيارات و المجرّات).

و هذه العوالم لم يبلغها الإنسان حتّى الآن.

و لو دقّقنا بخارطه المنظومه الشمسيه.و تفحّصنا مواقع السيارات المختلفه حول الشمس،لعثرنا على تفسير آخر لهذه الآيه،هو أنّ من هذه السيارات التسع التى تدور حول الشمس،اثنان هما عطارد و الزهره لهما مداران تحت مدار الأرض،فى الوقت الذى تتّخذ فيه السيارات الست الاخرى مداراتها خارج مدار الأرض،و هى تشبه طبقات ستّ إحداها فوق الاخرى،و إضافه إلى مدار القمر الذى يدور حول الأرض تصبح المدارات سبعه،و كأنّها طبقات سبع (۱) .

و ربّما يتوهّم أنّ العالم بهذه السعه و العظمه ألا يوجب أن يغفل اللّه تعالى عن

۱- ۱) -للاطلاع على السموات السبع راجع تفسير الآيه(۲۹)من سوره البقره.

إدارته؟ فتجيب الآيه مباشره وَ مٰا كُنّٰا عَنِ الْخَلْقِ غٰافِلِينَ .إنّ الاستناد هنا إلى مسأله الخلق،إشاره إلى أنّ قضيّه خلق الكون بنفسها دليل على علم اللّه تعالى بمخلوقاته و توجّهه إليها:فهل يمكن أن يغفل الخالق عن مخلوقاته؟! و يمكن أن تقصد الآيه أنّنا نملك سبلا كثيره لتردّد الملائكه من فوقكم،و لسنا غافلين عنكم،كما أنّ ملائكتنا مشرفه عليكم و تشهد أعمالكم.

و أشارت الآيه التاليه إلى أحد مظاهر القدره الإلهيّه،الذى يعتبر من بركات السموات و الأرض،ألا و هو المطر،حيث تقول: وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً بِقَدَرٍ .

أنزلنا المطر بقدر لا يغرق الأرض من كثرته،و ليس قليلا بحيث لا يكفى لرى النباتات و الحيوانات.أجل لو انتقلنا من البحث حول السّماء إلى الأرض لوجدنا الماء من أهمّ الهبات الإلهيّه،و أصل حياه جميع المخلوقات،و بهذا الصدد أشارت الآيه إلى قضيّه أكثر أهميّه،هى قضيّه احتياطى المياه الجوفيه فتقول: فَأَسْكَنّٰاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنّٰا عَلىٰ ذَهٰابٍ بِهِ لَقٰادِرُونَ .

نحن نعلم أنّ القشره السطحيّه من الأرض تتكوّن من طبقتين مختلفتين:

إحداهما نفوذيه و أخرى غير نفوذيه.و لو كانت القشره الأرضيه جميعا نفوذيه لنفذ المطر إلى جوف الأرض فورا،ثمّ يظهر الجفاف بعد هطول المطر و إن استغرق مدّه طويله...حيث لا نعثر على ذرّه من الماء! و لو كان سطح الأرض من طين أحمر لبقى المطر فوق سطح الأرض و تلوّث و تعفّن و شدّه الخناق على الإنسان،و أصبح سببا لموت الإنسان فى الوقت الذى هو أصل الحياه.

إلاّ أنّ اللّه الرحيم جعل القشره الأولى من سطح الأرض نافذه،و تليها قشره غير نافذه تحافظ على المياه الجوفيه،فتكون احتياطا للبشر يستخرجها عند الحاجه عن طريق الآبار،أو تخرج بذاتها عن طريق العيون،دون أن تفسد أو

توجّه للإنسان أقلّ أذى (۱) .

و يحتمل أن يكون هـذا الماء الـذى نرتوى به بعـد إخراجه من أعماق الأرض من قطرات مطر نزل قبل آلاف السـنين و خزن فى أعماق الأرض حتّى اليوم،دون أن يتعرّض لتلوّث أو فساد.

و على كـلّ حـال فإنّ الـذى خلق الإنسان ليحيا،و جعل الماء أساسا لحياته،بل أكثرها أهميّه،خلق له مصادر كثيره من هـذه المادّه الحيويه و خزنها له قبل أن يخلقه!و بالطبع هناك احتياطى من هذه المادّه الحيويه فوق قمم الجبال(على شـكل ثلوج).تراه يذوب خلال السـنه و ينحـدر إلى السـهور،و قسم آخر لا زال فوق قمم الجبال منذ مئات بل آلاف السـنين،ينتظر الأمر بالذوبان على أثر تغيير حراره الجو لينحدر إلى السهول و الوديان ليروى الأرض و يزل العطش عنها.

و بملاحظه حرف الجر«فى»فى عباره«فى الأرض»يبدو لنا أنّ الآيه تشير إلى مصادر المياه الجوفيه و ليس السطحيه.

و تشـير الآيه التاليه إلى الخير و البركه فى نعمه المطر،أى المحاصيل الزراعيه الناتجه عنه فتقول: فَأَنْشَأْنٰا لَكُمْ بِهِ جَنّٰاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنٰابٍ لَكُمْ فِيهٰا فَوٰاكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهٰا تَأْكُلُونَ .فمضافا إلى التمر و العنب اللـذين يعتبران أهمّ المحاصـيل الزراعيه فانّ فيها أنواع أخرى من الفواكه كثيره.

و لعـلّ عبـاره وَ مِنْهٰا تَأْكُلُونَ إشاره إلى أنّ محاصـيل هـذه الجنّات ذات الخيرات الواسـعه لا تنحصـر بالفواكه المأكوله فقط،و أنّ المأكولات تشكّل قسما من خيراتها،فهذه البساتين(و منها بساتين النخيل)لها فوائد كثيره أخرى لحياه الإنسان،حيث يصنع الإنسان أوراقها حصرا يجلس عليها،و أحيانا يصنع منها لباسا لنفسه،و يعمل من أخشابها منازل لسكناه.و يستخرج دواءه من بعض

۱- ۱) -و يجب ملاحظه أنّ الماء الملوّث يصفى عند مروره من القشره النافذه فى معظم الأوقات!

جذورها و أوراقها و فاكهتها.كما يستخدم الكثير منها كعلف لحيواناته،و من أخشابها مادّه للوقود.

و يعطى الفخر الرازى فى تفسيره احتمال قصد الآيه مِنْهٰا تَأْكُلُونَ أنّ حياتكم و معيشتكم تعتمد على هذه البساتين،مثلما أنّ فلانا يعتاش على العمل الفلانى،أى إنّ حياته تعتمد على ذلك العمل (۱) .

و ممّا يلفت النظر من الآيات أعلاه أنّ منشأ حياه الإنسان فى ماء النطفه، و منشأ حياه النبات من ماء المطر،و فى الحقيقه ينبع هذان النموذجان للحياه من الماء.أجل إنّ حكم اللّه و قانونه واحد فى كلّ شيء.

ثمّ تشير الآيه التاليه إلى شجره مباركه أخرى نمت من ماء المطر،إضافه إلى بساتين النخيل و الكروم و الأشجار و الفاكهه الاخرى وَ شَجَرَهً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنٰاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (۲) .

ماذا يقصد ب طُورِ سَيْنٰاءَ ؟ ذكر المفسّرون لهذه الكلمه احتمالين:الأوّل:أنّها إشاره إلى جبل الطور المعروف فى صحراء سيناء.و إذا وصف القرآن المجيد شجره الزيتون باعتبارها الشجره التى تنمو فى جبل الطور،لأنّ عرب الحجاز كانوا يمرّون بهذه الأشجار المباركه عند ما كانوا يتوجّهون إلى الشمال،حيث تقع منطقه الطور فى جنوب صحراء سيناء كما يدلّ على ذلك موقعها الجغرافى بوضوح.

و الاحتمال الثّانى:طور سيناء ذات جانب و صفى يعنى الجبل ذى الخيرات، أو الجبل ذى الأشجار الكثيره،أو الجبل الجميل(لأنّ«الطور»يعنى الجبل،و «سيناء»تعنى ذات البركه و الجمال و الشجر).

و كلمه«صبغ»تعنى فى الأصل اللون،و بما أنّ الإنسان يلوّن خبزه مع المرق،

۱- ۱) -إنّ«من»فى التّفسير الأوّل«تبعيضيّه»،و فى التّفسير الثّانى«نشويه».

۲- ۲) -صبغ الآكلين،غذاء يؤكل مع الخبز.

لهذا أطلق على جميع أنواع المرق اسم الصبغ.و على كلّ حال فكلمه«الصبغ»ربّما تكون إشاره إلى زيت الزيتون الذى يؤكل مع الخبز،أو أنواع الخبز مع المرق الذى يحضر من أشجار أخرى.

و هنا يواجهنا سؤال:لماذا أكّد على ثلاث فواكه هى:التمر و العنب و الزيتون؟ فى الجواب على ذلك لا بدّ من الاهتمام بمسأله علميّه،هى أنّ علماء التغذيه أكّدوا أنّه من النّادر أن نجد فاكهه مفيده لجسم الإنسان بقدر فائده هذه الفواكه الثلاثه.

فلزيت الزيتون أهميّه فائقه فى إنتاج الطاقه و بناء الجسم،لأنّ الحراره الناتجه عن تناوله كبيره،و هو صديق حميم للكبد،و يزيل أمراض الكليه و يحميها،و يقوّى الأعصاب،و أخيرا يعتبر إكسير السلامه.

أمّا التمور فقد و صفت بدرجه لا يسعها هذا الموجز،فسكّرها من أفضل أنواع السكر و أسلمها،و يرى عدد كبير من خبراء التغذيه أنّ التمور من الأسباب التى تحول دون الإصابه بالأمراض السرطانيه،حيث كشف العلماء فى التمور ثلاث عشره مادّه حيويه،و خمسه أنواع من الفيتامينات،و بهذا تعتبر مصدرا غنيّا بالمواد الغذائيه.

أمّا الأعناب فتعبّر-كما يراه بعض العلماء-صيدليه طبيعيّه،فخواصها تشبه حليب الامّ،و تولّد طاقه حراريه فى الجسم تعادل ضعف ما تولده اللحوم،و تصفّى الدم،و تدفع السموم عن البدن،و تمنح فيتاميناته الإنسان قوّه و طاقه مثلى (1) .

بعد بيان جانب من أنعم اللّه فى عالم النبات التى تنمو على المطر،يلى ذلك بحث جانب مهمّ من أنعم اللّه و هباته فى عالم الحيوان وَ إِنَّ لَكُمْ فِی اَلْأَنْعٰامِ لَعِبْرَةً (2) .

1- 1) -للاستزاده فى الاطلاع على فوائد هذه الفواكه الثلاثه الحيويه يراجع تفسير الآيه(11)من سوره النحل.

2- 2) -استخدمت«عبره»هنا بصيغه نكره إشاره إلى عظمتها.

ثمّ تشريح الآيه«العبره»فتقول: نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِها .أجل إنّ الحيوان يدرّ حليبا لذيذا يعتبر غذاء كاملا،و يمنح الجسم حراره كبيره،و يخرج الحليب من بين الدم على شكل دفعات كما ينزف الدم،لتعلموا قدره اللّه حيث يتمكّن بها من خلق غذاء طاهر لذيذ من بين أشياء تبدو ملوّثه.

ثمّ تضيف الآيه وَ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَهٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ إضافه إلى اللحم الذى يعتبر من أجزاء الغذاء الرئيسيّه التى يحتاجها الجسم،يستفاد من جلود الحيوان فى صنع اللباس و الخيم القويّه ذات العمر الطويل.كما يستفاد من صوفها فى صنع الملابس و الفرش و الأغطيه.و يصنع من أجزاء بدنها الدواء،و يستفاد حتّى من روثها لتسميد الأشجار و النباتات.

كما يستفاد من الحيوانات فى الركوب فى البرّ،و السفن فى البحر وَ عَلَيْها وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (۱) .

كلّ هذه الخصائص و الفوائد فى الحيوان تعتبر-حقّا-عبره لنا،تعرف الإنسان على ما خلق اللّه من أنعم،كما تثير فيه الشعور بالشكر و الثناء على اللّه (۲) .

السؤال الوحيد المتبقّى هو:كيف أصبحت الدواب و السفن فى مستوى واحد؟ إذا لا حظنا مسأله واحده فسيكون الردّ واضحا،و هى أنّ الإنسان بحاجه إلى مركب فى حياته،مرّه فى البر،و أخرى فى البحر و هى السفن.

و هذا التعبير هو ذاته الذى استخدم فى الآيه(۷۰)من سوره الإسراء حين ذكر ما وهبه اللّه بنى آدم وَ حَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ .

ص :۴۴۰

۱- ۱) -تناولنا بالبحث الاستفاده من الحيوان بشكل مسهب فى تفسير الآيه(۸۰)من سوره النحل.

۲- ۲) -بحثنا فى تفسير الآيه(۱۴)من سوره النحل و كذلك من تفسير الآيه(۶۵)من سوره الحجّ،أهميّه السفن و ميزات المواد المختلفه التى تدخل فى استخدام السفن.

الآيات [سوره المؤمنون (۲۳): الآيات ۲۳ الی ۲۵]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۲۳) فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ (۲۴) إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتّى حِينٍ (۲۵)

التّفسير

اشاره

منطق الجبناء المغرورين:

تحدّثت الآيات السابقه عن التوحيد و معرفه اللّه و أسباب عظمته فى عالم الخليقه،أمّا الآيات-موضوع البحث و الآيات المقبله-فقد تناولت نفس الموضوع على لسان كبار الأنبياء و من خلال تاريخ حياتهم.

حيث بدأت بأوّل الأنبياء أولى العزم و المنادى بالتوحيد«نوح»عليه السّلام وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ و أَ فَلا تَتَّقُونَ أى مع هذا البيان الواضح كيف لا تجتنبون عباده الأوثان؟ أمّا الأشراف الأثرياء و المغرورون و الملأ من الناس،و هم اللذين يملأون

العین فی ظاهرهم،و الفارغون فی واقعهم من قوم نوح علیه السّلام فَقٰالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مٰا هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُرِیدُ أَنْ یَتَفَضَّلَ عَلَیْکُمْ .

و بهذا اعتبروا أوّل عیب له کونه إنسانا فاتّهموه بالسلطویه،و حدیثه عن اللّه و التوحید و الدین و العقیده مؤامره لتحقیق أهدافه،ثمّ أضافوا وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَأَنْزَلَ مَلاٰئِکَهً و لإتمام هذا الاستدلال الخاوی قالوا: مٰا سَمِعْنٰا بِهٰذٰا فِی آبٰائِنَا الْأَوَّلِینَ .

إلاّ أنّ هـذا الکلام الفارغ لم یؤثرّ فی معنویات هـذا النّبی الکبیر،حیث واصل دعوته إلی اللّه،و لم یکن فی عمله دلیل علی رغبته فی الحصول علی امتیاز علی الآخرین،أو أن یتسلّط علیهم،لهـذا لجأوا إلی توجیه تهمه أخری إلیه،هی الجنون الذی کان یتّهم به جمیع أنبیاء اللّه عبر التاریخ،حیث قالوا:

إِنْ هُوَ إِلاّٰ رَجُلٌ بِهِ جِنَّهٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتّٰی حِینٍ

.

و استخدم المشرکون تعبیر بِهِ جِنَّهٌ ضدّ هـذا النّبی المرسـل أی به(نوع من أنواع الجنون)لیغطّوا علی حقیقه واضـحه،فکلام نوح علیه السّـلام خیر دلیـل علی رجحـان علمه و عقله،و کانوا یبغون-فی الحقیقه-أن یقولوا:کلّ هـذه الأمور صـحیحه،إلاّ أنّ الجنون فنون له صورا متباینه قد یقترن أحدها بالعقل!! أمّا عباره فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتّٰی حِینٍ فقد تکون إشاره إلی انتظار موت نوح علیه السّلام من قبل المخالفین الـذین ترقّبوا موته لحظه بعـد أخری لیریحوا أنفسـهم،و یمکن أن تعنی تأکیدا منهم لجنونه،فقالوا:انتظروا حتّی یشفی من هذا المرض (۱) .

و علی کـلّ حـال فـإنّ المخـالفین وجّهوا إلی نوح علیه السّـلام ثلاثه اتّهامات واهیه متناقضه،و اعتبروا کلّ واحـد منها دلیلا ینفی رسالته:

الأوّل:إنّ ادّعاء البشـر بأنّهم رسل اللّه ادّعاء کاذب،حیث لم یحـدث مثل هـذا فی السابق،و لو شاء اللّه ذلک لبعث ملائکته رسـلا إلی الناس!

۱- ۱) -کمـا قـال البعض:إنّ هـذه العبـاره تشـیر إلی قولهم:ارموه فی السـجن زمنـا و قـال آخرون:إنّهم قصـدوا أن یترکوه لحاله الآن.إلاّ أنّ هذین التّفسیرین لا یبدوان صحیحین.

و الثّانی:إنّه رجل سلطوی،و کلامه ادّعاء لتحقیق هدفه! و الثّالث:إنّه لا یملک عقلا سلیما،و کلّ ما یقوله هو کلام عابر! و بما أنّ جواب هذه الاتّهامات الواهیه أمر واضح جدّا،و قد جاء فی آیات قرآنیه أخری،لهذا لم یتطرّق إلی ردّها فی هذه الآیات.لأنّه من المؤکّد-من جهه -أن یکون قائد الناس أحدهم و من جنسهم،لیکون علی علم بمشاکلهم و یحسّ بآلامهم،إضافه إلی ذلک فإنّ جمیع الأنبیاء کانوا من البشر.و من جهه أخری یتّضح لنا خلال تصفّح تأریخ الأنبیاء و استعراض حیاتهم،أنّ قضیّه الاخوّه و التواضع،تنفی أیّه صفه سلطویه عنهم،کما ثبت رجحان عقلهم و تدبیرهم حتّی عند أعدائهم،حیث نجدهم یعترفون بذلک خلال أقوالهم.

ص:۴۴۳

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٢۶ الی ٣٠]

اشاره

قالَ رَبِّ انْصُرْنِی بِما کَذَّبُونِ (٢۶) فَأَوْحَیْنا إِلَیْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْیُنِنا وَ وَحْیِنا فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ فَاسْلُکْ فِیها مِنْ کُلٍّ
زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ وَ أَهْلَکَ إِلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَیْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَیْتَ أَنْتَ وَ مَنْ
مَعَکَ عَلَی الْفُلْکِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی نَجّانا مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ (٢٨) وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلاً مُبارَکاً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ (٢٩) إِنَّ
فِی ذلِکَ لَآیاتٍ وَ إِنْ کُنّا لَمُبْتَلِینَ (٣٠)

التّفسیر

اشاره

خاتمه حیاه قوم معاندین:

أطّلعنا من الآیات السابقه علی التهم التی وجّهها أعداء نوح علیه السّلام إلیه.إلاّ أنّه یستدلّ من آیات قرآنیه أخری-بشکل واضح-أن أذی القوم المعاندین لنوح علیه السّلام لم یتحدّد بهذه الأمور،بل شمل کلّ وسیله یمکن بها إیذاؤه،فی حین بذل-سلام اللّه علیه-جمیع ما فی وسعه فی سبیل هدایتهم و إنقاذهم من براثن الشرک و الکفر.

ص: ۴۴۴

و عند ما يئس منهم حيث لم يؤمن بما جاء به إلّا مجموعه صغيره،دعا اللّه ليعينه، حيث نقرأ فى الآيه الأولى قٰالَ رَبِّ انْصُرْنِى بِمٰا كَذَّبُونِ (١) .

هنا نزل الوحى الإلهى،من أجل التمهيد لإنقاذ نوح عليه السّلام و أصحابه القلّه و هلاك المشركين المعاندين فَأَوْحَيْنٰا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنٰا وَ وَحْيِنٰا .

إنّ عباره«بأعيننا»إشاره إلى أنّ سعيك فى هذا السبيل سيكون تحت حمايتنا،فاعمل باطمئنان و راحه بال و لا تخف من أى شىء.

و استعمال عباره«و حينا»يكشف لنا أنّ نوحا عليه السّلام تعلّم صنع السفينه بالوحى الإلهى،لأنّ التأريخ لم يذكر أنّ الإنسان استطاع صنع مثل هذه الوسيله حتّى ذلك الوقت.و لهذا السبب صنع نوح عليه السّلام السفينه بشكل يناسب غايته فى صنعها، و لتكون فى غايه الكمال! ثمّ تواصل الآيه بأنّه إذا جاء أمر اللّه،و علامه ذلك فوران الماء فى التنور، فاعلم أنّه قد اقترب وقت الطوفان،فاختر من كلّ نوع من الحيوانات زوجا(ذكر و أنثى)و اصعد به إلى السفينه: فَإِذٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا وَ فٰارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهٰا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاّٰ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ إشاره إلى زوج نوح عليه السّلام و أحد أبنائه،ثمّ أضافت الآيه:

وَ لاٰ تُخٰاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ

و هذا التحذير جاء حتّى لا يقع نوح عليه السّلام تحت تأثير العاطفه الإنسانيه،عاطفه الابوّه،أو عاطفته نحو زوجته ليشفع لهما،فى وقت افتقدا فيه لحقّ الشفاعه.

و تقول الآيه التاليه: فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى نَجّٰانٰا مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ .

و بعد الحمد و الثناء عليه تعالى على هذه النعمه العظيمه،نعمه النجاه من مخالب الظلمه،ادعوه هكذا وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبٰارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ .

١- ١) -الباء فى«بما كذّبون»ربّما كانت سببيّه أو للمقابله.و أمّا«ما»فيمكن أن تكون مصدريه أو موصوله،و يختلف معنى كلّ منهما.إلّا أنّ هذا الاختلاف ليس مهمّا(فتأمّلوا جيدا).

كلمه«منزل»ربّما كانت اسم مكان،أى:بعد الطوفان ندعو اللّه لينزلنا فى أرض ذات خيرات واسعه،لنحيا فيها بسعاده و هدوء.

كما يمكن أن تكون مصدرا ميميّا أى:أنزلنا بشكل لائق،لأنّ هناك أخطارا تهدّد ركّاب هذه السفينه بعد رسوها فى ختام الطوفان،كعدم مكان للسكن،أو النقص فى الغذاء،أو التعرّض للأمراض،لهذا دعا نوح عليه السّلام ربّه لينزله منزلا مباركا.

و قد أشارت الآيه الأخيره-من الآيات موضع البحث-إلى مجمل هذه القصّه فقالت: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ ففى هذه الحوادث التى جرت على نوح عليه السّلام و انتصاره على أعدائه الظالمين،و نزول أشدّ أنواع العقاب عليهم-آيات و دلائل لأصحاب العقول السليمه.

وَ إِنْ كُنّٰا لَمُبْتَلِينَ

أى إنّنا نمتحن الجميع بشكل قاطع. و قد تكون هذه الجمله إشاره إلى إمتحان اللّه لقوم نوح مرارا،و عند ما أخفقوا فى الامتحان أهلكهم إلاّ المؤمنين.

كما قد تكون إشاره إلى امتحان اللّه لجميع البشر فى كلّ زمان و مكان،و ما جاء فى هذه الآيات لم يكن خاصّا بالناس فى زمن نوح عليه السّلام،بل يشمل الناس فى جميع الدهور.فيهلك من كان عائقا فى طريق تكامل البشريه و ليواصل الأخيار سيرهم الطبيعى.

و اكتفت الآيات هنا بقضيّه بناء السفينه و دخول نوح عليه السّلام و أصحابه إليها،إلاّ أنّها لم تشر إلى مصير المذنبين،و لم تتحدّث عنهم بالتفصيل،و إنّما اكتفت بالقول بأنّهم لقوا ما وعدهم اللّه إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ لأنّ هذا الوعد مؤكّد لا يقبل النقض.

و لا بدّ من القول بأنّ هناك حديثا واسعا عن قوم نوح و موقفهم إزاء هذا النّبى الكبير،و مصيرهم المؤلم،و قصّه السفينه،و فوران الماء من التنور،و حدوث الطوفان،و غرق ابن نوح عليه السّلام.و قد بيّنا قسما كبيرا منه فى تفسير سوره هود، و سنذكر قسما آخر فى تفسير سوره نوح إن شاء اللّه.

ص:۴۴۶

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٣١ الی ۴١]

اشاره

ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ (٣٢) وَ قٰالَ اَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقٰاءِ اَلْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْنٰاهُمْ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا مٰا هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمّٰا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمّٰا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ (٣۴) أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذٰا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣۵) هَيْهٰاتَ هَيْهٰاتَ لِمٰا تُوعَدُونَ (٣۶) إِنْ هِيَ إِلاّٰ حَيٰاتُنَا اَلدُّنْيٰا نَمُوتُ وَ نَحْيٰا وَ مٰا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلاّٰ رَجُلٌ اِفْتَرىٰ عَلَى اَللّٰهِ كَذِباً وَ مٰا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قٰالَ رَبِّ اُنْصُرْنِي بِمٰا كَذَّبُونِ (٣٩) قٰالَ عَمّٰا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نٰادِمِينَ (۴٠) فَأَخَذَتْهُمُ اَلصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنٰاهُمْ غُثٰاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِينَ (۴١)

ص: ۴۴٧

التّفسير

اشاره

المصير المؤلم لقوم ثمود:

تحدّثت هذه الآيات عن أقوام آخرين جاؤوا بعد قوم نوح عليه السّلام.و منطقهم يتناغم و منطق الكفّار السابقين،كما شرحت مصيرهم الأليم،فأكملت بذلك ما بحثته الآيات السابقه.

فهى تقول أوّلا: ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ .

«القرن»مشتقّ من الاقتران،بمعنى القرب،لهذا يطلق على الجماعه التى تعيش فى عصر واحد،كما تطلق هذه الكلمه على عصر هؤلاء،و قياس زمن القرن بثلاثين أو مائه سنه يتّبع ما تعارفته الأقوام المختلفه.

و بما أنّ البشر لا يمكن أن يعيشوا دون قائد ربّانى،فقد بعث اللّه أنبياءه يدعون إلى توحيده و يقيمون عدالته بين الناس،حيث تقول الآيه التاليه:

فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ

.

و هذه هى الركيزه الأساسيّه لدعوه الأنبياء،إنّها نداء التوحيد،اسّ جميع الإصلاحات الفرديه و الاجتماعيه،و بعدها أكّد رسل اللّه لهم القول:إنّكم و بعد هذه الدعوه الصريحه ألا تتركون الشرك و عباده الأوثان: أَ فَلا تَتَّقُونَ .

أمّا أىّ قوم كان هؤلاء؟و من هو نبيّهم؟ قال المفسّرون بعد دراسه الآيات المشابهه لهذه الآيه:هناك احتمالان:

الأوّل:أنّهم قوم ثمود الذين عاشوا شمال الحجاز،و بعث اللّه النّبى «صالح»عليه السّلام لهدايتهم،إلاّ أنّهم كفروا و طغوا فأهلكهم اللّه بالصيحه السماويه (الصاعقه القاتله)و شاهد هذا التّفسير و دليله هو الصيحه التى ذكرت فى ختام الآيات موضع البحث،و التى جاءت فى سوره هود الآيه(۶۷)حيث خصّت قوم صالح عليه السّلام.

و الاحتمال الثّانى:خصها بقوم«عاد»الذين كان نبيّهم«هود»عليه السّلام،و قد

ذکرتهم آیات قرآنیه مباشره بعد سرد قصّه نوح علیه السّلام،و هذا دلیل علی صحّه هذا التّفسیر (۱) ،إلّا أنّ عقاب قوم عاد کما جاء فی الآیتین السادسه و السابعه من سوره «الحاقه»،کان ریحا شدیدا استمرّ سبعه أیّام فدمّرهم عن بکره أبیهم،إذن فالتّفسیر الأوّل هو الأصحّ.

و لننظر الآن ماذا کان ردّ فعل هؤلاء القوم المعاندین إزاء التوحید الذی أعلنه هذا النّبی الکبیر؟ یقول القرآن فی الآیه التالیه: وَ قٰالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِلِقٰاءِ الْآخِرَهِ وَ أَتْرَفْنٰاهُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا مٰا هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یَأْکُلُ مِمّٰا تَأْکُلُونَ مِنْهُ وَ یَشْرَبُ مِمّٰا تَشْرَبُونَ .

أجل إنّ القوم الذین عاشوا فی رفاه مطلق دعاهم القرآن باسم الملأ(تری ظاهرهم یملأ العین،إلّا أنّ باطنهم خاو من النور).

و بما أنّهم کانوا یرون فی دعوه نبی اللّه خلافا لأهوائهم و منافسه لمصالحهم العدوانیه و تسلّطهم الذی لا مبرّر له،و قد أترفوا فبعدوا عن ذکر اللّه،و أنکروا الآخره،فجادلوا نبیّهم بنفس منطق المعاندین من قوم نوح،فقد رأوا فی بشریه القاده الربانیّین و تناولهم الطعام کباقی الناس دلیلا علی بطلان نبوّه هؤلاء،فی حین أنّ هذا الأمر بحدّ ذاته مؤیّد علی کون هؤلاء الرجال العظام حمله رساله من اللّه إلی الناس،و لأنّهم نهضوا من بین جماهیر الناس بعد أن شعروا بآلامهم و عملوا بما یحتاجونه بشکل جیّد.

ثمّ قال بعضهم للبعض الآخر: وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَکُمْ إِنَّکُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ .

هؤلاء الحمقی لم یلتفتوا إلی هذه الحقیقه،و هی أنّهم یریدون من الناس بهذه الوساوس الشیطانیه أن ینقادوا له فی محاربه الأنبیاء،فی الوقت الذی یعیبون فیه

ص: ۴۴۹

۱- ۱) -یراجع فی ذلک سوره هود الآیه(۵۰)و سوره الأعراف الآیه(۶۵)و سوره الشعراء الآیه(۱۲۳)

على الـذين يتّبعون من كان يسـتمدّ العون من مركز الوحى و قـد ملىء قلبه نورا و علما إلهيّا.و يرون فى هـذا العمل تقييـد لحريّه الإنسان.

و من ثمّ أنكروا المعاد،الـذى كان دوما سدّا منيعا لاتّباع الشـهوات و أرباب اللّذّات،و قالوا: أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذٰا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ لتعيشون حياه جديـده هَيْهٰاتَ هَيْهٰاتَ لِمٰا تُوعَدُونَ فقد تسائل الكفّار:هل يمكن البعث و الناس قد أصـبحوا ترابـا و تبعثرت ذرّاتهم هنـا و هنـاك؟إنّ ذلـك مسـتحيل!! و بهـذا الكلام ازدادوا إصـرارا على إنكـار المعـاد قـائلين:إنّنا نشاهد باسـتمرار موت مجموعه و ولادة مجموعه أخرى لتحلّ محلّهم،و لا حياه بعـد الموت إِنْ هِيَ إِلاّٰ حَيٰاتُنَا الـدُّنْيٰا نَمُوتُ وَ نَحْيٰا وَ مٰا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ .

و أخيرا لخصّوا التهم التى وجّهوها إلى نبيّهم فقالوا: إِنْ هُوَ إِلاّٰ رَجُلٌ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً وَ مٰا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ فلا رساله إلهيّه،و لا بعث،و لا برنامج سماوى، و عليه لا يتسنّى لعاقل الإيمان به.

و عنـد مـا طغى عنـاد الكفّار،و زالت آخر قطره من الحياء منهم،فتجاسـروا على اللّه،و أنكروا رسالته إليهم،و أنكروا معاجز أنبيائه بكـلّ صـلافه،و قـد أتمّ اللّه حجّته عليهم،عنـدها توجّه هـذا النّبى الكبير إلى اللّه سـبحانه و تعالى و قٰالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمٰا كَذَّبُونِ ربّاه:انصرنى فقد هتكوا الحرمات،و اتّهمونى بما شاؤوا و كذّبوا دعوتى.

فأجابه اللّه عزّ و جلّ كما ذكرت الآيه قٰالَ عَمّٰا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نٰادِمِينَ ألا إنّهم سيندمون يوم لا ينفع الندم.

و هكذا جرى فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ حيث نزلت عليهم صاعقه الموت برعبها الهائل و دمارها الماحق،و قلبت مساكنهم و نثرتها حطاما، و كانت سريعه خاطفه إلى درجه لم تسمح لهم بالفرار،فدفنوا فى منازلهم كما بيّنت الآيه

الکریمه فَجَعَلْنٰاهُمْ غُثٰاءً أی جعلناهم کهشیم النبات یحمله السیل فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّٰالِمِینَ .

تعلیقات:

اشاره

۱-الحیاه المترفه و أثرها المشؤوم

بیّنت الآیات السابقه العلاقه بین«الترف»(حیاه الأشراف المنّعمین)و بین «الکفر و إنکار لقاء اللّه»و هذه هی الحقیقه بعینها.فالذین یعیشون مترفین یطلقون العنان لشهواتهم الحیوانیه.فمن الواضح أنّهم لا یقبلون برقابه إلهیّه،و لا یعترفون بیوم البعث حیث تنتظرهم محکمه العدل الإلهی،و الإقرار بذلک یؤنّب ضمائرهم و یثیر الناس علیهم،لهذا فانّ هؤلاء الأشخاص لا یقرّون بالعبودیه للّه،و ینکرون المبدأ و المعاد،و یرون الحیاه کما ذکرت الآیات السابقه إِنْ هِیَ إِلاّٰ حَیٰاتُنَا الدُّنْیٰا نَمُوتُ وَ نَحْیٰا وَ مٰا نَحْنُ بِمَبْعُوثِینَ .

هذا هو شعارهم المعبّر عن فتنتهم و ضلالهم الصارخ:فلنغتنم هذه الفرصه فلا خبر جاء و لا وحی نزل،و من یدّعی ذلک فهو کاذب!و عصفور فی الید خیر من عشره علی الشجره...هکذا کانوا یبرّرون إنکارهم لیوم البعث.

إضافه إلی ذلک فتحقیق مثل هذه الحیاه المترفه لا تتمّ بدأ إلاّ بسلب حقوق الآخرین و ظلمهم،و هذا لا یکون إلاّ بإنکار رساله الأنبیاء و القیامه و لهذا نری الذین عاشوا فی بذخ مترف یحتقرون کلّ القیم السماویه و ینکرون کلّ شیء إلهی.

هؤلاء الحمقی أصبحوا أسری لأهوائهم النفسیّه،فخرجوا عن طاعه اللّه و أصبحوا عبیدا لأهوائهم و شهواتهم،بل أصبحوا عبیدا لعبید آخرین،بنفسیّه وضیعه،و قلوب سوداء قاتمه،و مستقبل موحش،علی الرغم من أنّ البعض یتصوّر أنّهم متنّعمون و سیبقون کذلک،غیر أنّ القلق الذی یسیطر علیهم من عقاب اللّه و زوال نعمته و الخوف من الموت لا یدع لهم راحه.

ص:۴۵۱

۲-«التراب»و«العظام»

يتفسّخ جسم الإنسان بعد موته حتّى يتحوّل إلى تراب،إلّا أنّ الآيه السابقه قدّمت التراب على العظام،لماذا؟ قد يكون ذلك إشاره إلى القسمين المهمّين من مكوّنات الجسم(اللحم و العظم)فاللحم يتفسّخ أوّلا و يصبح ترابا،و تبقى العظام لسنين عديده ثمّ تبلى أخيرا و تصبح ترابا أيضا.

و ربّما كان التراب هنا إشاره إلى الأجداد القدماء جدّا الذين أصبحوا ترابا، و العظام إشاره إلى الآباء الذين تفسّخت أجسامهم،و بقيت العظام لم تتحوّل إلى تراب (۱) .

۳-ما معنى الغثاء؟

اطّلعنا على مصير قوم ثمود و هو-كما ذكرته الآيات السابقه-أنّهم قد أصبحوا«غثاء».و الغثاء،يعنى النباتات الجافّه المتراكمه،و الطافيه على مياه السيول،كما يطلق الغثاء على الزبد المتراكم على ماء القدر حين الغليان،و تشبيه الأجسام الميته بالغثاء دليل على منتهى ضعفها و انكسارها و تفاهتها،لأنّ هشيم النبات فوق مياه السيل تافه لا قيمه له،و لا أثر له بعد انتهاء السيل(و قد شرحنا بإسهاب الصيحه السماويه فى تفسير الآيه ۶۷ من سوره هود)هذا و لم يكن هذا العقاب خاصّا-فقط-بقوم ثمود،حيث هناك أقوام أخرى أهلكت به.و قد تمّ شرحه فى حينه.

۱- ۱) -تفسير روح المعانى حول الآيات موضع البحث.

۴-مصیر عام

و ممّا یلفت النظر أنّ آخر عباره فی الآیات-موضع البحث-أخرجت القضیّه من إطارها و جعلتها قانونا عامّا،حیث تقول: فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِینَ و هذا استنتاج نهائی من کلّ هذه الآیات،فما قیل بصدد إنکار و تکذیب الآیات الإلهیّه و المعاد و العاقبه المؤلمه و النهایه السیّئه لا تختّص بجماعه معیّنه،بل تشمل جمیع الظلمه عبر التاریخ.

ص: ۴۵۳

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ۴٢ الى ۴۴]

اشاره

ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ (۴٢) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ (۴٣) ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (۴۴)

التّفسير

اشاره

هلاک الأقوام المعاندين الواحد بعد الآخر:

بعد أن تحدّث القرآن عن قصّه قوم نوح،أشار إلى أقوام أخرى جاءت بعدهم،و قبل النّبى موسى عليه السّلام حيث يقول: ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ لأنّ هذا أمر اللّه و سنّته فى خلقه،فالفيض الإلهى لا ينقطع عن عباده فلو سعى جماعه للوقوف فى وجه مسيره التكامل الإنسانى للبشريه لمحقهم و دفع هذه المسيره إلى أمام.

و لهذه الأقوام تأريخ معيّن و أجل محدود ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ فلو صدر الأمر الحتمى بنهايه حياتهم فسيهلكوا فورا،دون تأخير لحظه أو تقديم لحظه.

ص: ۴۵۴

«الأجل»بمعنى العمر و مدّه الشيء،كأن نقول:أجل هذا الصكّ ثلاثه أشهر،أى أنّ مدّته تنتهى بعد ثلاثه أشهر،أو إلى أجل مسمّى أى إلى تاريخ محدّد.

و كما قلنا سابقا فالأجل نوعان:«المحتّم»و«المشروط»،فالأجل المحتّم انتهاء عمر الإنسان أو عمر قوم ما،و لا تغيير فيه.أمّا الأجل المشروط فيمكن أن يتغيّر حسب تغيّر الظروف فيزداد أو ينقص،و قد تحدّثنا عن ذلك سابقا بإسهاب (۱) .

و على كلّ حال،فإنّ الآيه السابقه تشير إلى«الأجل المحتّم».

و تكشف الآيه التاليه حقيقه استمرار بعث الأنبياء عبر التاريخ بالدعوه إلى اللّه حيث تقول: ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا .

كلمه«تترا»مشتقّه من«الوتر»بمعنى التعاقب،و«تواتر الأخبار»تعنى وصولها الواحد بعد الآخر،و من مجموعها يتيقّن الإنسان بصدقها،و هذه الكلمه مشتقّه فى الأصل من«الوتر»بمعنى حبل القوس حيث يتّصل الحبل بالقوس من جهتيه و يقع خلفه ليقرب رأس القوس(و من حيث التركيب فإنّ كلمه«تترا»فى الأصل«وترا»تبدّلت الواو فيه تاء).

و على كلّ حال فإنّ معلّمى السّماء،كانوا يتعاقبون فى إرشاد الناس،إلاّ أنّ الأقوام المعانده كانوا يواصلون الكفر و الإنكار،فإنّه: كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ .

و عند ما تجاوز هذا الكفر و التكذيب حدّه و تمّت الحجّه عليهم. فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً .

أى أهلكنا الأمم المعانده الواحده بعد الاخرى و محوناهم من الوجود.

و قد تمّ محوهم بحيث لم يبق منهم سوى أخبارهم يتداول الناس

ص: ۴۵۵

۱- ۱) -للاستزاده يراجع تفسير الآيه الثانيه من سوره الأنعام.

وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَحٰادِيثَ

.إشـاره إلى أنّ كـلّ أمّه تتعرّض للهلاـك،و يبقى منهم بعض الأـفراد و الآثـار هنـا و هناك،و أحيانا لا يبقى منهم أى أثر.و هـذه الأمم المعانده و الطاغيه كانت ضمن المجموعه الثّانيه (۱) .

و تقول الآـيه فى الختـام،كمـا ذكرت الآيـات السابقه فَبُعْداً لِقَوْمٍ لاٰ يُؤْمِنُونَ أجل،إنّ هـذا المصـير نتيجه لعـدم الإيمان باللّه،فكلّ مجموعه لا إيمان لها،معانده و ظالمه،تبتلى بهذا المصير،فتمحق بشكل لا يبقى إلّا ذكرها فى التاريخ و أحاديث الناس.

و هؤلاء لم يكونوا بعيـدين عن رحمه اللّه فى هـذه الدنيا فحسب،بل بعيدون عن هذه الرحمه فى الآخره أيضا،لأنّ تعبير الآيه جاء عامّا يشمل الجميع.

ص :۴۵۶

۱- ۱) -«الأحاديث»جمع حديث،و تفسيرها كما مرّ أعلاه،إلّا أن البعض احتمل أن تكون جمع«أحدوثه»و تعنى الأخبار المدهشه التى يتحدّث الناس عنها.(تفسير الفخر الرازى حول الآيه موضع البحث).

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ۴۵ الى ۴۹]

اشاره

ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسىٰ وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۴۵) إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ (۴۶) فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ (۴۷) فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ اَلْمُهْلَكِينَ (۴۸) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى اَلْكِتابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (۴۹)

التّفسير

اشاره

قيام موسى و هلاك الفراعنه:

كان الحديث حتّى الآن عن أقوام بعث اللّه لهم رسلا قبل موسى عليه السّلام، و هلكوا.

أمّا الآيات موضع البحث فقد تحدّثت باختصار جدّا عن انتفاضه موسى و هارون على الفراعنه،و مصير هؤلاء القوم المستكبرين فقالت: ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسىٰ وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ .

و هناك تفاسير عديده لما تقصده كلمه«الآيات»و عباره سُلْطانٍ مُبِينٍ و ما الفرق بينهما؟ ١-قال بعض المفسّرين:إنّ«الآيات»تعنى المعجزات التى أعطاها اللّه

لموسی بن عمران(الآیات التسع).و تقصد عباره«سلطان مبین»المنطق القوی و البرهان الدافع لموسی علیه السّلام أمام الفراعنه.

۲-التّفسیر الثّانی أنّ«الآیات»تعنی جمیع معاجز موسی علیه السّلام،و یقصد بعباره سُلْطانٍ مُبِینٍ بعض معاجز موسی المهمّه کعصاه و الید البیضاء،لأنّ لهما خصائص ساعدت موسی علی الإنتصار علی الفراعنه.

۳-و احتمل البعض أنّ کلمه«الآیات»أشارت إلی آیات«التوراه»،و بیان التعالیم و ما شاکل ذلک،و عباره«سلطان مبین»إشاره إلی معجزات موسی علیه السّلام.

إلاّ أنّه لو لاحظنا استعمالات عباره«سلطان مبین»فی القرآن المجید لوجدنا التّفسیر الأوّل أقرب إلی الصواب،لأنّ کلمه«سلطان»أو«سلطان مبین»وردت فی القرآن بمعنی الدلیل و المنطق الواضح (۱) .

أجل بعثنا موسی و أخاه هارون بهذه الآیات و سلطان مبین إِلیٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ .لماذا تتحدّث الآیه فقط عن الملأ(المجتمع المترف المعاند أو ما یسمّی بطبقه الأشراف).و لم تقل أنّ رسالتهما إلی شعب مصر کلّه.

لعلّ ذلک إشاره إلی أنّ الفراعنه هم أساس الفساد،و إن صلحوا فالباقون أمرهم سهل.إضافه إلی کونهم قاده البلد،و لا یصلح أی بلد إلاّ بصلاح قادته.إلاّ أنّهم فَاسْتَکْبَرُوا لأنّهم لم یرضوا لآیات الحقّ و السلطان المبین و الفراعنه کانوا-أساسا-مستکبرین طاغین،کما تقول الآیه وَ کٰانُوا قَوْماً عٰالِینَ .و الفرق بین العبارتین فَاسْتَکْبَرُوا و کٰانُوا قَوْماً عٰالِینَ أنّ العباره الأولی قد تکون إشاره إلی استکبارهم عن دعوه موسی علیه السّلام،و العباره الثّانیه تشیر إلی أنّ الاستکبار یشکل دوما برنامجهم و بناءهم الفکری و الروحی.

و یحتمل أیضا أن تکون العباره الأولی إشاره إلی تکبر الفراعنه،و الثّانیه إلی أنّهم کانوا یتمتّعون بقدره متعالیه و حیاه متمیّزه.و هذا سبب استکبارهم.

ص:۴۵۸

۱- ۱) -نقرأ فی سوره النمل الآیه(۲۱): لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذٰاباً شَدِیداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَیَأْتِیَنِّی بِسُلْطٰانٍ مُبِینٍ و فی الآیه(۲۳)من سوره النجم نقرأ إِنْ هِیَ إِلاّ أَسْمٰاءٌ سَمَّیْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُکُمْ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ .

و من الدلائل الواضحه على إحساسهم بالاستعلاء،قولهم: فَقٰالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنٰا وَ قَوْمُهُمٰا لَنٰا عٰابِدُونَ (۱) فلم يكتفوا بالقول إنّنا لا ينبغی لنا اتّباع موسی و هارون،بل لا بدّ أن يكون موسی و هارون عبدين دائمين لهم.فهؤلاء الذين اتّهموا الأنبياء عليهم السّلام بالتسلّط فی وقت هم أسوأ من كلّ متسلّط،و كلامهم يشهد على ذلک.

و على كلّ حال فقد تصدّوا لموسی و أخيه هارون بهذه الأدلّه الخاويه،مخالفه منهم للحقّ فَكَذَّبُوهُمٰا فَكٰانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ .

و هكذا انتهى أعداء بنی إسرائيل الذين كانوا سدّا مانعا لدعوه موسی و هارون إلی اللّه سبحانه.

و بدأت بعدها مرحله تعليم و تربيه بنی إسرائيل،فأنزل اللّه فی هذه المرحله «التوراه»على موسی،الذی دعا بنی إسرائيل للاهتداء بهذا الكتاب و تطبيقه على ما ذكرته الآيه الأخيره هنا وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسَى الْكِتٰابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ .

و الآيات السابقه تحدّثت فی مرحله موسی و هارون عن الفراعنه مستعمله الضمير المثنّى،و هنا تكلّمت عن نزول الكتاب السماوی(التوراه)فخصّصت الحديث بموسی عليه السّلام.لأنّه النّبی المرسل و صاحب الكتاب و الشريعه.إضافه إلی أنّ (موسی)كان يتعبّد فی جبل الطور حين نزول التوراه،بينما كان هارون بين جموع بنی إسرائيل (۲) .

ص:۴۵۹

۱- ۱) -يطلق على الإنسان«البشر»،لأنّ بشرته و جلده عاريه.خلافا لما عليه الحيوانات من لباس طبيعی خاص بكلّ نوع منهما. و ذلک لعدم قدرتها على إعداد وسائل الحياه فمنح اللّه ذلک لها بشكل طبيعی.أمّا بالنسبه للإنسان فقد أوكل ذلک إلی ذكائه و عقله،

۲- ۲) -بحثنا بالتفصيل حول موسی عليه السّلام و كيفيه مبعثه و جهاده مع الفراعنه فی تفسير الآيات(۱۰۳)إلی(۱۶۲)من سوره الأعراف و فی تفسير الآيات(۸)إلی(۹۷)من سوره طه.

الآیات [سوره المؤمنون (۲۳): آیه ۵۰]

اشاره

وَ جَعَلْنَا اِبْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ آیَهً وَ آوَیْنٰاهُمٰا إِلیٰ رَبْوَهٍ ذٰاتِ قَرٰارٍ وَ مَعِینٍ (۵۰)

التّفسیر

اشاره

آیه أخری من آیات اللّه:

أشارت الآیه فی آخر مرحله من شرحها لحیاه الأنبیاء إلی السیّد المسیح علیه السّلام و أمّه مریم،فقالت: وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ آیَهً .و قد استعملت«الآیه»عباره «ابن مریم»بدلا من ذکر اسم عیسی علیه السّلام،لجلب الانتباه إلی حقیقه ولادته من أمّ دون أب بأمر من اللّه،و هذه الولاده هی بذاتها من آیات اللّه الکبیره.

و حمل مریم علیهما السّلام من غیر أن یمسّها بشر،و انجابها عیسی علیه السّلام وجهان لحقیقه واحده تشهد بعظمه اللّه سبحانه المبدعه و قدرته.

ثمّ أشارت الآیه إلی الأنعم الکبیره التی أسبغها اللّه علی هذه الامّ الزکیه و ابنها فتقول: وَ آوَیْنٰاهُمٰا إِلیٰ رَبْوَهٍ ذٰاتِ قَرٰارٍ وَ مَعِینٍ .

«الربوه»مشتقّه من«الربا»بمعنی الزیاده و النمو.و تعنی هنا المکان المرتفع.

و«المعین»مشتقّ من«المعن»علی وزن«شأن»بمعنی جریان الماء،فالماء

المعين هو الماء الجاری.و یری البعض أنّ«المعین»مشتق من«العین»أی نبع الماء الظاهر الذی یمکن مشاهدته بالعین المجرّده (۱) .

و فی هذا إشاره مجمله إلی المکان الآمن الوارف البرکات و الخیرات،الذی منّ اللّه عزّ و جلّ به علی هذه الامّ و ابنها و جعلهما فی أمان من شرّ الأعداء،یؤدّیان واجباتهما باطمئنان.

و اختلف المفسّرون فی هذا المکان،فبعض یری أنّ مولد السیّد المسیح علیه السّلام کان فی«الناصره»(من مدن الشام).و قد جعله اللّه و أمّه فی مکان آمن ذی خیرات،و حافظ علیه من شرّ الأعداء الذین أرادوا أن یکیدوا بعد علمهم بولادته و مستقبله.

و یری آخرون أنّ هذا المکان الآمن هو«مصر»،لأنّ مریم علیها السّلام و ابنها السیّد المسیح علیه السّلام عاشا فتره من حیاتهما فی مصر طلبا للنجاه من شرّ الأعداء.

و قال غیرهم:إنّ المسیح علیه السّلام ولد فی«دمشق»،و ذهب سواهم إلی أنّه فی «الرمله»فی الشمال الشرقی من القدس،حیث عاش المسیح و امّه علیهما السّلام فی کلّ من هذه المناطق فتره من حیاتهما.و یحتمل أن یکون مولد السیّد المسیح علیه السّلام فی صحراء القدس،و قد جعله اللّه أمنا لهذه الامّ و الولید، و فجرّ لهما ماء معینا و رزقهم من النخل الجافّ رطبا جنیّا.

و علی کلّ حال،فقد کانت الآیه دلیلا علی حمایه اللّه تعالی الدائمه لرسله و لمن یدافع عنهم.و تأکیدا علی أنّ إراده اللّه هی الأقوی،فلو أراد الملأ کلّهم قتل رسوله دون إذنه لما تمکّنوا.فالوحده و قلّه الأنصار و الأتباع لا تکون سببا لهزیمتهم إطلاقا.

۱- ۱) -فی الحاله الأولی تکون المیم جزءا من الکلمه،و هی علی وزن«فعیل»،و فی الثّانیه المیم زائده و هی علی وزن مفعول «مثل مبیع».

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥١ الى ۵۴]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ اَلطَّيِّبَاتِ وَ اِعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۵۱) وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (۵۲) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (۵۳) فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (۵۴)

التّفسير

اشاره

جميع الامّه يد واحده:

تحدّثت الآيات السابقه عن ماضى الأنبياء و أممهم،أمّا هذه الآيات فخاطبت الجميع فقالت: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ .

الفرق بينكم أيّها الأنبياء و بين سواكم من البشر،ليس فى أنّكم لا تتّصفون بصفاتهم كالحاجه إلى الطعام و الشراب و النوم و الراحه،و إنّما بسموّكم،ففيما يتهافت الناس على إشباع شهواتهم بما طاب و خبث و قد جعلوا من الأكل هدفهم النهائى،زكت أنفسكم،و اختارت الطّيبات و صالح الأعمال.

بين عبارتى كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ و اِعْمَلُوا صَالِحاً ارتباط واضح،فلنوع

الغذاء أثر فی نفس الإنسان و عقله و سلوکه.و قد ذکرت الأحادیث الإسلامیه أنّ تناول الغذاء الحرام یمنع استجابه الدعاء.

و

روی عن الرّسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم قوله لرجل سأله عن استجابه دعائه«طهّر مأکلک و لا تدخل بطنک الحرام» (۱) و (۲) .

و قوله تعالی: إِنِّی بِما تَعْمَلُونَ عَلِیمٌ بنفسه دلیل مستقبل علی وجوب القیام بالعمل الصالح،لأنّ الإنسان عند ما یعلم بأنّ اللّه یراقب أعماله،و لا یخفی علیه شیء و سوف نحاسبه بدقّه علی ذلک،فلا شکّ فی أنّ الالتفات إلی هذا الأمر یساعد فی إصلاح عمله.

مضافا إلی أنّ تعابیر الآیه هذه تبعث فی الإنسان الشعور بضروره تقدیم الشکر للّه علی ما أنعم علیه من الطیّبات،و بذلک تؤثّر فی عمله أیضا.

و بهذا بیّنت الآیه ثلاثه مؤثّرات فی العمل الصالح:

الأوّل:طیب الغذاء الذی یورث صفاء القلب و نقاوته.

و الثّانی:شکر اللّه تعالی علی ما أنعم به من رحمته.

الثّالث:الشعور الیقظ بمراقبه اللّه سبحانه للأعمال کلّها.

أمّا کلمه«الطیب»فهی کما قلنا تعنی کلّ شیء نظیف و طاهر.و هی نقیض کلمه«الخبیث»قال الراغب الاصفهانی فی مفرداته:الطیب یعنی:کلّ ما یسرّ الإنسان حسیّا و روحیا،أمّا من الناحیه الشرعیه فهو الحلال الطاهر.

و القرآن المجید ذکر الطیب و الطیبات فی کثیر من الموارد:

یا أَیُّهَا الرُّسُلُ کُلُوا مِنَ الطَّیِّباتِ

(۳)

.ثمّ لا یقصر الأمر علی الرسل،بل:

۱- ۱) -وسائل الشیعه،المجلّد الرّابع،الدعاء الباب(۶۷)الحدیث(۴).

۲- ۲) -تناولنا شرح ذلک فی تفسیر الآیه(۱۸۶)من سوره البقره.

۳- ۳) -المؤمنون،۵۱.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

(۱)

بل إنّ ما يصل إلى مقام القرب هو الطيّب من الأعمال و الأقوال:

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

(۲)

.

و أحد امتيازات الإنسان الكبيره على سائر الموجودات أنّ اللّه تعالى رزقه من الطيّبات: وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (۳) .

كما

جاء فى حديث موجز ثر المعنى عن الرّسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم عرض لهذه الحقيقه «يا أيّها الناس،إنّ اللّه طيّب لا يقبل إلّا طيّبا» (۴) .

ثمّ دعت الآيه جميع الأنبياء و أتباعهم إلى توحيد اللّه و التزام تقواه وَ إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فالاختلافات الموجوده بينكم،و كذلك بين أنبيائكم ليست دليلا على التعدّديه إطلاقا. وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ .

فنحن بين يدى دعوه واعيه إلى وحده الجماعه و القضاء على ما يثير التفرقه، ليعيش الناس أمّه واحده،كما أنّ اللّه ربّهم واحد أحد.

و لهذا يجب أن ينتهج الناس ما نهجه الأنبياء عليهم السّلام إذ دعوا إلى اتّباع تعاليم موحدّه،ذات أساس واحد فى كلّ مكان«توحيد اللّه و معرفه الحقّ،الاهتمام بالمعاد و التكامل فى الحياه،و الاستفاده من الطيّبات و القيام بالأعمال الصالحه.

و الدفاع عن العدل و المبادئ الإنسانيّه».

و يرى بعض المفسّرين أنّ كلمه«أمّه»تعنى هنا الدين و العقيده. و ليس المجتمع.إلّا أنّ ضمير الجمع فى جمله أَنَا رَبُّكُمْ دليل على أنّ(الامّه)تعنى

۱- ۱) -البقره،۱۷۲.

۲- ۲) -فاطر،۱۰.

۳- ۳) -الإسراء،۷۰.

۴- ۴) -تفسیر القرطبی،المجلّد السابع،صفحه ۴۵۱۹(حول الآیه موضع البحث).

الناس جميعا.

و قد وردت كلمه«الامّه»في القرآن المجيد بمعنى«الجماعه»غالبا،و ندر ورودها بمعنى«الدين»مثل إِنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّهٍ وَ إِنّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ (1) .

و ممّا يلفت النظر أنّ هذا المعنى تضمّنته الآيه ۹۲ من سوره الأنبياء مع فارق بسيط إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّهً واحِدَهً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ .في وقت شرحت الآيات السابقه لهذه الآيه حياه كثير من الأنبياء،و«هذه»في الحقيقه إشاره إلى أمم الأنبياء السابقين،الذين كانوا يشكّلون أمّه واحده بحسب التعاليم الإلهيّه،حيث تحرّكوا جميعا لتحقيق هدف واحد.

و قد حذّرت الآيه التاليه البشر من الفرقه و الاختلاف،بعد أن تمّت في الآيه السابقه دعوتهم إلى التمسّک بالواحده فقالت: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً و ممّا يثير الدهشه أنّ كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .

«الزبر»جمع«زبره»على وزن«لقمه»تعني بعض شعر الحيوان خلف رأسه.

يجمعه الراعي ليفصله عن باقي الشعر.ثمّ أطلقت هذه الكلمه على كلّ شيء ينفصل عن أصله،فتقول الآيه: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً .إشاره منها إلى تفرّق الامّه إلى مجموعات و فئات مختلفه.

و احتمل البعض الآخر أنّ الزبر جمع«زبور»بمعنى كتاب،و تعني أنّ كلّ فئه منهم كانت تمسک بكتاب منزل و تنفي ما عداه من الكتب السماويه،مع أنّ مصدرها واحد.و لكن عباره كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ تدعم التّفسير الأوّل، فكلّ حزب يتحدّث بما تشتهي نفسه،و يصرّ على رأيه.

تستعرض الآيه حقيقه نفسيّه و اجتماعيه هي أنّ التعصّب الجاهلي للأحزاب

ص: ۴۶۵

۱- ۱) -الزخرف،۲۳.

و الفئات يمنع وصولها إلى الحقيقه!لأنّ كلّا منها قد اتّخذ سبيلا خاصّا به،و أصبح فى قوقعه لا تسمح لنور جديد بالدخول إلى قلبه،و لا بنسيم معنوى يهبّ على روحه ليكشف لها حقيقه من الحقائق.

و هذه الحاله نتجت عن حبّ الذات المفرط و العناد،و هما أكبر عدوّ للحقيقه، و لوحده الامّه.إنّ الاعتزاز بالنمط الذى تعيشه كلّ فئه و احتقار سواه يجعل الإنسان يصمّ أذنيه عن كلّ صوت يخالف ما اعتقده.و يغطّى رأسه بثوبه،أو يلجأ إلى الفرار خوفا من تجلّى حقيقه على خلاف ما اعتاد عليه كما يذكر القرآن المجيد عن حال المشركون زمن نوح عليه السّلام و على لسان هذا النّبى المرسل: وَ إِنِّی کُلَّمٰا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصٰابِعَهُمْ فِی آذٰانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِیٰابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَکْبَرُوا اسْتِکْبٰاراً (۱) .

و لا يمكن للإنسان النجاه بنفسه و الوصول إلى الحقّ إلاّ بالتخلّص من هذه الحاله و إنهاء عناده.

و لهذا تقول الآيه الأخيره هنا: فَذَرْهُمْ فِی غَمْرَتِهِمْ حَتّٰی حِینٍ أى اتركهم على حالهم حتّى يأتى أجلهم،أو يأتيهم اللّه بعذاب منه،فليس لهم سوى هذا،لأنّهم أصرّوا على البقاء فى جهلهم و متاهتهم.

و كلمه«حين»قد تكون إشاره إلى وقت الموت،أو نزول العذاب،أو كليهما.

و أمّا«الغمره»على وزن«ضربه»فهى بالأصل من«غمر»أى إتلاف كلّ شىء.ثمّ أطلق غمر و غامر على الماء الكثير الذى يزيل كلّ شىء يواجهه و يواصل جريانه،ثمّ أطلق على الجهل و البلايا التى يغرق فيها الإنسان.كما استعملته الآيه السابقه بمعنى الغفله و الضياع و الجهل و الضلال.

۱- ۱) -سوره نوح،۷.

الآیات [سوره المؤمنون (۲۳): الآیات ۵۵ الی ۶۱]

اشاره

أَ یَحْسَبُونَ أَنَّمٰا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مٰالٍ وَ بَنِینَ (۵۵) نُسٰارِعُ لَهُمْ فِی اَلْخَیْرٰاتِ بَلْ لاٰ یَشْعُرُونَ (۵۶) إِنَّ اَلَّذِینَ هُمْ مِنْ خَشْیَهِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (۵۷) وَ اَلَّذِینَ هُمْ بِآیٰاتِ رَبِّهِمْ یُؤْمِنُونَ (۵۸) وَ اَلَّذِینَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاٰ یُشْرِکُونَ (۵۹) وَ اَلَّذِینَ یُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَهٌ أَنَّهُمْ إِلیٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ (۶۰) أُولٰئِکَ یُسٰارِعُونَ فِی اَلْخَیْرٰاتِ وَ هُمْ لَهٰا سٰابِقُونَ (۶۱)

التّفسیر

اشاره

المسارعون فی الخیرات:

تعرّض ما سبق من الآیات المبارکه للأحزاب و المجموعات المعانده التی غلب علیها التعصّب و حبّ الذات،و تمسّکوا بأفکارهم الضالّه و فرحوا بما لدیهم.

بینما أشارت الآیات موضع البحث إلی بعض تصوراتهم الأنانیّه: أَ یَحْسَبُونَ أَنَّمٰا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مٰالٍ وَ بَنِینَ هو من أجل أنّنا: نُسٰارِعُ لَهُمْ فِی الْخَیْرٰاتِ .

فهل یتصوّرون أنّ أموالهم الوافره و کثره أولادهم دلیل علی أنّهم علی حقّ،

ص :۴۶۷

و دليل على قرب منزلتهم من اللّه؟ بَلْ لاٰ يَشْعُرُونَ أنّ كثره أموالهم و أولادهم نوع من العذاب،أو مقدّمه للعذاب و لعقاب اللّه،إنّهم لا يدركون أنّ ما أغدق عليهم ربّهم من نعم إنّما هو من أجل أن يتورّطوا فى العقاب الإلهى.و يمسى عقابهم أشدّ ألما،لأنّ الإنسان إذا أغلقت دونه أبواب النعمه ثمّ حلّ به العذاب،فقد لا يكون بتلك الدرجه موجعا و مؤلما أمّا الذين يعيشون فى أوساط مرفّهه ثمّ يلقى بهم فى دهاليز السجون و الزنزانات المرعبه،فسيكون ألم ذلك شديدا عليهم جدّا.

كما أنّ زياده النعمه من شأنها أن تزيد حجب الغفله و الغرور عليهم فتمنعهم من العوده إلى طريق الصواب.

و هذا هو ما أشارت إليه معظم آيات القرآن فى قضيّه(الاستدراج فى النعم) (١) .

و كلمه«نمدّ»مشتقه من«الإمداد»و هو إتمام النقص و الحيلوله دون القطع، و إيصال الشىء إلى نهايته.

و بعد نفى تصورات هؤلاء الغافلين،تستعرض هذه الآيات وضع المؤمنين و المسارعين فى الخيرات،و تبيّن صفاتهم الرئيسيّه،فتقول: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ .و الخشيه لا تعنى مطلقا الخوف،بل تعنى الخوف المقترن بالتعظيم و التقديس.

و كلمه«المشفق»مشتقّه من«الإشفاق»و من أصل:الشفق،أى:الضياء المخالط للظلمه،و تعنى الخوف الممزوج بالمحبّه و الإجلال.

و لكون الخشيه ذات جانب عاطفى،و الإشفاق ذا جانب عملى،ذكرا معا إيضاحا للعلّه و المعلول فى الآيه.فهى تعنى أنّ الخوف المخلوط بتعظيم اللّه قد استقرّ فى قلوبهم، و قد بدت علائمه فى أعمالهم و التزامهم بالتعاليم الإلهيّه.أى أنّ

١- ١) -للاطلاع بشكل أوسع على موضوع الاستدراج يراجع تفسير الآيه ١٨٢ من سوره الأعراف.

الإشفاق مرحله تكامليه للخشيه،و هوما يؤثّر فی عمل الإنسان فيجنّبه ارتكاب الذنوب،و يدفعه إلی القيام بمسؤولياته.

ثمّ تضيف الآيه وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ .

و تأتی بعد مرحله الإيمان بآيات اللّه،مرحله تنزيهه عن كلّ شبهه و شريك، فتقول الآيه: وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاٰ يُشْرِكُونَ .

و نفی الشرك جاء نتيجه للإيمان بآيات اللّه تعالی،و هو معلول الإيمان،أی أنّ الإيمان باللّه يشير إلی صفاته تعالی الثبوتيه،و نفی الشرك يشير إلی صفاته تعالی السلبيه.و علی كلّ حال فقد تضمّنت هذه العباره نفی أنواع الشرك،سواء كانت جليّه أم خفيّه.

بعد هذا تأتی مرحله الإيمان بالمعاد و البعث،و الاهتمام الخاص الذی يوليه المؤمنون الحقيقيّون لهذه القضيّه،التی تساعدهم عمليّا فی السيطره علی أعمالهم و أقوالهم،فتقول الآيه: وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَهٌ أَنَّهُمْ إِلیٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ .

إنّهم ليسوا كالشخص الكسول الدنیء الهمّه الذی يأتی بأقلّ الأعمال ثمّ يتصوّر انّه من المقرّبين عند اللّه.و يتملّكه العجب و الغرور بحيث يری الآخرين صغار و حقراء،بل إنّ هؤلاء لا يطمئنّون و لا يبتهجون بأكبر عمل مهما زكا و سما، بل و ينجزون الأعمال الصالحه التی تعادل عباده الثقلين.و مع كلّ هذا يقولون:آه من قلّه الزاد و بعد السفر! و بعد شرح الآيات السابقه لهذه الصفات الأربعه تقول الآيه: أُولٰئِكَ يُسٰارِعُونَ فِی الْخَيْرٰاتِ و الأعمال الحسنه،و السعاده الحقيقيّه ليست كما يتصوّرها المترفون الغافلون المغرورون بالحياه الدنيا.إنّما هی فی إنجاز الأعمال الصالحه قربه إلی اللّه كما يفعل المؤمنون الصادقون،المتّصفون بالخصائص الإيمانيّه و الأخلاقيه السالفه الذكر الذين يسارعون فی الخيرات.

و قـد رسـمت الآيات السابقه صوره واضـحه لصـفات هـذه القـدوه من المؤمنين، فبـدأت أوّلا بالخوف الممتزج بتعظيم اللّه،و هو الدافع إلى الإيمان به و نفى الشـرك عنه.و انتهت بالإيمان بالمعاد حيث محكمه العدل الإلهى،الذى يشكّل الشعور بالمسؤوليه.و يدفع الإنسان إلى كلّ عمل طيّب.فهى تبيّن أربع خصال للمؤمنين و نتيجه واحده.(فتأمّلوا جيدا).

قوله«يسـارعون»من باب«مفاعله»و تعنى«التسابق»،و هو تعبير جميل يصوّر حال المؤمنين و هم يتسابقون إلى هـدف كبير سام.كما يبيّن تنافسهم فى إنجاز الأعمال الصالحه دون ملل و كلل.

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٦٢ الى ٦٧]

اشاره

وَ لاٰ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا وَ لَدَيْنٰا كِتٰابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَهٍ مِنْ هٰذٰا وَ لَهُمْ أَعْمٰالٌ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ هُمْ لَهٰا عٰامِلُونَ (٦٣) حَتّٰى إِذٰا أَخَذْنٰا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذٰابِ إِذٰا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لاٰ تَجْأَرُوا اَلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنّٰا لاٰ تُنْصَرُونَ (٦٥) قَدْ كٰانَتْ آيٰاتِى تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سٰامِراً تَهْجُرُونَ (٦٧)

التّفسير

اشاره

قلوب فى الجهل مغموره!:

بما أنّ خصال المؤمنين هى سبب القيام بالأعمال الخيّره التى أشارت إليها الآيات السابقه،فهنا يثار هذا التساؤل بأنّ هذه الخصال و القيام بهذه الأعمال لا تتيسّر لكلّ أحد.

فتجيب أوّل آيه-من الآيات موضع البحث-عن ذلك فتقول: وَ لاٰ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا و كلّ إنسان يكلّف حسب عقله و طاقته.

ص:٤٧١

و هـذه إشـاره إلى أنّ الواجبـات الشـرعيّه هى فى حـدود طاقه الإنسان.و أنّها تسـقط عنه إذا تجاوزت هـذه الحـدود،و كما يقول علماء أصول الفقه:إنّ هذه القاعده حاكمه على جميع الواجبات الشرعيّه و مقدّمه عليها.

و قـد يسـأل:كيف يحـاسب كـلّ البشـر على أعمـالهم كلّهـا صـغيرها و كبيرهـا؟ فتجيب الآيه وَ لَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ فهنـاك صـحيفه أعمـال الإنسـان المحفوظه لـدى اللّه العلى القـدير.و هى تنطق بـالحقّ عمّا اقترفه الإنسان من ذنوب، فلا يمكنه إنكارها (۱) .

و ربّما كان القصد من الكتاب الذى لدى اللّه هو اللوح المحفوظ.و لفظ«لدينا» يؤكّد هذا التّفسير.

و الخلاـصه أنّ الآـيه المـذكوره آنفا تؤكّـد حفظ الأعمال على أهلها من خير أو شـرّ،فهى مسجّله بـدقّه،و الإيمان بهـذه الحقيقه يشجّع الصالحين على القيام بأعمال الخير،و اجتناب الأعمال السيّئه.

و تعبير يَنْطِقُ بِالْحَقِّ الذى وصف صـحيفه أعمال البشـر تشبه القول:إنّ الرساله الفلانيه ذات تعبير واضح،أى:لا يحتاج إلى شرح.و كأنّها ناطقه بذاتها، فهى تجلّى الحقيقه.

و عباره وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ تبيّن أنّه لا ظلم و لا جور و لا غفله يوم الحساب، فكلّ شىء فى سجلّ معلوم.

و لكون هـذه الحقـائق مؤثّره فى الواعين من النـاس فحسب،أضـافت الآـيه التـاليه بـأنّ هؤلاء الكفّار المعانـدين غارقون فى دوّامه الجهل و الغفله لدرجه أنّهم غافلون عمّا ينتظرهم من الوعيد: بَلْ قُلُوبُهُمْ فِی غَمْرَهٍ مِنْ هٰذا (۲) .

ص: ۴۷۲

---

۱ – ۱) -لقد شرحنا بإسهاب صحيفه أعمال الإنسان و حقيقتها فى التّفسير الأمثل حين تفسير الآيه(۱۳)من سوره الإسراء و كذلك حين تفسير الآيه(۴۹)من سوره الكهف.

۲ – ۲) -يمكن أن تكون كلمه«هـذا»إشـاره إلى صـحيفه الأعمـال و يوم الحسـاب،أو القرآن المجيـد،أو أعمـال الصـالحين الـتى أشارت

و هذا الانغمار فی الجهل لا یسمح بمعرفه هذه الحقائق، و یمنع الضالّین من العوده إلی أنفسهم و إلی اللّه تعالی.

و تضیف هذه الآیه وَ لَهُمْ أَعْمٰالٌ مِنْ دُونِ ذٰلِکَ هُمْ لَهٰا عٰامِلُونَ ،و قد أورد المفسّرون تفاسیر لقوله سبحانه: وَ لَهُمْ أَعْمٰالٌ مِنْ دُونِ ذٰلِکَ فبعضهم قال:إنّها تعنی الأعمال السیّئه التی یقترفها الناس عن جهاله(فعلی هذا تکون«ذلک» إشاره إلی جهلهم)،و الأعمال هی الذنوب التی یرتکبها الإنسان عن غیر علم و وعی و قال آخرون:إنّ المراد هو أنّهم إضافه إلی کفرهم ارتکبوا أنواعا من الأعمال السیّئه.

و احتمل آخرون اختلاف برنامج الکفره عن برنامج المؤمنین اختلافا کبیرا.

و نحن نری عدم اختلاف هذه التفاسیر فیما بینها فی نهایه الأمر،و یمکن الجمع بینها،المهمّ هو الانتباه إلی أنّ مصدر الأعمال الشریره یکمن فی انغمار القلوب فی الجهاله.

و لکن هؤلاء المترفین یبقون فی هذه الغفله ما داموا فی نعیمهم،فإذا جاءهم العذاب فهم یصرخون کالوحوش من شدّه العذاب الإلهی،کما تقول الآیه: حَتّٰی إِذٰا أَخَذْنٰا مُتْرَفِیهِمْ بِالْعَذٰابِ إِذٰا هُمْ یَجْأَرُونَ .

فیخاطبون لاٰ تَجْأَرُوا الْیَوْمَ إِنَّکُمْ مِنّٰا لاٰ تُنْصَرُونَ .

أمّا لماذا ورد ذکر«المترفین»هنا فحسب مع أنّ المذنبین لا یختصّون بهم؟ السبب هو إمّا لکونهم قاده للضالّین،أو لأنّ عذابهم شدید جدّا.

ثمّ إنّ هذا العذاب یحتمل أن یکون دنیویّا أو اخرویّا أو کلیهما.حیث یصیبهم العذاب فی هذه الدنیا أو فی الآخره فیرتفع صراخهم،و یستغیثون فلا یغاثون.

و تکشف الآیه التالیه عن سبب هذا المصیر المشؤوم

۲)

الآیات السابقه إلیها.

قَدْ كٰانَتْ آيٰاتِی تُتْلیٰ عَلَیْکُمْ فَکُنْتُمْ عَلیٰ أَعْقٰابِکُمْ تَنْکِصُونَ

بدلا من الاستفاده منها و الانتباه للواقع.

کلمه«تنکصون»مشتقّه من النکوص،بمعنی السیر بشکل معاکس.

و«أعقاب»جمع«عقب»علی وزن«فعل»و تعنی عقب القدم.

و هذه الجمله کنایه عن شخص یسمع کلاما غیر مرغوب فیه،فیرتعب لدرجه یسیر فیها القهقری علی عقبی قدمیه.

ثمّ إنّه لا یرجع إلی الوراء لمجرد سماعه آیات اللّه،و إنّما یصبح ممّن وصفتهم الآیه مُسْتَکْبِرِینَ بِهِ (۱) .

و إضافه إلی ذلک سٰامِراً تَهْجُرُونَ أی یتسامرون فی لیالیهم و یتحدّثون عن النّبی و القرآن بالباطل.

و کلمه«سامرا»مشتقّه من«سمر»علی وزن«نصر»بمعنی التحدّث لیلا.

و قال البعض:إنّها تعنی ظلّ القمر فی اللیل حیث یختلط السواد مع البیاض فیه، و بما أنّ المشرکین من العرب کانوا یتسامرون حول الکعبه فی اللیالی المقمره، و جلّ حدیثهم یتناول النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم بالباطل،فوردت هذه الکلمه لهذا الغرض.و یقال «سمراء»لمن اختلط بیاضها بشیء من السواد.

و تَهْجُرُونَ مشتقه من«هجر»و تعنی بالأصل الابتعاد و الانفصال،و قد وردت بمعنی الهذیان الصادر من المریض.لأنّ کلامه فی تلک الحاله غیر سلیم.

و یبعث علی النفور.کما أنّ الهجر(علی وزن کفر)یعنی السباب،و هو أیضا یبعث علی الابتعاد و القطیعه.

و قد جاءت کلمه«تهجرون»فی الآیه بالمعنی الأخیر.فتقول:إنّ المشرکین

---

۱ – ۱) -هناک اختلاف بین المفسّرین فی من یعود إلیه الضمیر فی(به).فذهب بعض أنّه یعود إلی المسجد الحرام و الحرم المکّی، لأنّ سدنه الکعبه استکبروا لاعتبارهم أنفسهم أصحاب الحرم المکّی،و هذا الاحتمال ضعیف لأنّ الآیات السابقه لم تتناول الکعبه و الحرم.و یبدو أنّ هذا الضمیر یعود إلی القرآن المجید و النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم،فیکون معنی الآیه:إنّکم استکبرتم إزاء القرآن و نبی الإسلام.أو أنّها تشیر إلی سیرهم المعاکس،فهم استکبروا و لم یهتموا به.

من العرب كانوا يتسامرون حتّى ساعات متأخّره من الليل،و هم يهذون و يكيلون السباب و الشتائم كالمرضى.

و هذا الأسلوب أسلوب الجبناء و ضعاف النفوس،الذين يلجأون إلى ظلمه الليل،ليكيلوا السباب،حيث يفتقدون المنطق السليم الذى يمكنهم من التحدّث برجوله فى وضح النهار.إنّهم اختاروا ظلام الليل بعيدين عن أنظار الناس،ليصلوا إلى أهدافهم المشئومه، فلجأوا إلى السباب و الباطل من أجل التنفيس عن أحقادهم الجاهليه.يقول القرآن الكريم:إنّ سبب تعاستكم و ما ستنالون من عذاب اللّه الأليم هو أنّكم استكبرتم عن قبول الحقّ.و لم ترضخوا بتواضع لآيات اللّه.كما لم يكن تعاملكم مع النّبى بشكل منطقى صحيح.و لولا ذلك لاهتديتم إلى طريق الحقّ و السعاده.

ص: ۴۷۵

الآیات [سوره المؤمنون (۲۳): الآیات ۶۸ الی ۷۴]

اشاره

أَ فَلَمْ یَدَّبَّرُوا اَلْقَوْلَ أَمْ جٰاءَهُمْ مٰا لَمْ یَأْتِ آبٰاءَهُمُ اَلْأَوَّلِینَ (۶۸) أَمْ لَمْ یَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْکِرُونَ (۶۹) أَمْ یَقُولُونَ بِهِ جِنَّهٌ بَلْ جٰاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَکْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ کٰارِهُونَ (۷۰) وَ لَوِ اِتَّبَعَ اَلْحَقُّ أَهْوٰاءَهُمْ لَفَسَدَتِ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهِنَّ بَلْ أَتَیْنٰاهُمْ بِذِکْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِکْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (۷۱) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرٰاجُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ هُوَ خَیْرُ اَلرّٰازِقِینَ (۷۲) وَ إِنَّکَ لَتَدْعُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۷۳) وَ إِنَّ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاکِبُونَ (۷۴)

التّفسیر

اشاره

أعذار المنکرین المختلفه:

تحدّثت الآیات السابقه عن إعراض الکفّار و استکبارهم إزاء الرّسول الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلّم.و تناولت هذه الآیات أعذارهم فی هذا المجال و الرّد علیهم، و شرحت الدوافع الحقیقیّه لإعراض المشرکین عن القرآن و الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم،

ص: ۴۷۶

و یمکن تلخیصها فی خمس مراحل:

الأول: أَ فَلَمْ یَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ .

فأوّل سبب لتعاستهم هو تعطیل التفکّر فی مضمون دعوه النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم و لو تفکّروا ملیّا لما بقیت مشکله لدیهم.

و فی المرحله الثّانیه تقول الآیه: أَمْ جٰاءَهُمْ مٰا لَمْ یَأْتِ آبٰاءَهُمُ الْأَوَّلِینَ .سألت الآیه مستنکره:أ کانت الدعوه إلی التوحید و المعاد،و الهدی إلی الأعمال الصالحه مختصّه بهم دون آبائهم الأوّلین،لیحتجّوا بأنّها بدعوه،و یقولوا: لماذا لم یبعثه اللّه للأوّلین،و هو لطیف بعباده؟ لیس لهم ذلک،لأنّ الإسلام من حیث المبادئ له مضمون سائر الرسالات التی حملها الأنبیاء علیهم السّلام فهذا التبریر غیر منطقی و لا معنی له! و فی المرحله الثّالثه تقول الآیه: أَمْ لَمْ یَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْکِرُونَ .

أی إذا کانت هذه الدعوه صادره من شخص مجهول و مشکوک،فیحتمل أن یقولوا بأنّ کلامه حقّ،إلاّ أنّ هذا الرجل مشکوک و غیر معروف لدینا،نخدع بکلامه.و لکنّهم یعرفون ماضیک جیدا،و کانوا یدعونک محمّدا الأمین،و یعترفون بعقلک و علمک و أمانک،و یعرفون جیدا و الدیک و قبیلتک،فلا حجّه لهم! و فی المرحله الرّابعه تقول الآیه: أَمْ یَقُولُونَ بِهِ جِنَّهٌ أی انّه مجنون،فبعد اعترافهم بأنّک لست مجهولا بالنسبه لهم،إلاّ أنّهم یشکّکون فی سلامه عقلک و ینسبونک إلی الجنون،لأنّ ما تدعو إلیه لا ینسجم مع عقائدهم،فلذلک اتّخذوا هذا دلیلا علی جنونک.

یقول القرآن المجید لنفی هذه الحجّه: بَلْ جٰاءَهُمْ بِالْحَقِّ و کلامه شاهد علی هذه الحقیقه،و یضیف وَ أَکْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ کٰارِهُونَ .

أجل،إنّ کلمات الرّسول راشده حکیمه،إلاّ أنّهم ینکرونها لعدم انسجامها مع أهوائهم النفسیّه.فألصقوا به تهمه الجنون!فی الوقت الذی لا ضروره فی توافق

الحقّ مع رغبات الناس وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوٰاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ .

لأنّه لا يوجد مقياس يحدّد أهواء الناس،مضافا إلى أنّها تميل إلى الشرّ و الفساد غالبا،و لو اتّبعتها قوانين الوجود لعمّت الفوضى فى الكون و لفسد العالم.

و تأكيدا لذلك تقول الآيه: بَلْ أَتَيْنٰاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (١) أى منحناهم القرآن الذى هو أساس للذكر و التوجّه إلى اللّه،و سبب لرفعتهم و شرفهم،إلاّ أنّهم أعرضوا عن هذا المنار الذى يضيء لهم درب السعاده و الشرف.

و فى المرحله الخامسه تقول الآيه:هل أنّ عذرهم فى فرارهم من الحقّ هو أنّك تريد منهم أجرا على دعوتك: أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرٰاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ (٢) .

فلو طلب قائد دينى أجرا من الناس مقابل و عظهم و دعوتهم إلى الحقّ لأعطى المتعذّرين ذريعه للإعراض عنه و الطعن عليه،فيعرضون عنه بحجّه عدم قدرتهم الماليه،و يتّهمونه بأنّه ما دعاهم إلاّ ابتغاء منافع خاصّه به.

مضافا إلى أنّ البشر ما يملك من شيء ليمنحه؟أليس اللّه سبحانه و تعالى رزّاق العباد؟ و القرآن الكريم بإيضاحه هذه المراحل الخمس برهن على أنّ هؤلاء الحمقى (المشركين)لا يرضخون للحقّ،و أنّ أعذارهم فى إنكار الحقّ أعذار واهيه.

و جاءت الآيه التاليه باستنتاج عام لكلّ ما مضى: وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ صراط مستقيم دلائله واضحه و استقامته معلومه،فالطريق

۱- ۱) -يمكن أن تفسّر عباره«ذكرهم»بمعنى تذكّرهم و توقظهم،و يمكن أن تفسر بمعنى شرفهم و حيثيّتهم فى المجتمع البشرى، و فى الوقت ذاته لا تناقض بين هذين المفهومين،و قد استفدنا من كليهما فى تفسير الآيه.

۲- ۲) -الخرج و الخراج مشتق من الخروج،و يعنى الشيء الذى يستخرج من المال أو من حاصل الأرض الزراعيه.إلاّ أنّ الخرج ذو معنى أوسع من الخراج.و كما يقول الراغب الاصفهانى فى مفرداته:الخرج أعمّ من الخراج،و جعل الخرج بإزاء الدخل،و قال تعالى: فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً و الخرج مختّص فى الغالب بالضريبه على الأرض أو أجرتها.

المستقيم أقصر الطرق بين نقطتين،و هو طريق واحد،و الطريق الملتويه على يساره و يمينه غير متناهيه.

و رغم أنّ الرّوايات الإسلاميه تفسّر الصراط المستقيم بولايه على عليه السّلام (۱) إلّا أنّها تكشف-كما قلنا مرارا-عن المصداق الأكمل لذلك،و لا تتنافى مع المصاديق الاخرى كالقرآن و الإيمان بالمبدأ و المعاد و التقوى و الجهاد و العدل.

و تستعرض الآيه التاليه النتيجه الطبيعيّه لهذا الموضوع،فتقول: وَ إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ عَنِ الصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ .

كلمه«ناكب»مشتقّه من«النكب»و«النكوب»أى الانحراف عن الطريق.و «نكبت الدنيا»تقع فى مقابل إقبال الدنيا،و تعنى إدبار الدنيا و إعراضها عن المرء.

و من الواضح أنّ الصراط يقصد به هنا ما فى الآيه السابقه،و بديهى أنّ الذى ينحرف عنه فى الآخره فمكانه النّار و بئس المصير،لأنّ المرء يثاب فى الآخره على أعماله فى هذه الدنيا.

و عدم إيمان المرء بالآخره مرتبط بانحرافه عن طريق الحقّ الناجم عن عدم شعوره بالمسؤوليه،

فقد روى عن أمير المؤمنين على عليه السّلام: «إنّ اللّه جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله و الوجه الذى يؤتى منه،فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنّهم عن الصراط لناكبون» (۲) .

بحوث

اشاره

۱-التمسّک بالحقّ أو بالأهواء النفسيّه

أشارت الآيات السابقه-بشكل عابر-إلى التناقض بين التمسّك بالحقّ و بين الأهواء النفسيّه،و هى إشاره ذات مدلول كبير،حيث تقول:

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،المجلد الثالث صفحه ۵۴۸.

۲- ۲) -أصول الكافى(وفق ما نقله تفسير نور الثقلين،المجلد الثالث،صفحه ۵۴۹).

وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوٰاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ

.و تفسير هذه المسأله ليس صعبا للأسباب الآتيه:

الف-لا شكّ فى أنّ أهواء الناس متفاوته،و قد ينقض بعضها بعضا،حتّى بالنسبه لشخص واحد فقد تتناقض أهواؤه.

و لو استسلم الحقّ لهذه الأهواء لنتج عن ذلك الفساد و عمّت الفوضى.لماذا؟ لأنّ كلّ فرد له صنم و معبود،فلو حكمت هذه الآلهه الكثيره و المتضادّه هذا العالم المترامى الأطراف،لظهر الفساد و تعمّ الفوضى من جرّاء ذلك،و هذا لا يخفى على أحد.

ب-إنّ أهواء الناس مع قطع النظر عن تناقضها،فهى تميل نحو الفساد و الشرّ و لو سادت الوجود و المجتمع البشرى،فالنتيجه لا تكون سوى الفساد و الشرّ.

ج-إنّ الميول و الأهواء ذات بعد واحد،و لا تنظر إلى الأمور إلّا من زاويه واحده و تغفل عن بقيّه الأبعاد،و من المعلوم أنّ أحد العوامل المهمّه فى الفساد و الخراب هو المنهج ذو البعد الواحد الذى يغفل عن الأبعاد الاخرى.

و الآيه محلّ البحث تشبه من بعض جوانبها ما ورد فى الآيه الثّانيه و العشرين من سوره الأنبياء لَوْ كٰانَ فِيهِمٰا آلِهَةٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتٰا .

و بديهى أنّ الحقّ كالصراط المستقيم واحد لا نظير له،بينما الأهواء النفسيه متعدّده كأوثان المشركين.فأيّما نتّبع الحقّ أم الهوى؟أ نتّبع الهوى الذى هو مصدر الفساد فى السّماء و الأرض و فى جميع الموجودات،أم الحقّ الذى هو رمز الواحده،و التوحيد و النظام و الانسجام؟ الجواب فى غايه الوضوح و الإشراق.

۲-صفات القائد

أوضحت الآيات السابقه عددا من صفات القاده إلى طريق الحقّ،فهم

المعروفون بالصلاح و الاستقامه،فلم يبق اللّه للمشركين ذريعه فى هذا الصدد إذ قال سبحانه: أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ .

فلو كان الرسل مجهولين لتذرّع المنافقون بذلك،و لأنكروا الرسالات السماويه.

و الأمر الآخر أنّ الرسل لا يستسلمون أبدا لأهواء الناس.و لا يقرّون الناس على ما اعتادوه من انحراف،مثلما نشاهده اليوم حيث التأييد المطلق لكلّ الرغبات العامّه(رغم انحراف الكثير منها).و على هذا كان الرسل يواصلون عملهم بإصرار دائم لنشر العقيده الحقّه رغم رفض عدد كبير من الناس لهم و حقدهم عليهم.

و الصفه الاخرى للأنبياء أنّهم لم يطلبوا أجرا من الناس،و لم يأخذوا منهم شيئا فى مقابل نشر الحقّ،فهم لا يرجون غير اللّه،و ظلّوا يتجرّعون الفقر و البأساء دون أن يكون لأحد عليهم منّه قطّ،ليبقوا أحرارا طليقين فى نشر دعوتهم بين الناس.

۳-لماذا لا يميل أكثر الناس إلى الحقّ؟

لقد استنكرت آيات القرآن الكريم-كالآيات السابقه-«الأكثريه»من الناس،فى حين نرى أنّ«الأكثريه»يقرّرون اليوم صلاح الشيء أو عدمه فهم معيار الحسن و القبح فى المجتمع،و هذا يثير علامه استفهام كبيره:و ليس الكلام فى الآيات التى تذكر الأكثريه مع إضافه ضمير(هم)حيث يكون المراد منها أكثر الكافرين و المشركين و أمثالهم،بل الكلام حول الآيات التى تذكر عنوان(أكثر الناس)من قبيل: وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَشْكُرُونَ (۱) .

۱- ۱) -البقره،۲۴۳.

وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ

(۱)

.

وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يُؤْمِنُونَ

(۲)

.

وَ ما أَكْثَرُ النّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ

(۳)

.

فَأَبىٰ أَكْثَرُ النّاسِ إِلاّ كُفُوراً

(۴)

.

وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ

(۵)

.

و من جهه أخرى اهتمت بعض آيات القرآن بمنهج أكثريه المؤمنين باعتباره معيارا صحيحا للآخرين،فقد جاء فى الآيه الخامسه عشره بعد المائه من سوره النساء: وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدىٰ وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّىٰ وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً و نجد فى الرّوايات الإسلاميه لدى تعارض الرّوايات أنّ أحد المعايير للترجيح هو الشهره بين أصحاب أئمّه الهدى و أنصارهم و أتباعهم،كما

يقول الإمام الصادق عليه السّلام: «ينظر إلى ما كان من روايتهما عنّا فى ذلك الذى حكما به المجمع عليه عند أصحابك،فيؤخذ به من حكمنا و يترك الشاذّ الذى ليس بمشهور عند أصحابك فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه» (۶) .

و نقرأ

فی نهج البلاغه: «و الزموا السواد الأعظم،فإنّ ید اللّه مع الجماعه، و إیّاکم و الفرقه،فإنّ الشاذّ من الناس للشیطان،کما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب» (۷) .

۱- ۱) -الأعراف،۱۸۷.

۲- ۲) -هود،۱۷.

۳- ۳) -یوسف ۱۰۳.

۴- ۴) -الإسراء،۸۹.

۵- ۵) -الأنعام،۱۱۶.

۶- ۶) -وسائل الشیعه،المجلّد الثامن عشر،صفحه ۷۲(کتاب القضاء الباب التاسع من أبواب صفات القاضی).

۷- ۷) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۲۷.

و نقرأ أيضا

فی نهج البلاغه: «و الزموا ما عقد علیه حبل الجماعه» (۱) .

و علی هذا قد یتراءی للبعض تناقض بین هاتین المجموعتین من الآیات و الأحادیث.

و من جهه أخری یمکن أن یتصوّر مخالفه الإسلام للدیمقراطیه التی تعتمد علی آراء أکثر الناس،و هذا ما رفضه القرآن بشدّه.

و لکن بالتدقیق فی الآیات و الأحادیث السابقه و مقارنه بعضها ببعض یتّضح المفهوم الحقیقی،و هو أنّ الأکثریه لو کانت من المؤمنین الواعین الذین ینتهجون الحقّ و یرفضون الباطل،لا لاستحقّوا الاحترام،و حظی رأیهم بالتقدیر و القبول.

أمّا إذا کانوا فئه جاهله أو واعیه لکنّها مستسلمه لرغباتها و شهواتها علی علم منها،فلا طاعه لها و لا رأی.لأنّ اتّباعها یؤدّی إلی الضلاله و الضیاع،کما یقول القرآن المجید.

و علی هذا الأساس فلو أردنا تحقیق«دیمقراطیه سلیمه»لوجب السعی أوّلا لتوعیه الناس و تکوین جماعه مؤمنه واعیه،ثمّ الاستناد علی رأی أکثریتهم کمعیار لسلامه الأهداف الاجتماعیه،و إلاّ فإنّ دیمقراطیه الأکثریه الضّاله لا تنتج سوی ضلال المجتمع و جرّه إلی جهنّم.

و من الضروری التنبیه إلی انّنا نعتقد أنّ رأی الأکثریه الواعیه المؤمنه إنّما یکون محترما و مقبولا فیما إذا لم یخالف الکتاب و السنّه و الأحکام الإلهیّه.

و لجوء الأمم و الشعوب فی هذا العصر إلی رأی الأکثریه مبعثه انعدام المعیار الموثوق به فی قیاس ما ینفع المصلحه العامّه و ما یضرّها،فهذه المجتمعات لا تستنیر بکتاب ربّانی و لا تلتزم رساله نبی کریم،و لیس لدیها سوی الرجوع إلی

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۵۱.

رأی العامّه. و بما أنّ المتسلّطين لا يسعون لتوعيه رعاياهم،بل يجتهدون فی استدامه غفله الناس و ضآله اطّلاعهم علی ما ينهض بتقدّمهم و ازدهار حياتهم، ليتسنّی لهؤلاء الاستمرار فی الهيمنه علی الناس و العبث بمصيرهم،لذلک جعلوا الأكثريه الكمّيّه معيارا لإسكات الأصوات المعترضه.

و لو دقّقنا فی وضع المجتمعات المعاصره و القوانين و الأنظمه السائده، لوجدنا أكثر مصائبهم نابعه من اللجوء إلی ما يسمّی رأی الأكثريه.

فما أسوأ القوانين و أقبح المقرّرات التی جعلتها«الأكثريه»،و ما أكثر الفتن و الحروب التی اندلعت بسبب رأی الأكثريه الجاهله،و ما أعظم المظالم و أشكال العدوان التی قرّرت الأكثريه صحّتها و مشروعيتها!!

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٧٥ الى ٨٠]

اشاره

وَ لَوْ رَحِمْنٰاهُمْ وَ كَشَفْنٰا مٰا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِى طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَ لَقَدْ أَخَذْنٰاهُمْ بِالْعَذٰابِ فَمَا اسْتَكٰانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مٰا يَتَضَرَّعُونَ (٧۶) حَتّٰى إِذٰا فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بٰاباً ذٰا عَذٰابٍ شَدِيدٍ إِذٰا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧) وَ هُوَ اَلَّذِى أَنْشَأَ لَكُمُ اَلسَّمْعَ وَ اَلْأَبْصٰارَ وَ اَلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مٰا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَ هُوَ اَلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى اَلْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَ هُوَ اَلَّذِى يُحْيِى وَ يُمِيتُ وَ لَهُ اِخْتِلاٰفُ اَللَّيْلِ وَ اَلنَّهٰارِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (٨٠)

التّفسير

اشاره

طرق التوعيه الإلهيّه المختلفه:

عرضت الآيات السابقه الحجج التى يتذرّع بها منكرو الحقّ فى رفض الرسالات و إيذاء الأنبياء عليهم السّلام.و تناولت هذه الآيات إتمام الحجّه عليهم من قبل اللّه تعالى و توعيتهم.

فتقول أوّلا:إنّنا تاره نشملهم برعايتنا و نرزقهم من وفير النعمه لينتبهوا،

و لکن: وَ لَوْ رَحِمْنٰاهُمْ وَ کَشَفْنٰا مٰا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِی طُغْیٰانِهِمْ یَعْمَهُونَ .

و اللّه تعالی یبتلیهم لعلّهم یعون حین لا تجدی بهم رحمته سبحانه،لکنّ طائفه غالبه منهم لم یستیقظوا حتّی بالبلاء المذلّ وَ لَقَدْ أَخَذْنٰاهُمْ بِالْعَذٰابِ فَمَا اسْتَکٰانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مٰا یَتَضَرَّعُونَ (۱) .

«التضرّع»-کما أسلفنا-مشتقّه من الضرع بمعنی الثدی،فالتضرّع یعنی الحلب،ثمّ استعملت بمعنی التسلیم المخالط بالتواضع و الخضوع.

و تعنی هذه الآیه أنّ المشرکین لم یتخلّوا عن غرورهم و عنادهم و تکبّرهم، و لم یستسلموا للحقّ حتّی و هم یواجهون أشدّ النکبات عصفا بهم.

و إذا ما فسّر التضرّع فی الرّوایات بأنّه رفع الیدین نحو السّماء للدعاء،فهو أحد مصادیق هذا المعنی الواسع.

فاللّه تعالی یواصل هذه الرحمه و النعمه و العقوبات،و المشرکون یواصلون طغیانهم و عنادهم حَتّٰی إِذٰا فَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ بٰاباً ذٰا عَذٰابٍ شَدِیدٍ إِذٰا هُمْ فِیهِ مُبْلِسُونَ (۲) .

الواقع،أنّ نوعین من العقاب الإلهی:أوّلهما«عقاب الابتلاء»،و ثانیهما «عقاب الاستیصال»و الاقتلاع من الجذور،و الهدف من العقاب الأوّل وضع الناس فی صعوبات و آلام لیدرکوا مدی ضعفهم و لیترکوا مرکب الغرور.

أمّا هدف العقاب الثّانی الذی ینزل بالمعاندین المستکبرین فهو إزالتهم عن مجری الحیاه،و تطهیرها من عراقیلهم،لأنّه لم یبق لهم حقّ الحیاه فی نظام الحقّ،

۱- ۱) -«استکانوا»مشتقّه من السکون،بمعنی الصمت فی حاله الخضوع و الخشوع،و بهذه الصوره ستکون من باب«افتعال» التی کانت فی الأصل استکنوا.أشبعت فتحه الکاف و بدّلت إلی ألف.فأصبحت استکانوا.و قال البعض:إنّها مشتقّه من کون، و من باب«استفعال»أی طلب الإقامه فی مکان بخضوع و خشوع.و علی کلّ حال فإنّها تبیّن حاله العبد الخاضع لربّه،و قد اعتبرها البعض بمعنی الدعاء بسبب کونه أحد مصادیق الخضوع و التواضع.أمّا الاحتمال الثالث،فهی مشتقّه عن«الکین»علی وزن«عین»و من باب الاستفعال،لأنّها تعنی الخضوع أیضا.و جمیع هذه المعانی متقاربه.

۲- ۲) -«المبلس»کلمه مشتقّه من«الإبلاس».بمعنی الألم الشدید الناتج عن شدّه أثر الحادثه.و تدفع بالإنسان إلی الصمت و الحیره و الیأس.

و لهذا يستوجب اقتلاع هذه الأشواک من طريق تكامل البشر.

و بيّن المفسّرين اختلاف فى قصد الآيه من عباره بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ .

فالكثيرون يرون أنّه الموت،ثمّ العذاب و عقاب يوم القيامه.

و آخرون يرونه القحط الشديد الذى واجه المشركين سنين عديده بدعاء من النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم،فأصبحوا لا يجدون ما يأكلون،حتّى تناولوا ما تشمئز منه الأنفس.

و غيرهم يرونه العقاب الأليم الذى نزل على المشركين بضربات سيوف جند الإسلام فى معركه بدر.

و هناک احتمال أنّ الآيه لا تختّص بفئه معيّنه،بل هى استعراض لقانون شامل عامّ للعقوبات الإلهيّه،يبدأ من الرحمه،فالتنبيه و العقاب التربوى،و ينتهى بعذاب الاقتلاع من الجذور و الدمار (۱) .

ثمّ تناول القرآن المجيد القضيّه من باب آخر،فعددّ النعم الإلهيّه لدفع الناس إلى الشكر وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ و التأكيد على(الأذن و العين و العقل)لأنّها الأجهزه التى بها يتعرّف الإنسان على المحسوسات و القضايا،فالأشياء الحسيّه يبلغها بالعين و الأذن،و القضايا غير الحسّيه يدركها بالعقل.

و معرفه أهميّه حاسّتى النظر و السمع يكفى لتصوّر حاله الإنسان الذى يفقدهما،إذ تظلم الدنيا بعينه.و بفقدان هاتين الحاسّتين بالولاده تفقد حواسّ أخرى عملها.فالأصمّ بالولاده يكون بالبداهه أبكم،فانطلاق اللسان مرتبط بسمع الإنسان و بفقدهما يفقد الإنسان وسيله ارتباطه مع الآخرين.

و بعد هاتين الحاسّتين اللتين هما مفتاح الإدراک لعالم المادّه،يأتى العقل الذى ينتزع الأفكار ممّا تموّنه به الحواسّ،و يجتاز الطبيعه إلى ما وراءها،و مهمّته

۱- ۱) -الآيه إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ التى ذكرت قبل هذه الآيات تؤيّد هذا التّفسير.

النقد و الاستنتاج و الترتيب و التعميم و تحليل محصّله حاسّتی البصر و السمع و سواهما،أ فلا يستحقّ الذين لا يشكرونه علی هذه الأدوات الثلاث للمعرفه الذمّ و اللوم؟ألا يكفی التدقيق فی تفاصيلها دليلا علی معرفه الخالق و عظيم إحسانه للعباد؟ و تقديم ذكر الاذن و العين علی العقل فی الآيه المذكوره له ما يسوّغه. و لكن لماذا تقدّم السمع علی البصر؟يحتمل-كما يقول العلماء- أنّ أذن الوليد تعمل أوّلا،ثمّ عينه،فالعينان مغلقتان فی عالم الرحم و ليست لديهما أی استعداد و قابليه علی مشاهده أمواج النور،و لذلك تبقيان هكذا بعد الولاده قليلا،ثمّ تتعودان النور تدريجيّا.

و ليست الأذنان هكذا،حتّی أنّ بعضهم يری أنّها قادره علی السماع حتّی فی الرحم (۱) .فهی تسمع صوت دقّات قلب الامّ.

إنّ بيان المواهب الثلاث أعلاه يشكّل دافعا لمعرفه واهب هذه النعم،و هو المنعم الوحيد حقّا(مثلما يری علماء العقائد فی بعث شكر المنعم أساسا لوجوب معرفه اللّه عقلا).

و تناولت الآيه اللاحقه خلق اللّه سبحانه للإنسان من التراب،فتقول: وَ هُوَ الَّذِی ذَرَأَكُمْ فِی الْأَرْضِ (۲) .

و بما أنّه-جلّ اسمه-خلقكم من الأرض،لذلك ستعودون إليها مرّه ثانيه،ثمّ يبعثكم: وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

و لو فكّرتم فی خلقكم من تراب لا قيمه له،لدلّكم علی خالق الوجود سبحانه،و عرّفكم علی كريم لطفه بكم و إحسانه إليكم،و قادكم إلی الإيمان به

۱- ۱) -تحدّثنا عن أجهزه التعرّف الثلاثه فی تفسير الآيه(۷۸)من سوره النحل.

۲- ۲) -«ذرأ»مشتقّه من الذرء(علی وزن زرع).و هی فی الأصل بمعنی الخلق و الإيجاد و الإظهار،إلاّ أنّ كلمه(ذرو)و هی أيضا علی وزن فعل بمعنی البعثره.الآيه الأولی من النوع الأوّل.

و بالمعاد.

و بعد ذكر خلق الإنسان،تناولت الآيه المذكوره آنفا دلائل أخرى من بديع صنع اللّه تعالى وَ هُوَ الَّذِى يُحْيِى وَ يُمِيتُ وَ لَهُ اخْتِلاٰفُ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ .

و بهذا الترتيب بدأ البيان القرآنى من الدافع لاستيقاظ القلب و انبعاثه على معرفه ربّه سبحانه و انتهى بذكر بعض أهمّ الآيات الأنفسيّه و الآفاقيه،فالقول المبارك استعرض مسيره الإنسان منذ الولاده حتّى الموت و العوده إلى اللّه تعالى، التى تتمّ مراحلها جميعا بإراده اللّه العزيز الحكيم.

و ممّا يلفت النظر جعل اللّه الموت و الحياه إلى جانب اختلاف الليل و النهار، و ذلك لكون النور و الظلام فى عالم الوجود كالموت و الحياه للكائنات،فمثلما يجد الخلق حركته و نشاطه بين أفواج النور،و يستخفى بين أستار الظلام،كذلك تبدأ الأحياء حركتها و نشاطها فى نور الحياه،و تستخفى فى ظلمه الموت، و لكليهما صفه التدرّج.

و سبق أن قلنا بأنّ«اختلاف»الليل و النهار قد يعنى تواليهما حيث يخلف الليل النهار،و يخلف النهار الليل.و قد يعنى اختلافهما و تفاوتهما التدريجى الذى يوجد الفصول الأربعه،و يقود دوره الحياه فى عالم النبات فى ظلّ نظام دقيق.

و كلّ هذه المسائل يمكن أن تكون السبيل إلى معرفه اللّه،إذا انتبه لها الإنسان و تأمّلها بفطنه.

و لهذا تقول الآيه فى النهايه: أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ ؟!

الآيات [سوره المؤمنون (۲۳): الآيات ۸۱ الى ۹۰]

اشاره

بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ اَلْأَوَّلُونَ (۸۱) قالُوا أَ إِذا مِتْنا وَ كُنّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ (۸۲) لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَ آباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلاّ أَساطِيرُ اَلْأَوَّلِينَ (۸۳) قُلْ لِمَنِ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۸۴) سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۸۵) قُلْ مَنْ رَبُّ اَلسَّماواتِ اَلسَّبْعِ وَ رَبُّ اَلْعَرْشِ اَلْعَظِيمِ (۸۶) سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۸۷) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۸۸) سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنّى تُسْحَرُونَ (۸۹) بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۹۰)

التّفسير

اشاره

القرآن يدعو الضمائر إلى التحكيم:

دعت الآيـات السـابقه منكرى اللّه و المعـاد إلى التفكّر فى خلق عالم الوجود و آيات الآفاق و الأنفس،و أضافت هـذه الآيات أنّ هؤلاء تركوا عقولهم و اتّبعوا

ص: ۴۹۰

أسلافهم و قلّدوهم تقليدا أعمى: بَلْ قٰالُوا مِثْلَ مٰا قٰالَ الْأَوَّلُونَ .

ثمّ إنّ هؤلاء ملكهم التعجّب و: قٰالُوا أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ (١) .

إنّ ذلك لا يصدق! لَقَدْ وُعِدْنٰا نَحْنُ وَ آبٰاؤُنٰا هٰذٰا مِنْ قَبْلُ فكانت وعودا كاذبه،و إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ فإعاده الخلق أسطوره،و الحساب و الكتاب أساطير أخرى،و كذا الجنّه و النّار.

و لكون الكفّار و المشركين أشدّ خوفا من اليوم الآخر و ما فيه من هول الحساب و عدل الكتاب،تذرّعوا بالأوهام لتسويغ إعراضهم عن الحقّ و تمسّكهم بالباطل.

و لهذا سدّدت الآيات موضع البحث ضربه قويّه إلى هذا المنطق الواهى من ثلاث طرق:بتذكيرها الإنسان بمالكيه اللّه لعالم الوجود المترامى الأطراف، و ربوبيته له،و سيادته عليه.و تستنتج-من جميع الأبحاث-قدره اللّه و سهوله المعاد عليه سبحانه،و أنّ عدالته و حكمته تستلزمان أن يعقب هذا العالم عالم آخر و حياه أخرى.

و ممّا يلفت النظر أنّ القرآن يأخذ من المشركين اعترافا بكلّ مسأله، فيعيد كلامهم ليثبت إقرارهم.

يقول أوّلا: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهٰا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

ثمّ تضيف الآيه أنّهم يؤمنون باللّه خالق الوجود وفق نداء الفطره النابع من ذاتهم،و سيجيبونك و: سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ فأجبهم: قُلْ أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ كيف تتصوّرون استحاله إحياء الموتى بعد اعترافكم الصريح؟ ثمّ يأمر رسوله مرّه ثانيه أن يسألهم: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

١- ١) -تقديم التراب على العظام إما لعوده التراب إلى الحياه الأولى هى أعجب من عوده العظام،و إما لأن الأجداد أصبحوا ترابا و الآباء عظاما نخره،و إما لصيروره لحم الإنسان ترابا قبل العظام،ثم تتحول العظام إلى تراب.

فيأتى الجواب نابعا من الفطره التى فطره اللّه الناس عليها،و هى الاعتراف بربوبيّته تعالى سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ و بعد هذا الاعتراف الواضح فلما ذا لا تخافون اللّه، و لا تعترفون بالمعاد و بعث الإنسان مرّه ثانيه: قُلْ أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ .

و اسألهم مرّه أخرى عن سياده اللّه على السماوات و الأرض قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ .و من الذى يجير اللاجئين و جميع المحرومين و لا يحتاج إلى اللجوء إلى أحد: وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لاٰ يُجٰارُ عَلَيْهِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

فيعترفون بأنّ العالم و مالكيته و حكومته و إجاره الآخرين يعود للّه فقط سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ .

قُلْ فَأَنّٰى تُسْحَرُونَ

أى:كيف تقولون:إنّ الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم سحركم رغم كلّ هذا الاعتراف و الإقرار منكم؟! إنّها لحقائق اعترفتم بها فى كلّ مرحله،فقد أقررتم بأنّه سبحانه مالك الوجود و خالقه،و أنّه المدير و المدبّر و الحاكم و الملجأ،فكيف لا يستطيع من له كلّ هذه القدره و الحكم و الحكمه،إعاده الإنسان إلى تراب و بعثه ثانيه كما خلقه أوّل مرّه؟ لماذا تفرّون من الخضوع للحقيقه؟و لماذا تتّهمون النّبى الأكرم بالسحر و قلوبكم تعترف بهذه الحقائق؟! و أخيرا يقول القرآن فى عباره مختصره ذات دلاله كبيره بأنّه ليس سحرا و لا شعوذه و لا شىء آخر: بَلْ أَتَيْنٰاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ .

لقد بيّن اللّه الحقائق للناس بإرساله الأنبياء و الرسل إليهم و لكنّهم عصوا أمره، و لم يستجيبوا له فيما يحييهم من عبادته و إقامه أحكامه الهاديه لكلّ خير،المنقذه من كلّ شرّ.

ص :۴۹۲

ملاحظات

اشاره

١-معنى عدد من الكلمات

«الأساطير»جمع«أسطوره»قال بعض اللغويين:إنّها مشتقّه من«السطر» بمعنى الصف،فيطلق على الكلمات التى اصطفّت فى خطّ واحد لفظ السطر.

فالأسطوره:الكتابه أو السطور التى تركها لنا الآخرون،و لأنّ كتابات القدماء تحتوى على أساطير خرافيه،تطلق الأساطير على الحكايات و القصص الخرافيه الكاذبه.و قد تكرّرت كلمه الأساطير فى القرآن المجيد تسع مرّات.و جميعها جاء على لسان الكفّار لتوجيه مخالفتهم لأنبياء اللّه تعالى.

«الربّ»تعنى-كما قلنا فى تفسير سوره الحمد-المالك المصلح،و لهذا لا يطلق على كلّ مالك،و إنّما يختّص بالمالك الذى يسعى لإصلاح و حفظ و إداره ملكه حفظا جيّدا،و تطلق كلمه«ربّ»أحيانا على المربّى و المعلّم أيضا.

«الملكوت»مشتقّه من«الملك»(على وزن كفر)،بمعنى الحكومه و المالكيه، و إضافه الواو و التاء للتأكيد و المبالغه.

«العرش»يعنى السرير ذا القوائم العاليه،و يطلق أحيانا على السقف و شبهه.

و عند ما تتعلّق هذه الكلمه باللّه سبحانه،فإنّها تعنى عالم الوجود كلّه،فهو كلّه دون جلاله المقدّس و حكمه الحكيم.

و قد تطلق أحيانا على عالم ما وراء الطبيعه(ميتافيزيقيا)مقابل«الكرسى» الذى يعنى عالم الطبيعه و المادّه،مثال ذلك وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ (١) (٢) .

ص: ۴۹۳

١- ١) -بحثنا موضوع العرش بإسهاب فى تفسير الآيه(۵۴)من سوره الأعراف.

٢- ٢) -البقره،۲۵۵.

۲-تأکید المعاد بالاستناد إلی قدره اللّه الشامله

یستنتج من آیات القرآن أنّ معظم مخالفه المنکرین للمعاد یدور حول مسأله المعاد الجسمانی،و دهشتهم من عوده الروح و الحیاه ثانیه إلی الإنسان بعد أن یصیر ترابا،من هنا عدّدت الآیات معالم قدره اللّه فی عالم الوجود،و أکّدت خلقه لکلّ شیء من عدم،لیؤمنوا بالحیاه بعد الموت،و تزول استحالتها من تصوّرهم.

و بحثت هذه الآیات هذه المسأله من خلال بیان قدره اللّه علی الأرض و سکّانها.و قدرته علی السموات و العرش العظیم،و قدرته علی إداره عالم الخلق و النشر،و هذه السبل الثلاثه مصادیق لمفهوم واحد.و یحتمل أیضا أنّ کلا من هذه الأبحاث الثلاثه یشیر إلی وجهه نظر المنکرین للمعاد،فلو کان إنکارکم للمعاد یعود إلی أنّ العظام البالیه قد خرجت من دائره حکومه اللّه و ملکیته،فهذا خطأ، لأنّکم تعترفون أنّ اللّه تعالی هو مالک الأرض و من علیها.

و إنّ کان إنکارکم لأنّ بعث الأموات یحتاج إلی إله مقتدر،فأنتم تعترفون بأنّ اللّه ربّ السماوات و العرش.

و إن کان جحودکم أنّکم فی شکّ من تدبیر العالم بعد الحیاه الجدیده و بعد بعث الأموات، فهو أیضا فی غیر مورده،لأنّکم قبلتم تدبیره و اعترفتم بقدرته علی إداره عالم الوجود،و جوار من لا جار له(أی کلّ الموجودات)حیث یتکفّل برعایتها و تدبیر أمورها،فعلی هذا لا مجال لإنکارکم أیضا.و إجابه الکفّار فی الحالات الثلاث بشکل منسجم موحّد سَیَقُولُونَ لِلّٰهِ تؤکّد التّفسیر الأوّل.

۳-اختلاف نهایات الآیات

و الجدیر بالاهتمام هو أنّه بعد السؤال الأوّل و إجابته جاءت عباره:

أَ فَلاٰ تَذَکَّرُونَ

.

و بعد السؤال الثّانی و إجابته جاءت عباره أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ .

ص:۴۹۴

و بعد السؤال الثّالث و إجابته جاءت عباره فَأَنّٰى تُسْحَرُونَ .

و هـذه عبارات تنبيه شديـده للكفّار و استنكار لما هم عليه من باطل بشكل متـدرّج و مرحله بعد أخرى،و هو أسلوب متعارف ينسجم مع الأساليب المعروفه فى التعليم و التربيه المنطقيّه.فإذا احتاج المربّى إلى إدانه شخص،يبدأ أوّلا بتنبيهه بلطف،ثمّ بحزم،و بعد ذلك يعنّفه!

ص :۴۹۵

الآيتان [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩١ الى ٩٢]

اشاره

مَا اتَّخَذَ اَللّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مٰا كٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمٰا خَلَقَ وَ لَعَلاٰ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ سُبْحٰانَ اَللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ (٩١) عٰالِمِ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهٰادَهِ فَتَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ (٩٢)

التّفسير

اشاره

الشرک يجرّ العالم نحو الدمار:

تناولت الآيات السابقه بحوثا فى المعاد و الملک و الحكم و الربوبيّه،أمّا هذه الآيات فقد تناولت نفى الشرک،و استعرضت جانبا من انحرافات المشركين.

وردّتها عليهم بالأدلّه الساطعه،قائله: مَا اتَّخَذَ اللّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مٰا كٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ .

إنّ الإعتقاد بوجود ابن للّه لا ينحصر فى المسيحيين الذين يرون النّبى عيسى عليه السّلام ابنا حقيقيّا له!فقد كان المشركون يرون الملائكه بنات للّه،و لعلّ المسيحيين أخذوا هذه الفكره من المشركين القدماء،و على أساس أنّ الولد جزء من الأب، فلذلک اعتقدوا بأنّ الملائكه أو المسيح عليه السّلام لهم حصّه من الالوهيّه،و هذا أوضح مظهر للشرک.

ثمّ بيّنت الآيه بطلان الشرك:أنّه لو كان هناک آلهه متعدّده تحكم العالم، فسيكون لكلّ إله مخلوقاته الخاصّه به يحكم عليها و يدبّر أمورها.

و سيكون تبعا لذلک أنظمه متعدّده للعالم،لأنّ كلّ واحد من الآلهه يدير منطقته بنظام خاص إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمٰا خَلَقَ و هذا ينافى وحده النظام الحاكم فى هذا العالم.

وَ لَعَلاٰ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ

و هذه نتيجه محتومه لكلّ صراع،إذ يسعى كلّ طرف فيه لغلبه الآخرين و الهيمنه عليهم،و هذا سيكون بذاته سببا آخر لتفكّک النظام الموحّد السائد فى العالم.

و جاء فى ختام الآيه تقديس للّه سبحانه سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ .

و زبده الكلام ما نجده بوضوح من سياده نظام موحّد لساحه الوجود كلّه.

فالقوانين السائده لهذا العالم فى أرضه و سمائه واحده،و النظام الحاكم لذرّه واحده هو ذاته يحكم المجموعه الشمسيّه المنظومات الكبيره،و لو أتيحت لنا صوره مكبّره لذّره واحده لحصّلنا على شكل المنظومه الشمسيّه،و العكس صحيح.

و قد برهن العلماء فى تجاربهم فى مختلف العلوم،باستخدام أدقّ الأجهزه و أحدثها على وحده النظام السائد لهذا العالم كلّه.هذا من جهه.

و من جهه أخرى إنّ الاختلاف و التباين يلازمان التعدّد دوما. فلو تشابهت صفات شيئين تمام التشابه لكانا شيئا واحدا،إذ لا معنى لثنائيتهما عندئذ،و لو فرضنا لهذا العالم آلهه عديده لوقع أثر هذا التعدّد على مخلوقات العالم و النظام الحاكم له،و لانتفت وحده نظام الخلق.

مضافا إلى أنّ كلّ موجود لا بدّ أن يسعى لاستكمال وجوده إلاّ الوجود الكامل من كلّ جهه فلا معنى للتكامل فى وجوده حينئذ،فلو فرضنا وجود مناطق خاصّه لكلّ إله من هذه الآلهه المزعومه،و طبعا لا يكون لكلّ منها كمال مطلق،

و من الطبیعی أیضا أنّها سوف تسعی لاستکمال ذاتها،و تحاول ضمّ بقیّه المناطق إلی حوزتها،و هذا السعی للتکامل و التنافس فی الاقتدار مدعاه لوقوع العالم فریسه بین مخالب الناقصین الباحثین عن السیطره علی غیرهم،و النتیجه هی فساد العالم و دماره.

و بهذا تکون کلتا الجملتین فی الآیه إشاره إلی دلیل منطقی واحد،و لا تصل النوبه إلی حصر الجمله فی جهه إقناعیه و لیست منطقیه.

السؤال الوحید الباقی فی هذا المورد هو أنّ البرهان المذکور یصحّ فیما لو فرضنا أنّ الآلهه تسعی للتغلّب و السیطره المطلقه،أمّا لو فرضناها حکیمه و عالمه، فما المانع من أنّ تدیر العالم بالتشاور فیما بینها؟ لقد أجبنا عن هذا السؤال فی تفسیرنا للآیه الثّانیه و العشرین من سوره النساء،فی بحث برهان التمانع،و لا حاجه لتکراره هاهنا.

و الآیه التالیه تردّ علی المشرکین المغالطین فتقول: عٰالِمِ الْغَیْبِ وَ الشَّهٰادَهِ أی إنّ اللّه یعلم ظاهر الأشیاء و باطنها،فکیف تتصوّرون وجود إله آخر تعرفونه أنتم و لا یعرفه الربّ الذی خلقکم و الذی یعلم الغیب و الشهاده فی هذا العالم؟ هذا البیان یشبه ما ورد فی الآیه الثامنه عشره من سوره یونس قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللّٰهَ بِمٰا لاٰ یَعْلَمُ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی الْأَرْضِ ؟! و بهذه العباره یبطل تصوراتهم الخرافیّه: فَتَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ .

و ختام هذه الآیه یشبه ختام الآیه الثامنه عشره من سوره یونس و هو سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ .و هذا یدلّ علی وحده الموضوع.

کما أنّ هذه العباره تهدید موجّه للمشرکین بأنّ اللّه الّذی یعلم السرّ و العلن، یعلم ما تقولونه.و سیحاسبکم علیه یوم القیامه فی محکمته العادله.

ص :۴۹۸

الآيات [سوره المؤمنون (۲۳): الآيات ۹۳ الی ۹۸]

اشاره

قُلْ رَبِّ إِمّا تُرِيَنِّى ما يُوعَدُونَ (۹۳) رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِى فِى اَلْقَوْمِ اَلظّالِمِينَ (۹۴) وَ إِنّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ (۹۵) اِدْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ اَلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ (۹۶) وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ اَلشَّياطِينِ (۹۷) وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (۹۸)

التّفسير

اشاره

تعوّذوا باللّه من همزات الشياطين:

مع مخاطبه هذه الآيات للرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم، واصلت مقاصد الآيات السابقه فى تهديد الكفّار و المشركين المعاندين بأنواع العذاب الإلهى قُلْ رَبِّ إِمّا تُرِيَنِّى ما يُوعَدُونَ (۱) .

رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظّالِمِينَ

هاهنا دعاء بالنجاه من الهلاک، و الانفصال من الظالمين الـذين ينتظرهم سوء العذاب،و لا شکّ أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم لم

۱- ۱) -«إمّا»فی الآيه أعلاه مركّبه من«إنّ»الشرطيه و«ما»الزائده.و قد استعملت هنا للتأكيد.و من أجل أن ترد(إنّ الشرطيه) على الفعل المقرون بنون التأكيد يجب أن تفصل بينهما«ما».

یعمل ما یعرضه للعذاب،و لیس من العدل الإلهی أن یأخذ البریء بالمذنب،بل لو أنّ رجلا کان یعبد اللّه فی قوم لأنقذه اللّه سبحانه ممّا یعمّهم به من البلاء.

فهذا الدعاء من الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم إنّما کان بأمر من اللّه تعالی،لهدفین:لیحذّر الکفّار و المشرکین من سوء المنقلب الذی یتوجّب أن یسلّم الرّسول الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلّم نفسه إلی اللّه جلّ و علا و یطلب منه النجاه،و الآخر:لیعلّم أصحابه و أتباعه جمیعا التسلیم إلی الحقّ،و ألاّ یتصوّروا أنّهم فی مأمن من عذابه.

أمّا ماذا یقصد بهذا العذاب؟ یری معظم المفسّرین أنّه العقاب الدنیوی الذی ابتلی اللّه به المشرکین،و منه الهزیمه المرّه التی ألحقها بهم فی معرکه بدر (۱) و مع التوجّه إلی أنّ سوره «المؤمنون»مکّیه نزلت یوم مواجهه المؤمنین لضغوط کبیره.لهذا کانت هذه الآیات بلسم لجراحهم و تسلیه لخواطرهم(و جاء بهذا المعنی أیضا فی سوره یونس الآیه ۴۶).

إلاّ أنّ بعض المفسّرین احتملوا أنّه یشمل العذاب الدنیوی و الاخروی معا (۲) .

و یبدو التّفسیر الأوّل أقرب لمراد الآیه.

و تأکیدا لهذا الموضوع و لنفی کلّ شکّ لدی الأعداء،و لتسلیه خاطر الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و المؤمنین،أضافت الآیه اللاحقه وَ إِنّٰا عَلیٰ أَنْ نُرِیَکَ مٰا نَعِدُهُمْ لَقٰادِرُونَ .

و لقد تجلّت قدره اللّه سبحانه فی ساحات مختلفه بعد ذلک-و منها معرکه بدر -حیث غلبت قلّه من المؤمنین جموع الأعداء الغفیره بقوّه الإیمان و بنصر من اللّه

۱- ۱) -یراجع تفاسیر مجمع البیان،و المیزان،و فی ظلال القرآن،و أبو الفتوح الرازی،و روح المعانی،فی تفسیر الآیات موضع البحث.

۲- ۲) -التّفسیر الکبیر للفخر الرازی،فی تفسیر الآیات موضع البحث.

سبحانه و تعالی.

ثمّ یأمر اللّه الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم باتّباع سیاسه اللین فی الدعوه إلی الهدی و دین الحقّ اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ أی ادفع عدوانهم و سیّئاتهم بالعفو و الصفح و الإحسان،و کلامهم البذیء بالکلام المنطقی الموزون: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا یَصِفُونَ .

و اللّه یعلم أنّ أعمالهم القبیحه و کلامهم البذیء و أذاهم القاسی یؤلم الرّسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم، إلاّ أنّه عزّ و جلّ یدعو إلی عدم الرّد بالمثل،بل یوجب أن یکون الردّ بالتی هی أحسن.و هذا خیر سبیل لإیقاظ الغافلین و المخدوعین.

ثمّ نقرأ أمرا ربّانیا بالاستعاذه باللّه من مکائد الشیطان وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزٰاتِ الشَّیٰاطِینِ .إنّه دعاء بالإنقاذ من تربّص الشیطان و مکره الخفی، و لا یقف الدعاء عند همزات الشیاطین بل یستمرّ فی الاستعاذه من حضورهم عنده وَ أَعُوذُ بِکَ رَبِّ أَنْ یَحْضُرُونِ أی حضور الشیاطین فی اجتماعات النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم الذی یؤدّی إلی إغفال المجتمعین و إضلالهم.

ملاحظتان

اشاره

١-ما معنی همزات الشیاطین؟

«الهمزات»جمع«همزه»بمعنی التحریک بقوّه،و قد أطلقت هذه التسمیه علی حرف الهمزه،لأنّها تؤدّی إلی حرکه قویّه فی نهایه الحلق.

و قال بعض المفسّرین:إنّ«الهمز»و«الغمز»و«الرمز»بمعنی واحد.إلاّ أنّ الرمز ذو مرحله خفیفه،و الغمز أشدّ منها.و الهمز،نهایتها فی الشدّه (١) .

و بما أنّ الشیاطین صیغه جمع،فهی تضمّ شیاطین الجنّ و الإنس،ظاهرها و خفیّها. و نقرأ فی تفسیر علی بن إبراهیم أنّ الإمام علیه السّلام قال فی معنی الآیه: قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزٰاتِ الشَّیٰاطِینِ :

هو ما یقع فی قلبک من وسوسه

ص:٥٠١

١- ١) -تفسیر أبو الفتوح الرازی.

الشيطان» (۱) .

فإذا كان الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم مع عصمته و منزلته الساميه عند اللّه،يدعوه سبحانه بهذا الدعاء،فما بالک بمسؤوليه الآخرين؟يجب أن يدعوا اللّه ألاّ يکلهم إلى أنفسهم طرفه عين.و ليس فقط ألاّ يقعوا تحت تأثير همزات الشياطين،بل ألاّ يحضرهم الشياطين فى مجالسهم.فعلى محبّى الحقّ و الذّابين عنه و ناشديه أن يفوّضوا أمرهم إلى اللّه،ليحفظهم من وساوس الشياطين و مکائدهم.

۲-ردّ السيّئه بالحسنه

من أبرز السبل المؤثّره فى مکافحه الأعداء الأشدّاء و المعاندين ردّ السيّئه بالحسنه،فذلک يوقظ مشاعرهم،فيحاسبون أنفسهم على ما اقترفوه من أعمال سيّئه،و يعودون للصواب غالبا.و نجد فى سيره الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أئمّه الهدى عليهم السّلام هذا المنهج بشکل واضح،حيث يردّون سيّئات الجنازه بالإحسان إليهم و الإنعام عليهم،فيکسبون ودّهم،و يفجّرون فى جوارحهم استجابه للحقّ،و رفضا للباطل.

و قد ذکر القرآن المجيد هذه السيره للمسلمين مرارا باعتبارها مبدأ أساسيّا لاقتلاع السيّئات،ففى الآيه الرّابعه و الثلاثين من سوره فصّلت نقرأ فَإِذَا الَّذِی بَيْنَکَ وَ بَيْنَهُ عَدٰاوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِيمٌ .

و الجدير بالذکر أنّ هذا الأمر خاص بحالات لا يسيء العدو الاستفاده من هذا المبدأ،و يرى إحسانهم إليه أو عفوهم عنه ضعفا منهم،فيزداد جرأه على العدوان و الظلم.

و هذه السيره لا تعنى مساومه الأعداء أو التسليم لهم.و هذا قد يکون السبب فى أنّ اللّه عزّ و جلّ أمر الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ذکر هذه التوصيه مباشره بالتعوّذ به من همزات الشياطين و حضورهم حوله.

ص:۵۰۲

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،المجلد الثّالث،صفحه ۵۵۲.

الآيتان [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩٩ الى ١٠٠]

اشاره

حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَهُمُ اَلْمَوْتُ قٰالَ رَبِّ اِرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ كَلاّٰ إِنَّهٰا كَلِمَةٌ هُوَ قٰائِلُهٰا وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)

التّفسير

اشاره

طلب المستحيل:

تابعت هاتان الآيتان ما تناولته الآيات السابقه من عناد المشركين و المذنبين و تمسكهم بالباطل،فتناولت حالهم الوخيم حين الموت.و أنّهم يستمرّون في باطلهم: حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ (١) .

حينما يجبر المذنب و المشرك على ترك الدنيا لينتقل إلى عالم آخر،تزول عنه حجب الغفله و الغرور،فيرى بأمّ عينه مصيره المؤلم،فلا مال و لا جاه،فقد عاد كلّ ما يعنيه هباء في هباء،و هو يشاهد اليوم عاقبه أمره،و ما ارتكبه من ذنوب

١- ١) -«حتّى»هي في الواقع غايه لجمله محذوفه،و يفهم من العبارات السابقه أن تقديرها:إنّهم يستمرّون على هذا الحال حتّى إذا جاء أحدهم الموت،و يستدلّ على ذلك من عباره«نحن أعلم بما يصفون»التي استفيد منها في الآيتين السابقتين(فتأمّلوا جيدا).

و معاص،فيرتفع صراخه و عويله قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ .

ارجعنى يا ربّ لَعَلِّى أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ .و لكن قانون الخلق العادل لا يسمح بمثل هذه العوده،لا يسمح بعوده الصالح و لا الطالح،فيأتيه النداء الدامغ كَلاّ .

إِنَّهٰا كَلِمَةٌ هُوَ قٰائِلُهٰا

.كلام لم يصدر من أعماقه.لم يصدر بإرادته،إنّه يشبه كلام امرئ مسيء يردّد إذا أحسّ بالعقاب،أو كلام قاتل حين إعدامه.و متى هدأت العاصفه بوجههم عادوا لسابق أعمالهم القبيحه.و هذا يشبه ما ورد فى الآيه الثامنه و العشرين من سوره الأنعام وَ لَوْ رُدُّوا لَعٰادُوا لِمٰا نُهُوا عَنْهُ .

و تشير الآيه فى نهايتها إلى عالم البرزخ الغامض بعباره قصيره ذات دلاله كبيره وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ .

بحوث

اشاره

١-من هو المخاطب فى قوله تعالى: رَبِّ ارْجِعُونِ ؟

بملاحظه كلمه«ربّ»التى هى مخفّف«ربّى»بمعنى إلهى،تشير بدايه الجمله إلى أنّ المخاطب هو اللّه سبحانه و تعالى،إلاّ أنّ مجىء«ارجعون»بصيغه الجمع يمنع أن يكون المخاطب هو اللّه عزّ و جلّ.و هذا التعبيران فى الجمله السابقه يثيران سؤالا و تساؤلا.

يرى عدد من المفسّرين أنّ المخاطب هو اللّه،و صيغه الجمع هنا للاحترام و التعظيم.و لكن استعمال صيغه الجمع فى مخاطبه المفرد ليس مألوفا فى العربيه، خاصّه فيما مضى،و لا نظير له فى القرآن المجيد،و بهذا يتّضح ضعف هذا

التّفسير (۱) .

و قال عدد آخر من المفسّرين:إنّ المخاطب هم الملائكه المكلّفون بقبض الأرواح.و كلمه«ربّ»نوع من الاستعانه باللّه،و هذا مألوف فى حياتنا اليوميّه حيث يستغيث المرء باللّه فى الشدائد،ثمّ يستنجد الناس و يصرخ:«يا ربّ!يا ربّ! انقذونى،عجّلوا بمساعدتى»و يبدو هذا التّفسير أقرب إلى الصواب.

۲-تفسير عباره فِيمٰا تَرَكْتُ

قرأنا فى الآيات السابقه أنّ الكفّار يستنجدون باللّه ليرجعهم إلى الدنيا ليعملوا صالحا فيما تركوا من الأعمال.

و يرى البعض فى قوله تعالى: فِيمٰا تَرَكْتُ إشاره إلى أموال تركوها، لاستعمال تعبير«تركه الميت»بصوره اعتياديه.

و

روى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام يؤكّد هذا المعنى إذ يقول: «من منع قيراطا من الزكاه فليس بمؤمن و لا مسلم،و هو قوله تعالى: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ (۲) .

بينما يرى آخرون أنّ لها معنى أوسع،هو إشاره إلى جميع الأعمال الصالحه التى تركها الإنسان.فيكون المعنى:رباه!أرجعنى لاعوّض ما تركته من عمل صالح.

و لا يناقض الحديث السابق مع هذا التّفسير الشامل و هو مصداق واضح له، علما بأنّ هؤلاء الأشخاص يندمون على ما فاتهم من فرص،لهذا يرغبون فى الرجوع إلى الحياه ليستفيدوا منها فى العمل الصالح.

۱- ۱) -يرى بعض المفسّرين فى الآيه التاسعه من سوره القصص فى عباره زوجه فرعون قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لاٰ تَقْتُلُوهُ التى نطقت بها حين أخرج موسى من الماء نموذجا لهذا التعبير،حيث فى البدايه كان المخاطب فرعون و آخر العباره خاطبت حاشيه فرعون و جنوده الذين كلّفوا بقتل أبناء بنى إسرائيل.

۲- ۲) -الكافى،و ثواب الأعمال،و من لا يحضره الفقيه(حسبما نقله تفسير نور الثقلين،المجلّد الثّالث،ص ۵۵۲).

و يبـدو أنّ التّفسـير الثّانى أقرب إلى الصواب،و كلمه«لعلىّ»الوارده فى جمله لَعَلِّی أَعْمَلُ صٰالِحاً يمكن أن تكون علامه على عدم اطمئنـان هؤلاـء المنحرفين من مسـتقبلهم،و أنّ النـدامه نـتيجه لظروف خـاصّه،تظهر حين مـوتهم،و لـو عـادوا إلى الـدنيا لواصـلوا أعمالهم ذاتها.و هذا هو عين الحقيقه.

٣-ما الذى تنفيه«كلاّ»؟

تأتى«كلاّ»فى العربيه بمعنى الحيلوله،و إبطال أثر أقوال المخاطب.و تقابل بالضبط كلمه«أى»التى تستخدم لتصديق الكلام.

و فى الجواب عن السؤال الوارد آنفا،قال البعض:إنّ«كلاّ»تنفى طلب الكفّار الرجوع إلى الحياه الـدنيا،أى إنّ طريق العوده،مغلق،و لا يمكنكم العوده أبدا.

و قـال البعض الآـخر:إنّ هـذه الكلمه جـاءت لنفى ادّعـاءاتهم القـائله:لو عـدنا إلى الـدنيا لعوّضـنا ما فاتنا من أعمال صالحه،فيقال لهم:ما هذا إلاّ ادّعاء باطل،و لو عدتم لواصلتم العمل بنفس نهجكم السابق.

و لاـ ضـير فى أن تكون هـذه الكلمه-فى الوقت ذاته-إشـاره إلى نفى إثنين من المعانى.كما يجب ملاحظه أنّ هـذا الطلب-رغم وروده فى الآـيه محـل البحث من قبـل المشـركين فقـط-ليس خاصّا بهم،بل هو طلب جميع المـذنبين و الظالمين و المنحرفين،إذ ينـدمون على مـا فـاتهم لحظه موتهم،حين يرون مصـيرهم الأليم ماثلا لأعينهم،فيرجون اللّه ليعيـدهم إلى الحياه الـدنيا،إلاّ أنّ اللّه يزجرهم بقوله:

«كلاّ».

۴-ما هو عالم البرزخ؟

و أين هو؟ و ما هو الدليل لإثبات وجود هذا العالم بين الدنيا و الآخره؟ و هل يكون البرزخ للجميع،أم لمجموعه معيّنه؟

ص :۵٠۶

و أخيرا ماذا سيكون وضع المؤمنين و الصالحين و الكفّار و المسيئين فيه؟ هذه أسئله أشارت الآيات و الأحاديث السابقه إليها،لهذا نجيب عنها حسبما يسمح به وضع هذا الكتاب.

تعنى كلمه«البرزخ»فى الأصل الشىء الذى يقع حائلا بين شيئين،ثمّ استعملت لكلّ ما يقع بين أمرين.و لهذا أتت كلمه البرزخ للدلاله على عالم يقع بين عالم الدنيا و الآخره.

و الدليل على وجود عالم البرزخ،أو عالم القبر،أو عالم الأرواح،نجده فى الأدلّه النقليه،فقد دلّ عليه صريح آيات القرآن أحيانا و ظاهرها أحيانا أخرى.

و الآيه موضع البحث وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ظاهره فى وجود عالم البرزخ.رغم أنّ البعث رغب فى القول بأنّ كلمه«البرزخ»فى هذه الآيه تعنى العائق و المانع من العوده إلى الدنيا،غير أنّ هذا المعنى يبدو غريبا،لأنّ عباره إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ دليل على وقوع عالم البرزخ بين الدنيا و الآخره،و ليس بين الإنسان و الدنيا.

و من الآيات التى تصرّح بوجود مثل هذا العالم،الآيات الخاصّه بحياه الشهداء،مثل وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ الآيه(١۶٩)من سوره آل عمران، و الخطاب فيها موجّه إلى النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم.أمّا الآيه(١۵۴)من سوره البقره فإنّها خطاب لجميع المؤمنين: وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لٰكِنْ لا تَشْعُرُونَ .

و عالم«البرزخ»ليس للمؤمنين ذوى الدرجه الرفيعه كالشهداء فقط،بل للكفّار الطغاه كفرعون و أعوانه أيضا،و هذا ما صرّحت به الآيه(۴۶)من سوره المؤمن اَلنّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السّاعَهُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ .

و ذكرت آيات أخرى عالم البرزخ و لكن لا تصل إلى صراحه و ظهور الآيات

السابقه.

و ما يجب الانتباه إليه فى موضع البرزخ هو أنّ الآيات-باستثناء الآيه التى نحن بصددها و التى ذكرته بشكل عامّ-استعرضت البرزخ بشكل خاصّ،كما فى ذكره عن الشهداء أو آل فرعون.

إلاّ أنّ الواضح أنّه لا خصوصيّه لآل فرعون لأنّ فى العالم الكثير من أمثالهم، و لا للشهداء،لأنّ القرآن الكريم اعتبر النّبيّين و الصدّيقين و الصالحين مع الشهداء، كما جاء فى الآيه(۶۹)من سوره النساء فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِينَ .

و لنا حديث عن كون البرزخ لعامّه الناس أو لفئه منهم،سنورده فى ختام هذا البحث إن شاء اللّه.

أمّا الرّوايات:فهناك أحاديث كثيره فى كتب الفريقين الشيعه و السنّه تتحدّث بعبارات مختلفه عن عالم البرزخ،و عالم القبر،و عالم الأرواح.أى تتحدّث عن العالم الذى يفصل بين الدنيا و الآخره،و منها:

-۱

جاء فى حديث معروف ذكر فى الكلمات القصار فى نهج البلاغه أنّ عليّا عليه السّلام حينما وصل إلى جبانه الكوفه عند عودته من حرب صفين،توجّه إلى القبور و نادى الأموات قائلا:«يا أهل الديار الموحشه و المحال المقفره و القبور المظلمه!يا أهل التربه!يا أهل القربه!يا أهل الوحده!يا أهل الوحشه!أنتم لنا فرط سابق و نحن لكم تبع لا حق!أمّا الدور فقد سكنت،و أمّا الأزواج فقد نكحت،و أمّا الأموال فقد قسّمت،هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم»؟ ثمّ التفت إلى أصحابه فقال:«أما لو اذن لهم فى الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى» (۱) .

۱- ۱) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،رقم«۱۳۰».

و بهـذا يتّضـح عـدم إمكان حمل هـذه العبارات على المجاز و الكنايه،بل هى تخبرنا عن حقيقه وجود حياه البرزخ بعد الموت،و تمكّن الموتى-لو سمح لهم- من الحديث إلينا.

۲-و نقرأ حديثا آخر

رواه الأصـبغ بن نبـاته يـذكر فيه أمير المؤمنين على عليه السّـلام أنّه خرج من الكوفه،و مرّ حتّى أتى الغريين فجـازه،فلحقناه و هو مستلق على الأرض بجسده،ليس تحته ثوب.

فقـال له:قنبر:يـا أمير المؤمنين ألا أبسط ثوبى تحتك؟ قال:لا،هل هى إلّا تربه مؤمن أو مزاحمته فى مجلسه؟ قال الأصـبغ:فقلت:يا أمير المؤمنين،تربه مؤمن قد عرفناه كانت أو تكون.

فما مزاحمته فى مجلسه؟ فقال:«يا ابن نباته،لو كشف لكم لرأيتم(فى المختصـر المطبوع ص ۴:لألفيتم) أرواح فى هذا الظهر حلقا يتزاورون و يتحدّثون،إنّ فى هذا الظهر روح كلّ مؤمن، و بوادى برهوت نسمه كلّ كافر» (۱) .

۳-و

جـاء فى حـديث آخر عن الإمـام على بن الحسـين عليه السّـلام قوله: «إنّ القبر إمّا روضه من رياض الجنّه أو حفره من حفر النّار» . (۲)

۴-و

روى عن الإمام الصادق عليه السّـلام: «البرزخ القبر و هو الثواب و العقاب بين الدنيا و الآخره...و اللّه ما نخاف عليكم إلّا البرزخ» . (۳)

۵-و

جاء فى كتاب الكافى أنّه سئل الإمام:و ما البرزخ؟فأجابه:«القبر من حين موته إلى يوم القيامه» (۴) .

۱- ۱) -بحار الأنوار،المجلّد السادس،صفحه ۲۴۳.

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،المجلّد الثّانى،صفحه ۵۵۳.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -المصدر السابق،صفحه ۵۵۴.

۶-و

روی الشیخ الکلینی رحمه اللّه فی الکافی عن علی بن إبراهیم،عن أبیه،عن الحسن بن محبوب،عن أبی ولّاد الحنّاط،عن أبی عبد اللّه علیه السّلام،قال: قلت له:

جعلت فداک،یروون أنّ أرواح المؤمنین فی حواصل طیور خضر حول العرش، فقال:«لا،المؤمن أکرم علی اللّه من أن یجعل روحه فی حوصله طیر،و لکن فی أبدان کأبدانهم» (۱) .

هذا الحدیث یشیر إلی مصیر روح الإنسان،فهی من جهه تشبه هذا الجسم المادّی،إلّا أنّه یمتلک نوعا من التجرّد البرزخی.

۷-کما نقرأ

فی حدیث آخر جاء فی کتاب الکافی عن الإمام الصادق علیه السّلام:

سألته عن أرواح المؤمنین فأجاب:«فی حجرات فی الجنّه،یأکلون من طعامها و یشربون من شرابها.و یقولون ربّنا أقم لنا الساعه و أنجز لنا ما وعدتنا» (۲) .

-۸

روی صاحب الکافی عن سهل بن زیاد،عن إسماعیل بن مهران،عن درست بن أبی منصور،عن ابن مسکان،عن أبی بصیر،عن أبی عبد اللّه علیه السّلام،قال:

«إنّ الأرواح فی صفه الأجساد فی شجره فی الجنّه تعارف،فإذا تساءل قدّمت الروح علی الأرواح تقول:دعوها فإنّها قد أفلتت من هول عظیم،ثمّ یسألونها:ما فعل فلان؟و ما فعل فلان؟فإن قالت لهم:ترکته حیّا ارتجوه،و إن قالت لهم:قد هلک،قالوا:قد هوی هوی» (۳) .

تقصد الأحادیث أعلاه بالجنّه و النّار البرزخیتین،و لیس العائدتین لیوم القیامه،و الفرق بینهما کبیر.

و الأحادیث فی هذا المجال عدیده،و قد رتّبت فی أبواب مختلفه نشیر إلی قسم منها:

۱- ۱) -کتاب الکافی،حسبما نقله بحار الأنوار،المجلّد السادس،صفحه ۲۶۸.

۲- ۲) -بحار الأنوار،المجلّد السادس،صفحه ۲۶۹.

۳- ۳) -المصدر السابق.

أحاديث تتحدّث عن سؤال القبر و عذابه.

و أحاديث تتناول اتّصال الأرواح مع أسرها و مشاهده وضعهم.

أحاديث تتحدّث عن ليله المعراج و اتّصال النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم مع أرواح الأنبياء و المرسلين.

أحاديث تنصّ على ابتلاء الإنسان بنتائج أعماله سواء كانت طيّبه أمّ سيّئه.

بعد موته...و أمثالها (١) .

البرزخ و الاتّصال بعالم الأرواح

رغم أنّ الكثير ممّن يدّعون بأنّهم على اتّصال بعالم الأرواح كاذبون،أو أنّهم يعانون نوعا من الوهم و الخيال،لكن ثبت أنّ الاتّصال بعالم الأرواح ممكن،و قد تحقّق فعلا لبعض العلماء،حتّى أنّهم توصّلوا إلى بعض الحقائق عن طريق الأرواح.

و هذه القضيّه بذاتها دليل واضح على وجود عالم البرزخ و حقيقته،فهى تبيّن أنّ بعد عالم الدنيا و الموت و قبل القيامه فى الآخره،هناك عالم آخر قائم بذاته (٢) .

كما أنّ الأدلّه العقليّه لإثبات تجرّد الروح و بقائها بعد فناء الجسم بنفسها دليل آخر على وجود عالم البرزخ(فتأمّلوا جيدا).

صوره عن عالم البرزخ

يتّفق علماء الإسلام على أصل وجود البرزخ و ما يقع فيه من نعمه و نقمه مع بعض اختلافات جزئيّه بين هؤلاء العلماء،و يتّفق علماء السنّه و الشيعه على وجود البرزخ باستثناء عدد قليل غير ملحوظ.

١- ١) -جمع هذه الأحاديث المرحوم السيّد عبد اللّه شبّر فى كتاب سمّاه«تسليه الفوائد فى بيان الموت و المعاد».

٢- ٢) -للاطلاع أكثر بهذا الصدد،راجع مسأله الاتّصال بالأرواح فى كتاب(عوده الروح و الاتّصال بها)و كتاب(العالم بعد الموت).

و الـدليل على الاتّفـاق بين هؤلاـء العلمـاء واضـح،و هو تصـريح الآيـات القرآنيه بوجود الـبرزخ و مـا فيه من نعمه و عـذاب،كما أسلفنا.و منها ما صـرّح بذلك فى الحديث عن الشـهداء: وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ أَمْوٰاتاً بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمٰا آتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۱) و ليس فقط هـذه المجموعه من الصـالحين قـد أنعم اللّه عليهـا،بـل إنّ مجموعه من أسوأ الطغاه و المجرمين يعـذّبهم اللّه،كما أنّ تعـذيب آل فرعون بعد الموت و قبل القيامه قد أشارت إليه الآيه ۴۶ من سوره غافر(المؤمن).

و الأحاديث متواتره بهـذا الصدد،فلا نقاش فى وجود عالم البرزخ أساسا، و المهمّ أن نعرف حياه البرزخ و شـكلها،فقد ذكرت له صوره مختلفه،أوضـحها أنّ أرواح البشر بعد ترک هذه الدنيا،تدخل أجساما لطيفه ساميه عن آثار هذه المادّه القذره،إلاّ أنّها على شكـل أجسامنـا،و يقـال لكـلّ منهـا(الجسم المثـالى)و هو ليس مجردا تمـام التجريه،و لاـ هو مادّيا محضا.إنّه يمتاز بتجرّد برزخى معيّن،و شـبّهه بعضـهم بما عليه الروح فى أثناء ما يراه النائم،إذ تسرّ الروح رؤيه النعم،و تعذّبها مشاهده المناظر المؤلمه،و لذلک أثّر فى جسمنا هذا،إذ نبکى عند رؤيه حلم مزعج،و نفزع مذعورين من هول ما نرى،أو نضحک من أعماقنا من طرافه ما نحلم به فى نومنا.

و يرى جماعه أنّ الروح تقوم بنشاط فى الجسم المثالى،بل يرون أكثر من ذلک،ألا و هو قدره الأرواح القويّه على اكتساب حاله التجرّد الـبرزخى فى يقظـه الإنســان أيضــا.أى تنفصــل الروح عـن الجسـم.و تتحرّک فى الجسـم المثــالى برغبتهــا أو بــالتنويم المغناطيسى،تتحرّک فى العالم لتطّلع على بعض القضايا (۲) .

ص :۵۱۲

۱- ۱) -سوره آل عمران،۱۶۹ و ۱۷۰.

۲- ۲) -يصرّح العلاّمه المجلسى فى تناوله هذا الموضوع فى بحار الأنوار:إنّ تشبيه البرزخ بالحلم و ما يتراءى للإنسان وارد فى

بـل إنّ البعض قـال بوجود الجسم المثالی فی جسم کلّ إنسان،و إنّه ینفصل عنه فی بـدایه الحیاه البرزخیه،و یمکن أن یقع ذلک کما قلنا فی هذه الدنیا.

و إذا رفضنا جمیع هذه الصفات للجسم المثالی،فلا یمکن نفی الموضوع أصلا،بسبب إشاره أحادیث عدیده إلیه،و لانعدام المانع العقلی منه.

و بهذا یتّضح جواب الاعتراض القائل بأنّ الإعتقاد بالجسم المثالی یستوجب الإعتقاد بالتناسخ،الذی یعنی انتقال الروح من جسم إلی آخر.

لقـد ردّ الشیخ البهائی هـذا الإحتجاج بوضوح،فقال:إنّ التناسـخ الـذی یری بطلانه جمیع المسـلمین،هو عوده الروح بعـد تفسّـخ الجسم الذی کانت فیه إلی جسم آخر فی هذه الدنیا.

أمّـا اختصاص الروح بالجسم المثالی فی عالم البرزخ حتّی یوم القیامه،ثمّ عودتها إلی الجسم الأوّل بأمر من اللّه تعالی لا علاقه له بالتناسخ،و السبب أنّنا ننفی التناسخ بشدّه و نکفّر الذی یعتقد به،هو قولهم بأزلیّه الأرواح و انتقالها الدائمی من جسم إلی آخر،و إنکارهم المعاد الجسمانی فی عالم الآخره (۱) .

و القول بوجود الجسم المثالی فی باطن الجسم المادّی یجلی الجواب عن هذا الإشکال،إذ لا تنتقل الروح من جسم إلی آخر،بل تترک بعض قوالبها، و تستمرّ فی قالب آخر فی حیاتها البرزخیه.

و السؤال الآخر هو أنّه یفهم من آیات قرآنیه أن لا حیاه برزخیه لمجموعه من الناس،کما جاء فی الآیه الخامسه و الخمسین و السادسه و الخمسین من سوره الروم! یَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَهُ یُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مٰا لَبِثُوا غَیْرَ سٰاعَهٍ کَذٰلِکَ کٰانُوا یُؤْفَکُونَ، وَ قٰالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِیمٰانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِی کِتٰابِ اللّٰهِ إِلیٰ یَوْمِ الْبَعْثِ فَهٰذٰا یَوْمُ الْبَعْثِ وَ لٰکِنَّکُمْ کُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ .

(۲

أکثر من الروآیات،و یمکن أن تکون للنفوس القویه السامیه عده أجسام مثالیه،و بهـذا تفسر الأحادیث القائله بحضور الأئمه المیامین لدی المحتضرین حین نزعهم الأخیر.(بحار الأنوار،المجلد السادس،صفحه ۲۶۱).

۱- ۱) -بحار الأنوار،المجلد السادس،صفحه ۲۷۷.

و جواب هذا الاعتراض،جاء فی أحادیث فحواها أنّ الناس ثلاث فئات:

فئه مؤمنه مخلصه فی إیمانها،و فئه مخلصه فی کفرها،و فئه متوسطه و مستضعفه.

و إنّ عـالم البرزخ خـاص بالفئتین الأولی و الثّانیه،أمّا الثّالثه فتعبر عالم البرزخ فی حاله من عـدم الاطلاع(لاطلاع أوسع علی هـذه الأحادیث یراجع المجلّد السادس من بحار الأنوار،بحث أحوال البرزخ و القبر).

ص:۵۱۴

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٠١ الى ١٠٤]

اشاره

فَإِذٰا نُفِخَ فِي اَلصُّورِ فَلاٰ أَنْسٰابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لاٰ يَتَسٰاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَ مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ فَأُولٰئِكَ اَلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خٰالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ اَلنّٰارُ وَ هُمْ فِيهٰا كٰالِحُونَ (١٠٤)

التّفسير

اشاره

جانب من عقاب المسيئين:

تحدّث الآيات السابقه عن عالم البرزخ،و أعقبتها آيات تناولت القيامه بالبحث،و تناولت كذلك جانبا من وضع المذنبين في عالم الآخره.

فهي تقول أوّلا: فَإِذٰا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاٰ أَنْسٰابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لاٰ يَتَسٰاءَلُونَ من المعلوم-بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم-أنّ النفخ في الصور يجرى مرّتين.أولاهما في نهايه هذا العالم،حيث يموت من في الأرض و السماوات.

و في ثانيتهما يبدأ بعث من في القبور،ليعودوا لحياه جديده،و ليستعدّوا للحساب و الجزاء.

«النفخ فی الصور»یعنی النفخ فی البوق،إلاّ أنّ هذه العباره لها مفهوم خاصّ سنبیّنه إن شاء اللّه فی شرح الآیه ۶۸ من سوره الزمر.

و علی کلّ حال،فإنّ الآیه السابقه أشارت إلی ظاهرتین من ظواهر یوم القیامه:

أولاهما:انتهاء مسأله النسب،لأنّ رابطه الاسره و القبیله التی تسود حیاه الناس فی هذا العالم تؤدّی فی کثیر من الحالات إلی نجاه المذنبین من العقاب،إذ یستنجدون بأقربائهم فی حلّ مشاکلهم.أمّا الوضع یوم القیامه فیختلف،حیث کلّ إنسان و عمله،فلا معین له،و لا نفع فی ولده،أو أخیه،أو والده.

و ثانیتهما:سیطره الخوف علی الجمیع،فلا یسأل أحد عن حال غیره بسبب الخوف الشدید من العقاب الإلهی،هو یوم کما أطّلعنا علیه فی مطلع سوره الحجّ:

یَوْمَ تَرَوْنَهٰا تَذْهَلُ کُلُّ مُرْضِعَهٍ عَمّٰا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ کُلُّ ذٰاتِ حَمْلٍ حَمْلَهٰا وَ تَرَی النّٰاسَ سُکٰاریٰ وَ مٰا هُمْ بِسُکٰاریٰ وَ لٰکِنَّ عَذٰابَ اللّٰهِ شَدِیدٌ کما یحتمل أن تقصد عباره وَ لاٰ یَتَسٰاءَلُونَ عدم طلب أحدهم العون من الآخر،لأنّهم جمیعا یعرفون عدم جدوی ذلک.

و قال بعض المفسّرین:إنّ المراد من هذه العباره هی عدم السؤال عن الأنساب فهی تأکید لقوله تعالی: فَلاٰ أَنْسٰابَ بَیْنَهُمْ .

و یبدو التّفسیر الأوّل أوضح من غیره،رغم عدم التناقض فیما بینها،و یمکن أن تشیر العباره السابقه إلی هذه المعانی کلّها.

و رأی مفسّرون آخرون أنّه یستفاد من عدّه آیات تساؤل الناس یوم القیامه، کما جاء فی الآیه(۲۷)من سوره الصافات،حیث تساءل المذنبون لدی مواجهه النّار وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ یَتَسٰاءَلُونَ .کما تحدّثت هذه السوره فی الآیه الخمسین عن أهل الجنّه ساعه استقرارهم فی الجنّه متقابلین،فقالت: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ یَتَسٰاءَلُونَ إنّهم تساءلوا عن رفاق لهم فی الحیاه الدنیا انحرفوا

ص :۵۱۶

عن السبيل السوی فاقتیدوا إلی النّار.

کما جاء نظیر هذا المعنی فی الآیه(۲۵)من سوره الطور،فکیف تنسجم هذه الآیات مع الآیه موضع البحث،و هی تنصّ علی عدم تساؤل الناس یوم القیامه؟.

لو دقّقنا ملیّا فی مضمون الآیات محلّ البحث لاتّضح لنا جواب هذا السؤال، فالآیات الخاصّه بإثبات سؤال بعضهم للآخر إنّما تتحدّث فی حاله استقرارهم فی الجنّه،أو فی النّار.فی وقت تنفی الآیات محل البحث تساؤل الناس حین البعث، حیث یسیطر الرعب علی الجمیع.حتّی أنّ الناس ینسون جمیع من حولهم و یذهلون عنهم من هول الحشر.و بتعبیر آخر:للقیامه مواقف و لکلّ موقف شأن معیّن،و الإشکال المذکور نجم عن عدم تشخیص هذه المواقف.

و بعد وقوع القیامه تبدأ مرحله الحساب و قیاس الأعمال بمیزان خاصّ بیوم القیامه: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِینُهُ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

«الموازین»جمع«میزان»و هو وسیله للقیاس.و کما قلنا سابقا:إنّ المیزان لا یعنی ما نعرفه فی هذه الدنیا لوزن الموادّ،إنّ المیزان فی هذه الآیه یعنی وسیله ملائمه لقیاس قیمه أعمال الإنسان،أی:للمیزان مفهوم واسع یشمل جمیع وسائل القیاس.و کما ورد فی الأحادیث المختلفه أنّه میزان تقاس به الأعمال و الناس، و هم قاده الإسلام الکبار،

فی الحدیث: «إنّ أمیر المؤمنین و الأئمّه من ذریته هم الموازین» (۱) .

و علی هذا فإنّ الرسل و أوصیاءهم هم الذین یقاس الناس و أعمالهم بهم، لیتبیّن إلی أی درجه یشبهونهم.و بهذا یتمیّز الناس ثقیلهم من خفیفهم، و ثمینهم من تافههم،و عالمهم من جاهلهم.کما یتّضح لنا سرّ ذکر الموازین بصیغه الجمع،لأنّ قاده الناس الکبار فی السابق-و هم موازین القیاس-قد تعدّدوا فی التاریخ.

ص: ۵۱۷

۱- ۱) -بحار الأنوار،المجلّد السابع،صفحه ۲۵۱(الطبعه الجدیده).

و یمکن أن یکون الأنبیاء و الأئمّه و عباد اللّه المخلصون قدوه فی مجال معیّن أو أکثر علی وفق الظروف التی مرّوا بها،فاشتهروا ببعض الصفات دون أخری، فواحدهم میزان بما اشتهر به من حسنات و خصال حمیده.

وَ مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِینُهُ

و هم الذین فقدوا الإیمان و العمل الصالح،فوزنهم خفیف یوم القیامه،لأنّهم خسروا رأسمال وجودهم: فَأُولٰئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خٰالِدُونَ عباره خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ تصریح بحقیقه خسران المذنبین لأکبر رأسمال لهم-أی وجودهم-فی سوق تجاره الدنیا دون أن یحصلوا علی مقابل.

و تشرح الآیات التالیه عذابهم الألیم تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّٰارُ ألسنه النّار و لهیبها المحرق تضرب وجوههم کضرب السیف وَ هُمْ فِیهٰا کٰالِحُونَ و هم من شدّه الألم و عذاب النّار،فی عبوس و اکفهرار.

و کلمه«تلفح»مشتقّه من«لفح»علی وزن«فتح»و تعنی فی الأصل ضربه السیف، و قد وردت هنا کنایه،لأنّ لهیب النّار،أو نور الشمس المحرقه،و ریح السموم،تضرب وجه الإنسان کضرب السیف.

و أمّا کلمه«کالح»فإنّها مشتقّه من«کلوح»علی وزن«فعول»بمعنی التعبیس و اکفهرار الوجه.و قد فسّره عدد کبیر من المفسّرین بتقلّص فی جلد الوجه بحیث یبقی الثغر مفتوحا لا یمکن إغلاقه (۱) .

ص:۵۱۸

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،و تفسیر الفخر الرازی،و تفسیر مجمع البیان،و تفسیر المیزان،الآیات موضع البحث.

ملاحظات

اشاره

۱-اليوم الذى لا يعتنى فيه بالأنساب:

المفاهيم التى تسود حياه الإنسان المادّيه فى هذا العالم،ستتغيّر فى عالم الآخره،و منها العلاقات الودّيه،و الأواصر الأسريّه التى تحلّ مشاكل كثيره فى هذه الحياه،و أحيانا تشكّل النظام الذى يسيطر على سائر العلاقات الاجتماعيه.

و إذا كان الانتساب للقبائل و الأسر فى الدنيا لا يعارض الإيمان باللّه تعالى و العمل الصالح،فإنّه ينتفى يوم القيامه،فلا انتساب لشخص أو طائفه أو قبيله.و إذا كان الناس هاهنا يساعد أحدهم الآخر،و يحلّ له مشاكله و ينتصر له و يفخر به، فإنّهم ليسوا كذلك يوم القيامه،فلا خبر عن الأموال الكثيره،و لا عن الأولاد يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (۱) .

حتّى من ينتسبون إلى النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم خاضعون لهذا الحكم،و لهذا نلاحظ أنّ الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّه الأطهار طردوا عنهم من كان من المقرّبين فى النسب الهاشمى،إمّا لعدم إيمانه،أو لانحرافه عن الإسلام الأصيل،و أظهروا تنفّرهم و براءتهم منه.رغم أنّه

روى عن الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم قوله: «كل حسب (۲) و نسب منقطع يوم القيامه إلاّ حسبى و نسبى» (۳) .

يقول العلاّمه الطباطبائى(رضوان اللّه عليه)فى الميزان:إنّ هذا الحديث هو نفسه الذى رواه بعض محدّثى أهل السنّه فى كتبهم،مرّه عن عبد اللّه بن عمر، و أخرى عن عمر بن الخطاب،و أحيانا عن صحابه آخرين للرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

فى الوقت الذى نرى أنّ الآيه-موضع البحث-ذات طابع عامّ،فهى تتحدّث

۱- ۱) -الشعراء،۸۹.

۲- ۲) -الحسب:كلّ فخر للإنسان،بالآباء و الأجداد.و يعنى أحيانا الخلق السليم للشخص ذاته،و هنا قصد المعنى الأوّل.(يراجع لسان العرب فى كلمه حسب).

۳- ۳) -مجمع البيان آخر الآيه موضع البحث.

عن انقطاع جميع الأنساب يوم القيامه،و هذا ما تؤازره المبادئ القرآنيه و سيره النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى معامله المنحرفين التى تفيد أنّه لا فرق بين الناس فى هذا المجال.

لهذا نقرأ فى حديث رواه ابن شهر آشوب فى كتابه المناقب عن طاووس اليمانى

عن الإمام زين العابدين عليه السّلام أنّه قال: «خلق اللّه الجنّه لمن أطاع و أحسن و لو كان عبدا حبشيّا،و خلق النّار لمن عصاه و لو كان سيّدا قرشيا» (۱) .

و ما ذكر لا ينفى احترام الساده المتّقين من آل الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم،فهذا الاحترام فى حقيقته احترام للرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و ما جاء فى القرآن و الحديث فى فضلهم و منزلتهم ناظر حسب الظاهر إلى هذا المعنى.

۲-حكايه الأصمعى المؤثّره:

و من المناسب هنا ذكر حكايه نقلها«الغزالى»فى كتابه«بحر المحبّه»عن الأصمعى،تؤيّد ما ذهبنا إليه و ذات مسائل جديره بالاهتمام.

يقول الأصمعى «كنت أطوف حول الكعبه فى ليله مقمره،فسمعت صوتا حنونا لرجل يناجى ربّه.بحثت عن صاحبه و إذا به شاب جميل رشيق القامه يبدو عليه الطيب.و قد تعلّق بأستار الكعبه،و كان يقول فى مناجاته:

يا سيّدى و مولاى،نامت العيون و غابت النجوم،و أنت ملك حىّ قيّوم،لا تأخذك سنه و لا نوم،غلقت الملوك أبوابها،و أقامت عليها حرّاسها و حجّابها،و قد خلا كلّ حبيب بحبيبه،و بابك مفتوح للسائلين،فها أنّا سائلك ببابك مذنب فقير، خاطئ مسكين،جئتك أرجو رحمتك يا رحيم،و أن تنظر إلىّ بلطفك يا كريم! ثمّ أنشد:

۱- ۱) -مناقب ابن شهر آشوب(وفق ما نقله تفسير نور الثقلين،المجلّد الثّالث،ص ۵۶۴).

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم*يا كاشف الكرب و البلوى مع السقم قد نام وفدك حول البيت و انتبهوا*و عين جودك يا قيّوم لم تنم إن كان جودك لا يرجوه ذو سرف*فمن يجود على العاصين بالنعم هب لى بجودك فضل العفو عن سرف*يا من أشار إليه الخلق فى الحرم ثمّ رفع رأسه إلى السّماء و ناجى:

إلهى سيّدى و مولاى!إن أطعتك بعلمى و معرفتى فلك الحمد و المنّه علىّ، و إن عصيتك بجهلى فلك الحجّه علىّ.

و رفع رأسه ثانيه إلى السّماء مناجيا بأعلى صوته:يا إلهى و سيّدى و مولاى، ما طابت الدنيا إلاّ بذكرك،و ما طابت العقبى إلاّ بعفوك،و ما طابت الأيّام إلاّ بطاعتك،و ما طابت القلوب إلاّ بمحبّتك،و ما طاب النعيم إلاّ بمغفرتك.

يضيف الأصمعى أنّ هذا الشاب واصل مناجاه ربّه حتّى أغمى عليه،فدنوت منه و تأمّلت فى محيّاه فإذا هو على بن الحسين زين العابدين،فأخذت رأسه فى حجرى و بكيت له كثيرا،فأعادته إلى وعيه قطرات دمع سكبت على وجنتيه،ففتح عينيه و قال:من الذى شغلنى عن ذكر مولاى؟قلت:إنّك من بيت النبوّه و معدن الرساله.ألم تنزل فيكم آيه التطهير؟ألم يقل اللّه فيكم: إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً .

نهض الإمام السجّاد و قال:يا أصمعى!هيهات هيهات!خلق اللّه الجنّه لمن أطاع و أحسن و لو كان عبدا حبشيّا،و خلق النّار لمن عصاه و لو كان سيّدا قرشيا.

ألم تقرأ القرآن؟ألم تسمع كلام اللّه: فَإِذٰا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاٰ أَنْسٰابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لاٰ

يَتَسَاءَلُونَ

.

يقول الأصمعی:عند ما وجدته علی هذا الحال، ترکته و مضیت لسبیلی (۱) .

۳-تناسب العقاب مع الذنب

أشرنا سابقا إلی العذاب الإلهی فی القیامه،و إلی أنّ الذنوب التی ترتکب تتناسب مع العقاب بدقّه،و قد ذکرت الآیات السابقه احتراق الوجوه الشدید بلهیب النّار المحرقه،حتّی تکون الوجوه معبّسه و الثغور مفتّحه.کلّ ذلک عقاب للذین خفّت موازینهم و انعدم إیمانهم.و مع التوجّه لهذا المعنی،و هو أنّ هؤلاء کانوا یعبّسون حین سماع الآیات الإلهیّه و أحیانا یسخرون بها.و یجلسون یتحدّثون باستهزاء و تهکّم،فإنّ هذا العذاب یناسب أعمالهم هذه.

ص :۵۲۲

۱- ۱) -بحر المحبّه-للغزالی،صفحه ۴۱ إلی ۴۴(مع التلخیص)

الآيات [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٠٥ الى ١١١]

اشاره

أَ لَمْ تَكُنْ آيَاتِی تُتْلیٰ عَلَیْکُمْ فَکُنْتُمْ بِهٰا تُکَذِّبُونَ (١٠۵) قٰالُوا رَبَّنٰا غَلَبَتْ عَلَیْنٰا شِقْوَتُنٰا وَ کُنّٰا قَوْماً ضٰالِّینَ (١٠۶) رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا مِنْهٰا فَإِنْ عُدْنٰا فَإِنّٰا ظٰالِمُونَ (١٠٧) قٰالَ اِخْسَؤُا فِیهٰا وَ لاٰ تُکَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ کٰانَ فَرِیقٌ مِنْ عِبٰادِی یَقُولُونَ رَبَّنٰا آمَنّٰا فَاغْفِرْ لَنٰا وَ اِرْحَمْنٰا وَ أَنْتَ خَیْرُ اَلرّٰاحِمِینَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِیًّا حَتّٰی أَنْسَوْکُمْ ذِکْرِی وَ کُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَکُونَ (١١٠) إِنِّی جَزَیْتُهُمُ اَلْیَوْمَ بِمٰا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ اَلْفٰائِزُونَ (١١١)

التّفسير

اشاره

لا تكلّمون!

تحدّثت الآيات السابقه عن العذاب الأليم لأهل النّار،و تناولت الآيات- موضع البحث-استعراض جانب من كلام اللّه مع أهل النّار،إذ خاطبهم سبحانه و تعالى بعتاب أَ لَمْ تَكُنْ آيَاتِی تُتْلیٰ عَلَیْکُمْ فَکُنْتُمْ بِهٰا تُکَذِّبُونَ (١) .

١- ١) -إنّ هذه الجمله فى الحقيقه فيها محذوف تقديره(يقول اللّه تعالى ألم تكن...).

ألم أرسل إليكم آيات و أدلّه واضحه بواسطه رسلى!ألم أتمّ حجّتى عليكم! و مع كلّ هذا واصلتم تكذيبكم و إنكاركم.

و بملاحظه كون فعلى«تتلى»و«تكذّبون»مضارعان و هما دليل على الاستمرار،فإنّه يتّضح لنا استمرار تلاوه الآيات الإلهيّه عليهم،و كذلك هم يواصلون التكذيب!.

و هم يعترفون فى ردّهم قٰالُوا رَبَّنٰا غَلَبَتْ عَلَيْنٰا شِقْوَتُنٰا وَ كُنّٰا قَوْماً ضٰالِّينَ .

«الشقوه»و«الشقاوه»نقيض السعاده،و تعنى توفّر وسائل العقاب و البلاء.أو بتعبير آخر:هى الشرّ و البلاء الذى يصيب الإنسان،بينما تعنى السعاده توفّر ظروف النعمه و الطيب.

و الشقاوه و السعاده ليستا إلاّ نتيجه لأعمالنا و أقوالنا و مقاصدنا،و الإعتقاد بأنّ السعاده أو الشقاوه ذاتيه للإنسان منذ الولاده،ما هو إلاّ تصوّر يذكر لتسويغ الفرار من عبء المسؤوليه و الاعتذار من الأعمال المخالفه للحقّ،أو هو تفسير لأعمال الجهل.

و لهذا نرى المذنبين أهل النّار يعترفون بصراحه أنّ اللّه أتمّ عليهم الحجّه، و أنّهم كانوا السبب فى تعاسه أنفسهم،لأنّهم قوم ضالّون.

و لعلّهم فى اعترافهم هذا يودّون نيل رضى اللّه و رحمته،لهذا يضيفون مباشره رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا مِنْهٰا فَإِنْ عُدْنٰا فَإِنّٰا ظٰالِمُونَ يقولون ذلك و كأنّهم لا يعلمون أنّ القيامه دار جزاء،و ليست دار عمل،و أنّ العوده إلى الدنيا أمر محال.

لهذا يردّهم اللّه سبحانه و تعالى بقوّه قٰالَ اخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ و عباره «اخسؤا»التى هى فعل أمر،تستعمل لطرد الكلاب،فمتى ما استخدمت للإنسان فإنّها تعنى تحقيره و معاقبته.

ثمّ يبيّن اللّه عزّ و جلّ دليل ذلك بقوله:هل نسيتم: إِنَّهُ كٰانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبٰادِي يَقُولُونَ رَبَّنٰا آمَنّٰا فَاغْفِرْ لَنٰا وَ ارْحَمْنٰا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرّٰاحِمِينَ . و لكنّكم كنتم تستهزئون

ص :۵۲۴

بهم إلى درجه أنّ كثره الاستهزاء و السخريه منهم أنساكم ذكرى:

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتّٰى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ

على أعمالهم و عقائدهم و أخلاقهم إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمٰا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰائِزُونَ .

و أمّا أنتم فقد ابتليتم بأسوأ حاله،و بأكثر العذاب ألما،و لا ينجدكم أحد من مصيركم الذى تستحقّونه.

و بهذا بيّنت الآيات الأربع الأخيره السبب الرئيسى لتعاسه أهل النّار،و سبب انتصار و فلاح أهل الجنّه بشكل صريح.

الفئه الضالّه هى التى كانت وراء تعاستها، فقد هانت حتّى لم تخاطب يوم القيامه إلاّ بما يخاطب به الكلب،لاستهزائهم بأهل الحقّ و الاستهانه بمعتقداتهم الساميه،فما أجدر المستهزئين بالمؤمنين بهذا المصير! و أمّا الفئه الصالحه فقد نالت خير جزاء من اللّه بصبرها و استقامتها فى مواجهه العدو المعاند المغرور المتعنّت،و مواصلتهم الطريق إلى اللّه بإخلاص.

ص :525

الآيات [سوره المؤمنون (۲۳): الآيات ۱۱۲ الی ۱۱۶]

اشاره

قالَ کَمْ لَبِثْتُمْ فِی اَلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِینَ (۱۱۲) قالُوا لَبِثْنا یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ فَسْئَلِ اَلْعادِّینَ (۱۱۳) قالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ قَلِیلاً لَوْ أَنَّکُمْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۱۴) أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناکُمْ عَبَثاً وَ أَنَّکُمْ إِلَیْنا لا تُرْجَعُونَ (۱۱۵) فَتَعالَی اَللّهُ اَلْمَلِکُ اَلْحَقُّ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ رَبُّ اَلْعَرْشِ اَلْکَرِیمِ (۱۱۶)

التّفسیر

اشاره

الدنیا،و عمرها القصیر:

بما أنّ الآیات السابقه تناولت جانبا من عذاب أهل النّار الألیم،عقّبت الآیات-موضع البحث-ذلک بذکر نوع آخر من العذاب،هو العذاب النفسی الموجّه من قبل اللّه تعالی لأهل النّار للاستهانه بهم.

تقول الآیه الأولی: قالَ کَمْ لَبِثْتُمْ فِی الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِینَ یخاطبهم سبحانه و تعالی یوم القیامه قائلا:کم سنه عشتم فوق الأرض؟ کلمه«الأرض»فی هذه الآیه و کذلک القرائن التی سوف تأتی لاحقا تدلّ علی أنّ السؤال هو عن مقدار عمرهم فی الدنیا بالمقارنه مع أیّام الآخره.

فمـا ذهب إليه بعض المفسّـرين:من أنّ المراد من هـذا الاسـتفسار هو عن السؤال مقـدار انتظـارهم فى عـالم البرزخ،بعيـد حسـب الظاهر،رغم وجود شواهد قليله على ذلك فى آيات أخرى (١) .

إلاّ أنّهم يرون فى هذه المقارنه أنّ الدنيا قصيره جدّا جدّا قَالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .

و الحقيقه أنّ الأعمار الطويله فى الدنيا كسحابه صيف لو قارناها بحياه الآخره،حيث النعم الخالده و العقاب غير المحدود.

و للتأكيد أو للردّ بدقّه قالوا فَسْئَلِ الْعادِّينَ أى:ربّاه اسأل الذين يعرفون أن يعدّوا الأعداد و يحسـبوها بدقّه حين مقارنه بعضـها مع بعض،و يمكن أن يكون القصـد من كلمه«العـادّين»الملائكه الـذين يحسـبون أعمار الناس و أعمالهم بـدقّه، لأنّ هؤلاء يجيـدون الحساب أفضل من غيرهم.

و هنا يؤنّبهم اللّه و يستهزئ بهم قالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فسوف يـدركون يوم القيامه مـدى قصـر عمر الـدنيا المحـدود بالنسبه لعمر الآخره الممـدود،فـالعمر الأوّل ما هو إلاّ كلمه بصـر،و لكنّهم كانوا يتصوّرونه خالـدا،لأنّ حجب الغفله و آثارها قـد أسـدلت على قلوبهم،فحجبتها عن رؤيه الحقّ،فاسـتهانوا بالآخره و حسـبوها وعـدا آجلا بعيـدا،لهـذا قال لهم اللّه عزّ و جلّ:لو أنّكم كنتم تعلمون لأدركتم هذه الحقيقه التى توصّلتم إليها يوم القيامه فى دنياكم (٢) .

ص: ۵۲۷

---

۱ – ۱) -نقرأ فى سوره الروم الآيه(۵۵)و(۵۶): وَ يَوْمَ تَقُومُ السّاعَهُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَهٍ كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ، وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتابِ اللّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ،فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ،وَ لكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ تبيّن هاتان الآيتان أنّ الاسـتفسار و الردّ خاص بالتوقّف فى البرزخ،و إذا جعلناه دليلا على الآيات موضع البحث،فمفهومها سـيكون أيضا التوقّف فى البرزخ،إلاـ أنّه كمـا قلنـا:إنّ الـدلائل الموجوده-فى الآيات موضع البحث-مقـدّمه عليها،و إنّها تبيّن أنّ الاسـتفسار و جوابه يخصّ التوقّف فى الدنيا.

۲ – ۲) -إن«لو»فى الآيه السابقه شرطيه كما قلنا سابقا.و هناك جمله تقديريّه محذوفه فتكون«لو أنّكم كنتم تعلمون»لعلمتم

و استعملت الآیه أسلوبا مؤثّرا آخر لإیقاظ هذه الفئه و تعلیمها أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمٰا خَلَقْنٰاکُمْ عَبَثاً وَ أَنَّکُمْ إِلَیْنٰا لاٰ تُرْجَعُونَ هذه العباره الموجزه و العمیقه تبیّن واحدا من أقوی الأدلّه علی البعث و حساب الأعمال و الجزاء،و تعنی أنّ الحیاه الدنیا تصبح عبثا إن لم تکن القیامه و المعاد.فالدنیا بما فیها من مشاکل و ما وضع فیها اللّه من مناهج و مسئولیات و برامج،تکون عبثا و بلا معنی إن کانت لأیّام معدودات فقط،کما سنشرح ذلک فی المسائل الآتیه.

و بما أنّ عدم بثیّه الخلق أمر مهمّ یحتاج إلی دلیل رصین،أضافت الآیه فَتَعٰالَی اللّٰهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْکَرِیمِ .

فإنّ الذی یقوم بعمل تافه-فی الواقع-هو الجاهل غیر الواعی أو الضعیف غیر القادر،أو من هو بالذات تافه خاو.

أمّا«اللّه»الذی جمع الکمال فی صفاته.

و هو«الملک»الذی یملک جمیع الکائنات و یحکم علیها و هو«الحقّ»الذی لا یصدر منه غیر الحقّ،فکیف یخلق الوجود عبثا بلا غایه.

و لو توهّم أحد الأشخاص بأنّه یمکن أن یوجد من یمنعه من الوصول إلی هدفه،فإنّ عباره لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْکَرِیمِ تنفی ذلک و تؤکّد ربوبیّته و مفهومها أنّ هذا المالک مصلح و هادف فی خلقه للعالم.

و باختصار نقول:إنّه إضافه إلی ذکر کلمه«اللّه»التی هی إشاره إلی صفاته الکمالیه فی ذاته،ذکرت الآیه أربع صفات بشکل صریح:مالکیه و حاکمیه اللّه،ثمّ حقّانیه وجوده،و کذلک عدم وجود شریک له،و أخیرا مقام ربوبیّته.و هذا کلّه دلیل علی أنّه تعالی لا یقوم بعمل عبثا،کما أنّه لم یخلق البشر عبثا.

کلمه«العرش»کما أشرنا سابقا،هی إشاره إلی أنّ عالم الوجود کلّه الخاضع

۲)

أنّکم ما لبثتم إلاّ قلیلا،و قال بعض المفسّرین أن«لو»تعنی هنا«لیت»و بهذا تکون الجمله بهذا الشکل«لیتکم علمتم بهذا الموضوع فی دنیاکم»

لحكم اللّه(لأنّ العرش فى اللغه يعنى السرير ذى الأرجل العاليه و الخاصّ بالحكّام،و هذه كنايه عن حكم اللّه المطلق).و للاطلاع أوسع على معنى العرش فى القرآن المجيد يراجع التّفسير الأمثل تفسير الآيه ۵۴ من سوره الأعراف.

و سبب توصيف العرش بالكريم،هو أنّ كلمه«الكريم»تعنى بالأصل الشريف و المفيد و الجيّد،و بما أنّ عرش اللّه سبحانه و تعالى له هذه الصفات،فقد سمّى بالكريم.

و لا-بدّ من القول بأنّ صفه الكريم لا-تخصّ العاقل فقط،بل تطلق على غيره فى اللغه العربيه.كما نشاهد ذلك فى سوره الحجّ الآيه ۵۰ الخاصّه بالمؤمنين الصالحين لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ أى رزق ذو بركه.و كما يقول الراغب الاصفهانى فى مفرداته:الكرم لا يقال إلاّ فى المحاسن الكبيره،كمن ينفق مالا فى تجهيز جيش فى سبيل اللّه،أو تحمّل حماله ترقئ دماء قوم.

بحث

اشاره

الموت ليس نهايه الحياه:

قلنا:إنّ من بين الأدلّه المطروحه لإثبات المعاد و العالم الآخر هى«مطالعه نظام هذا العالم»أو بتعبير آخر:إنّ دراسه«النشأه الأولى»شاهد على وجود «النشأه الاخرى».

و من الضرورى إيضاح ذلك بنحو أوسع هنا.

فمن جهه نرى عالم الوجود بهذه السعه و العظمه و التنظيم المدهش،حتّى اعترف كبار العلماء بأنّ أسرار العالم بقدر يقف الإنسان عاجزا إزاءها،فإنّ معلوماته مهما كانت لا تشكّل سوى صفحه من كتاب كبير جدّا.بل إنّ معلوماتنا عن هذا الوجود ما هى إلاّ«ألفباء»لهذا الكتاب العظيم التأليف و الأسرار.

فكلّ واحده من هذه المجرّات العظيمه تضمّ مليارات من الكواكب،و عدد المجرات و الفواصل بينها كبير بدرجه تثير الدهشه حين حساب المسافه بينها بسرعه الضوء،علما بأنّ سرعه الضوء تبلغ ثلاثمائه ألف كيلومترا فى الثّانيه.

و الدقّه المستخدمه فى بناء أصغر وحده من هذا العالم هى ذاتها التى استخدمت فى أوسع بناء فيه.

و الإنسان-بحسب علمنا-أكمل المخلوقات التى نعرفها فى الوجود،و هو أسمى نتاج لهذا العالم،و من جهه أخرى يلاقى الآلام و المشاكل الكثيره خلال عمره القصير حتّى يبلغ أشدّه!!فما يكاد ينهى مرحله الطفوله بآلامها و مشاكلها و يتنفّس الصعداء منها حتّى يدخل مرحله الصبا و الشباب بتقلّباتها الشديده المدمّره.

و ما يكاد يثبت قدميه بعد فى هذه المرحله حتّى تدهمه مرحله جديده مفعمه بألوان الأذى و أنواع المصاعب،هى مرحله الكهوله و الشيخوخه،فيتّضح له مدى ضعفه و عجزه.

فهل يصدق أن يكون هدف هذا الكائن العظيم الأعجوبه فى الخلق،الذى يسمّى الإنسان،يأتى هو أن إلى هذا العالم ليقضى عددا من السنين،و ليمرّ بكلّ هذه المراحل بما فيها من آلام و مصاعب،و ليأكل مقدارا من الطعام و يلبس لباسا و ينام و ينهض ثمّ يموت و ينتهى كلّ شىء.و إذا كانت هذه هى الحقيقه،ألا يعنى هذا عبثا؟ أ تكون كلّ هذه التشكيلات العظيمه من أجل غايه دنيئه كالأكل و الشرب و النوم؟ افرضوا بقاء نوع الإنسان ملايين السنين فى هذه الدنيا،و تتعاقب الأجيال، و ترتقى العلوم الماديّه فتوفّر أفضل المأكل و الملبس و المسكن و أعلى مستوى من الرفاهيه للبشر،أ تكون تشكيلات الوجود كلّه من أجل هذه المقاصد الدنيا؟

و على هذا فإنّ دراسه هذا العالم العظيم لوحده دليل على كونه مقدّمه لعالم أوسع يمتاز بالدوام الخالد،و يعطى الإيمان به حياتنا معناها اللائق بها،و يخلصـها من التفاهات.و لهذا لا نسـتغرب من تصوّر الفلاسـفه الماديّين الذين لا يعتقدون بالقيامه و الآخره أنّ هـذا العالم تافه لا هـدف له.و لو كنّا نحن نعتقـد بمثل هـذا فحسب لاتّجهنا نفس اتّجاههم.و لهذا نؤكّد أنّه إذا كان الموت نقطه النهايه فخلق الوجود يصبح أمرا تافها،لهذا نقرأ فى الآيه(۶۶)من سوره الواقعه وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولىٰ فَلَوْ لاٰ تَذَكَّرُونَ ؟!

الآیتان [سوره المؤمنون (۲۳): الآیات ۱۱۷ الی ۱۱۸]

اشاره

وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لاٰ بُرْهٰانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمٰا حِسٰابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ اَلْكٰافِرُونَ (۱۱۷) وَ قُلْ رَبِّ اِغْفِرْ وَ اِرْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُ اَلرّٰاحِمِينَ (۱۱۸)

التّفسیر

اشاره

المفلحون و الخائبون:

بما أنّ الآیات السابقه تحدّثت عن قضیّه المعاد،و استعرضت الصفات الإلهیّه،فانّ الآیه الأولی أعلاه تناولت التوحید نافیه الشرک مؤکّده للمبدأ و المعاد.

فی قوله تعالی: وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لاٰ بُرْهٰانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمٰا حِسٰابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ (۱) .

أجل،إنّ المشرکین یستندون إلی الأوهام،فلا دلیل علی ما یدّعون سوی أنّهم کالببغاء یقلّدون آباءهم فی التمسّک بالخرافات و الأساطیر-التی لا أساس

---

۱ – ۱) -و اعتبر بعض المفسّرین عباره«فإنّما حسابه عند ربّه»جواب الشرط لعباره«من یدّع مع اللّه»و یعتبر جمله«لا برهان له به»جمله اعتراضیه جاءت بین سؤال الشرط و جوابه.و هی لتأکید الهدف النهائی.إلاّ أنّ البعض الآخر یری أنّ عباره«لا برهان له»جواب الشرط و جمله«فإنّما حسابه»...فرع عنها،لکنّ هذا الاحتمال لا ینسجم مع الأدب العربی،إذ یستوجب أن یقترن جواب الشرط بالفاء.أی«فلا برهان له،و ذهب آخرون إلی أنّ هذه الجمله صفه أو حالا.إلاّ أنّ الاحتمال الأوّل یبدو أقرب إلی الصواب رغم أنّه لا فرق فی المعنی یستحقّ الملاحظه».

لهـا من الصـحّه-و من هنـا ينكرون المعـاد على الرغم من وضوح أدلّته و إشـراق حقيقته،و يقبلون الشـرك من غير دليل صـحيح عليه.و من الطبيعى أن يعاقب مثل هؤلاء الـذين داسوا حكم العقل بأقـدامهم،و اتّجهوا فى دروب الكفر و الشـرك المظلمه بوعى منهم.

و فى النهايه تقول الآيه: إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ ما أجمل بدايه هذه السوره قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ !و ما أجمل نهايتها المؤكّده لبدايتها لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ !هذه هى صوره جامعه لحياه المؤمنين و الكافرين من البدايه إلى النهايه.

و ختمت السوره بهذه الآيه الشـريفه كاسـتنتاج عام بأن وجّهت الكلام إلى الرّسول صـلى اللّه عليه و آله و سلّم: وَ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ .

و الآـن و قـد اختارت فئه الشـرك سبيلا،و جارت فئه أخرى و ظلمت،فأنت- أيّها الرّسول و من معك تـدعون اللّه ربّكم أن يغفر لكم و يرحمكم بلطفه الواسع الكريم.

و لا شكّ فى أنّ هذا الأمر بالدعاء شامل لجميع المؤمنين،رغم كون المخاطب به هو النّبى بذاته.

و روى«أنّ أوّل سوره قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ و آخرهـا من كنوز العرش،و من عمـل بثلاـث آيات من أوّلها،و اتّعظ بأربع من آخرها فقد نجا و أفلح (۱) ».

و يحتمـل أنّه يقصـد الآيـات الثلاـث التى تلت عباره قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ و التى تـدعو إحـداها إلى الخشوع فى الصـلاه،و تـدعو الأـخرى إلى اجتنـاب اللغو و تـدعو الثّـالثه إلى الزكاه.فإحـداها تنظّم علاقه الإنسان بربّه،و الاخرى تنظّم هـذه العلاقه مع الناس،و الثّالثه مع النفس.

و القصد من الآيات الأربع الأخيره،هى الآيه ۱۱۵ و ما يليها التى تحدّثت

ص :۵۳۳

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى فى آخر الآيات موضع البحث المجلّد ۲۳ و ۲۴ مطبعه البهيّه المصريه-القاهره-ص ۱۲۸.

عن غائيّه الخلق،و المعاد،و التوحيد،و أخيرا الانقطاع إلى اللّه و التوجّه إليه.

ربّاه!ندعوك بحقّ المؤمنين الذين وعدتهم فى هذه السوره بالفلاح.و فى طليعتهم الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام أن تحشرنا مع هذه الفئه الصالحه و أن تكتبنا مع المفلحين.

ربّاه!منّ علينا برحمتك و غفرانك إنّك أرحم الراحمين.

إلهى!اجعل خاتمه أعمالنا خيرا.و احفظنا من كلّ خطأ و انحراف،إنّك على كلّ شىء قدير.

ختام تفسير سوره المؤمنين نهايه المجلّد العاشر

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ١۴٢۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مرکز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩